الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد لقادر للعلوم الإسلامية

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

بنية الجملة الطلبية في السور المدنية

دراسة نحوية دلالية

رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الدولة في اللغة العربية والدراسات القرآنية

من الطالب : بلقاسم دفة

أمام اللجنة:	الاسم واللقب:	الرتبة:	الجامعة الأصلية:
1-الرئيس:	أ.د/ عبد الله بوخلخال	أ.التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة.
2-المقرر:	د/ عبد الجليل مرتاض	أستاذ محاضر	جامعة أبي بكر بلقايد بتلمسان.
3-	د/ رابح دوب	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة.
4-	أ.د/ شايف عكاشة	أ.التعليم العالي	جامعة أبي بكر بلقايد بتلمسان.
5-	د/ بلقاسم ليبارير	أستاذ محاضر	جامعة العقيد الحاج لخضر بباتنة.

المناقشة يوم: الأحد 19 صفر 1422هـ، الموافق 13 ماي 2001 م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي

وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾.

سورة طه، الآيات: 25، 26، 27، 28.

صدق الله العظيم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الإهـــــداء

-إلى والدي الكريمين- رحمة الله عليهما- دعاء وثواباً لهما عنده سبحانه لما قدما.

-إلى أسرتي التي هيأت لي الجو الملائم للبحث.

-إلى كل غيور على وطنه الجزائر وأمته العربية والإسلامية.

-إلى حماة لغة الضاد الذين حملوا لواءها، وعملوا على ترقيتها.

-إلى أستاذي الدكتور عبد الجليل مرتاض.

أقدم عملي العلمي هدية تقدير وعرفان.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثبت بعض الرموز المتوخاة في الرسالة

ج	=	جملة
م	=	مسند
م إ	=	مسند إليه
مفع	=	مفعول به
مفع.م	=	مفعول مطلق
جا.م	=	جار ومجرور
ج.ش	=	جملة الشرط
ج.ج.ش	=	جملة جواب الشرط
ظ	=	ظرف
ظ.م	=	ظرف مكان
نا	=	ناسخ
مضاف. إ	=	مضاف إليه
ص	=	صفة
Ø	=	علامة شغور
⇐	=	يستلزم
(د.ت)	=	دون تاريخ
ط	=	طبعة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل الكتاب بالحق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. والصلاة والسلام على خاتم المرسلين، أنزل عليه القرآن الكريم بلسان عربي مبين، فخلّدت به اللغة العربية لخلوده، وحفظت لحفظه، وبعد:

إن أبسط مطلّع لا يشك أدنى شك بأن التراث اللغوي العربي ما ترك موضوعا من المواضيع، ولا حقلا من حقول علم اللسان إلاّ وقد طرقهما من قرب أو بعد، ولذا فإن الأهمية لا تكمن في تقديرنا في تناول ما يريد باحث اليوم أن يعالجه أو يقف عليه بقدر ما تكمن بوجه خاص في طريقة هذا العلاج، ودواعي هذا الوقوف، وإلاّ فما هي الفائدة من قول شيء نفسه؟.

ومن الأمور التي التفت إليها علماء اللغة العرب، و لاسيما القدامى منهم، تناولهم الجمل الطلبية في العربية، لكن ذلك التناول لم يكن وقفا على مدونة محددة لاستخلاص جوانب معينة متصلة بذات هذه المدونة أو تلك، مما ظل يضفي على هذه الدراسات طابع الشمول والتداخل بين مختلف المدونات من جهة، والعناصر اللسانية كلها من جهة ثانية.

إن "بنية الجملة الطلبية في السور المدنية" هي موضوع البحث. والجملة بشكل عام هي وحدة الكلام ووحدة الاتصال والإبلاغ، وهي أساس كل دراسة نحوية، وبداية كل وصف لغوي ونهايته، وأنها لا تكون تامة إلاّ إذا استوفت ركنين أساسيين، هما: المسند والمسند إليه، وقد لا تنتهي الجملة بذكرهما، بل تمتد إلى المتممات.

وللجملة العربية نظامها، ولها أنماط وصور، ولكل نمط أسلوبه الخاص، إلاّ أنه يبدو أن النحاة القدامى لم يصفوا الجملة وصفا دقيقا محكما، فدراستهم يعوزها التنظيم. والفضل كل الفضل لهم في ترك تراث علمي زاخر بشتى مسائل اللغة؛ فقد اهتدوا إلى جوانب مهمة في الجملة، وسجلوا آراء وأحكاما وتعليقات قيمة، ولو أنها غير مبوبة ومرتبة في معظمها. ولعل الفضل في التبويب والتنسيق يعود إلى ابن هشام الأنصاري (ت761هـ) الذي تحدث عن وظيفة الجملة ومكوناتها، كما أن العلماء الأوائل فصلوا بين علم النحو وعلم المعاني اعتقادا أو ظنا منهم أن لا علاقة بين العلمين إلى أن جاء عبد القاهر الجرجاني (ت471 هـ) فوثق الصلة بينهما اعترافا منه بعلاقة علم النحو بعلم المعاني الذي يعد قسما من علوم البلاغة.

وتعد فكرة إدماج علم المعاني في الدراسات النحوية من الوسائل المفيدة في وصف الدرس اللغوي وتحليله، فرأيت أنه من الأنجع الإفادة من هذه الرؤية ومحاولة تطبيقها على موضوع "بنية الجملة الطلبية في السور المدنية"، وذلك بتصنيف الجمل الطلبية بحسب وظائفها ومعانيها، وتحديد أنماطها وصورها مفسرًا ومحللاً.

ومما يتراءى لي مبدئيا أن هناك وحدات معنوية كبرى ووحدات معنوية صغرى كامنة في أية جملة طلبية من الصعب بمكان إدراكها وسبر غورها بعنصر لغوي واحد كالعنصر النحوي دون استحضار الجانب الدلالي في كل حين، ولذلك لا نعجب كثير العجب إذا رأينا عناصر لغوية لم يستقل الواحد منها عن الآخر

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

حقليا ومنهجيا إلاّ بعد مضي وقت ليس بالقصير على نشأة الدرس اللغوي عند العرب، ذلك الدرس الذي نشأ كلا متجانسا لا يتجزأ.

إن إقدامي منهجيا على الازدواج بين هاتين الدراستين: النحوية والدلالية لِمَّا تؤكده أحدث الدراسات اللغوية المعاصرة التي حاولت أن تقصي الجانب الدلالي من دراستها النحوية، ثم ما لبثت أن عادت إلى الحقل الدلالي كشريك لساني، لا يمكن للعنصر النحوي أن يستغني عنه أدنى استغناء.

وكان بودي لو أن هذه الدراسة تنهض بمسح شامل لكل الجمل الطلبية في القرآن الكريم، غير أن الطموح شيء، والواقع العلمي الميداني شيء آخر، إذ من غير الممكن أن يأتي هذا على مستوى أطروحة واحدة، ولربما ستسمح لنا الظروف بمواصلة هذا البحث خارج هذه الرسالة، أو يهيئ الله لباحث آخر أن يواصل نفس الموضوع في سور أخرى من القرآن الكريم.

وكان في نيتي بادئ ذي بدء أن أعتمد على قراءة ورش وحدها، ولكني ارتأيت وبإشارة من أستاذي المشرف أن أوسع هذا الاعتماد على كل القراءات السبع وغير السبع بل حتى القراءات الشاذة التي تكتنز تراثا لغويا ثريا.

ولا ريب أن وراء هذا المسلك الصعب حوافز عدة جعلتني أختار البحث في هذا الموضوع، منها: رغبتي في الربط بين علم النحو وعلم المعاني من جهة، وفي دراسة جانب من الجملة في ضوء النص القرآني من جهة أخرى، لأن الاحتكام إليه في الموازنة بين الأقوال المختلفة والآراء المتباينة وإقامة الدراسة عليه يعني الخروج بنتائج لا مماراة فيها، والوصول إلى قواعد لا مجال للطعن فيها لكونها ثمرة التطبيق على نص واحد موفق مقطوع بصحته.

وقد تنوعت مصادر ومراجع هذه الأطروحة، فركز الباحث على المصادر من كتب النحو والبلاغة والتفاسير والقراءات، كما استعان البحث بالشعر القديم (الجاهلي والإسلامي) لفهم لغات العرب فيما اختلف في قراءته، وأفاد -كذلك- من الكتب الحديثة، لأنه ابتغى الجمع بين القديم والحديث، إلاّ أن هناك صعوبات اعترضت الطريق، تتمثل في قلة المراجع التطبيقية، وفي صعوبة الحصول على الأمات. وربما كان أشدها عسرا غزارة المادة التي تتطلب اطلاعا واسعا على علوم اللغة العربية قديمها وحديثها واتصالا بجهود اللسانيين وأدواتهم العلمية.

و اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي لملاءمته للمادة المبحوث فيها، وهو ينهل من علم النحو وعلم المعاني قديمهما وحديثهما، ويأخذ بالتفسير والتحليل، كما يستعين بالمشجرات والجداول والإحصاء من أجل الموازنة وتوضيح بعض الحقائق.

وجاء البحث في مدخل وخمسة فصول وخاتمة، تحدثت في المدخل عن مفهوم "بنية" لغة واصطلاحا، ثم عرضت -كذلك- لمعنى "الجملة" لغة واصطلاحا عند القدامى، وعرضت لآراء النحويين واللغويين في العلاقة بين الكلام والجملة، ثم لأبعاد الجملة وأركانها وأقسامها، ثم عرضت لمفهومها وأبعادها وأركانها في نظر المحدثين بناء على تعريفاتهم المختلفة. وخلصت أخيرا بعد عرض لمفهوم "الجملة الإنشائية" عند القدامى

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والمحدثين إلى أن هذه الأخيرة تنحصر في قسمين: جملة إنشائية طلبية، وغير طلبية، وأن كلا من الجملتين تتفرع عنهما فروع. وعرضت أخيرا للفرق بين مفهومي "المكي" و"المدني" في القرآن الكريم.

وعالج الفصل الأول جملة الأمر، وحاول توضيح أنماطها وصور كل نمط بالشرح والتحليل، وحدد دلالة الجملة عند خروجها عن المعنى الحقيقي إلى معان أخر، وذيل الفصل بذكر النتائج.

وفي الفصل الثاني حاول البحث تحديد صور جملة النهي، وتحليل بعض النماذج منها بإبراز نظامها التركيبي وسماتها الدلالية، مستخلصا في النهاية الخصائص النحوية والدلالية لها. وقد فصلت بين جملتي الأمر والنهي بأن عقدت لكل منهما فصلا، وذلك بسبب كثافة المادة اللغوية.

أما في الفصل الثالث فدرست جملة النداء، وحاولت توزيع الجملة الندائية على أنماط وصور محللا عناصرها مشيرا إلى جوابها وعارضا إلى دلالاتها وخصائصها النحوية بعد الانتهاء من الدراسة التطبيقية. وقد سلك البحث مسلكا خالف فيه القدامى إلى حد ما في تحديد بنية الجملة الندائية حيث اعتبرت الجملة مركبة من جملة المنادى ومضمون النداء.

وتناولت في الفصل الرابع جملة الاستفهام، وحاولت تقسيم الجملة إلى أنماط وصور، وقمت بتحليل نماذج لتوضيح بنيتها النحوية وسماتها الدلالية، وأوجزت النتائج المتوصل إليها بعد الدراسة التطبيقية.

وانعقد الفصل الخامس على دراسة جملة الرجاء والتحضيض والدعاء، وتطرقت بالتحليل لكل جملة منها على حدة، فبينت أنماطها وصورها ودلالاتها، وخلصت بعد التطبيق إلى ذكر نتائج كل جملة.

وأنهيت الموضوع بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج المتوصل إليها والتي آمل أن تكون مفيدة في طريق البحث، ثم أثبت المصادر والمراجع.

أرجو أن أكون قد أصبت في دراستي، وكشفت عن بعض الظواهر اللغوية في السور المدنية. وحسبي أنني بذلت جهدا لا أزعم أني بلغت غايته، ولكني أبتغيه محاولة تفتح لي السبل أمام البحث العلمي.

واعترافا بالجميل فإنني أنوه في ختام هذه المقدمة بالأستاذ المشرف الدكتور عبد الجليل مرتاض الذي أشرف على هذه الأطروحة، فقد أمدني بعلمه، وغمرني بعنايته وتوجيهاته القيمة التي أفدت منها إفادة واسعة. كما لا يفوتني أن أقدم شكري إلى كل من ساعدني على إنجاز هذا العمل، وأقدم كامل اعتزازي وتقديري إلى جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة التي أحمل منها شرف الانتماء وإلى قسم اللغة العربية الذي أحمل منه شرف التخرج.

والله نسأل أن يسدد خطانا لخدمة لغة كتابه الكريم. فهو سبحانه نعم المولى ونعم النصير.

باتنة في: **رمضان سنة 1421هـ**
ديسمبر سنة 2000م

بلقاسم دفة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مدخل

- مفهوم (بنية) و(جملة)

- الفرق بين مفهومي (المكي) و(المدني) في القرآن الكريم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أتناول -في هذا المدخل -مصطلحي "بنية" و"جملة"، ثم أعرج إلى الفرق بين مفهومي "المكي" و"المدني" في القرآن الكريم .

أولا – البنية:

أتناول مصطلح "البنية" "La structure" لغة واصطلاحا. وأبدأ بادئ ذي بدء بالمعنى اللغوي .

أ–البنية لغة :يوجد للفظ "البنية" فعلان: "بنا" بالمدّ يبنو، جمع بِنْوة أو بُنُوةٌ [1]،و"بنى"بالقصر، يبنى من البناء.[2]

ويقال: بِنية، وبِنىً-بكسر الباء – اسم مقصور، وبُنيةٌ وبنىً -بضم الباء -مقصور كذلك[3]. و"بِنْيـة" على وزن "فِعْلة"، وكأن البنية الهيئة التي بني عليها، مثل: رِشْوَةٌ ومِشْيَةٌ ورِكْبَةٌ[4].

والبِنية والبُنية : ما بنيته، وهو البِنَى والبُنَى، ورد عن العرب بضم الباء .أنشد الفارسي عن أبي الحسن:

أولئك قومٌ، إن بَنَوا أحسنوا البُنى وإن عاهدوا أوفوا، وإن عقدوا شدّوا

ويروى: أحسن البِنى بالكسر؛ قال أبو إسحاق: "إنّما أراد بالبنى جمع بنية".[5]

والبِنْيةُ والبُنية: ما بنيته على هيئة وصورة معينة، وجمعه البِنى والبُنى، وجمع أبنيات. [6] والبناء و البنيان شيء واحد، وهو نقيض الهدم. [7] ومنه قوله تعالى:﴿كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾.[8]

ومن الفعل "بَنى": البِنْيَة أو البُنية، والبُنى، والبِناء، والبُنْيان، والبِناية، والابتناء، والباني. [9] وهذا الفعل "بَنى" ومشتقاته أكثر دورانا واستخداماً من الفعل الثاني "بنا" في مؤلفات اللغويين القدامى والمحدثين .

ومعنى لفظ "بِنْيَة" لغةً في كل ما ورد لا يخرج عن كونها تدل على بناء الشيء على هيئة وصورة معينة. إلاّ أنّ كلمة "بِنية" "كلمة واسعة فضفاضة، لا تكاد تعني شيئاً؛ لأنها تعني كل شيء".[10] ويدل

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) ينظر، ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، (د.ت) 89/14،(بنى)، والزبيدي، تاج العروس، دار صادر بيروت، (د.ت)، 46/10،(بنى).

(2) ينظر، أبو هلال العسكري، التلخيص، تحقيق عزّة حسن، دار صادر بيروت ، ط2، 1993 ، 262،261/1.

(3) ينظر، المصدر السابق، 261/1 ،.و أحمد بن فارس، مجمل اللغة، دراسة وتحقيق زهير سلطان، مؤسسة الرسالة بيروت ط2 ، 1986، 136/1، .(بنى)،وابن منظور ،لسان العرب، 94/14،(بنى).

(4) ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 94/14،(بنى).

(5) ينظر المصدر السابق، 94/14.

(6) ينظر، المصدر السابق، 94/14، و الزبيدي، تاج العروس، 46/10،(بنى).

(7) ينظر، الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار العلم للجميع، بيروت، (د.ت)، 305/4،(البنى)، والزبيدي، تاج العروس 46/10،(بنى).

(8) الصف، 4.

(9) ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 94/14،(بنى)، والفيروز آبادي، القاموس المحيط، 305/4،(البنى)، والزبيدي، تاج العروس، 46/10،(بنى).

(10) إبراهيم زكريا، مشكلات فلسفية (8)، مشكلة البنية أو أضواء على البنيوية، دار مصر للطباعة، (د.ت)، ص8.

اتساعها ذلك على أنها اقتحمت جلّ العلوم.وقد أدى تنوعها الدلالي إلى وجود تعريفات عديدة،نقتصر على بعضها مما له علاقة بميدان علم اللغة .

ب-البنية اصطلاحا: لقد انطلقت جلُّ التعريفات لمصطلح "بنية" من مفهوم النظام، يقول زكريا إبراهيم: "البنية عندهم جميعاً... هي ذلك النظام المتسق الذي تتحدد كل أجزائه بمقتضى رابطة تماسك وتوقف، تجعل من اللغة مجموعة منتظمة من الوحدات -أو العلاقات المنطوقة- التي تتفاضل ويحدد بعضها بعضا على سبيل التبادل "[1]. فالبنية هي كل تماسك بنظام من العلاقات اللغوية، سواء أكانت ألفاظا تؤلف جملة أم جملا، أم أصواتا تؤلف لفظا أم ألفاظا، وأن عناصرها تخضع لمبدأ التغير والتحويل بسبب ترتيب عناصرها .

وتأخذ بعض التعريفات بمبدأ العلاقة فتحدد البنية بأنها "مجموعة من العلاقات التي تربط العناصر بعضها".[2] فهي ليست عنصرا واحدا، أو مجموعة من العناصر بل هي العلاقات النظمية التي تؤلف بين تلك العناصر، والتي تكون منها البنية، والكل ليس إلاّ نتيجة لهذه العملية.[3] وتلك البنى اللفظية من صوتية وصرفية ونحوية هي التي تحمل المعنى للمتلقي؛ فالمعنى يستخرج من مجموع العلاقات التي تربط العناصر جميعها وفق أحكام لغوية معينة تبعا لنظام تلك اللغة.

وبعض التعريفات تعرف البنية على أنها مادة "تحويلية"[4]. أي: إنّ عناصرها تخضع لمبدأ التحويل والتغير، وذلك عن طريق التقديم والتأخير، أو ما يسمى بترتيب العناصر.

ونشير إلى أنّ مصطلح "البنية" يرادف مصطلح "البناء"، فالبنية والبناء إذن -عند البعض -يعتمد على ترتيب العناصر[5]؛ فهو في الجملة تنسيق لعناصرها، وترتيب لأفكارها. فليست الجملة خطا أفقيا من كلمات متتابعة، وإنما هي نسق منظوم على نحو مخصوص، يتوقف فهم التركيب في شطر كبير منه على هيئة نظم الكلم[6].

ويستهل البناء بإذكاء بواعث القول وينتهي بإثارة المتلقي واستجابته التلقائية.فالبناء إذن مرتبط بالجملة من حيث ترتيب عناصرها، لإيصال المعنى للمتلقي، وهذه العناصر تسير وفق أحكام لغوية وإرادة ذاتية تبدأ عبر اختيارات تجيزها اللغة، ليصل المنتج إلى مستوى الإبداع والابتكار بخرق سنن اللغة وقوانينها. [7]

ولهذا يرى حلمي خليل أنّ "علم اللغة البنيوي" «Structural l'inguistics» يقوم على أساس أنّ تحليل أي عنصر لغوي لا يمكن أنّ يتم بمعزل عن العناصر الأخرى، وأن علم اللغة البنيوي كذلك ينظر إلى

---

(1)مشكلة البنية أو أضواء على البنيوية ،ص77، 78.

(2) المرجع السابق، ص34.

(3) ينظر، محمد الحناش، البنيوية في اللسانيات دار الرشاد، الدار البيضاء-المغرب-ط1، 1980، ص102.

(4) ينظر، جان بياجيه، البنيوية، ترجمة عارف منيمنة وبشير أوبري، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط2، 1980، ص8.

(5) ينظر، عبد الوهاب جعفر، البنيوية في الأنثروبولوجيا وموقف سارتر منها، دار المعارف بمصر، 1980، ص12.

(6) ينظر، نهاد الموسى،نظرية النحو العربي في ضوء مناهج التطور اللغوي الحديث،دار البشير،مكتبة وسام،عمان الأردن، ط2، 1987، ص29.

(7) ينظر، محمد الماكري،الشكل والخطاب (مدخل لتحليل ظاهراتي)، المركز الثقافي العربي، بيروت، والدار البيضاء، المغرب، 1991، ص176.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

اللغة على أنها وحدات صوتية تتكون لتكون وحدات مورفولوجيا، وهذه تتكون بدورها لتؤلف جملا[1]. فاللغة تقوم على نظام من الأحكام المحددة، وهذه الأحكام ليست في حقيقتها إلاّ شبكة تقنية معقدة مؤلفة من مجموعة شيفرات. وهكذا نجد لكل لغة نظاما معينا، ونجد في الوقت ذاته لهذا النظام أو البنية تسلسله الطبيعي الخاص، وهذه البنية هي التي تضم الأفكار بداخلها وتنظمها، فكأن هذه الشيفرات ظروف، وكأن ما تحمله من دلالات مظروفات. وبذلك يمكن أن يتصور أن الفكرة تنجز من خلال بنية فنية معينة.[2]

ويبدو أنّ اللغويين العرب القدامى أدركوا بدورهم مفهوم "بنية الكلام" من خلال معالجتهم للقضايا اللغوية من صوتية وصرفية ونحوية. وقد عبروا عنها بمصطلحات مختلفة في دواليها، متفقة في مدلولاتها، ومنها: النظم، والتأليف، والترتيب، والبناء، والتعليق. وكلها تشير إلى عملية تنسيق الألفاظ في تراكيب لغوية صحيحة. فهم مدركون أنّ هناك ارتباطا واضحا بين المبنى والمعنى، أو الدال والمدلول. والمبنى عندهم يبدأ بأصغر وحدة، وهي الصوت، وينتهي بأكبر وحدة وهي الجملة، وبذلك وصلوا إلى فكرة نظام الجملة، وما ينشأ عنها من معانٍ تبعا لترتيب عناصر الجملة، وكذا الحذف والزيادة .يقول أبو هلال العسكري: "وتخير الألفاظ وإبدال بعضها من بعض يوجب التئام الكلام وهو من أحسن نعوته وأزين صفاته فإن أمكن مع ذلك منظوما من حروف سهلة المخارج كان أحسن له وأدعى للقلوب إليه".[3]

فالبناء انتقاء للألفاظ وتأليف فيما بينها، وذلك لا يتأتى إلاّ لبارع في صنع بناء الألفاظ والتنسيق بين معانيها. وفي هذا المعنى يقول عبد القاهر الجرجاني: "والنظم يتحد في الوضع ويدق فيه الصنع" [4].ويقول أيضا: "واعلم أنّ مما هو أصل في أن يدق النظر ويغمض المسلك في توخي المعاني التي عرفت أن تتحد أجزاء الكلام ويدخل بعضها في بعض، ويشتد ارتباط ثان منها بأول، وأن يحتاج في الجملة إلى أن نضعها في النفس وضعا واحدا، وأن يكون حالك فيها حال الباني يضع بيمينه ههنا حال ما يضع بيساره هناك نعم وفي حال ما يبصر مكان ثالث ورابع يضعهما بعد الأولين وليس لما شأنه أن يجيء على هذا الوصف حد يحصره وقانون يحيط به، فإنه يجيء على وجوه شتى وأنحاء مختلفة".[5]

ويرى عبد القاهر أن التأليف الجيد إنّما يتم في الألفاظ "مرتبا على المعاني المرتبة في النفس، المنتظمة فيها على قضية العقل".[6] وهذا الربط بين البنية والدلالة يفسح المجال للمتلقي، أمام التأثيرات الأسلوبية، فتكون القيمة للبنية لفظا ودلالة معا[7].

(1) ينظر، العربية وعلم اللغة البنيوي، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1995، ص7.

(2) ينظر، عبد الملك مرتاض، النص الأدبي من أين؟ و إلى أين؟ ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1983، ص19.

(3) كتاب الصناعتين، حققه مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1989، ص159.

(4) دلائل الإعجاز في علم المعاني، صححه محمد عبده، ومحمود الشنقيطي، وعلق على حواشيه، محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، ص73.

(5) المصدر السابق، 73، 74.

(6) ينظر، أسرار البلاغة،تصحيح محمد عبده، وتعليق محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، (د.ت)، ص3.

(7) ينظر، سعد أبو الرضا، في البنية والدلالة، منشأة المعارف بالأسكندرية، (د.ت)، ص32- 89.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ويعد الترتيب في مباني الجملة من أهم ما يجب أن يصرف اللغوي جهده له، فعن طريقه يصل إلى دلالة معينة قد لا يكون الوصول إليها بغيره يسيرا، فهو أبرز المجالات التي تبرز اتحاد المستوى التركيبي "syntaxe" مع المستوى الدلالي "Sémantiques". [1]

فالبناء مرتبط ببناء صيغ الألفاظ، وبناء صيغ الجملة على نظام خاضع للأحكام اللغوية. وتعتمد العناصر التأليف والتركيب بين المؤلفات المختلفة. والتأليف هو الذي يوليه علم اللغة عناية كبرى. يقول فندريس "Vendryes" نقلا عن فنك "Fiknk": "... الاختلافات في البنية بين اللغات تنتج من الكيفيات المتنوعة التي تتوقف عليها عملية التأليف"[2].

وفائدة النظم أو الترتيب "جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير تأليف حالته حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء"[3].فالنظم يهتم بترتيب الكلمات في جمل، أي أنه يدرس الطرق التي تتألف بها الجمل من الكلمات. فدراسة النظم في جوهرها تهدف إلى تحديد القواعد المألوفة في ترتيب البنى الشكلية[4].

ويقرر عبد القاهر الجرجاني: "أنه لا يكون الإتيان بالأشياء بعضها في إثر بعض على التوالي نسقا وترتيبا حتى تكون الأشياء مختلفة في أنفسها، ثم يكون للذي يجيء بها مضموما بعضها إلى بعض غرض فيها ومقصود لا يتم ذلك الغرض وذلك المقصود إلاّ بأن يتخير لها مواضع فيجعل هذا أولا وذاك ثانيا." [5] بحيث تصبح بنية الجملة صورة للوجود الذهني التصوري لمعانيه. وبالتالي تصبح عملية الإفراز الفني ميزة نوعية للأثر الأدبي، لأن تقديم لفظ وتأخير آخر مبني على اهتمام المبدع بإبرازه ونماء ما يليه لتتكامل البنية الكلية[6]، التي تخضع لطابع اللغة ونمطها المألوف في ترتيب الأجزاء، وفق مبادئ اللغة ونواميسها.أما المعاني فيتم فيها العدول على المباني الجاهزة[7]. أي الخروج عن استخدام المألوف إلى معان مجازية تفهم من خلال السياق .

ومن هنا يتجلى مفهوم "بنية الجملة" في عملية النظم والربط، والتأليف، فهي مجموعة من العناصر اللغوية التي ارتبطت لتؤدي معنى للمتلقي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) ينظر، خليل أحمد عمايرة، آراء في الضمير العائد ولغة أكلوني البراغيث، دار البشير، عمان، ط1، 1989، ص18.

(2)اللغة، ترجمة عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص، مطبعة لجنة البيان العربي، نشر مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1950،ص105.

(3)السيوطي،معترك الأقران في إعجاز القرآن،ضبط وتصحيح أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1،1988،ص45.

(4) ينظر، محمود السعران، علم اللغة، دار النهضة العربية، بيروت،(د.ت)، ص226.

(5) دلائل الإعجاز، ص363، 364.

(6) ينظر، سعد أبو الرضا، في البنية والدلالة، ص136.

(7) ينظر، محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، 1984، ص200، 201.

ثانيا-الجملة :

لقد تعددت مفاهيم الجملة وتنوعت نظرا لاختلاف وجهات وآراء علماء اللغة ومناهجهم.

ولا أريد أن أفصل القول في خلافات اللغويين والنحاة في تحديد مفهوم الجملة، ولكنني سأكتفي بعرضها عرضا مختصرا، فأرصد حدها مبينا ما ترتب على هذا الحد من جوانب لها أثرها في بناء الدرس النحوي الحديث وتوجيه، ثم أخرج من ذلك كله بوضع حد أستصوبه للجملة التي سأقسمها وأوزعها في ضوء ذلك.

وأتحدث بادئ ذي بدء عن مفهوم الجملة عند اللغويين والنحاة القدامى والمعاصرين من العرب، ثم عند علماء اللغة الغربيين.

1-مفهوم الجملة عند اللغويين والنحاة العرب القدامى:

لعل الباحث في التراث اللغوي العربي يدرك أن للعلماء العرب القدامى اتجاهين أساسيين في تحديد مفهوم الجملة.

الاتجاه الأول: يرى علماء هذا الاتجاه أن مفهوم الجملة يرادف بمفهوم الكلام. ومن علماء هذه الوجهة سيبويه، وابن جني، والزمخشري، وابن يعيش، والإسفراييني.

لقد استشهد سيبويه (ت 180هـ) في كتابه (الكتاب) بجمل نحوية تامة في مواطن عدة مراعيا فيها المعنى، ومعبرا عنها بلفظ الكلام دون استخدام مصطلح "الجملة"، فيقول: "هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة فمنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب، فأما المستقيم الحسن فقولك: أتيك أمس وسآتيك غدا .وأما المحال فأن تنقض أول كلامك بآخره فتقول: أتيتك غدا، وسآتيك أمس ".(1)

فسيبويه لم يتحدث عن معنى الجملة اصطلاحا، وإنما يفهم مدلولها من خلال ذكره لركني الجملة: "المسند" و"المسند إليه".وهو في باب الإسناد يبين أن الجملة لا تستغني عن أحد هذين الركنين، ويفهم أن الجملة عنده ما تكونت من المسند والمسند إليه، كالمبتدأ وخبره، والفعل وفاعله، فيقول: "وهما ما لا يغني واحد منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلم منه بدا .فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبني عليه وهو قولك: عبد الله أخوك .وهذا أخوك، ومثل ذلك: يذهب عبد الله ،فلا بد للفعل من الاسم كما لم يكن للاسم الأول بد من الآخر في الابتداء ."(2)

ويلحظ -مما ذكر-أن سيبويه لم يستخدم مصطلح "جملة"، وإنما استعمل مصطلح "الكلام" وأراد به الجملة، وذلك حين حديثه عن الجمل المفيدة.

أما ابن جني (ت 392هـ)فقد نص صراحة على الترادف بين مفهومي "جملة "، و"كلام" بقوله :

---

(1) الكتاب، تحقيق محمد عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط3، 1988، 25/1.

(2) المصدر السابق، 23/1.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

"أما الكلام فكل لفظ مستقل بنفسه، مفيد لمعناه، وهو الذي يسميه النحويون الجمل، نحو :زيد أخوك، وقام محمد... فكل لفظ استقل بنفسه، وجنيت منه ثمرة معناه فهو كلام ." (1)

وهذا ما ذهب إليه الزمخشري (ت 538 هـ) بقوله : "والكلام هو مركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى، وذلك لا يتأتى إلا في اسمين، كقولك :زيد أخوك وبشر صاحبك، أو في فعل اسم، نحو قولك : ضرب زيد، وانطلق بكر، وتسمى الجملة ".(2)

وهذا الترادف أو الخلط في المصطلح نجده أيضا عند ابن يعيش (ت 643هـ)حيث يقول : "اعلم أن الكلام عند النحويين عبارة عن كل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه، ويسمى الجملة، نحو: زيد أخوك ،وقام بكر ،وهذا معنى قول صاحب الكتاب، المركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى". (3)

و لم يخرج الأسفراييني (ت 684هـ)عن التقليد؛ فقد تأثر بمن سبقوه ،فهو يرى أن التأليف قد يجري بين الاسم والفعل "إما على وجه الإسناد، وهو تركيب الكلمتين أو ما يجري مجراهما بحيث تفيد السامع، ويسمى كلاما أو جملة". (4)

والواضح أن المصطلح عند الأسفراييني مازال يكتنفه الغموض، أي أن "الكلام" مرادف لمصطلح "الجملة". وهذا المفهوم ردده ابن منظور (ت 711 هـ)،فيقول: "والكلام ما كان مكتفيا بنفسه وهو الجملة".(5)

فالجملة -إذن-عند علماء هذا الاتجاه تعد رديفا للكلام ،وهي التركيب المفيد فائدة يحسن السكوت عليها.

الاتجاه الثاني: الجملة عند علماء هذا الاتجاه تدل على معنى مخالف لمعنى الكلام. ويمثله كل من رضي الدين الإستراباذي وابن هشام الأنصاري وعلي بن محمد الجرجاني .

وإذا كنا قد رأينا أن الكلام يرادف الجملة عند الأوائل، فإننا نجد الإستراباذي (ت 686هـ) يرى أن الجملة والكلام غير مترادفين، وأن الجملة أعم من الكلام مطلقا ،إذ شرطه الإفادة بخلافها ،فيقول :"والفرق بين الجملة والكلام ،أن الجملة ما تضمن الإسناد الأصلي سواء أكانت مقصودة لذاتها أم لا ،كالجملة التي هي خبر المبتدأ... والكلام ما تضمن الإسناد الأصلي وكان مقصودا لذاته، فكل كلام جملة ولا ينعكس ". (6)

في حين يعرفها ابن هشام (ت 761 هـ) بقوله : "الكلام هو القول المفيد بالقصد، والمراد بالمفيد ،

(1) ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت، ط2، (د.ت)، 17/1.

(2) المفصل في علم العربية، دار الجيل، بيروت، ط2، (د.ت)، ص6.

(3) شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، مكتبة المتنبي، القاهرة، (د.ت)، المجلد الأول، 18/1.

(4) لباب الإعراب، تحقيق بهاء الدين عبد الرحمن، دار الرفاعي بالرياض، ط1، 1984، ص149.

(5) لسان العرب، 523/12 ،(كلم).

(6) شرح الكافية في النحو لابن الحاجب،دار الكتب العلمية، بيروت، 1985، 8/1.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

هو ما دل على معنى يحسن السكوت عليه،والجملة عبارة عن الفعل وفاعله،وبهذا يظهر لـك أنهما ليسا بمترادفين كما يتوهمه كثير من الناس... والصواب أنها أعم منه، إذ شرطه الإفادة بخلافها، ولهذا تسمعهم يقولون: جملة الشرط، وجملة الجواب، وجملة الصلة،وكل ذلك ليس مفيدا، فليس بكلام ". (1) فهو يفرق بين مفهومي "جملة" و"كلام" من حيث أن الكلام يمكن السكوت عليه. أما الجملة فيعني بها عناصر الإسناد، كالفعل مع فاعله، والمبتدأ وخبره، فيقول: "والجملة عبارة عن الفعل وفاعله،كـ"قام زيد"،والمبتدأ وخبره، كـ"زيد قائم " وما كان بمنزلة أحدهما،نحو: ضرب اللص". (2)

ويرى ابن هشام بتصوره هذا أن المعنى موجود في الكلام أوفي الجمل المفيدة. ويؤيده الجرجاني علي بن محمد (ت 816هـ) فيما ذهب إليه فيقول: "الجملة عبارة عن مركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى سواء أفاد كقولك: زيد قائم ،أو لم يفد كقولك: إن يكرمني، فإنه جملة لا تفيد إلا بعد مجيء جوابه فتكون الجملة أعم من الكلام مطلقا". (3)

ويتضح من هذا التعريف أن الكلام شرطه الإفادة دائما،في حين أن الجملة لا تشترط إتمام المعنى،وذلك كجملة فعل الشرط، أو جملة جواب الشرط، وجملة جواب القسم، وجملة صلة الموصول... وهي في واقعها اللغوي غير تامة المعنى؛ لأنها أجزاء جمل، فلا يتضح معناها إلا من خلال الجمل التامة.

و لم يكن الاختلاف بين النحويين واللغويين حول تعريف الجملة،والفرق بينها وبين الكلام،بل تعداها إلى الاختلاف حول تقسيمها ،فهي عند أغلبهم اسمية وفعلية ،وزاد بعضهم الشرطية والظرفية، يقول صاحب المفصل: "و الجملة على أربعة أضرب: فعلية و اسمية وشرطية وظرفية وذلك: زيد ذهب أخوه، عمرو أبوه منطلق، وبكر إن تطعه يشكرك، وخالد في الدار". (4)

وسلك هذا التقسيم الإسفراييني في كتابه "لباب الإعراب"متأثرا بالزمخشري. (5) أما ابن يعيش فلم يقر تقسيم الزمخشري، حيث يقول : "وهي قسمة لفظية وهي في الحقيقة ضربان فعلية واسمية، لأن الشرطية في التحقيق مركبة من جملتين فعليتين الشرط فعل وفاعل والجزاء فعل وفاعل والظرف في الحقيقة للخبر الذي هو استقر وهو فعل وفاعل ". (6) أما صاحب مغني اللبيب فقد زاد على القسمين المعلومين الظرفية، فعنده "الاسمية هي: التي صدرها اسم، والفعلية هي: التي صدرها فعل... والظرفية هي: المصدر بظرف أو مجرور. (7)

ويبدو جليا إغراق النحاة القدامى في الجانب الشكلي لدراسة الجملة، الشيء الذي أدى بهم إلى هذا التقسيم، وإلا ما كان اهتمامهم منصبا نحو الصدر الذي يرونه كفيلا بتحديد نوعي الجملة، فنظرتهم هذه

(1) مغني اللبيب، تحقيق ح.الفاخوري، دار الجيل، بيروت، ط2، 1997، 5/2.

(2) المصدر السابق، 5/2.

(3) التعريفات، ضبطه محمد عبد الكريم القاضي، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1991، ص91.

(4) الزمخشري، شرح المفصل لابن يعيش، 82/1.

(5) ينظر، لباب الإعراب، ص149، 150.

(6) شرح المفصل، 88/1.

(7) ابن هشام، مغني اللبيب، 7/2.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

لا تصلح لتصنيف الجمل في اللغة العربية؛ فهناك جمل صدرها اسم، ولكنهم أدرجوها في الفعلية، وجمل أخرى فعلية، ولكنهم أدرجوها في الاسمية، مما أدى بهم إلى الإعراب التقديري وإلى التأويل.[1]

ويلحظ أن السيوطي (ت 911 هـ) قد تأثر بمنهج ابن هشام فنجده يقول: "والجملة قيل: ترادف الكلام،والأصح أعم،لعدم شرط الإفادة،فإن صدرت باسم فاسمية،أو فعل ففعلية، أو ظرف أو مجرور فظرفية".[2]

والواضح أن اختلاف النحاة في تصنيف الجملة مرده إلى اختلاف شكلي محض، كما مر بنا في تقسيم الزمخشري وابن هشام.

ويعكس لنا رأي ابن يعيش التصور الصحيح لنوعي الجملة العربية، وهو يرد على الذين يخالفون الرأي، بقوله: "وهي قسمة لفظية، وهي في الحقيقة ضربان : فعلية واسمية".[3]وهذا الرأي هو السائد والمعمول به في تقسيم الجمل، وقد اعتمد حديثا من قبل اللغويين، وهي خدمة جليلة قدمها السلف للخلف .

هذه بعض النقاط الجوهرية التي تدل بوضوح على مدى عمق الدراسات العربية القديمة أحيانا،وخفقها أحيانا أخرى، فالكلام مثلا عن تصنيف الجمل عند بعضهم-كما سبق أن قدمت-ينم عن قصور في التقسيم، بسبب التعلق بالشكل، والابتعاد عن المعنى.

يتضح مما سبق أن الدراسات القديمة سارت في اتجاهين رئيسيين: اتجاه اهتم بشكل الجملة، واتجاه اهتم بالمعاني المستقاة منها، ولو أن هناك اتجاها آخر يوفق بين الشكل والمعنى. والظاهر أن أحمد بن فارس (ت 395هـ) تنبه لهذا، وهو يكتب فصل "معاني الكلام" جاعلا المعاني عشرة، وهي:الخبر والاستخبار والأمر والنهي والدعاء والطلب والعرض والتحضيض والتمني والتعجب. وتحدث عن خروج تلك المعاني عما جعلت له إلى دلالات أخرى؛فالخبر مثلا يخرج إلى التمني والتعجب والإنكار.[4]وهذه المسائل تقوم أساسا على دراسة التركيب النحوي الذي يؤدي إلى معان ثانية تفسرها السياقات الدلالية .

وبهذا الفهم يكون أحمد بن فارس أول من وضع مصطلح" معاني الكلام" لمباحث الجملة الخبرية والإنشائية وكذلك الجرجاني (ت 471هـ) فقد ركز في نظرية النظم على ضرورة مراعاة المعنى،وذلك بوضع الألفاظ في سياق محدد لتفي بدلالتها، فيقول:"ليس النظم شيئا إلا توخي معاني النحو وأحكامه ووجوهه وفروقه فيما بين معاني الكلم".[5]فدلالة الجملة تتضح وقد ارتبطت عناصرها،لأن الصلة وثيقة بين اللفظ ومعناه لسبب "أن اللفظ تبع للمعنى في النظم".[6]على أن الربط فيه تعلق بألفاظ التركيب،فالمعنى يبرز في

---

(1) ينظر،ابن هشام، مغني اللبيب، 7/2، 8.

(2) همع الهوامع، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998، 49/1.

(3) شرح المفصل، 88/1.

(4) ينظر، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، علق عليه ووضع حواشيه أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997، ص133 وما بعدها.

(5) دلائل الإعجاز، ص403، وينظر له ص282، 404.

(6) المصدر السابق، ص45.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أحسن صورة"في ضم بعضها إلى بعض، تعليق بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض، لا أن ينطق بعضها في أثر بعض من غير أن يكون فيما بينها ما تعلق ".[1] فلا يحصل المعنى من ألفاظ غير مرتبطة ارتباطا لغويا صحيحا، ولذلك كان "علم المعاني" ضروريا في فهم الأساليب اللغوية.

وقد اتضح هذا الأمر للقدامى كالسكاكي (ت 626هـ)، والقزويني (ت 739هـ) بأن "علم المعاني" هو علم يعرف به أحوال التركيب العربي التي يطابق بها مقتضى الحال[2]؛ فهو علم يتتبع خصائص التركيب في الإفادة، وما يتصل بها من استحسان وغيره.[3]

وحصر هذا العلم في الإسناد الخبري، وأحوال المسند إليه، والمسند، ومتعلقات الفعل والقصر، والإنشاء، والفصل، والوصل، والإيجاز، والإطناب والمساواة.[4] فالقدامى بوصف عام يقسمون الجملة بلاغيا إلى قسمين: الخبر والإنشاء، والإنشاء منه ما هو طلبي، وغير طلبي.[5]

وقد اقتصر السكاكي على " الطلبي " من القسم الثاني "الإنشاء "وجعله في مقابل القسم الأول "الخبر". وتبين له أن النوعين قد يخرجان إلى معان وأغراض مجازية؛ فالطلب –مثلا–قد يخرج إلى معان كالإنكار والتوبيخ والتهديد والزجر وغيرها.[6] أما بالنسبة إلى أقسام الطلب فهي عنده خمسة: التمني والاستفهام والأمر والنهي والنداء.[7] وتستوجب هذه الأقسام الطلبية شروطا لابد من توافرها، فالاستفهام الحقيقي –مثلا–يتطلب مجموعة من الشروط الأساسية، إذا ما توافرت ،فإن المعنى المقامي يكون هو الاستفهام أما إذا حذف شرط من تلك الشروط فإن الاستفهام يتحول إلى معنى آخر،[8] يفهم من خلال السياق.

2–مفهوم الجملة عند العلماء و الباحثين العرب المعاصرين :

يختلف مفهوم الجملة عند علماء العرب المعاصرين بسبب انتماءاتهم إلى المدارس والمذاهب اللغوية عن طريق الأخذ من القدماء العرب، أو التأثر بالنظريات اللغوية الغربية. وتبعا لذلك فالقواعد والأحكام اللغوية القديمة لم تبق على حالها، بل تغيرت مع تطور الدراسة اللغوية الحديثة، فتعددت بذلك مفاهيم الجملة باختلاف وجهات النظر. فهناك من اللغويين العرب من يعرف الجملة بأنها: "قول مركب مفيد أي دال على

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1)الجرجاني،دلائل الإعجاز، ص359.

(2) ينظر، مفتاح العلوم، ضبط وتعليق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1987، ص161، 168، 169، والقزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، ص15.

(3) ينظر، السكاكي، مفتاح العلوم، ص161.

(4) ينظر المصدر السابق، ص169، والقزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص16.

(5) ينظر، القزويني الإيضاح، ص135، وابن هشام، شرح شذور الذهب، ترتيب وتعليق وشرح عبد الغني الدقر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1994، ص40.

(6) ينظر، السكاكي، مفتاح العلوم، ص305، 306.

(7) ينظر، المصدر السابق، ص165–304.

(8) ينظر، المصدر السابق، ص304، 305.

معنى يحسن السكوت عليه". [1] ونكاد نلمس التعريف نفسه عند الحاج صالح عبد الرحمن الذي عد الجملة "نواة لغوية تدل على معنى وتفيد فائدة". [2] ويلتقي هذا التعريف بالنحاة القدامى في بعض الجوانب، "فقد عرفوا الجملة تعريفا روعيت فيه جوانب أساسية فقد راعوا في تحديدها مفهوم الإسناد ومفهوم الإفادة، فالجملة في نظرهم هو ما تركب من مسند ومسند إليه". [3] أما مفهوم الإفادة عندهم فمقترن باستقلال الجملة وعدم احتياجها إلى ما يتمم معناها، ومن هنا يتراءى مظهر آخر للجملة وهو أنها وحدة الكلام. [4]

ويفهم من التعاريف السابقة أن شرط الجملة التأليف الذي يحمل دلالة للمتلقي، ولذلك فهي مجموعة ذات عناصر لغوية إسنادية، وقد أنشئت قصد التفاهم في بيئة لغوية معينة .

وليست الجملة مجرد سلسلة من طبقات تراكمية من المفردات دون علائق ترابطية تسري في عناصرها، بل لها علائق كعلاقة الإسناد[5]. وإن الإسناد لا ينعقد إلا بين اسمين كعلاقة المبتدأ بالخبر، أو بين فعل واسم كالعلاقة بين الفعل وفاعله، والفعل بنائب فاعله، والوصف المعتمد بفاعله أو نائب فاعله، والوصف المعتمد بفاعله أو نائب فاعله. [6] فالجملة "هي بناء لغوي يكتفي بذاته وتترابط عناصره المكونة ترابطا مباشرا أو غير مباشر بالنسبة لمسند إليه واحد أم متعدد". [7] وظلت هي الوحدة الأساسية في التحليل اللغوي العادي منه أو الملفوظي. وهي تنقسم إلى مقوماتها أو أركانها من مسند إليه ومسند ومتعلقاتهما. [8]

والجملة عند إبراهيم أنيس "هي أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلا بنفسه، سواء تركب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر". [9]

ويتضح أن أنيس قد جعل تعريف الجملة شاملا لكل تراكيبها بدء من صورها الصغرى ككلمة واحدة عند الحذف، وانتهاء بالجمل الأكثر تركيبا، فالمهم عنده أن تكون تامة المعنى .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) أحمد مختار عمر وآخران، النحو الأساسي، دار السلاسل، الكويت، ط1، 1984، ص11، وينظر، محمد رشاد الحمزاوي، المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية، حوليات الجامعة التونسية، العدد 14، 1977، ص34.

(2) مدخل إلى علم اللسان الحديث، مجلة في علم اللسان البشري، معهد العلوم اللسانية والصوتية، جامعة الجزائر، 1971، ص65. وغاية الحالة في هذا المدخل أن يبين أن هذا الرأي هو رأي النحاة العرب القدامى الذين ميزوا بين المعنى والفائدة، فقد أشاد به قائلا: "ولهذا أهمية عظيمة جدا، لأنه الأساس الذي بنيت عليه نظرية الإفادة الحديثة–Théorie de l'information–" ينظر، المرجع السابق، هامش، ص65.

(3) عبد القادر المهيري، الجملة في نظر النحاة العرب، حوليات الجامعة التونسية، العدد الثالث، 1966، ص39.

(4) ينظر، المرجع السابق، ص39.

(5) ينظر، محمد إبراهيم عبادة، الجملة العربية، دار بورسعيد للطباعة، مصر، 1988، ص209.

(6) ينظر، تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، ط2، 1979، ص194.

(7) جوزيف ميشال شريم، دليل الدراسات الأسلوبية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1984، ص40.

(8) ينظر، عدنان بن ذريل، اللغة والدلالة آراء ونظريات، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1981، ص14.

(9) من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط6، 1978، ص260، 261.

وهذا الفهم نجده عند مهدي المخزومي الذي يعرف الجملة بأنها "الصورة اللفظية الصغرى للكلام المفيد في أية لغة من اللغات، وهي المركب الذي يبين المتكلم به أن صورة ذهنية كانت قد تألفت أجزاؤها في ذهنه، ثم هي الوسيلة التي تنقل ما جال في ذهن المتكلم إلى ذهن السامع".(1)

ويقول -أيضا- "والجملة في أقصر صورها هي أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلا بنفسه، وليس لازما أن تحتوي العناصر المطلوبة كلها، قد تخلو الجملة من المسند إليه لفظا،أو من المسند، لوضوحه وسهولة تقديره". (2) كما يعرفها كذلك بقوله: "الجملة هي الوحدة الكلامية الصغرى". (3)

ويلحظ أن تعريف الجملة بأنها "وحدة الكلام "، أو أنها "وحدة كلامية مستقلة"تعريف ينطوي على قصور في الدراسة النحوية للتركيب العربي، لأنه لم يعرض للتركيب أو بناء الجملة، وهو لا يعدو أن يكون ترديدا لآراء القدامى في بعض جوانب اللغة؛ فالجملة في حقيقتها هي مجموعة وحدات كلامية منسقة ومرتبة، ومتعلقة بقوانين وأحكام لغوية،وهي في تركيبها تؤدي معنى لغويا،كالجملة الخبرية والإنشائية،وأنها "تحتوي من الوجهة النحوية على تركيب نحوي على الأقل،كما تحتوي من الوجهة الدلالية على رسالة واحدة مكتملة المعنى على الأكثر"(4)، لأنها قد تتكون من تركيب واحد مفيد، أو من تركيب ذي شقين يكتملان ليكونا جملة واحدة ذات معنى كما هو في الشرط وجوابه؛ فجملة فعل الشرط،أو جملة الجواب،وجملة صلة الموصول -مثلا- يظل معناها جزئيا، أي ناقصة المعنى، في حين أنها تنسحب وفق نظام لغوي سليم. ولذلك فالجمل نوعان: جمل تامة المعنى، وجمل ناقصة.

والجملة بوصفها قولا يمكن أن ترتبط جميع عناصرها بمسند واحد، أو بمسندات مترابطة. والإسناد ينعقد بين المسند والمسند إليه(5) فإن كان كلاهما اسما أو بمنزلة الاسم، فالجملة اسمية، وإن كان المسند فعلا، أو بمنزلة الفعل فالجملة فعلية.(6) وبعبارة أخرى إن الجملة الاسمية هي التي يدل فيها المسند على الدوام والاستقرار. والفعلية هي التي يدل فيها المسند على التجدد، لأن الدلالة على التجدد لا تستمد إلا من الأفعال.(7)

ويرى تمام حسان أن التحديد بالاسمية والفعلية يأتي نتيجة لمعنى الوظيفة أو المعنى الأعم، وذلك لأن كل كلمة من كلمات الجملة تتخذ معنى أعم يتضح في وظيفتها التي تؤدي ضمن الأبنية الداخلية للجملة،وموقعها

---

(1) في النحو العربي نقد وتوجيه، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت،(د.ت)،ص31.

(2)المرجع السابق، ص33.

(3) المرجع السابق، ص33.

(4) كمال بكداش، التعبير الشفهي والتعبير الكتابي، مجلة الفكر العربي، 1979، العدد8-9، ص46.

(5) ينظر، أحمد خليل عمايرة، في نحو اللغة وتراكيبها، عالم المعرفة، جدة، ط1، 1984، ص98.

(6) ينظر، محمد رشاد الحمزاوي، المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية، حوليات الجامعة التونسية، العدد 14، ص34، وينظر، المنصف عاشور، التركيب عند ابن المقفع، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص23.

(7) ينظر، مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه، ص41، 42.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

من النظام النحوي العام.[1] ونجده -أيضا -يثور على الدراسات النحوية القديمة، لأنه يرى أن أصحابها لم يهتموا بالمعنى التركيبي للجملة، فيقول: "إنهم لم يعطوا عناية كافية للجانب الآخر من دراسة النحو، وهو الجانب الذي يشتمل على طائفة من المعاني التركيبية والمعاني التي تدل عليها ".[2]

ومن نظرته هذه إلى المعاني التركيبية يرى أن الجملة تنقسم إلى إسناد خبري، وإسناد إنشائي، وأن الإنشائي ينقسم بدوره إلى طلبي وغير طلبي.[3]

وما يريد أن يخلص إليه هذا الباحث هو تصويب النظرة القديمة للنحو، وذلك بالنظر "إلى التحليل باعتباره طريقا للوصول إلى التركيب ذلك بأن المادة المدروسة تصل إلينا حين تصل في صورتها المركبة".[4] ويرى بذلك "أن يكون علم المعاني قمة الدراسات النحوية".[5] وهذه النظرة صائبة، لأن الجملة في نظامها اللغوي هي مجموعة العلاقات النحوية الرابطة بين أجزاء الكلام ربطا وظيفيا.[6] فالدارس يخضع التركيب لدراسة المعاني، وهي مرتبة في الصور اللفظية مستبعدا التقديرات العقلية، أي ينظر إلى الصور اللفظية المختلفة، ثم يصف العلاقات الناشئة بين الكلمات في الجملة وصفا "وظيفيا." [7] وذلك للوصول إلى "معاني البنية" التي يحددها تركيب الجملة، تلك المعاني التي تدور على ما إذا كانت الجملة تقريرا، أو استفهاما، أو رجاء ،إلخ". [8]

والواقع أن اعتماد الجانب الشكلي في الدراسة اللغوية لا يزيدها إلا بعدا عن جادة الصواب، والأجدر أن لا نجزئ بين اللفظ ومعناه، ولا نفصل بين دراسة المعنى ودراسة النحو؛ فهما كل متكامل، فاللفظ والمعنى وجهان لعملة واحدة؛ لا يصلح فصلهما عن بعض، ولذلك " فالجملة الصحيحة نحويا ولغويا هي الجملة الصحيحة عند أهل المعاني." [9]

ومن هنا يتراءى لنا أن علم المعاني مرتبط بعلم النحو؛ فمطابقة الكلام لمقتضى الحال "لا يتم ولا يمكن أن تتم إلا بعد مراعاة قواعد النحو". [10]

وأرى ما يراه رجاء عيد من أن مباحث علم المعاني، و منه الجملة الطلبية يدخل في باب الدراسات النحوية لا الدراسات البلاغية.[11] وبتعبير آخر فـ: "إن النحو العربي أحوج ما يكون إلى أن يدعي لنفسه هذا

---

(1) ينظر، مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة بالدار البيضاء، المغرب، 1979، ص234.

(2) تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص16.

(3) ينظر، تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها ، ص16.

(4) المرجع السابق، ص17.

(5) المرجع السابق، ص18، وينظر، محمود السعران، علم اللغة،ص261.

(6) ينظر، عبد السلام المسدي، ومحمد الهادي الطرابلسي، الشرط في القرآن، الدار العربية للكتاب، تونس، طرابلس، 1980، 135.

(7) ينظر، محمود السعران، علم اللغة، ص206، 207.

(8)المرجع السابق، ص231.

(9) عبد الفتاح لاشين، التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر، دار المريخ بالرياض، السعودية، ص240.

(10) كمال بشر، دراسات في علم اللغة، دار المعارف بمصر، ط2، 1971، ص36.

(11)ينظر، في البلاغة العربية، دار غريب للطباعة بالفجالة، القاهرة، ص134.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

القسم من أقسام البلاغة الذي يسمى علم المعاني". [1] ومما يدرس ضمنه بحث "الخبر " و "الإنشاء ".والإنشاء ينقسم بدوره إلى طلبي، وغير طلبي. ويضم القسم الطلبي: الاستفهام والنداء والأمر والنهي والدعاء والعرض والتحضيض والتمني والترجي. [2]

والجملة الطلبية حفل بها علماء اللغة والتفسير لما جاء فيها من تلون خطابي، وخروج التراكيب إلى معان مجازية. فالتلون في الأساليب الخطابية مما يجدد نشاط المتلقي ويثير شعوره ويحرك انتباهه فيجعله متجاوبا مستجيبا لتطلعات المتكلم.

3-مفهوم الجملة عند العلماء الغربيين:

أما مفهوم الجملة عند اللغويين الغربيين فسنكتفي بذكر تعريف بعضهم .فقد عرف اللغويون التقليديون الجملة بأنها "عبارة عن التعبير عن فكرة أو شعور بواسطة كلمة أو كلمات تستخدم بصورة معينة لنقل المعنى المقصود". [3] كما تعرف الجملة -عندهم- صوتيا بالوقف أو السكت الذي يحددها .وهي تتكون من مسند إليه و مسند. [4] ويلتقي هذا التعريف بتعريف اللغويين العرب القدامى في أن الجملة هي اللفظ الذي يحمل معنى يحسن السكوت عليه .

ويعرفها يسبرسن"O,JESPERSEN" على أنها "عبارة عن منطوق إنساني مستقل،وتدل قدرته على استقلاله، على أن ينطق به وحده". [5] فالجملة عنده وحدة لغوية، تتمتع بالاستقلالية.

وعرفها ليونارد بلومفيلد L.BLOOMFIELD الذي ينتمي إلى المدرسة البنيوية على أنها "عبارة عن شكل لغوي مستقل، وغير متضمن في شكل لغوي آخر أكبر وفق مقتضيات التركيب النحوي". [6]

ويلحظ أن بلومفيلد يركز في تعريفه للجملة على استقلال التركيب واستقامته،لأن الأساس عنده أن يكون التركيب قابلا للتحليل إلى المكونات الأساسية؛ فهو يعد أكبر وحدة لغوية يمكن أن يجرى عليها التحليل اللغوي، في حين أنه غير مكون لأي شكل لغوي آخر. [7]

وأما ر.روبنز R.ROBENS فقد عرف الجملة بقوله: "هي أطول بنية يمكن إجراء تحليل نحوي بداخلها" [8].

---

(1)تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص18.

(2) ينظر، المرجع السابق، ص124، و ينظر له، البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، عالم الكتب بالقاهرة، ط1، 1993، ص97 .عبد السلام محمد هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، (د.ت)، ص14.

(3) جورج مونان، مفاتيح الألسنية، عربه وذيله بمعجم عربي فرنسي، الطيب البكوش،تونس، 1981، 1/1.

(4)ينظر، المرجع السابق، 1/1.

(5)The philosophy of language grammar, London, 1964, P307.

(6)Language, London, 1973, P170.

(7)Z.Haris, methods in structure linguistics, Chicago, 1951, P2,3.

(8) général l'inguistics, An introductory survey, London, 1964, P171.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ويعرفها جان ليونز J.Loyons بأنها "أكبر وحدة يمكن أن تخضع للتحليل النحوي." [1] فهي من ثمة كيان مجرد يستطيع اللغوي بواسطته تفسير الارتباطات التوزيعية القائمة داخل المنطوقات.

وهذه النظرة صائبة، لأن الجملة في نظامها اللغوي هي مجموعة العلاقات النحوية الرابطة بين أجزاء الكلام ربطا وظيفيا[2]. وترتبط جميع عناصرها بمسند واحد أو بمسندات عديدة مترابطة[3]. والإسناد ينعقد بين المسند والمسند إليه". فإن كان كلاهما اسما أو بمنزلة الاسم، فالجملة اسمية، وإن كان المسند فعلا، أو بمنزلة الفعل فالجملة فعلية"[4]. وبعبارة أخرى فإن الجملة الاسمية هي التي لا يدخلها فعل في تركيبها، والفعلية هي ما تضمنت فعلا بين عناصر الإسناد.

ويتضح مما سبق أن الجملة تعد أكبر وحدة لغوية مؤلفة وفق قوانين وأحكام نحوية، تخضع للدراسة والتحليل.

وأما مفهوم الجملة عند علماء اللغة التوليديين فيرى رائد هذا الاتجاه " نسوم تشومسكي " N. Chomsky "بأنها "مجموعة سلاسل المكونات الأساسية،وليس السلاسل المتكونة من وحدات صوتية"[5]. أو أنها "ما تحتوي على سلسة من الأدلة النظمية، يجرى توليد كل منها من قبل الأساس في المكون النحوي".[6]

فالجملة في مفهوم الاتجاه التوليدي التحويلي هي ما تنتجه القواعد التحويلية نفسها [7] فلا بدّ للجملة من أساس نحوي، وهو عبارة عن مطابقة الجملة لقواعد اللغة واحترامها، و لابد لها من أساس دلالي، ويتمثل في المعنى الموجود في ذهن المتكلم .

والجملة عند اتباع المنهج التوليدي التحويلي تعد قمة الدراسات اللغوية، فلا يمكن أن تبتدئ الدراسات اللغوية إلاّ بها. فهم ينطلقون في التحليل بدء من الجملة التي تشتمل على عدد من العناصر المكونة الأساسية (Immédiat constuent). وعلى الباحث اللغوي أن يحلل الجملة إلى عناصرها الرئيسة.[8]

ويتضح مما سلف مدى تأثر الاتجاه التقليدي بالفلسفة في تحديد مفهوم الجملة مما أبعدها عن التعريف اللغوي الذي يجعل من الجملة قمة الدراسات اللغوية.

أما بلومفيلد وأتباعه من أصحاب المدرسة البنيوية فقد اعتمدوا في تحليلهم اللغوي للملفوظات على المكونات الأساسية المباشرة، وذلك في مستوى لغوي واحد. غير أنّ ذلك أدى بهم إلى العجز عن تناول بعض

---

(1)An introductory to theoretical, linguistics, C.U.P, 1968, P35

(2)Edward Sapir, linguistique, l'édition de minuit, Paris, 1968, P34, 36.

(3)André Martinet, Eléments de linguistique générale, A.Colin, Paris, 1980, P131.

(4) برجستراسر، التطور النحوي للغة العربية، ترجمة رمضان عبد التواب، دار الرفاعي للنشر بالرياض، السعودية، 1982، ص124.

(5) مظاهر النظرية النحوية، ترجمة مرتضى جواد باقر، بغداد، 1983، ص39.

(6) المرجع السابق، ص40.

(7) ينظر، محمد علي الخولي، قواعد تحويلية للغة العربية، دار الرفاعي للنشر،الرياض، 1981، ص31.

(8) ينظر، خليل أحمد عمايرة، في نحو اللغة وتراكيبها، ص58.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الجمل، وذلك ما دعى تشومسكي إلى الاعتماد على مستويين في تحليله اللغوي. وقد أكد أن المنهج البنيوي، وإن كانت له قيمة في تحليل الفونيمات والمورفيمات، إلاّ أنه قاصر عن التحليل الدقيق للجمل.

ومن أهم الأسباب المنهجية في التحليل التي دعت تشومسكي إلى الاعتماد على البنية السطحية (Surface structure) والبنية العميقة (deep structure) هو قصور المنهج البلومفيلدي على تحليل بعض المعطيات اللغوية. فقد أخذ تشومسكي على البنيويين أنهم اقتصروا على ظاهر اللفظ عند التحليل، والحق الأخذ بالمستوى السطحي والمستوى العميق معاً.

فتشومسكي اهتم بالجملة وحدها وبالطابع الإبداعي للغة، وهو يلتقي مع البنيويين بصورة أو بأخرى، وهذا ما جعل "جان بياجيه" PIAGET, JEAN– – يطلق على نظرية تشومسكي اسم "البنيوية التحويلية".[1] (Transformation structuralisme). وذلك لأن الصيحة التي جمعت مدارس لغوية مختلفة من دوسوسير إلى تشومسكي تؤمن جميعا بأن اللغة عبارة عن نظام من العلاقات تبدأ من الجملة، إلى الكلمة، وتنتهي إلى أصغر وحدة صوتية في اللغة.[2]

والواضح أن نظرية تشومسكي قد أعادت صياغة الكثير من أفكار ومبادئ النظرية البنيوية، وبخاصة في كتابه (Syntactic structures) سنة 1957.[3]

وهدف البنيوية بوصف عام هو دراسة البنية اللغوية في كل مستويات الخطاب .

ثالثا-المراد بالسور المدنية : أعرض هنا إلى "معنى السورة"،و إلى المراد بـ"المكي والمدني".

حد السورة اصطلاحا: هي أنها "قرآن يشتمل على آي ذوات فاتحة وخاتمة.وأقلها ثلاث آيات".[4] وأطول السور سورة البقرة، وأقصرها سورة الكوثر.

و من القرآن ما هو مكي، وما هو مدني. وللعلماء في ذلك ثلاثة آراء اصطلاحية، كل رأي منها بني على اعتبار خاص، وهي :

1- **اعتبارمكانالنزول**: فالمكي ما نزل بمكة المكرمة وضواحيها كمنى وعرفات والحديبية.والمدني ما نزل بالمدينة المنورة وضواحيها كبدر وأحد.[5]

---

(1) **Le structuralisme, presses universitaire de France, Paris, 1974, P81, 82.**

(2) ينظر، حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي، ص7.

(3) ينظر، المرجع السابق، ص8.

(4) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، 1980، 264/1.

(5) ينظر، المصدر السابق، 187/1، و السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، مراجعة وتدقيق سعيد المندوة، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط1، 1996، 35/1، وفهد بن عبد الرحمن الرومي، دراسات في علوم القرآن الكريم، مكتبة التوبة بالرياض، ط1، 1413هـ، ص142، 143، و أحمد داود، علوم القرآن والحديث، دار البشير، عمان،(د.ت)، ص29. ومحمد عبد السلام كفافي، وعبد الله الشريف، في علوم القرآن، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ت)،ص50.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ويلحظ في هذا الاصطلاح أنه غير ضابط، حيث يخرج منه ما أنزل في غير مكة أو المدينة؛ فهناك آيات أنزلت على الرسول ﷺ في غير مكة أو المدينة، فقد نزل عليه الوحي في تبوك، وفي بيت المقدس، وفي الطائف. كما يترتب على هذا الاصطلاح كذلك أن ما نزل بمكة بعد الهجرة يعد مكيا .

2 - **اعتبار المخاطب** : فالمكي ما وقع خطابا لأهل مكة، والمدني ما وقع خطابا لأهل المدينة.[1]

ويحاول بعض الدارسين أن يضعوا له الضوابط فيقولون: إن ما كان فيه النداء بلفظ "يا أيها الناس "، أو "يا بني آدم "فهو مكي، لأن الكفر كان غالبا على أهل مكة، فخاطبهم الله بهذا النداء.

وهذا الضابط لا يطرد في كل سور القرآن الكريم، فسورة البقرة -مثلا- مدنية، وقد اشتملت على النداء بـ"يا أيها الناس "،وسورة النساء -كذلك- مدنية وأولها خطاب بـ:"يا أيها الناس ". كما أن كثيرا من سور القرآن ليس فيها النداء بهذين الخطابين .

3- **اعتبار زمن النزول**: فالمكي ما نزل قبل الهجرة، وإن كان في غير مكة، والمدني ما نزل بعد الهجرة، وإن كان في غير المدينة.[2] وهذا هو الرأي المشهور، وأرجح الآراء وأصوبها، لأنه أخذ في الاعتبار تاريخ النزول .

وأريد أن أشير إلى التفسير الذي أخذت به في الدراسة، وهو أن المكي ما كان سابقا على الهجرة، والمدني ما نزل بعد الهجرة. واستثني في الدراسة من السور المدنية ما بها من آيات نزلت قبل الهجرة؛ فهذه مكية. وهذا بالرجوع إلى الآيات المستثناة من السور المدنية والتي أشار إليها العلماء القدامى والمعاصرون.[3]

والسور المدنية مرتبة حسب النزول هي :

البقرة، الأنفال ،آل عمران، الأحزاب ، الممتحنة، النساء، الزلزلة، الحديد، محمد، الرعد، الرحمن، الإنسان، الطلاق، البينة، الحشر، النصر، النور، الحج، المنافقون، المجادلة، الحجرات، التحريم، الصف، الجمعة، التغابن، الفتح، المائدة ، التوبة.[4]

أما ضوابط وخصائص السور المدنية -فيما يخص الجملة الطلبية- فذلك ما سيكشف عنها البحث في الفصول التطبيقية.

وإنني أقوم في الفصول التطبيقية بدراسة الجملة الطلبية في السور المدنية بوصفها ظاهرة متميزة، وذلك بتحليل الأنماط والصور المختلفة التي تضمها هذه الجملة معتمدا على التقسيم المذكور آنفا والذي هو التقسيم الشائع لدى اللغويين والباحثين.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) ينظر، السيوطي، الإتقان، 53/1، وفهد بن عبد الرحمن،دراسات في علوم القرآن الكريم، ص143، و أحمد داود، علوم القرآن والحديث، ص29، 30، ومحمد عبد السلام كفافي، و عبد الله الشريف، في علوم القرآن، ص50.

(2) ينظر، الزركشي، البرهان، 187/1، والسيوطي، الإتقان، 35/1.

(3) ينظر، السيوطي، الإتقان، 47/1، وما بعدها، و فهد بن عبد الرحمن، دراسات في القرآن الكريم، ص140، ومحمد عبد السلام كفافي، وزميله، في علوم القرآن، ص59، 60.

(4) ينظر، أحمد داود، علوم القرآن والحديث، ص28، 29، وفهد بن عبد الرحمن، دراسات في علوم القرآن، ص140.

الفصــل الأول

جملـة الأمـــر

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جملة الأمر

الأمر في الأصل طلب الفعل على جهة الاستعلاء أو الإلزام، و هو نقيض النهي، و يدل على المستقبل، لأنه يطلب به الفعل فيما لم يقع، يقول سيبويه: "و أما بناء ما لم يقع فإنه قولك آمرا: اذهب و اقتل و اضرب".[1] و إنما جيء "الأمر من الفعل المستقبل، لأنك إنما تأمره بما لم يقع".[2]

و الأمر في واقع اللغة العربية ينصرف زمنه إلى الاستقبال، لأن الأمر يقوم على عمليتين أساسيتين: عملية التلفظ والنطق بالأمر، و عملية استجابة و امتثال المأمور للقيام بالفعل المأمور به، ففي حين يكون زمن التلفظ هو الحال، فإن زمن تحقيق الفعل المأمور هو الاستقبال. و هذا ما جعل القدامى يقولون: إن "الأمر مستقبل أبدا، لأنه مطلوب به حصول ما لم يحصل".[3]ففعل الأمر عند القدامى المستقبل إلا أنه عند بعض المحدثين الحال أو الاستقبال.[4]

ويدل فعل الأمر في حقيقته على طلب القيام بفعل أو تركه عقب التلفظ به مباشرة أو بعد زمن قريب أو بعيد. و الدلالة هي التي توضح فيما إذا كان القيام بالفعل أو تركه.

وقد يخرج الأمر عن حقيقته، فيدل على معان مجازية تفهم من سياق الجملة، ومنها الإباحة و الالتماس والتهديد والتهكم والإرشاد، و ما إلى ذلك من المعاني التي يدل عليها السياق.

وللأمر أربع صيغ تنوب كل منها مناب الأخرى في طلب أي فعل من الأفعال. وهذه الصيغ هي: الأمر بصيغة "افعل"، والمضارع بلام الطلب، والمصدر النائب عن فعل الأمر، واسم فعل الأمر. وسندرس كلا من هذه الصيغ في نمط.

وردت جملة الأمر في السور المدنية في اثنتين وعشرين وستمائة (622) جملة.وقد اعتبرناها مستقلة في بنيتها النحوية عن غيرها من الجمل. والاستقلال البنيوي مبدأ من المبادئ التي اعتمدناها في هذا البحث، ولذلك لم نأخذ في إحصائنا بالجمل الواقعة جوابا للنداء، أما الجمل الأمرية الواقعة جوابا للشرط فأدمجت ضمن جملة الأمر، لأن جواب الشرط هو المحدد لطلبية الجملة أو خبريتها، أما الشرط فقيد له. ومن أجل هذا كان المعول عليه عند علماء المعاني من البلاغيين في الجملة الشرطية هو الجواب في الحكم على أسلوبها أخبر هو أم إنشاء؟[5]

وتوزع هذه الجملة حسب الأنماط الآتية:

النمط الأول: جملة الأمر بصيغة "افعل".

(1) الكتاب، 12/1.

(2) المبرد، المقتضب، 83/1.

(3) السيوطي، همع الهوامع، 30/1.

(4)ينظر، تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص250، وإبراهيم أنيس، من أسرار العربية، ص170.

(5)ينظر، درويش الجندي، علم المعاني، دار نهضة مصر للطباعة، القاهرة، (د.ت)، ص119، وجمال الدين مصطفى، البحث النحوي عند الأصوليين، دار الرشيد، بغداد، 1980، ص281، وعبد السلام هارون، الأساليب الإنشائية، ص24.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ورد هذا النمط في سبع وسبعين وخمسمائة (577) جملة، يوزع على الصور الآتية:

الصورة الأولى: مسند + مسند إليه.

من هذه الصورة قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا﴾.[1]

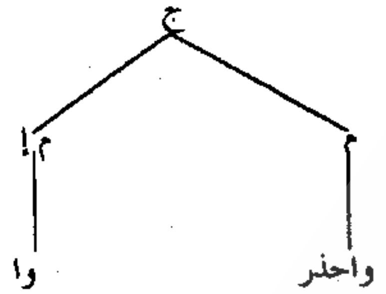

تتألف بنية هذه الجملة من مسند فعل أمر جاء بصيغة "افعـــل"، و مسند إليه، اتصل ببنيته و هـــو واو الجماعة، و هو المأمور. أما الآمر فلم يظهر في البنية السطحية للجملة، و يدل عليه الموقف اللغـــوي، إذ هـــو المتكلم، و هو الله ﷻ.

الفعل في قوله: (و احذروا) متعد إلى مفعول به باعتبار وضعه اللغوي، كقوله تعـــالى: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾.[2]

و حذف في هذا الموضع لينـــزل الفعل منزلة اللازم، لأن المراد التلبس بالحذر في أمور الدين، أي الحذر من الوقوع فيما يرفضـــه الله و رسولـــــه، وذلك أبلـــغ من أن يقـــال:وأحذروهما، لأن الفعل اللازم يقرب معناه من معنى أفعال السجايا، و لذلك يأتي اسم الفاعل منه "حذر" على زنة "فعِل" كفرح.[3]

و الأمر يدل على وجوب الحذر، قال البيضاوي معناه: "و احـــذروا ما نهيا عنه أو مخالفتـــــهما".[4]

أي: احذروا عصيان الله و رسوله، أو ما يصيبكم إذا خالفتم أمرهما من فتنة الدنيا وعذاب الآخرة، فقد قـــال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.[5] فقد حذرهم الله من مغبـــة المعصية و آثارها السيئة، لأن الحذر مدعاة إلى عمل الحسنات، أو اتقاء السيئات.

و من هذه الصورة –أيضا– قوله:﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا﴾.[6]

الخطاب لليهود، كما يدل عليه سياق هذه الآية و سابقاتها.و الأمر مراد به الامتثال، فهو كناية كمـــا تقول: فلان لا يسمع كلامي، أي : لا يمتثل أمري، إذ ليس المقصود هنا بالسماع الإصغـــاء إلى التـــوراة،

(1) المائدة، 92.

(2)المنافقون، 4.

(3)ينظر، الزعبلاوي، مسالك القول في النقد اللغوي، الشركة المتحدة للتوزيع، دمشق، ط1،1984،ص208.

(4) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الجيل، بيروت، (د.ت)، 161/7.

(5) النور، 63.

(6) البقرة، 93.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فإن قوله:(خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ) يتضمنه ابتداء، لأن المقصود من الأخذ بالقوة امتثال الأمر والاهتمام به. وأول الاهتمام بالكلام هو سماعه[1]. والأمر بالسمع أمر بالامتثال على سماع الأحكام الشرعية بالفهم والعمل، فيكون المراد: "وأطيعوا، وليس معناه الأمر بإدراك القول فقط"،[2] لأن فائدة السماع الطاعة، ووجهه أن السمع يسمع به، ثم يفكر، ثم يتدبر ويفهم، ثم يعمل به.

وتكررت جملة "واسمعوا" في الآية الرابعة بعد المائة من سورة البقرة، والثامنة بعد المائة من سورة المائدة، والسادسة عشرة من سورة التغابن.

والخطاب في تلك المواضع للمسلمين، وذلك بأن يطيعوا أوامر الله تعالى والرسولﷺ.

و يحذف المسند إليه "الفاعل" من البنية السطحية للجملة إذا كان المخاطب مفردا، كقوله تعالى: (قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ).[3]

الخطاب لإبراهيم عليه السلام إذ قال له ربه: "اسلم". قال الطبري معناه: "أخلص لي العبادة، واخضع لي بالطاعة"[4]. أو أن المعنى استقم على دين الإسلام، وأثبت عليه، لأنه أسلم لله، فقال و لم يتلكأ و لم يرتب، واستجاب فور تلقي الأمر.[5] فقال في هذه الآية :(أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ). قال ابن عباس: قال له ذلك حين خرج من السرب.[6] و قال ابن عطية: "والإسلام هنا على أتم وجوهه".[7] وهو في كلام العرب بمعنى الخضوع والانقياد للمستسلم.[8] وليس كل إسلام إيمانا، وكل إيمان إسلاما، لأن من آمن بالله فقد استسلم وانقاد لله، وليس كل من أسلم آمن بالله، لأن إسلامه قد يكون ظاهريا.

و يتبع هذه الصورة ما ورد في الآية: (282) من سورة البقرة،والآيات: (52، 64، 81، 111، 137، 167) من سورة آل عمران، والآية: (46) من سورة النساء، والآيات: (6، 8، 13، 41، 92، 108) من سورة المائدة، والآية: (45) من سورة الأنفال، والآية: (16) من سورة التغابن.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) ينظر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، 609/1.

(2) ابن عطية، المحرر الوجيز، حققه وعلق عليه الرحالي الفاروق، وآخرون، الدوحة، ط1، 1977، 396/1.

(3) البقرة، 131.

(4) جامع البيان في تأويل القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1992، 610/1.

(5) ينظر، سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، بيروت، ط17، 1992، 116/1.

(6) ينظر، تنوير المقباس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1992، ص23.

(7) المحرر الوجيز، 494/1.

(8) ينظر، الطبري، جامع البيان، 602/1–610.

<u>الصورة الثانية</u>: مسند +مسند إليه + جار و مجرور.

من هذه الصورة قوله تعالى : ﴿وَاشْكُرُوا لِي﴾.[1]

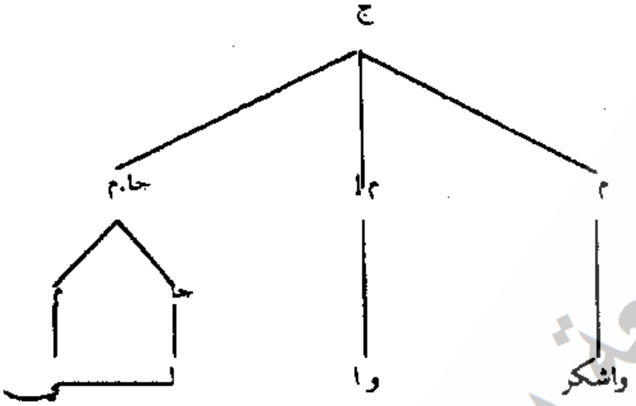

الفعل "شكر" من الأفعال التي تتعدى تارة بحرف الجر، و تارة تتعدى بنفسها[2]، كقوله تعالى: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ ﴾.[3] وكقول عمر بن لجأ التميمي:

هم جمعوا بُؤسي و نعمي عليكمُ   فهلاّ شكرتَ القومَ إذْ لم تُقَابلِ.[4]

قال ابن عطية: واشكروا لي، واشكروني بمعنى واحد، والتعدية باللام أفصح.[5] وتسمى هذه اللام لام التبيين ولام التبليغ[6]، كما قالت العرب: نصحتُ زيداً ونصحتُ له، والأكثر تعديته باللام.[7]

و قال أبو حيان: "إذا قلتَ شكرتُ لزيد، فالتقدير: شكرت لزيد صنْعَهُ، فجعلوه مما يتعدى لواحد بحرف جر و الآخر بنفسه".[8] و لذلك فسر الزمخشري هذه الجملة بقوله: "و اشكروا لي ما أنعمت به عليكم"[9].

الخطاب– في الجملة–لبني إسرائيل، فقد أنعم الله عليهم بنعم كثيرة، و لم يشكروه. و في معنى الأمر تحذير للأمة الإسلامية حتى لا تقع فيما وقعت فيه الأمم السابقة، إذ كفرت بأنعم الله و لم تشكره، فلم تستخدم العقل و الحواس فيما خلقت من أجله، فسلبها ما أعطاها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) البقرة، 152.

(2) ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، دراسة وتحقيق وتعليق عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، وشارك في تحقيقه زكريا عبد المجيد النوتي، وأحمد النجولي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993، 620/1.

(3) لقمان، 14.

(4) ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 620/1.

(5) ينظر، المحرر الوجيز، 92/2.

(6) ينظر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، 51/2.

(7) ينظر، ابن عصفور، شرح جمل الزجاجي، تحقيق صاحب أبو جناح، دار إحياء التراث الإسلامي، الجمهورية العراقية، 1980، 300/1.

(8) البحر المحيط، 620/1.

(9) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، دار الفكر، بيروت، ط1، 1977، 323/1.

ويلحظ أن الآمر– في هذه الصورة–برز في صورة ضمير مجرور "لي"، يدل على المتكلم، وهو الله تعالى. وقد يظهر في صورة اسم الجلالة، كقوله تعالى: ﴿وَاشْكُرُوا لِلَّهِ﴾.[1]

و قد يدل الجار و المجرور على التعليل كما في قوله تعالى: ﴿وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ﴾.[2]، أي: قدموا الخير وصالح الأعمال لأجل أنفسكم.

و مثله في الآيتين (195،244) من سورة البقرة، و الآية (84) من سورة النساء.

و يماثل هذه الصورة قوله: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾.[3] الخطاب موجه إلى أمهات المومنين، لأن هذه الجملة معطوفة على مضمون النداء–في الآية السابقة– في قوله تعالى:﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ﴾.

و اختلف في قراءة الأمر في قوله: "وقَرْنَ"، فقرأ عاصم[4] و نافع[5] بفتح القاف، و قرأ الباقون بالكسر.[6]

و حجة من كسر أنه جعله من الوقار، من وقَرَ، يقِرُ، فهو مثل: و عَدَ، يَعِدُ، و منه عِدْنَ، لأنه محذوف الفاء، و أصله واو[7] وهو أمر لهن بملازمة الوقار و السكينة.

و حجة من قرأ بالفتح أنه جعله من الاستقرار، و ذلك بوجوب إلزامهن بيوتهن، فلا يخرجن إلا للضرورة. و هذه القراءة بلغة أهل الحجاز، من قولهم: قَرنَ في المكان، فيجيء مضارعه بفتح الراء، فأصل: قَرْنَ: اِقْرَرْنَ، حذفت الراء الأولى للتخفيف من التضعيف، و ألقيت حركتها على القاف[8].

و تعلق الجار و المجرور في قوله: "في بيوتكن" بالفعل أو بحال محذوفة من نون المخاطبات، بتقدير: وامكثن كائنات في بيوتكن. فهو أمر خُصِّصنَ به، وهو وجوب ملازمتهن بيوتهن توقيراً لهن و تقويةً في حرمتهن ومكانتهن؛ فقرارهن في بيوتهن عبادة.

---

(1) البقرة، 172.

(2) البقرة، 223.

(3) الأحزاب، 33.

(4)هو عاصم بن أبي النجود الأسدي، قرأ القرآن على السلمي و الأسدي، و روى عنه عطاء، و قرأ عليه خلق كثير. توفي 127هـ. ينظر، الذهبي، معرفة القراء الكبار على الطبقات و الأعصار، حققه بشار عواد معروف و آخران، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1984، 88/1 و ما بعدها.

(5) هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم، إمام دار الهجرة، يكنى أبا رويم، أصله من أصبهان، كان فصيحا عالما بالقراءات و وجوهها، قرأ على سبعين من التابعين، منهم محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، توفي 169هـ. ينظر، بن الجزري، النشر في القراءات العشر، أشرف على تصحيحه علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، 99/1 و ما بعدها.

(6) ينظر الفراء، معاني القرآن، تحقيق محمد علي النجار، و أحمد يوسف نجاتي، دار السرور، (د.ت)، 342/2، و القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع، تحقيق محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5، 1997، 197/2، و ابن الجزري، النشر، 348/2.

(7) ينظر الفراء، معاني القرآن، 342/2، و ابن عطية، المحرر الوجيز، 59/12.

(8) ينظر، أبو زرعة، حجة القراءات، تحقيق سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5، 1997، ص577، و القيسي، الكشف، 197/2.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

و نلحق بهذه الصورة ما ورد في قوله: ﴿فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾.(1)

تعدى فعل الأمر بواسطة أداة الجر "الباء" الدالة على الإلصاق، فيكون الجار والمجرور "بحربٍ" مفعولا به غير صريح، كما أطلق عليه النحاة مفعولا حكميا.

و قد يذكر مفعول هذا الفعل كقوله تعالى: ﴿فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾. (2)

و يلحظ أن كلمة "حرب" وردت نكرة لتعظيم شأنها، و لهذا المقصد عدل الله تعالى عن إضافتها إلى نفسه، و جيء بـ"من" لنسبها إليه، لأنها بإذنه عن طريق الإسناد المجازي، و إلى "رسوله" –المعطوف- لأنه مبلغ الرسالة، و حرب الله غضبه و انتقامه ممن يتعاملون بالربا، و حرب رسوله مقاومته و جهاده لهم في زمنه.

والمأمورون هم بنو عمرو بن عمير من ثقيف، كانت لهم على بني المغيرة المخزوميين ديون أساسها الربا، و لما نزل الأمر بترك الربا كفوا عن أخذه.(3)

و قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ونافع، وابن عامر، والكسائي: "فأذنوا"-بإسكان الهمزة وفتح الذال- أمرا من "أذِنَ" الثلاثي. وقرأ عاصم، وحمزة، وأبو بكر: "فآذنوا"(4)-ممدودة مكسورة الذال- أمرًا من "آذَنَ" الثلاثي المزيد، بمعنى: اعلم. قال سيبويه: "آذنتُ: أعلمتُ، وأذَّنتُ: النداء والتصويت بإعلان".(5)

و قال ابن عطية: "وهذا عندي من الإذن، وإذا أذن المرء في شيء فقد قرره وبنى مع نفسه عليه، فكأنه قال لهم: فقرروا الحرب بينكم وبين الله ورسوله".(6) وقال ابن عباس معناه: " فاستعدوا للعذاب من الله في الآخرة بالنار والعذاب من رسوله في الدنيا بالسيف".(7)

ويرى الطبري أن قراءة القصر-قراءة الجمهور-أرجح، لأنها تختص بهم، وإن أمروا على قراءة المد بإعلام غيرهم. وإذا أمروا بإعلام غيرهم علموا هم لا محالة، لأن في إعلامهم علمهم.(8)

أما ابن عطية فيرى أن القراءة بالمد أرجح، لأنها أبلغ، و يكون المعنى: آذنوا أنفسكم وبعضكم بعضا. وكأن هذه القراءة تقتضي فسحا لهم في التثبيت، فينظروا في الأفضل لهم؛ فإما ترك الربا أو إعلان الحرب عليهم. (9)

وفي معنى الأمر تهديد لهم- إن لم يذروا الربا-بحرب من الله و رسوله.

---

(1) البقرة، 279.

(2) الأنبياء، 109.

(3) ينظر، الطبري، جامع البيان، 107/3، وابن عطية، المحرر الوجيز، 489/2، وأبو حيان، البحر المحيط، 353/2.

(4) ينظر، أبو زرعة، حجة القراءات، ص148، والداني، التيسير في القراءات السبع، صححه أو توبرتزل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996، ص71، والرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1990، 87/7، وأبو حيان، البحر المحيط، 352/2.

(5) الكتاب، 62/4.

(6) المحرر الوجيز، 492/2.

(7) تنوير المقباس، ص52.

(8) ينظر، جامع البيان، 10/3.

(9) ينظر، المحرر الوجيز، 492/2، 493.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

و قد يتعدد المجرور كما في قوله:﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾.[1]

الخطاب لبني إسرائيل بدلالة العطف على مضمون النداء في الآية(40)، وذلك بالإشارة إلى ما يعينهم على التحلي بالأخلاق الكريمة و الابتعاد عن الرذائل.

ومن المفسرين من زعم أن الخطاب للمؤمنين على وجه الانتقال من خطاب إلى خطاب آخر.[2] يقول الرازي: "واختلفوا في المخاطبين بقوله ﷺ: "واستعينوا ...". فقال قوم: هم المؤمنون بالرسول، قال لأن من ينكر الصلاة أصلا والصبر على دين محمد ﷺ لا يكاد يقال له استعن بالصبر والصلاة، فلا جرم وجب صرفه إلى من صدق بمحمد ﷺ، ولا يمتنع أن يكون الخطاب أولا من بني إسرائيل ثم يقع بعد ذلك خطابا للمؤمنين بمحمد ﷺ، والأقرب أن المخاطبين هم بنو إسرائيل، لأن صرف الخطاب إلى غيرهم يوجب تفكيك النظم".[3] أي أن الأهم في نظره الاحتفاظ بقوة نظم الآية بدل تفكيكه.

ويتضح أن الرازي في إرجاعه الضمير إلى بني إسرائيل، اعتمد على موقع الآية من الآيات السابقة، باعتبار أن الخطاب فيها موجه إلى بني إسرائيل دون غيرهم. أما الذي أرجعه إلى المؤمنين فقد اعتمد ظاهر الجملة، ذلك أن الأحق بهذا الخطاب هم المؤمنون بدين محمد ﷺ، أما اليهود فلا يعقل أن يخاطبوا بالصبر والصلاة وهم كافرون. [4] وهذا وهم، لأن الجملة معطوفة على مضمون النداء –كما ذكرنا آنفا– والذي غرهم بهذا التفسير توهم أنه لا يؤمر بالاستعانة بالصلاة والصبر إلاّ من آمن بمحمد ﷺ وأي عجب في هذا الخطاب؟ وقريب منه آنفا قوله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾.[5] وهو خطاب لبني إسرائيل بدلالة السياق.

وتكررت هذه الجملة في الآية(153) من سورة البقرة. و الخطاب فيها للمسلمين على سبيل الإرشاد.

والأمر بالاستعانة بالصبر و الصلاة على أمر الدنيا و الآخرة، و المراد بالصبر فيه الصبر عن المعاصي، وبه قال بعض المفسرين القدامى[6]، و اعتمده البيضاوي وغيره من بعض المتأخرين.[7]وقيل: هو الصبر على الطاعات.[8]

---

(1) البقرة، 45.

(2) ينظر، الواحدي، أسباب النزول، تعليق وتخريج مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط1، 1988، ص21، والوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق وتعليق عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1994، 131/1، والطبرسي، مجمع البيان، وضع هوامشه وخرج آياته وشواهده، إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997، 144/1.

(3) مفاتيح الغيب، 46/3.

(4) ينظر، محمد خطابي لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991، ص176.

(5) البقرة، 43.

(6) ينظر، السمرقندي، بحر العلوم، حققه وعلق عليه علي محمد معوض، وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993، 117/1، وأبو حيان، البحر المحيط، 340/1.

(7) ينظر، أنوار التنزيل، 9/1، والشوكاني، فتح القدير، راجع أصوله يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت، ط3، 1997، 101/1.

(8) ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 276/1، و أبو حيان، البحر المحيط، 340/1.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والظاهر أن الصبر عام في كل عمل نفسي أو بدني كما يدل عليه حذف متعلقه، أي: استعينوا على إقامة دينكم والدفاع عنه وعن سائر ما يصعب عليكم من نوائب الحياة بالصبر وتوطين النفس على احتمال الشدائد والأهوال.

أما الأمر بالاستعانة بالصلاة، فلأن الصلاة تقوي الثقة بالله، أو لما فيها من تمحيص الذنوب وإزالة الهموم، ومنه الحديث الشريف: "كان رسول الله ﷺ إذا حز به أمر صلى".[1]

وإذا استعان المؤمن بالصبر والصلاة هانت عليه كل الخطوب، وتحمل كل عناء ومشتقة. و إنما خص الصبر، لأنه أشق عمل باطني على النفس. و خصت الصلاة، لأنها أشد عمل ظاهري على المرء، ولأنها أم العبادات، إذ فيها انقطاع عن الدنيا، وصلة بالله تعالى.

ويظهر من السياق أنه تعالى قدم الاستعانة بالصبر على الاستعانة بالصلاة، لأنه ذكر قبل هذا تكاليف عظيمة كإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، فكانت البداية بالصبر لذلك؛ فهو الأساس النفسي المعتمد عليه في القيام بالفرائض وغيرها.

ومن تعدد المجرور بواسطة العطف- أيضا- قوله: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾.[2]

الضمير "واو الجماعة"، وصيغة المفاعلة في "تعاونوا" للمسلمين. أي ليعن بعضكم بعضا على البر والتقوى.

والبِّر-بكسر الباء- الصدق والطاعة.[3] وهو فعل المأمور، والتقوى ترك المحظور، وهو اتقاء ما أمر الله باجتنابه من معاصيه.[4] أخرج الطبري في الآية، فقال: "شعائر الله ما نهى الله عنه أن تصيبه و أنت محرم".[5]

وعطف"التقوى"على "البر"، لأن البر يهدي للتقوى، والتزام الأمرين معا مما يقرب المتمثل لهما من الإسلام.

وفائدة التعاون المأمور به لتسيير شؤون المسلمين، وتسهيل مصالحهم، وإظهار التضامن والتناصر فيما بينهم حتى يصبح ذلك خلقا تتميز به الأمة الإسلامية.

---

(1) رواه ابن حنبل في مسنده، دار صادر، بيروت، (د.ت)، 388/5، وأبو داود في سننه، تحقيق محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996، 421/1، (كتاب الصلاة).

(2) المائدة، 2.

(3) ينظر، ابن فارس، مجمل اللغة تحقيق زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1984، 111/1، (بَرّ)، وابن منظور، لسان العرب، 51/4، (بر).

(4) ينظر، الطبري، جامع البيان، 406/6، والنسفي، مدارك التنزيل، ضبط وتخريج زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995، 305/1، والشوكاني، فتح القدير، 11/2، و جامع البيان، 393/6.

(5) جامع البيان، 393/6

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ونلحق بهذه الصورة ما ورد في الآيتين: (54،238) من سورة البقرة،والآيات: (133، 167)من سورة آل عمران، والآية: (6) من سورة النساء، والآية : (19) من سورة محمد، والآية: (21) سورة الحديد.

الصورة الثالثة: مسند +مسند إليه+ مفعول به.

من هذه الصورة قوله: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾.[1]

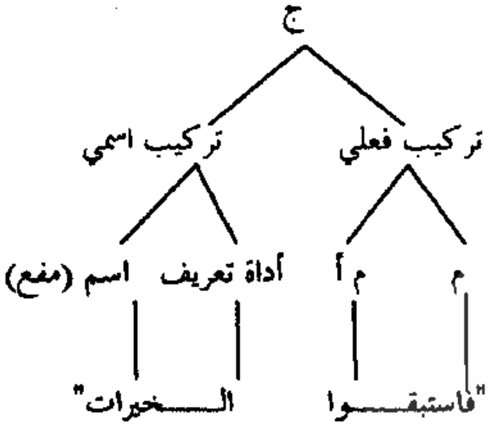

استوفت جملة الأمر عناصرها النحوية من مسند ومسند إليه ومفعول به، حيث تقيد المسند"الفعل" بالمفعول به، وحقه التعدية بـ"إلى"[2]، إلا أنه توسع فيه فتعدى بنفسه، كقوله تعالى: ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ﴾.[3]

أو على تضمين استبقوا معنى اغتنموا، وهو من الاستباق، والمراد منه المعنى المجازي، وهو الحرص الشديد على عمل الخير والإكثار منه. والمعنى: ابتدروا كل نوع من أنواع الخير بالعمل، وليحرص كل منكم أن يكون سباقا إليه.

وهو أمر يدل على الوجوب، لأن صيغة "افعل" إذا تجردت عن القرائن اقتضت الوجوب.والمأمور هو الفاعل "واو الجماعة"، والآمر غير بارز في البنية السطحية للجملة، ويدل عليه المقام اللغوي إذ هو المتكلم، وهو الله ﷻ. وهذا الأمر عام موجه إلى أمة الدعوة، و لم يكن خاصا بالمسلمين المستجيبين لله والرسول.

و قد يحذف الآمر من البنية السطحية -أيضا-كما في قوله: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾.[4]

وقوله:﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾.[5] و ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾.[6]

---

(1) البقرة، 148، والمائدة، 48.
(2) انظر، أبو حيان، البحر المحيط، 612/1.
(3) يوسف، 25.
(4) آل عمران، 175.
(5) المائدة، 3.
(6) المائدة، 44.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فقد حذفت ياء المتكلم التي تؤدي وظيفة المفعول به-هنا-لأجل الفاصلة.

والأمر بخشية الله وخوفه في كل ما أمر به، أي: فلا تعصوني بمخالفة ما جاءكم بـه رسـولي عـني، وإني لقدير على جزائكم. وفي هذا المعنى تحذير للمتلقين.

وقد يظهر الآمر في صورة ضمير المتكلم مؤديا وظيفـة المفعول بـه كما في قولـه:﴿وَاخْشَوْنِي ﴾.[1]

أو في صورة اسم ظاهر كما في قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾.[2] أي: احذروا أن تعتدوا بما لم يرخص لكـم فيـه، لأن شـأن المنتقم أن يكون غاضبا؛ فهو في مظنة الإفراط في الاعتداء.

أو كقوله: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ﴾.[3] فالخطاب هنا للمؤمنين، وقد أمروا بعبادة الله تعالى وعدم الإشـراك. وأريد منهم دوام العبادة والاستزادة منها.

وقد يحذف المسند إليه "الفاعل"-في هذه الصورة- وجوبا، كقوله: ﴿وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.[4]

الأمر-هنا-للرسولﷺ بتحريض المؤمنين على القتال. و قد حذف المتعلق"على القتال" مـن البنيـة السطحية للجملة اختصارا، ويتبين معناه من خلال سياق الآية. و يظهر هذا المتعلق في البنية السطحية في قولـه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾.[5]

ويحذف-كذلك-كما في قوله:﴿ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾.[6]

الأمر باستغفار الله جرى على أسلوب توجيه الخطاب إلى رسـول اللهﷺ .و قد يكون المراد بـالأمر غيره، والمعنى: أرشدهم إلى ما هو أنفع لهم، وهو استغفار الله مما اقترفوه مـن إثم، أو يكـون المقصـود: واستغفـر الله للمؤمنـين من أمتـك والمتخاصمين بالباطل ليلهمهم إلى التوبة ببركة استغفارك لهم، فذلـك أنفع من دفاع المدافعين عنهم.

وقد تتكرر هذه الصورة عن طريق العطف كقوله: ﴿فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ﴾.[7]

الخطاب للأزواج. وهذه الجمل الأمرية المتعاطفة يراد منها الترتيب كما يقتضيه ترتيب ورودها مع أنـه لا يراد الجمع بين الثلاثة. والتـرتيب هـو الأصـل.و المتبادر في العطف بالواو في هذا المقام، لأن الواو قـد يأتي للجمع و الترتيب[8]، إن دلت عليه قرينة كما هو الحال هنا، وهو باعتبار أقسام النشوز، وذلك بأن ترشد

---

(1)البقرة، 150.

(2)البقرة، 194، والمائدة، 108، 112.

(3)النساء، 36.

(4) النساء، 84.

(5) الأنفال،65.

(6) النساء، 106.

(7) النساء، 34.

(8) ينظر، ابن هشام، شرح شذور الذهب، ص577، وعباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف بمصر، ط7، 1986، 559/3.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الزوجة أولا، فإن لم تتراجع هجرت في المضجع بأن يولي منها الزوج ظهره في الفراش، وأن لا يكلمها بلطف، فإن أبت تضرب ضربا غير مبرح، قال ابن عطية: "وهذه العظة والهجر والضرب مراتب، إن وقعت الطاعة عند إحداها لم يتعد إلى سائرها".[1] وقال الزمخشري: "أمر بوعظهن أولا ثم هجرانهن في المضاجع ثم بالضرب إن لم ينجع فيهن الوعظ و الهجران".[2]

والحاصل أنه لا يجمع بين هذه الثلاثة، فأي شيء من هذه رجعت به عن نشوزها على ما رتبه القرآن، لم يجز للزوج أن ينتقل إلى غيره.

ويلحق بهذه الصورة قوله: ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾.[3]

تختلف هذه الجملة عن سابقاتها من هذه الصورة في أن المفعول به "ذات" مضاف، وأضيف إلى الظرف "بين" المضاف إلى الضمير "كم". والفعل في قوله: "أصلحوا" من الإصلاح وهو جعل الشيء صالحا، وهو يومئ بأنه كان غير صالح؛ فالأمر بإصلاح ذات البين دل على فساد ذات بينهم بسبب تنازع المسلمين في استحقاق الأنفال، كما يدل عليه سياق هذه الآية.

و"ذات" يجوز أن تكون مؤنث "ذو" الذي هو بمعنى "صاحب"، وهو من الأسماء الستة، فتكون ألفها مبدلة من الواو. وجاءت في القرآن مضافة إلى الجهات، كقوله: ﴿ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾.[4] ويجوز أن تكون "ذات" أصلية الألف كما يقال: "أنا أعرف ذات محمد، فالمعنى ماهية الشيء وحقيقته، كذا فسرها الزمخشري".[5]

و"ذات اليمين": الصلة التي تربط بين شيئين، أي الصلة التي تربط بعضكم ببعض، وهي رابطة الإسلام، وإصلاحها يكون بالتعاون والوفاق والإيثار، وكل عوامل الاتحاد.

والمعنى: و أصلحوا حقيقة ما بينكم بالمودة وترك النزاع حتى تتأكد الرابطة الإسلامية بينكم.

وبقية هذه الصورة وردت فيما يأتي: البقرة ، الآيات: (43، 54، 83، 110، 196، 199، 203، 223، 231، 233، 235، 282). آل عمران، الآيات: (31، 50، 173). النساء، الآيتان: (77، 102).المائدة، الآيتان: (11، 92) التوبة الآية: (112). الحج الآية: (78). النور، الآية:(56)، الأحزاب، الآيات: (33، 37، 55). الحجرات، الآيتان:(1، 12). الحشر، الآيتان: (7، 18). المنافقون، الآية:(4). التغابن، الآية:(12).

<u>الصورة الرابعة</u>: مسند + مسند إليه+ (ضمير متصل)+ مفعول به+ جار و مجرور .

من هذه الصورة قوله تعالى: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾.[6]

---

(1) المحرر الوجيز، 46/4، 47.

(2) الكشاف، 524/1.

(3) الأنفال، 1.

(4) الكهف، 18.

(5) ينظر، الكشاف، 141/2.

(6) البقرة، 189.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فعل الأمر متعد بنفسه، وقد تقيد بالمفعول به "البيوت"، وهو معرف بـ "ال" يعني بيوت المأمورين. وورد لفظ "البيوت" جمع تكسير مكسور الباء في قراءة الجمهور على خلاف صيغة جمع "فعْل" على "فُعُول"، فهي مكسورة لمناسبة وقوع الباء بعد حركة الضمة للتخفيف. وقرأ نافع في رواية ورش، وأبو عمرو، وحفص، بضم الباء[1]، على أصل صيغة الجمع مع عدم الاكتراث ببعض الثقل، لأنه لم يبلغ الثقل الذي يستوجب تبديل الحركة.

وفي جملة الأمر إرشاد إلى إتيان البيوت من أبوابها، مما يجعل المتلقي يتوهم أن هذا بديهي لا يحتاج إلى أمر!! ولكن بالعودة إلى أسباب النزول نعلم أن من العرب من كان يمتنع عن الدخول من باب بيته إذ أحرم للحج معتقدا أن ذلك من أعمال البر، فأتى أمر الله بإتيان البيوت من أبوابها ردا على من جعل إتيان البيوت من ظهورها برا[2]. وكأنه قيل لهم: ليس هذا المعتقد ببر، ولا يعد قربة إلى الله تعالى؛ فذلك خطأ، وإنما البر الحقيقي هو تقوى الله باتباع أوامره، واجتناب نواهيه، والتحلي بالفضائل، والتخلي عن المعاصي والرذائل. ويحمل مضمون جملة الأمر إرشاد إلى طريق البر، ونهي عن المعتقدات الفاسدة .

ونظير هذه الصورة قوله تعالى: ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾. [3]

فعل الأمر في قوله: "اعتزلوا" من الاعتزال، وهو التباعد بمعزل، وهو هنا كناية عن ترك مجامعة النساء في المحيض.

والمفعول به "النساء" قد يطلق على الأزواج، ويأتي معرفا بالإضافة، ودون إضافة مع القرينة كما هو هنا، والمقصود: اعتزلوا نساءكم، أي: اعتزلوا ما هو أخص من الأحوال بهن وهو المجامعة. والاسم المجرور "في المحيض" يقدر بزمن محذوف، والتقدير: فاعتزلوا النساء في زمن الحيض. والمحيض: اسم للدم الذي يسيل من رحم المرأة في أوقات منتظمة، وهو اسم على زنة "مفعَل" منقول من أسماء المصادر، يقال: حاضت حيضا ومحاضا ومحيضا. والمصدر-في هذا الباب- بابه "مفعَل"-بفتح العين-لكن قد يأتي على صيغة"مفعِل"-بكسر العين-وهو جيد، ووجه جودته مشابهته مضارعه، لأن المضارع بكسر العين، كقولنا: جاء مجيئا، وبات مبيتا.[4] وأكثر المفسرين قالوا: إن المراد به المصدر، وكأنه قيل: عن الحيض.[5] وبه فسره الزمخشري[6]. وبه بدأ ابن عطية، قال: المحيض مصدر كالحيض، ومثله المعيش من عاش، يعيش.[7] كقول رؤبة:

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) ينظر، ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، تحقيق عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5، 1995، ص93، وأبو زرعة حجة القراءات، ص127، وابن الجزري، النشر في القراءات العشر، 226/2.

(2) ينظر الواحدي، أسباب النزول، ص44، 45، و أبو حيان، البحر المحيط، 71/2.

(3) البقرة، 222.

(4) ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 142/7، (حيض).

(5) ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 177/2.

(6) ينظر، الكشاف، 361.

(7) ينظر، المحرر الوجيز، 251/2.

إلَيْكَ أشكُو شِدَّةَ المعيشِ ومرَّ أعوامٍ نتفْنَ رِيشي.[1]

وقد أثار قوله: "في المحيض" جدلا بين العلماء، أهو موضع الدم، أم الحيض؟وهذه الصيغة "مفعَل" تصلح من حيث اللغة للمصدر والزمان والمكان.[2] والظاهر أنه لما صار المحيض اسما للدم السائل من المرأة عدل به عن قياس أصله من المصدر إلى صيغة اسم المكان، وجيء به على صيغة المكان للدلالة على أنه صار اسما، فخالفوا به أوزان الأحداث إشعارا بالنقل للتفريق بين المنقول منه والمنقول إليه. ويكون بذلك ما يجب اعتزاله من الحائض الفرج وحده.

و التقدير: فاعتزلوا وطء النساء في زمان الحيض. و لم يتعرض النص القرآني لأقل مدة أو أكثرها، بل على وجوب اعتزال مجامعة النساء في المحيض، لأنه أذى للطرفين.

ومن هذه الصورة-أيضا-قوله: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾.[3]

حرف الجر "من" لبيان الجنس[4]، وليس للتبعيض، وقد قال ابن عطية: "ومن قال: إن من للتبعيض قلب معنى الآية وأفسده".[5] لأن المعنى: فاجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان، وليس المعنى: فاجتنبوا من الأوثان الرجس، "فالرجس هاهنا ليس بعضا من الأوثان، وإنما أريد به نفس الأوثان، فكان مطابقا في قصد المتكلم. والرجس وإن كان يصح أن يطلق على أعم من الأوثان، فيصح إطلاقه على الأوثان".[6] والرجس حقيقته: الخبث والقذارة.[7] ووصف الأوثان بالرجس، وهو رجس معنوي، ليكون اعتقاد عبادتها في النفوس بمنزلة الخبث الذي يتعلق بالأجساد.

والأمر باجتناب الأوثان للمومنين مستخدم في طلب الدوام.

و يماثل هذه الصورة- كذلك- قوله: ﴿وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ﴾.[8]

انتصب "خيرا" عند سيبويه على أنه مفعول به لفعل مضمر دل عليه "أنفقوا"[9]،والتقدير:ائتوا خيرا لأنفسكم. وعند الفراء يكون منصوبا على أنه صفة لمصدر محذوف دل عليه الفعل المذكور.[10] والتقدير: أنفقوا إنفاقا خيرا لأنفسكم.وفي هذا التقدير تكلف وبعد تأويل.

---

(1) استشهد به ابن عطية في المحرر الوجيز، 251/2.

(2) ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 177/2.

(3) الحج، 30.

(4) ينظر، الطبرسي، مجمع البيان، 117/7.

(5) المحرر الوجيز، 273/10.

(6) ابن الحاجب، الأمالي النحوية، تحقيق عدنان صالح مصطفى، دار الثقافة، الدوحة، ط1/ 1986، ص231، 232.

(7) ينظر، الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، العراق، 1982، 52/6، (رجس)، وابن منظور، لسان العرب، 94/6، 95، (رجس).

(8) التغابن، 16.

(9) ينظر، الكتاب، 282/1، 283.

(10) ينظر، معاني القرآن، 295/1.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ويشمل الأمر واجب الإنفاق والمندوب، ففيه الحث على الإنفاق بمرتبتيه،وهذا من العناية بالتنزه عن فتنة المال التي حذر منها الله تعالى-في الآية السابقة- في قوله:﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾. والمعنى: أنفقوا من أموالكم التي رزقكم الله إياها في وجوه الخير، ولا تبخلوا بها، فإن الإنفاق في مصالح الأمة والإسلام خير لأنفسكم من الأموال والأولاد، وهو خير وسعادة لكم في الدارين.

وقد يحذف المفعول به اختصارا، كقوله:﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.[1] والتقدير: أنفقوا خيرا أو أنفقوا أموالكم. والأمر بالإنفاق لجميع المسلمين لا خصوص المقاتلين. والمراد بهذا الأمر تنبيه المسلمين إلى ما يواجههم من عدوهم، فإنهم قد يغفلون عن الإنفاق أو قد يقصرون فيه على منتهى الاستعداد للعدو.وكقوله:﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.[2] الفعل متعد إلى مفعول واحد، والتقدير: قاتل المشركين. والمخاطب به رسول الله ﷺ وقد أوجب عليه القتال، وأوجب عليه تبليغ المؤمنين الأمر بالجهاد وحثهم عليه.

وقد يظهر مفعول هذا الفعل كقوله: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾.[3] وكقوله:﴿فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ﴾.[4] فالقتال واجب على المسلمين لدفع هجوم العدو، وإعلاء كلمة الله تعالى.

و مما يماثل هذه الصورة- أيضا- قوله:﴿فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾.[5]

الأمر بالنكاح أمر إباحة، أي: إذا أحببتهم نكاح الإماء و رغبتم فيه، فأنكحوهن بإذن مواليهن. والمراد بالنكاح -هنا-العقد، ولذلك ذكر إيتاء الأجر بعده في قوله تعالى: ﴿وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾. والمقصود المهر، وسمي ملاك الإماء أهلا لهن، لأنهم كالأهل، إذ ترجع الأمة إلى سيدها في كثير من الأمور، وهي تسمية تطلق على سادة العبيد في التعبير القرآني تلطفا بالعبيد. وبحسب هذا المعنى يجوز أن يكون في الجملة حذف مضاف، أي: فأنكحوهن بإذن أهل ولايتهن، وأهل ولاية نكاحهن هم الملاك.

وفي مضمون الجملة دليل على ولاية السيد لأمته، وأن الأدب شرط في صحة النكاح، فلو تزوجت الأمة بغير إذن سيدها، فالنكاح مفسوخ، و لم يجز بإجازة السيد، ولو جوز نكاح العبد جاز، لأن الأنوثة في الأمة تمنع من انعقاد النكاح البتة.[6] ويجوز نكاحها بإذن أهلها ممن لهم عليها ولاية التزويج، وإن لم يباشر السيد العقد.[7] ومعلوم أن النكاح الشرعي بإذن الأهلين هو النكاح الشرعي بولي وشاهدين.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) البقرة، 195.

(2) النساء، 84.

(3) البقرة، 190.

(4)البقرة،191.

(5) النساء، 25.

(6) ينظر، ابن العربي، أحكام القرآن، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، (د.ت)، 400/1.

(7) ينظر، المصدر السابق، 400/1.

وقد يحدد الجار و المجرور في- هذه الصورة-انتهاء الغاية الزمنية، كقوله: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾.[1] وقد يحدد الغاية من الأمر كما في قوله: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾.[2] فمضمون الجملة لا يدل على وجوب الحج ابتداء، وإنما يدل على وجوب إتمامه بعد الشروع فيه.

أو يدل على الظرفية الزمنية، كقوله: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾.[3] فالأمر بذكر الله محدد بأيام معدودة، و هي أيام التشريق.[4] فالله تعالى جعل الأيام المعدودات أيام ذكره، و قد قال رسول الله ﷺ "أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر لله"[5] .ومن جملة الذكر التكبير في إثر كل صلاة.

أو يدل على الظرفية الحقيقية المكانية، كقوله:﴿وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾.[6] الأمر للأزواج بهجر الزوجات اللاتي يخافون نشوزهن، و ذلك بأن يتركوا كلامهن و يولوهن ظهورهم في الفراش قصد تقويم سلوكهن.

أو يدل على الظرفية المجازية، كقوله:﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾.[7] الخطاب لرسول الله ﷺ وقد أمر بمشاورة المؤمنين في كل أمر يتعلق بالدولة الإسلامية.

وبقية هذه الصورة وردت فيما يأتي: البقرة، الآيات: (73، 231، 282). آل عمران، الآية: (103) النساء، الآية: (59)، و المائدة، الآيات: (7، 11، 20، 110)، الأحزاب، الآيتان: (9،53).

<u>الصورة الخامسة:</u> مسند +مسند إليه+ جار و مجرور + مفعول به.

من هذه الصورة قوله تعالى: ﴿اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾.[8]

المسند فعل الأمر "اضْرِبْ"، والمسند إليه مضمر في البنية السطحية، مقدر في البنية العميقة، إذ هو الضمير "أنتَ"، المخاطب به موسى عليه السلام بدلالة القرينة اللفظية في الآية. وقدم الجار والمجرور "بعصاك" -المضاف إلى كاف الخطاب- للاهتمام. و"العصا" اسم مقصور مؤنث، وألفه منقلبة عن واو. وعصا موسى هي التي ألقاها في مجلس فرعون فتلقفت ثعابين السحرة، وهي التي أمره الله بأن يضرب بها البحر، بقوله:

---

(1) البقرة، 187.

(2) البقرة، 196.

(3) البقرة، 203.

(4) ينظر، الفراء، معاني القرآن، 122/1، وابن عطية، المحرر الوجيز، 181/2.

(5) رواه مسلم في صحيحه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، 800/2، (كتاب الصيام).

(6)النساء، 34.

(7) آل عمران، 159.

(8) البقرة، 60.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾.[1] وهي التي كانت بيده حين كلمه الله في أرض سينا ليضرب بها الحجر.

والمفعول به"الحجر" معرف بـ"ال" الجنسية، أي: اضرب أي حجر شئت من حجارة تلك الصحراء[2]. أو هي للعهد مشيرا إلى حجر بعينه معروف لدى موسى عن طريق الوحي. والمفعول به "الحجر" أساسي في الجملة الفعلية التحويلية، ويرتبط ببؤرة الجملة (بالفعل) ارتباط، الفاعل بها[3]، يقول الجرجاني: "إن حال الفعل مع المفعول به الذي يتعدى إليه حاله مع الفاعل، وكما أنك قلت: ضرب زيد، فأسندت الفعل إلى الفاعل، كان غرضك من ذلك أن تثبت الضرب فعلا له، لا أن تفيد وجود الضرب في نفسه و على الإطلاق. كذلك إذا عديت الفعل إلى المفعول، فقلت: ضرب زيدٌ عمرًا، كان غرضك أن تفيد التباس الضّرب الواقع من الأول بالثاني ووقوعه عليه، فقد اجتمع الفاعل و المفعول في أن عمل الفعل فيهما إنما كان من أجل أن يعلم التباس المعنى الذي اشتق منه بهما".[4] فالفعل "اضرب" هو البؤرة أو المركز، ويرتبط به الفاعل بعلاقة الفاعلية،ويرتبط به المفعول به "الحجر" بعلاقة المفعولية.

ويماثل هذه الصورة قوله: ﴿فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ﴾.[5]

الأمر للمسلمين بأن يتموا العهد الذي عاهدوا به المشركين إلى مدتهم. وجيء بـ"إلى" لدلالة الغاية الزمنية، وذلك لإتمام المدة التي تم عليها الاتفاق بين الطرفين، وإضافة المدة (الأجل) إلى ضمير المعاهدين، لأنها منعقدة معهم، فإضافتها إليهم كإضافتها إلى المسلمين، ولكن أضيفت-هنا- إليهم، لأن انتفاعهم بالأجل أصبح أكثر من انتفاع المسلمين به، إذْ أصبح المسلمون يومئذ أقوى منهم.

و كذلك قوله: ﴿وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾.[6]

الخطاب للمسلمين بدلالة السياق. وانتصب"كلَّ" إما على المفعول به بتضمين "اقعدوا" معنى "الزموا" وإما على التشبيه بالظرف[7]، لأنه من حق الفعل "قعد" أن يتعدى بـ "في" الظرفية، فشبه بالظرف، وحذفت "في" للتوسع، كقوله تعالى: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.[8]

والمفعول في قوله: "و اقعدوا لهم..." مجاز في الثبات في المكان و الملازمة له، لأن القعود ثبوت طويل. و المعنى المرابطة في الثغور لئلا يباغت العدو المسلمين ليدخل أراضيهم. و المفعول به "كل" مضاف إلى

(1) الشعراء، 63.

(2) ينظر، محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الكريم (تفسير المنار)، دار المعرفة، بيروت، 1993، 326/1.

(3) ينظر، أحمد خليل عمايرة، في نحو اللغة وتراكيبها، ص144.

(4) دلائل الإعجاز، ص118.

(5) التوبة، 4.

(6) التوبة، 5.

(7) ينظر، الزمخشري، الكشاف، 175/2.

(8) الأعراف، 16.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

"مرصد". و المرصد: مكان الرصد، و المراد هنا: مراقبة حركات العدو. وقال الزمخشري معناه: "كل ممر و مجتاز ترصدونهم منه"[1]. وأضاف "كلّ" إلى "مرصد" بقصد تعميم المراصد المشكوك مرور العدو بها، وذلك لتحذير المسلمين من إضاعتهم الحراسة في المراصد فيباغتهم العدو منها.

ومن هذه الصورة -أيضا- قوله: ﴿وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [2] الأمر -حسب دلالة السياق- للملائكة بأن يضربوا من المشركين كل بنان. والبنان: اسم جمع بنانة، وهي الأصبع، وقيل: طرف الأصبع[3]. وإضافة المفعول به "كلّ" إليه لاستغراق أصحابها. و إنما خص البنان، لأنها أداة التصرف في الضرب وغيره. وضربها يبطل صلاحية المضروب للقتال، لأن تناول السلاح إنما يكون بالأصابع. وضرب الملائكة يجوز أن يكون مباشرة فتقطع الأصابع بواسطة فعل الملائكة على كيفية خارقة للعادة، ويجوز أن يكون بتسديد ضربات المسلمين. ويكون عندئذ إسناد الضرب إلى الملائكة عن طريق المجاز العقلي، لأنهم سببه. أمّا أن يكون الأمر بالضرب للمسلمين فبعيد الاحتمال، لأن الخطاب -في هذه الآية- للملائكة بصريح قوله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾. والجملة الأمرية "واضربوا منهم كل بنان". معطوفة على جملة "فثبتوا الذين آمنوا".

ووردت بقية هذه الصورة في الآيتين: (6،15) من سورة النساء، و الآية: (36) من سورة المائدة.

الصورة السادسة: مسند + مسند إليه +مفعول به(اسم موصول)+صلة الموصول (جملة فعلية ماضوية)+جار و مجرور.

من هذه الصورة قوله تعالى: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾. [4]

الخطاب لليهود بدلالة السياق. وتدل جملة الأمر على إضمار القول[5]. والتقدير: وقلنا لكم خذوا ما أتيناكم بقوة. والأخذ مجاز عن التلقي و التفهم، كقوله تعالى: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾. [6]

والمفعول به "ما"في قوله: "خذوا ما آتيناكم" اسم موصول بمعنى الذي، والعائد عليه محذوف، أي: ما أتينا كموه. والمراد به كتاب التوراة. ويدل على ذلك ما جاء في الجملة بعده -في هذه الآية- في قوله: ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾. أي: ما تضمنه من الثواب والعقاب.

---

(1) الكشاف، 175/2.

(2) الأنفال، 12.

(3) ينظر، أبو عبيدة، مجاز القرآن، عارضه بأصوله وعلق عليه محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي بالقاهرة، (د.ت)، 242/2، وابن منظور، لسان العرب، 59/13، (بنن).

(4) البقرة، 63، 92.

(5) ينظر، الزمخشري، الكشاف، 286/1، والعكبري، البيان في إعراب القرآن، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط2، 1987، 71/1.

(6) مريم، 12.

وقرئ : "ما أتيتكُمْ "[1] وهو التفات، لأنه خرج من ضمير المعظم نفسه إلى المتكلم.

والباء في قوله: "بقوة" تدل على الاستعانة. وفي المراد بالقوة أقوال: أحدهما الجد ومواظبة النفس، قاله ابن عباس[2]، أو بصدق وحق، قاله ابن زيد، أو بجد، قاله الطبري. [3] وتأويل الجملة عنده:"خذوا ما افترضناه عليكم في كتابنا من الفرائض، فاقبلوه، و اعملوا باجتهاد منكم في أدائه، من غير تقصير ولا توان".[4] وهذه الأقوال جميعا متقاربة المعنى.

ويلحق بهذه الصورة ما ورد في قوله: ﴿فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾.[5]

الأمر لليهود كما يتضح من خلال سياق الآية، وهو أمر لهم بذبح البقرة التي وصفت لهم. والمفعول به"ما" اسم موصول، والعائد محذوف تقديره: ما تؤمرونه[6]. وحذف المسند إليه (الفاعل) لتناسب الفاصلة في آخر الآية، وللعلم به، إذ تقدم ذكره-في الآية السابقة-في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾. والمعنى: افعلوا ما تؤمرون، ولا تكرروا السؤال تعنتا وتشددا.ويحتمل أن تكون هذه الجملة من قول الله تعالى، ويحتمل أن تكون من قول موسى عليه السلام وهو الظاهر من بنية الجملة، فقد حثهم على امتثال ما أمروا به إشفاقا منه حتى لا يحل بهم عقاب الله.

وهذا التكليف مُساقٌ مساقَ التأديب على سؤالهم الذي سألوه بشأن البقرة المأمور بذبحها؛ لأنه قد يكون سؤالهم مماطلة، فيكون الأمر لهم للتأديب على سوء الخلق و التذرع للتمرد. وقد يكون سؤالهم ناشئا عن سوء فهم، حيث تشابه عليهم البقر، فيكون المراد منه التأديب على سوء فهم في إلقاء السؤال، كما يؤدب طالب العلم إذا سأل سؤالا لا يليق بدرجته العلمية.

ويلحق بهذه الصورة ما وردفي الآية: (2) من سورة الأحزاب، والآية: (10).من سورة الممتحنة.

<u>الصورة السابعة:</u> مفعول به (ضمير منفصل)+أداة عطف+جملة أمر (مسند+ مسند إليه+مفعول به -محذوف-).

ورد من هذه الصورة قوله تعالى: ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾.[7] وقوله : ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾.[8]

الضمير "إياي "-في الجملتين-منفصل يدل على المتكلم-الله عز وجل-وهو مفعول به محذوف يفسره المذكور في رأي النحاة[1]، وتقديره: ارهبوا في الجملة الأولى، و "اتقوا" في الجملة الثانية. وجاءت رتبة الفعل

(1) ينظر، الزمخشري، الكشاف، 286/1، وأبو حيان، البحر المحيط، 406/1.

(2) ينظر، تنوير المقباس، ص17.

(3) ينظر، جامع البيان، 368/1.

(4) المصدر السابق، 368/1.

(5) البقرة، 68.

(6) ينظر، العكبري، التبيان في إعراب القرآن، 75/1.

(7) البقرة، 40.

(8) البقرة، 41.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بعد المفعول به، لأن الضمير المنفصل يصل فيه ما بعده، ولو كان الفعل مقدما على مفعوله لكان الضمير متصلا. وعلى هذا الأساس تكون البنية العميقة للجملتين: وإياي ارهبوا، ارهبوني، وإياي اتقوا، اتقوني.

فتقديم المفعول به-هنا- متعين للاختصاص ليحصل من الجملة إثبات ونفي. واختير من طرق القصر طريق التقديم دون "ما"، و"إلا"، ليكون الحاصل بالمنطوق هو الأمر برهبة الله تعالى، والأمر باتقائه، ويكون بالمقابل النهي عن رهبة واتقاء غيره حاصلا بالمعنى.[2] وتقديم المفعول به "إياي"-في الجملتين- مع اشتغال فعله بضميره آكد في إفادة الحصر من تقديم المفعول على الفعل غير المشتغل بضميره، كما أشار الزمخشري[3]، فقوله: "وإياي فارهبون". و"إياي فاتقون"، آكد من نحو: إياي ارهبوا، وإياي اتقوا.

وقدمت جملة: "و إياي فارهبون" على جملة :"و إياي فاتقون"، لأن التقوى رهبة معتبر فيها العمل بالمأمورات و اجتناب المنهيات بخلاف الرهبة فإنها اعتقاد دون عمل، ولأن الجملة الأولى تأمر بني إسرائيل بالوفاء بالعهد، فناسبها أن يخوفوا من نكثه، والجملة الثانية تأمرهم بالإيمان بالقرآن الذي منعوا منه، فناسبها الأمر بأن لا يتقوا إلا الله. [4] والمعنى ارهبوا-يا بني إسرائيل-إن لم تذكروا نعمتي و لم توفوا بعهدي واتقوني إن لم تؤمنوا بما أنزلت. وفي هذا المعنى تهديد.

وحذفت ياء المتكلم "المفعول به" في قوله: "فارهبون"، و"فاتقون"، وتدل عليها كسرة نون الوقاية، ووجه ذلك أنها وقعت فاصلة، فاعتبرت كالموقوف عليها. قال سيبويه: "وجميع مالا يحذف في الكلام وما يختار فيه أن لا يحذف، يحذف في الفواصل والقوافي"[5]. فهي تحذف في الوقف عند جمهور العرب، و يطرد حذفها تخفيفا عند "هذيل".أما أهل الحجاز فيثبتونها في الوقف والوصل[6]. وقد قرأ ابن أبي إسحاق: "فارهبوني" بالياء، وكذا "فاتقوني" على الأصل. [7] وهو وجه في العربية جرى على لغة أهل الحجاز.

وبنية هذه الجملة شبيهة بالجملة في قوله تعالى: ﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا﴾.[8] وقوله: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا﴾.[9]

وهي جملة فعلية بسيطة، إذ قدم فيها الاسم منصوبا للدلالة على المفعولية. ويمكن في مثل هذه الجمل أن يعرب الاسم المقدم المنصوب مفعولا به للفعل المذكور والضمير المتصل ببنية الفعل مجرد أثر صوتي يعود على ذلك المفعول. ولنا أن نقابل هذا الاستعمال بالاستعمال الفرنسي الذي تكلم عنه "أندري مارتيني"-André martinet -إذ يقول: "كثيرا ما يحتل مدخل الجملة الفعلية عنصر لساني لا يحمل

(1) ينظر، سيبويه، الكتاب، 81/1، وابن هشام، شرح شذور الذهب، ص546.

(2) ينظر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، 454/1.

(3) ينظر، الكشاف، 276/1.

(4) ينظر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، 469/1.

(5) الكتاب، 184/4، 185.

(6) ينظر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، 475/1.

(7) ينظر، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1985، 333/1، و أبو حيان، البحر المحيط، 331/1.

(8) الرحمن، 7.

(9) الرحمن، 10.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وظيفة الفاعلية. وتميل اللغة إلى مثل هذا الاستخدام،وذلك حينما تهدف إلى التركيز على هذا العنصر، نحـــو: الرجل أعرفه. أي: L'homme je le connais وهذا ما يدل على اهتمام اللغة بمكانة الصدارة في كل الأنظمة اللسانية، إذ أنها تؤدي من الناحية الصورية على الأقل دورا محددا، قد نطلق عليه صاحب الأسبقية. ويذكرنـــا في مستوى لساني آخر بالتركيز على مقطع معين من مقاطع الكلمة في الجملة".[1]

ويستنتج مما سبق أن علامة النصب الوظيفية التي يتصف بها الاسم المشغول عنه قرينة على أن الجملـــة فعلية.

الصورة الثامنة: جملة أمر(مسند+ مسند إليه+ مفعول به)+أداة عطف +جملة أمر (مسند+ مســـــند إليه+ مفعول به).

من هذه الصورة قوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾.[2]

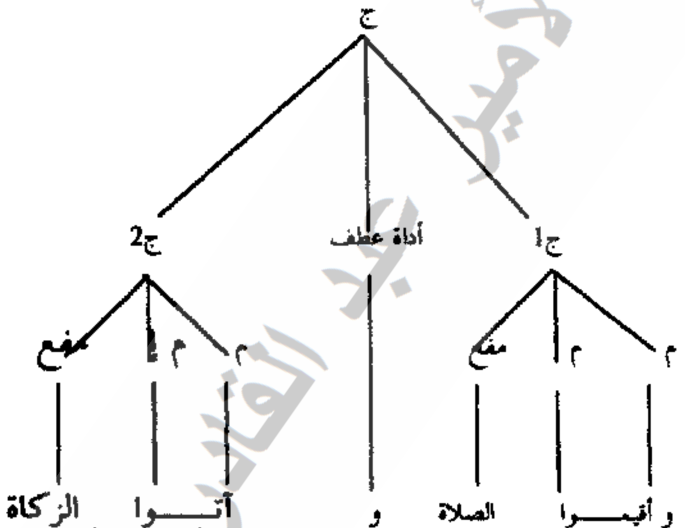

تتألف بنية هذا التركيب من جملتين ذكر فيهما المسند والمسنـــد إليـــه والمفعول به. وربطت بينـــهما "الواو" ربطا متوازنا يحقق تماثلا بنيويا، وتفيـــد مجرد الجـــمع بين الصلاة والزكاة، لأنهما ركنان أساســـيان من أركان الإسلام الخمسة. ويختلف مدلول الصلاة عن مدلول الزكاة، فلكل منهما أركان وشروط.

والخطاب لبني إسرائيل بقرينة المقام اللغوي، فقد أمروا في عهد الإسلام بإقامة الصلاة مع المســـلمين لتطهر نفوسهم، كما طلب إليهم إيتاء الزكاة التي هي مظهر شكر الله على نعمه، والعلاقة العظيمة بين النـاس، لما فيها من بذل المال لمواساة الفقراء والمساكين، ولما بين الناس من التكافل الاجتماعي. ودلالة الأمر الوجوب. ويتكرر الأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة على سبيل الوجوب في عـــدة مواضــع: فــهو في الآيــة الثالثــة والثمانين(83) من سورة البقرة خطاب لبني إسرائيل، بدلالة العطف، لأن الجملتين معطوفتان على ما ســبق؛ فهما تابعتان لبيان ميثاق بني إسرائيل، وهو عهد موسى عليه السلام. فالصلاة هي التـــي أمروا بهــــا في التـــوراة،

(1)Syntaxe générale, Armand.Colin, Paris, 1985, P50.

(2)البقرة، 43.

والزكاة مراد بها الصدقة مطلقا. وروي عن ابن عباس أنه قال: الزكاة التي أمروا بها طاعة لله والإخلاص له[1]. ولذلك فلا يكون المراد بالصلاة والزكاة ما هو في شريعة الإسلام. وهو خطاب للمؤمنين في الآية العاشرة بعد المائة(110) من سورة البقرة، والثامنة والسبعين(78) من سورة الحج، والسادسة والخمسين(56) من سورة النور، والثالثة عشرة(13) من سورة المجادلة. فقد أمروا بالمداومة على ركني الإسلام: العبادة البدنية والعبادة المالية، إذ الصلاة فيها مناجاة لله تعالى، وتلذذ بالوقوف بين يديه. والزكاة فيها الإحسان إلى مستحقيها بالإيثار على النفس. أما في الآية السابعة والسبعين(77) من سورة النساء فالخطاب موجه لفئة من المؤمنين، قال جمهور المفسرين: إن الآية نزلت في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يلقون بمكة من المشركين أذى شديدا، واستأذنوا الرسول في قتالهم، فقال لهم: إني أمرت بالعفو، فكفوا أيديكم "وأقيموا الصلاة و آتوا الزكاة" فلما هاجر النبي إلى المدينة، وفرض الجهاد جَبُنَ فريق منهم من جملة الذين استأذنوه في القتال، وفيهم نزلت الآية[2]. أما في الآية: الثالثة والثلاثين(33) من سورة الأحزاب فورد بقوله: ﴿وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ﴾. فهو خطاب موجه لأمهات المؤمنين. وأريد بالأمر الدوام، لأنهن متلبسات بمضمونه من قبل.

وخص الله سبحانه الصلاة والزكاة بالأمر، لأن هاتين الطاعتين البدنية والمالية أصل سائر الطاعات؛ فمن اعتنى بهما حق العناية قادتاه إلى سائر أعمال الخير.

ومن هذه الصورة –أيضا– قوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾.[3]

يتبين من خلال سياق هذه الآية وسابقاتها أن الآمر هو عيسى عليه السلام والمأمورين هم بنو إسرائيل.

و فعل الأمر في قوله : "اتقوا" مسند إلى واو الجماعة، وقد تقيد بالمفعول به "الله"، ثم جيء بأداة العطف "الواو" لربط الجملتين. وتكررت نفس العناصر النحوية، إلا أن المفعول به "ياء المتكلم" -في الجملة المعطوفة- حذف اختصارا في الخط،وبقيت الكسرة دالة عليه، وهذا بحسب قراءة الجمهور في الوصل والوقف.أما يعقوب فقرأه بإثبات الياء فيهما.[4]

ومعنى التركيب: فاتقوا الله في المخالفة، وأطيعوني فيما أدعوكم إليه، وهو توحيد الله. أو كما قال الطبري وغيره: اتقوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه في كتابه الذي أنزله على موسى، وأطيعوني فيما دعوتكم إليه من تصديق فيما أرسلني به إليكم.[5]

---

(1) ينظر، علي بن أبي طلحة، صحيفة عن ابن عباس في تفسير القرآن الكريم، تحقيق راشد عبد المنعم رجال، دار الجيل، بيروت، ط2، 1994، ص84، وأخرجه الطبري في جامع البيان، 437/1.

(2) ينظر، الواحدي، أسباب النزول، ص141، والماوردي، النكت والعيون، راجعه وعلق عليه السيد بن عبد المقصود، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، 507/1. والبغوي، معالم التنزيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993، 453/1.

(3) آل عمران، 50.

(4) ينظر، ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، 247/2.

(5) ينظر، جامع البيان، 281/3، والزمخشري، الكشاف، 432/1.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وعطف طاعة الرسول على تقوى الله، لأن طاعة الرسول من لوازم تقوى الله، فبين أنه إذا لزمكم أن تتقوا الله لزمكم أن تطيعوني في ما آمركم به عن ربي.

وتكرر هذا التركيب في عدة مواضع، من ذلك قوله: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾.[1] هذا أمر بطاعة الله تعالى، وطاعة الرسول محمدﷺ في امتثال ما أمر به، واجتناب ما نهي عنه، وفي الأخذ بإرشاده وتوجيهه.

وقد يحذف العامل من الجملة المعطوفة اختصارا، و يبقى المعمول كقوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾.[2] وهذا جائز، لأن واو العطف تختص بهذا الحكم عن بقية أدوات العطف الأخرى[3]. والتقدير: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول في جميع الأوامر والنواهي. وحذف المتعلق مشعر بهذا التعميم.

وروي عن ابن عباس أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾. -في الآية السابقة- قال عبد الله بن أبي لأصحابه: إن محمدا يجعل طاعته كطاعة الله ويأمر بأن نحبه كما أحبت النصارى عيسى بن مريم، فنزل: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾. أي أطيعوا الله في الفرائض، والرسول في السنن.[4]

ومن هذا الحذف-أيضا-قوله: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.[5] أي: أطيعوا الله و أطيعوا رسوله.

الصورة التاسعة: مسند +مسند إليه+ مفعول به أول+مفعول به ثان.

من هذه الصورة قوله تعالى: ﴿وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ﴾.[6]

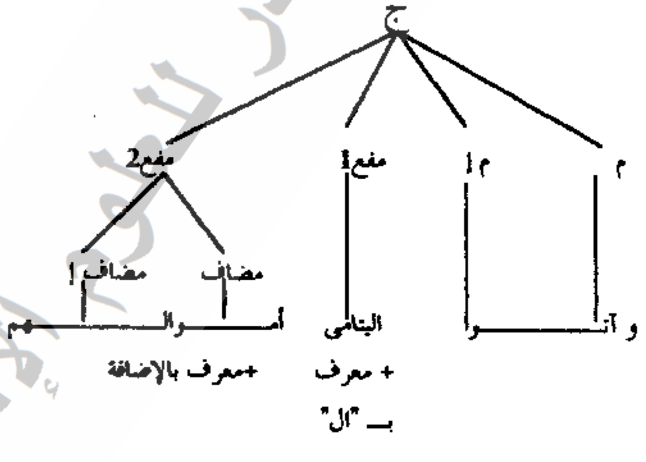

جمعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) المائدة، 92، والتغابن، 12.

(2) آل عمران، 32.

(3) ينظر، عباس حسن، النحو الوافي، 563/3.

(4) ينظر، تنوير المقباس، ص46.

(5) الأنفال، 1، 46، والمجادلة، 13.

(6) النساء، 2.

فعل الأمر في قوله: "آتوا" من الأفعال المتعدية إلى مفعولين ليس أصلهما المبتدأ والخبر. ويفهم من سياق الآية أن الأمر للأولياء والأوصياء.

ومعنى الإيتاء: الإعطاء. واليتامى: جمع يتيم وجمع يتيمة. وقيل هو في اللغة من فقد أبوه[1].وأريد باليتامى-هنا- ما يشمل الذكور و الإناث،وغلب في ضمير التذكير في قوله: "أموالهم".

وقد خص الشرع اليتيم بمن لم يبلغ الحلم[2]. وأطلق اسم اليتيم عليهم عند إعطائهم أموالهم، مع أنهم لا يعطونها إلا بعد ارتفاع اسم اليتيم بالبلوغ مجازا باعتبار ما كانوا عليه. ويجوز أن يراد باليتيم المعنى الحقيقي، وبالإيتاء ما يدفعه الأولياء والأوصياء إليهم من النفقة.

وقال الزمخشري: يراد بإيتائهم أموالهم أن لا يطمع فيها الأولياء والأوصياء وولاة السوء وقضاته، ويكفوا عنها أيديهم الخاطفة حتى تأتي اليتامى إذا بلغوا سالمة غير منقوصة.[3] وهذا الحكم مقيد بما جاء في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾.[4] وعلى هذا فالمراد بالأمر حفظ حقوق اليتامى من الإضاعة، لا تسليم المال إليهم. ويكون التعبير عنهم باليتامى إشارة إلى وجوب دفع أموالهم إليهم فور رشدهم. والمعنى: اعطوا اليتامى أموالهم إذا آنستم منهم رشدا.

ونظير هذه الجملة قوله: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾.[5]

جملة الأمر "فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ". خبر عن قوله: "وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ".وأدخلت "الفاء" في الخبر لتضمن الموصول "الذين" معنى الشرط. والضمير "المفعول به" في "فآتوهم" عائد على "الذين" الدال على "الموالي" -في الآية-والتقدير: وجعلنا الذين عقدت ورّاثا لكل ميت فآتوهم نصيبهم.[6]

وأورد الواحدي أن ابن المسيب قال: إن الآية نزلت في الذين كانوا يتبنون الأبناء ويورثونهم، فرد الله الميراث إلى ذوي الأرحام والعصبة، وجعل لهم نصيبا في الوصية.[7]

وقد أحكم ذلك ابن عباس في الصحيح بيانا بما رواه عن رسول الله ﷺ ، قال البخاري عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس:"ولكل جعلنا موالي".قال: ورثة: "و الذين عقدت أيمانكم". كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجر الأنصاري دون ذي رحمه للأخوة التي آخى بها النبي ﷺ فلما نزلت: "و لكل جعلنا موالي" نسخت، ثم قال: "والذين عقدت أيمانكم". من النصر والرفادة والنصيحة، وقد ذهب الميراث ويوصى له".[8]

(1) ينظر، ابن فارس، مجمل اللغة، 941/4، (يتم)، وابن منظور، لسان العرب، 645/12، (يتم).

(2) ينظر، الشافعي، أحكام القرآن، جمعه أبو بكر البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1991، 138/1.

(3) ينظر، الكشاف، 494/1.

(4) النساء، 6.

(5) النساء، 33.

(6) ينظر، العكبري، التبيان في إعراب القرآن، 352/1.

(7) ينظر، أسباب النزول، ص127.

(8) رواه البخاري في صحيحه، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، 214/5، 215، (كتاب تفسير القرآن).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ومعنى الجملة: آتوا نصيب الذين عاقدت أيمانكم من النصر والمعونة، أو فآتوهم نصيبهم بالوصية، وقد ذهب الميراث.

ونظير هذه الصورة قوله: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾.[1]

جواب الجملة الشرطية جملة أمريه: "فآتوهن أجورهن". والمعنى: فإن أرضعن لكم وهنّ طوالق قد بنّ بانقضاء عدتهن، فلهن أجر المثل.

وفي الجملة تبيان ما يجب للنساء المطلقات بعد الوضع، فإنهن بالوضع يصرن بائنات فتنقطع أحكام الزوجية، ويكون حق الإرضاع على الأب، لأنه كالإنفاق؛ فإنه لما انقطع إنفاق الزوج عليها بالبينونة تمحضت إقامة غذاء ابنه عليه، فإن أرادت إرضاعه فهي أحق بذلك، ولها أجر الإرضاع[2]. ويتم ذلك بتبادل الرأي إلى الاتفاق على أجرة معينة.

وقد يتعدى الفعل لأحدهما مباشرة و إلى الثاني بحرف الجر، كقوله: ﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ﴾.[3]

التركيب يحتوي على جملتين متعاطفتين ربطت بينهما الواو، والفعل فيهما متعد إلى مفعولين ليس أصلهما المبتدأ والخبر. والمفعول به "هم" -في الجملتين- يعود على "السفهاء" -في هذه الآية- في قوله: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا...﴾. أما المفعول به الثاني فتعدى له بحرف الجر، في قوله: "منها". أي في أموالكم، والتقدير: ارزقوا السفهاء من أموالكم واكسوهم منها.

والخطاب إما لأولياء اليتامى، وإما لمجموع الأمة، وذلك بأن يجعلوا أموالهم مكانا لرزقهم وكسوتهم بأن يتجروا فيها، فتكون النفقة من ربحها. واتضح هذا المعنى من جعل الأموال نفسها ظرفا للرزق والكسوة، فقال: "فيها"، و لم يقل: منها، ففيه إشارة إلى أن الأموال تتخذ مكان للرزق بالتجارة فيها، فتكون النفقات من الأرباح لا من رأس المال حتى لا يأكلها الإنفاق.

وفي هذا المعنى تنبيه على ما قاله ﷺ: "ابتغوا في أموال اليتامى، لا تستهلكها الصدقة".[4] والمقصود -هنا- النهي عن إيتاء المال لمن لا رشد له من النساء والصغار والمجنون والمحجور عليه للتبذير. ويجوز هبة ذلك لهم، فيكون لهم ملكا و لكن لا يجعل في أيديهم.[5] وقال ابن عباس معناه: لا تعطوا الجهال

---

(1) الطلاق، 6.

(2) ينظر، الشافعي، أحكام القرآن، 264/1، 265، ابن العربي، أحكام القرآن، 1840/4.

(3) النساء، 5.

(4) أخرجه المتقي بن حسام الدين الهندي في كنز العمال، ضبطه بكري حياني، وصححه ووضع فهارسه صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993، 177/15، (كتاب الكفالة).

(5) ينظر، ابن العربي، أحكام القرآن، 318/1.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بموضع الحق من النساء والأولاد أموالـكم، واطعموهم فيها واكسوهم، وكونوا أنتم القوامون على ذلـك، فإنكم أعلم منهـم في النفقة والصدقة بموضع الحق.[1]

فالواجب على الأولياء الذين عهد إليهم حفظ أموال السفهاء أن ينفقوا عليهم، فيقدموا لهم كفايتـهم من المأكل والملبس وغير ذلك.

ومن ذلك -أيضا- قوله: ﴿وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾.[2]

فعل الأمر من الأفعال المتعدية إلى مفعولين ليس أصلها المبتدأ و الخبر. وقد يتعدى مباشرة إلى مفعولين، كقولنا: سألته حاجة، وسأل معناه: طلب الشيء، أو طلب تحقيق السؤال، و قضاء الحاجة.[3] وقد يحـذف المفعول به الثاني كما هو في هذه الآية؛ فالمفعول الأول لفظ الجلالة "الله"، والثـاني محـذوف، والتقديـر: اسألوا الله ما شئتم من الإحسان والإنعام.

وهذه الجملة الأمرية معطوفة على النهي-في هذه الآية-في قوله : ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾. فيكون المعنى: لا تتمنوا ما في يد الغير، واسألوا الله من فضله ما تريدون، فإن فضل الله واسـع؛ يَسَعُ الكل. وهذا الأمر يدل على وجوب سؤال الله سبحانه من فضله.

ويدل على الوجوب أيضا- مما يماثل هذه الصورة- في قوله: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾.[4]

الخطاب للمؤمنين، وقد أمروا إذا سألوا أزواج رسول الله ونساء المؤمنين متاعا فليسألوهن مـن وراء ستر.

ويلحظ أن الجملة اشتملت على مفعول واحد، و هو ضمير الغائب "هـن"، بينما المفعـول الثـاني حذف، وقد دل عليه ما قبله، أي: فاسألوهن المتاع.

الصورة العاشرة: مسند + مسند إليه +مفعول به (جملة).

وردت في تسع وعشرين جملة، منها قوله تعالى : ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.[5]

---

(1) ينظر، تنوير المقباس، ص65.

(2) النساء، 32.

(3) ينظر، الزعبلاوي، مسالك القول في النقد اللغوي، ص208.

(4) الأحزاب، 53.

(5) البقرة، 235.

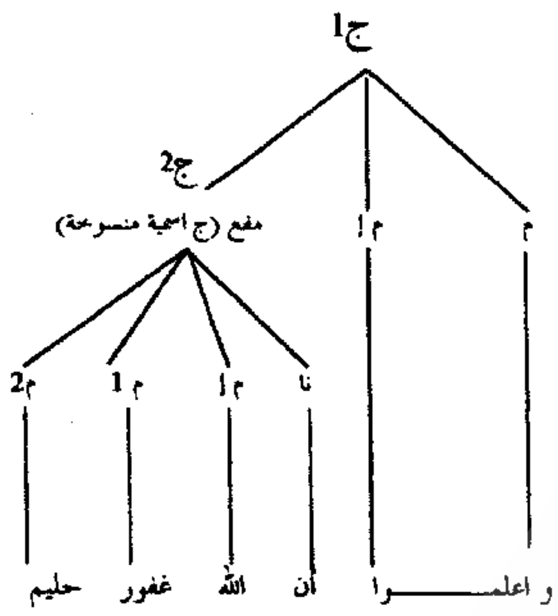

تتكون بنية الجملة من فعل أمر، ومسند ورد ضمــيرا للجماعة متصـــلا ببنية الفعل، ومفعول به جملة مصدرية، تتألف من (أداة مصدري و نصب+ جملة اسمية منسوخة). وهذه الجملة المصدرية ســـــدت مسـد مفعولي "اعلموا".

ويلحظ أن عناصر الموقف اللغوي لجملة الأمر قد اكتملت؛ فالأمر تضمنه الفعل (المسند)، والمــأمور هو الفاعل (المسند إليه) في قوله: "واعلموا"، والآمر اسم الجلالة "الله" في جملة المفعول به. وهذه الجملـــــة تذييل لجملتي الأمر السابقتين-في الآية – أي: فكما يؤاخذكم على ما تخفون من العصيان والمخالفة يغفر لكـم ما وعد بالمغفرة عنه؛ فإنه حليم بكـم.

ونظير هذه الجملة قوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.[1]

هذه الجملة–كذلك–تذييل لجملة الأمر—في هذه الآيــة–فــي قولــه تعال: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾. فجاءت في سياق الحث على القتال والتحذير من تركه بتذكير المؤمنين بعلم الله الواسع.

وقدم لفظ "سميع"، وهو أخص من "عليم" اهتماما به–هنا– لأن أغلب مظاهر القتال ممـــا يســمعه المقاتلون مثل صهيل الخيل وقعقعة السيوف. ثم ذكر لفظ "عليم"، لأنه يشمل العلم بكل الأشياء ما ظهر منــها وما بطن.

ونظير هذه الصورة ورد في الآيـــات: (209، 260، 267) مـــن سورة البقرة، والآية: (34) من سورة المائدة.

(1) البقرة، 244.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ومن هذه الصورة-أيضا-قوله: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾.[1]

الخطاب للمؤمنين بدلالة سياق الآية، لأن هذه الجملة معطوفة -في هذه الآية-على جملة: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾. وابتُدئت الجملة بـ"اعلموا" للعناية والاهتمام بمضمونها، بحيث يجب أن يعلم المؤمنون الموجه إليهم الخطاب أن الله ناصرهم على المشركين، أي: اعلموا أن الله مؤيدكم لتقواكم. وفي هذا المعنى تأييد وضمان بالنصر للمؤمنين عند قتالهم للمشركين.

وكذلك قوله: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾.[2]

ابتداء الجملة بـ"اعلموا" للاهتمام-كما تقدم آنفا-وفي مضمون الأمر تنبيه على الحذر من الفتنة التي يحمل حب المال المرء عليها. وهي فتنة الغلول وغيرها. فالله تعالى يعلم أن الحرص على الأموال والأولاد من أعمق مواطن ضعف النفس البشرية. ومن هنا ينبه إلى حقيقة هذه الأموال والأولاد. لقد وهبها الله للناس ليختبرهم بها، فيرى صنيع عبده، أيشكره على نعمته؟ أم ينشغل بها فيغفل عن أداء الحق؟

ومجيء بجملة القصر للإخبار عن كون الأموال والأولاد فتنة للمبالغة في إثبات ذلك وتأكيده. وتقدم الأموال عن الأولاد، لأنها أقوى دواعي الفتنة؛ فإن هدف أغلب الناس في جمع الأموال أن يتركوها لأولادهم من بعدهم.

وقد تحمل الجملة وعيدا كقوله: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.[3] وفي هذا الوعيد حث على وجود الاستقامة خوفا من عقاب الله.

وتأتي بقية هذه الصورة في الآتي:البقرة، الآيات: (194، 203، 223، 231، 233، 235) والمائدة، الآيات: (49، 92، 98)، والأنفال، الآيات: (24، 40، 41) والتوبة، الآيات: (2، 3، 123) ومحمد، الآية: (19)، والحجرات، الآية: (7)، والحديد، الآيتان: (17، 20).

الصورة الحادية عشرة: أداة عطف (الواو)+ (...) +مفعول به(إذ)-مضاف-+جملة فعلية (مضاف إليه).

وردت هذه الصورة في اثنين وسبعين موضعا، منها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾.[4]

(1) التوبة، 36.

(2) الأنفال، 28.

(3) البقرة، 196، والأنفال، 25.

(4) البقرة، 49.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

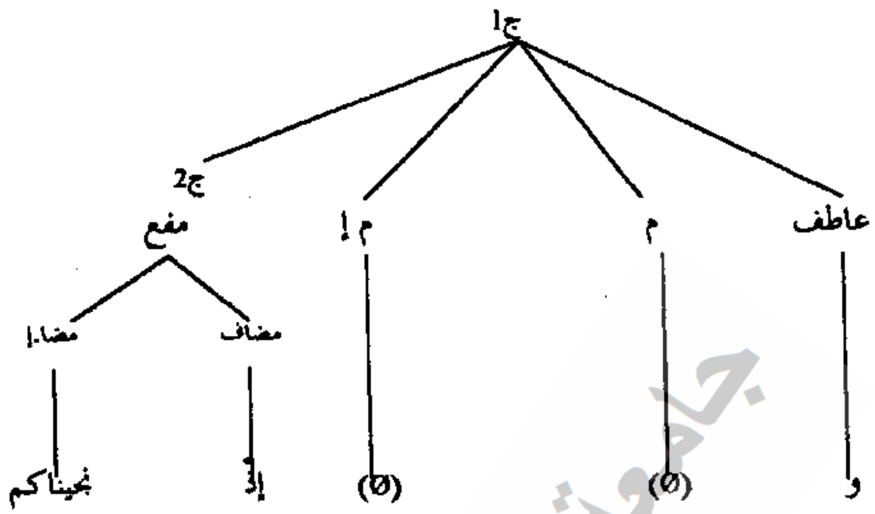

ظرف الزمان "إذْ" مفعول به معطوف على قوله: "نعمتيَ" في الآية (47). والعامل في الظرف "إذ" كما ذهب بعض النحاة هو الفعل "اذكر" المحذوف.[1] أي: إن الفعل والفاعل محذوفان في البنية السطحية للجملة، ويدل عليهما الكلام السابق، والتقدير: "اذكروا".

وقد أشار عبد القاهر الجرجاني إلى أنه قد يكون ترك الذكر والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة وأبلغ في الدلالة على المعنى من الذكر[2]. حيث يتضاعف إحساس المتلقي بالفكرة، وكثيرا ما نجد هذا الحذف تدل عليه القرائن كما هو في هذا المقام، فيوحي بدلالات تخصب المعنى وتثريه، ولا سيما عندما تسمح لتيار الوعي بالتدفق والاستيعاب. وقد أضيف "إذْ" -هنا- إلى جملة فعلية ما ضوية، وقال النحاة قد تضاف إلى الفعلية والاسمية. [3]

وعدي الفعل في قوله: "نجينا" إلى ضمير المخاطبين، وهم بنو إسرائيل، لأن إنجاء سلفهم إنجاء لهم، فلو ترك سلفهم للحق بهم سوء العذاب وتذبيح الأبناء واستحياء النساء. وهذه نعمة من الله يمنها عليهم.

وجملة "يسومونكم سوء العذاب". حال من "آل فرعون" يحصل بها بيان ما وقع الإنجاء منه، وهو العذاب الذي كان الإسرائيليون ينالونه من معاملة آل فرعون. ومعنى "يسومونكم": يعاملونكم معاملة سيئة، فيها ذل واحتقار.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) ينظر، القيسي، مشكل إعراب القرآن، تحقيق حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1984، 85/1، والزمخشري، الكشاف/ 271/1.

(2) دلائل الإعجاز، ص120.

(3)ينظر، سيبويه، الكتاب، 60/3، 229/4، والمبرد، المقتضب، 177/3، والاستراباذي، شرح الكافية لابن الحاجب، 103/2، وابن هشام، أوضح المسالك، 377/1.

و"يسومونكم" من الفعل "سام"، وهو في معنى: أنال وأعطى، ولذلك يعدى إلى مفعولين ليس أصلهما المبتدأ والخبر. وحقيقة "سام" عرض السوم، أي عرض السلعة على البيع. [1]ومفعوله الأول اتصل ببنيته، وهو "كم"، و الثاني"سوء" المضاف إلى"العذاب". وسوء العذاب أشده، وهو تسليط العذاب المهين بتذبيح الأبناء وسبي النساء، والمعنى: يذبحون أبناء آبائكم ويستحيون نساء قومكم الأولين. والاستحياء على زنة "استفعال" يدل على الطلب للحياة، أي يبقي آل فرعون النساء أحياء. والقصد من ذكر الاستحياء في معرض التذكير بما حدث لبني إسرائيل من مكاره على يد الأقباط أن الاستحياء للنساء كان الغرض منه الاعتداء على عرضهن، أي يبقوهن بلا رجال فيصرن مفترشات لهم.

وجملة "يذبحون أبناءكم" بيانية لجملة"يسومونكم"، ولذلك ترك العاطف[2]. "وفي هذه الحالة يكون الفعلان (يذبحون ويستحيون) فعلين مبينين لفعل سابق هو (يسومونكم)، لأن هذا الفعل الأخير يفتقر إلى ما يبينه، فجاء الفعلان محددين لنوع العذاب"[3]. ويكون المراد من "سوء العذاب" خصوص التذبيح. ويجوز أن تكون الجملة في موضع بدل البعض تخصيصا بالذكر لأشنع أحوال سوء العذاب. وهو الذي يطابق ما حله في سورة الأعراف، الآية: (141) فالقضية في السورتين واحدة. و معنى ذلك أن العذاب غير التذبيح، فكأنه قال: يعذبونكم بالذبح و بغير الذبح[4]. وقدم الذبح على الاستحياء، لأنه أصعب الأمور وأشقها، وهو أن يذبح الأبناء أمام مرأى الوالدين.

وفي مضمون الجملة اعتبار، وذلك بتذكير بني إسرائيل بما حدث لأسلافهم في القرون الخوالي.

و يتبع هذه الصورة في العطف ما جاء في الآيات: (50، 51، 53، 54، 55، 58،60، 61، 63، 67، 72، 83، 84، 93) من هذه السورة (البقرة).

وكل هذه الجمل تخص بني إسرائيل، وأوتي بها لسرد أخبارهم الماضية التي تشير إلى نعم الله الكثيرة التي أنعم بها عليهم لعلهم يرشدون.

ويماثل هذه الصورة-أيضا- قوله: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾. [5]

المفعول به "إذْ"، و هو معطوف على "نعمتي" في قوله: "اذكروا نعمتي". في الآية: 122. والعامل فيه محذوف، والتقدير: اذكر إذ ابتلى إبراهيم ربه.

وتقدم المفعول به "إبراهيم" على الفاعل وجوبا، لأن في الفاعل ضمير يعود على المفعول به، والضمير يعود على متقدم. والتقديم في حقيقته يكون دائما لغرض يتعلق بالمعنى، وليس لغرض يتعلق بالبنية الشكلية،

(1) ينظر، أحمد بن إبراهيم الغرناطي ملاك التأويل، تحقيق سعيد الفلاح،دار الغرب الإسلامي بيروت، ط1، 1983، 19/1.

(2) ينظر، الزمخشري، الكشاف، 279/1.

(3) محمد خطابي لسانيات النص، ص187.

(4) ينظر، الفراء، معاني القرآن، 69/2، والقرطبي الجامع، 385/1.

(5) البقرة، 124.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فالتقديم دليل على أنه المقدم هو الغرض المتعمد بالذكر، وأن الكلام إنما سيق لأجله.[1] فلفظ "إبراهيم"–هنا– هو المقصود بالذكر، وحيث قدم قصد به التشريف، فأضيف اسم "رب" إلى اسمه مع مراعاة الإيجاز، فلذلك لم يقل: واذكر إذ ابتلى الله إبراهيم.

وجيء بالفاء العاطفة المفيدة للترتيب والتعقيب (الدلالة السببية) في قوله: "فأتمهن" للدلالة على سرعة إبراهيم في امتثال أمر الله، وذلك بإنجاز الفعل المراد إتمامه. والمعنى: واذكر يا محمد لقومك المشركين وغيرهم حين اختبر الله إبراهيم ببعض الكلمات من أوامر ونواه، فأتى بها على وجه الكمال، بأن عمل بهن كلهن[2]، فكان أهلا للإمامة.

ويتبع هذه الصورة في العطف ما جاء في الآيات: (125، 126، 127، 131) من هذه السورة (البقرة). وهذه الجمل خص الله بها العرب مذكرا إياهم بنعم الله الكثيرة والتي منها : جعل البيت الحرام والكعبة مرجعا للناس يقصدونه ومآبا يثوبون إليه للعبادة في وقت الحج و غيره. ومنها دعاء إبراهيم أن يجعل الله هذا البلد (مكة) في أمن و طمأنينة، ودعاؤه أن يرزق أهله من أصناف الثمار وأطيبها.

ويخلص الوصف إلى ما يأتي:

–الظرف"إذْ" اسم مبني على السكون، مشبه بالحرف، يعد في أصل استعماله ظرفا دالا على الزمن الماضي. ومع هذه الدلالة الأساسية لـ "إذْ" على الزمن الماضي، إلا أنها تستخدم أحيانا في سياق الدلالة على ما يستقبل من الزمن، وأحيانا على الزمن الحاضر، ولكنه استخدام مؤول لا يخرجها عن أصل دلالتها على الزمن الماضي. وينصب هذا الظرف حسب موقعه في الجمل. وقد خرج عن الظرفية –في هذه الصورة– لأن الفعل لم يقع فيه، وإنما وقع عليه.

–تميز جمل هذه الصورة بالاختصار، حيث تم حذف المسند (الفعل)، والمسند إليه (الفاعل)، ودلت عليهما القرائن المقامية، لأن الكلام في السرد القصصي، والتقدير: اذكروا، أو اذكر...

–تنوع الجمل التي أضيفت إليها "إذْ" بين فعلية و اسمية، كما أشار النحاة. وجيء بصيغة الماضي بعدها في اثنين و ستين موضعا، وبصيغة المضارع في عشر مواضع، وذلك لاستحضار صورة الماضي، وكأن الأحداث تقع في الحال. وهذا معنى قول النحاة أن "إذْ " تخلص المضارع إلى الماضي.[3] و"إذْ" قرينة هذا التنزيل، لأن غالب الاستعمال أن يكون للزمن الماضي.وقد أشرت إلى بعض مواضع إضافتها إلى جملة ماضوية، واذكر مواضع إضافتها إلى جملة مضارعية: البقرة الآية: (127)، والأنفال، الآيات: (07، 09، 11، 30، 43، 44، 49)، والأحزاب، الآيتان: (12، 37).

---

(1) ينظر، خليل أحمد عمايرة، في نحو اللغة وتراكيبها، ص90، 91، وسعد أبو الرضا، في البنية والدلالة، ص135، 136.

(2) ينظر، ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1978، ص63.

(3) ينظر، سيبويه، الكتاب، 60/3، وابن هشام، أوضح المسالك، 379/1، والكفوي، الكليات، أعده للطبع ووضع فهارسه عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1993، ص69.

-اتصاف تلك الجمل المتعاطفة بترابط الأجزاء و تناسبها تناسبا قويا مما جعلها تشكل قصة متحدة الأجزاء متعانقة الأحداث. ويتضح من خلال جزئيات القصة جودة سبك القرآن و أحكام سرده. ومعنى هذا أن القرآن بلغ من ترابط أجزائه وتماسك كلماته وجمله مبلغا لا يقاربه فيه أي كلام آخر، مع طول نفسه وتنوع مقاصده وأفكاره، وتلوينه في الموضوع الواحد. وكان أغلب جمل هذه الصورة تتحدث عن قصص بني إسرائيل في أسلوب قصصي قصد التذكير والاعتبار. ويكاد يكون هذا النمط من سمات القرآن المدني، لأن أغلبه ورد في السور المدنية.

الصورة الثانية عشرة: مسند + مسند إليه+مفعول به +ظرف مكان+ مضاف إليه.

من هذه الصورة قوله تعالى: ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾.[1]

فعل الأمر مسند إلى المخاطب وجوبا "أنت" -المخاطب به الله ﷻ- والمفعول به "نا" دال على المخاطبين، وهم الحواريون. وظرف المكان "مع" حرف إضافة يجر ما بعده كحروف الجر.[2] وهو يدل على المصاحبة والاجتماع، وقد تعلق بـ"اكتبنا". وفي هذه الجملة حذف، والتقدير: "فاكتبنا مع الشاهدين لك بالوحدانية".[3]

والأمر دلالته دعاء، والدعاء صادر من الحواريين، دعوا الله بأن يجعلهم مع الشاهدين، أي مع الذين شهدوا لرسول الله بالتبليغ و بالصدق. ودعاؤهم -هنا- يدل على أنهم تلقنوا من نبيهم عيسى فضائل وتعاليم تجعلهم يشهدون للرسول بالصدق. وتلك الفضيلة تعد مبادرة بتصديق الرسل عند بعثتهم حين يكذبهم الناس بادئ الأمر. أو أنهم أرادوا بدعائهم أن يكتبهم الله مع الشاهدين على بعثة الرسول الذي أخبرهم نبيهم عنه بأنه يأتي بعده، فيكونوا شهادة على مجيئه وشهادة بصدق نبيهم، لأن كلمة "الشاهدين" تشير إلى ما في بشارة عيسى عليه السلام.

وتكرر دعاؤهم فيما يماثل هذه الصورة في قوله: ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾.[4]

فقد سألوا الله الوفاة مع الأبرار، أي أن يموتوا على حالة البر، وذلك بأن يلازمهم البر إلى الممات، وأن لا يرتدوا عن دينهم. فإذا ماتوا وهم كذلك ماتوا بصحبة الأبرار.

والظرفية المكانية "مع" دلت على المصاحبة أو المعية، وتعني المشاركة والاجتماع في الحالة الكاملة للأبرار. والمعية في قوله: "مع الأبرار" أبلغ في الاتصاف بالدلالة، لأنه بر يرجى استمراره

---

(1) آل عمران، 53، والمائدة، 83.

(2) ينظر، عبد الجبار توامة، القرائن المعنوية في النحو العربي، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه في النحو العربي، مكتوب بالحاسوب، جامعة باتنة، 1994، 1995، ص479.

(3) ينظر، العكبري، إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن،دار الكتب العلمية، بيروت،ط1،1979، 136/1.

(4) آل عمران، 193.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

لكون الداعين ضمن جمع متديني الرسول يمدهم بالآيات فيزيدهم إقبالا على البر وعمل الخير. والمعنى: توفنا أبرارا معدودين في جملة الأبرار.

ومن هذه الصورة -أيضا- قوله: ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾.[1]

الخطاب للملائكة، لأن الضمير المتصل بالفعل (المسند إليه) عائد إليهم في الآية. والفعل متعد، والمفعول به محذوف، والتقدير: اضربوا أعالي أعناق المشركين، وهو بين من السياق. وقال أبو عبيدة: "مجازه: على الأعناق، يقال: ضربته فوق الرأس، و ضربته على الرأس".[2] وقال الزمخشري: "يعني ضرب الهام".[3]

وعلى هذا المعنى يكون الظرف "فوق" متعلقا بصفة محذوفة، والتقدير: الرؤوس الكائنة فوق الأعناق. وإنما خصت الأعناق، لأن الضرب في الأعالي يسرع بهم إلى الموت، وفيه إتلاف لأجسادهم. وقال ابن عطية: "و يحتمل عندي أن يريد بقوله: "فوق الأعناق" وصف أبلغ ضربات العنق وأحكمها وهي الضربة التي تكون فوق عظم العنق ودون عظم الرأس في المفصل".[4] وضرب الملائكة يجوز أن يكون مباشرة بقطع الأعناق بواسطة فعل على كيفية خارقة للعادة، ويكون إسناد الضرب عندئذ حقيقة. ويجوز أن يكون بتسديد ضربات المسلمين، ويكون حينئذ إسناد الضرب إلى الملائكة مجازا، لأنهم المتسببون فيه.

ويلحق بهذه الصورة قوله: ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾.[5]

الأمر لليهود بالركوع مع الراكعين، والمراد بالراكعين المسلمون. وفي هذه الجملة تأكيد لمعنى الصلاة، لأن لليهود صلاة لا ركوع فيها، ولكيلا يقولوا إننا نقيم صلاتنا على الوجه الأكمل دفع الله هذا التوهم، فأمرهم بالركوع مع المسلمين منبها إياهم على أن ذلك مطلوب في صلاة المسلمين .

وفي هذا الأمر إشارة إلى وجوب أداء الصلاة بكامل أركانها وشروطها. وفيه إيماء كذلك إلى وجوب مماثلة المسلمين في تطبيق أحكام الشريعة .

وكذلك قوله: ﴿اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾.[6]

الخطاب -بدلالة السياق- للمنافقين الذين أبوا اللحاق بالمسلمين إلى ساحة القتال. والمعنى: أقيموا وليس أمرا بالقعود الذي هو نظير الجلوس، وإنما المراد منعهم من الخروج للقتال في صف المسلمين. وقد أخبر القرآن أن الرسول ﷺ قال لهم ذلك بعبارة تدل على الذم، لأن القاعدين عن القتال في حقيقة الأمر هم الضعفاء من صبيان ونساء وذوي عاهة.

---

(1) الأنفال، 12.

(2) مجاز القرآن، 242/1.

(3) الكشاف، 148/2.

(4) المحرر الوجيز، 239/6، 240.

(5) البقرة، 43.

(6) التوبة، 46.

ونكرر خطابهم عقب ذلك تأكيدا للكلام السابق في قوله:﴿فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾.[1] والخالفون هم "جميع من تخلف من نساء وصبيان وأهل عذر".[2] ويذكر عن ابن عباس أن المراد بالخالفين: "الرجال الذين تخلفوا عن النفور"[3]. فنبه القرآن على ذمهم وإلحاقهم بالخالفين. والخوالف: هم النساء والصبيان والعجزة، لأن شأنهم المكوث في البيت.

ويماثل هذه الصورة قوله تعالى: ﴿ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾.[4]

قرأ الجمهور: "بين أخويكم"[5] بلفظ تثنية الأخ، فردوه على اللفظ دون المعنى، أي: بين الطائفة والأخرى مراعاة لسياق الكلام على اقتتال الطائفتين، لأن جملة الأمر هذه تفريع من جملة: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾. –في الآية السابقة–ومعنى﴿أَخَوَيْكُمْ﴾–هنا– كل مقتتلين من المؤمنين.

وقرأ يعقوب:[6] "بين إخوتكم".[7] على أنه جمع أخ باعتبار أن كل فرد من الطائفتين المذكورتين كالأخ.

والاختيار صيغة التثنية في "أخويكم" مراعاة لكون الكلام جار على طائفتين من المؤمنين، فجعلت كل طائفة كالأخ للأخرى. وفي هذا دليل على جواز إطلاق لفظ الإخوة بين المؤمنين من جهة الدين. وفي مضمون الأمر دليل على أن من رجا صلاح ما بين متعاديين من المؤمنين أن عليه الإصلاح بينهما.[8] ويدل الأمر على وجوب مبادرة المسلمين إلى إصلاح ذات البين كلما حصل خلل أو فساد فيها.

ويلحق بهذه الصورة – أيضا – قوله:﴿ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾.[9]

تتألف بنية الجملة من فعل أمر مسند إلى واو الجماعة، وجار ومجرور "في الأرض"متعلق بحال ، بمعنى: فسيروا آمنين . وظرف زمان "أربعة" مضاف إلى "أشهر".

(1) التوبة، 83.

(2) ابن عطية، المحرر الوجيز، 587/6.

(3) ابن أبي طلحة، صحيفة عن ابن عباس في تفسير القرآن الكريم، ص269.

(4) الحجرات، 10.

(5) ينظر، الطبري، جامع البيان، 389/26، وأبو زرعة، حجة القراءات، ص676، وابن الجزري، النشر، 376/2.

(6) يعقوب: هو أبو محمد يعقوب بن إسحاق الحضرمي، قارئ أهل البصرة، برع في الإقراء، انتهت إليه رئاسة الإقراء بعد أبي عمرو. ينظر، الذهبي، معرفة القراء الكبار، 157/1، 158.

(7) ينظر، الزمخشري، الكشاف، 564/3، وأبو حيان، البحر المحيط، 111/8، وابن الجزري، النشر، 376/2.

(8) ينظر، الجصاص، أحكام القرآن، ضبط وتخريج، عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1، 1994، 536/3، 537.

(9) التوبة، 2.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والخطاب للمشركين الذين نقضوا العهد الذي كان بينهم وبين المسلمين ؛ فضمير الخطاب المتصل بفعل الأمر يدل على أن الأمر موجه إليهم ، وذلك التفات، لأن التقدير : فليسيحوا في الأرض. أو قل لهم يا محمد : سيحوا في الأرض . وغاية هذا الالتفات إيصال الإنذار إليهم مباشرة .وفي هذا الأمر إيذان بوجوب القتال في غير الأشهر الحرم، وبأن مادون تلك الأشهر قتال بين المسلمين والمشركين.

ويلحق بهذه الصورة ما ورد في البقرة ، الآيتان : (144، 198) وآل عمران، الآية: (43) والتوبة، الآيتان : (83، 86)، والتحريم، الآية: (10)، والإنسان، الآيتان: (25، 26).

الصورة الثالثة عشرة : مسند + مسند إليه + جار ومجرور + حال.

من هذه الصورة قوله تعالى: ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾. [1]

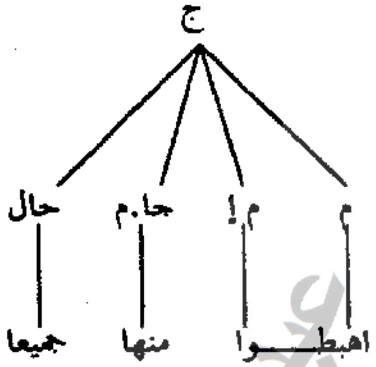

الأمر بالهبوط موجه إلى آدم و حواء. والمقصود هما وذريتهما، لأنهما لما كانا أصل الإنسان جعلا كأنهما الإنس كلهم[2]. وقيل : إبليس معهما كذلك[3]. والهبوط حقيقة النزول من علو إلى أسفل، وهو-هنا-من الجنة إلى الأرض.

وقرأ أبو حيوة :"اهبطوا" بضم الباء[4]. ومضارعه يهبِط،و يهبُط، بكسر الباء وضمها[5]. ويدعم القراءة بالضم أن صيغة "يفعل" تأتي كثيرا في غير المتعدي[6].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1)البقرة، 38.

(2)ينظر، الفراء، معاني القرآن، 31/1، والطبري، جامع البيان، 278/1، و وهبة الزحيلي، التفسير المنير، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط1، 1991، 137/1.

(3)ينظر، ابن القيم، التفسير القيم، حققه محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، ص135، والكلبي، التسهيل، ضبط وتصحيح محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995، 63/1، وأحمد مصطفى المراغي، التفسير، دار الفكر، بيروت، (د.ت)، 92/1.

(4)ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 257/1، والقرطبي، الجامع، 319/1.

(5)ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 311/1.

(6)ينظر، القرطبي، الجامع، 319/1.

والأمر-هنا-تعلق به الجار والمجرور "منها". وجئ بالحال "جميعا"، للتأكد وهو الحال من الضمير المتصل بالسند. وقد تكرر الأمر بالهبوط للتأكيد، إذ سبق ذكره في قوله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾.[1]

الخطاب-هنا-لآدم وحواء أو لآدم وإبليس، و لم يذكر الزوجة، لأنها تبع له[2]. ويرى ابن عاشور أن هذه الجملة كررت لأجل ربط النظم من غير أن تكون دالة على تكرير معناها في الكلام الذي خوطب به آدم، فيكون هذا التكرير لمجرد اتصال ما تعلق بمدلول "قُلْنَا اهْبِطُوا"، وذلك قوله: "بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ"، وقوله: "فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى" إذ قد فصل بين هذين المتعلقين ما اعترض بينهما من قوله: "فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ". فإنه لو عقب ذلك بقوله: "فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى" لم يرتبط كمال الارتباط، ولتوهم السامع أنه خطاب للمؤمنين على عادة القرآن في التفنن، فلدفع ذلك أعيد، قوله: "قُلْنَا اهْبِطُوا"، فهو قول واحد كرر مرتين لربط الكلام، ولذلك لم يعطف "قُلْنَا"، لأن بينهما شبه كمال الاتصال.[3]

في تحليل ابن عاشور هذا تتضح وظيفة الربط، إلاّ أنه حكمته-التكرير-مقتضيات تداولية عبر عنها هذا العالم "بتوهم السامع أنه خطاب للمؤمنين"، إضافة إلى مقتضى خطابي صرف متعلق بتماسك الخطاب، وهو ما اعترض بين القولين، وقد استخدم هذا التكرير لوصل ما انقطع بين الجملتين.[4]

ويلحظ أن مضمون جملة الأمر قد خصص بثلاث جمل حالية، أي: اهبطوا متعادين ومستقرين في الأرض ومتمتعين إلى حين.

ومن هذه الصورة -أيضا- قوله: ﴿ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾.[5]

فعل الأمر مسند إلى واو الجماعة، ووجه الخطاب به للمسلمين القائمين للصلاة، وقد تعلق به الجار والمجرور "لله". والحال "قانتين"حددت كيفية حدوث الفعل المأمور به.

واختلف في معنى "قانتين"، فقال بعض العلماء معناه: مطيعين[6].وقال الزمخشري: ذاكرين الله في القيام[7]. والأظهر حمله على السكوت، إذ صح أن المسلمين كانوا يتكلمون في الصلاة حتى نزل قوله:

---

(1)البقرة، 36.

(2)ينظر، بن القيم، التفسير القيم، ص135.

(3)ينظر، التحرير والتنوير، 440/1.

(4)ينظر، محمد خطابي، لسانيات النص، ص180.

(5)البقرة، 238.

(6) ينظر، ابن عباس، تنوير المقباس، ص43، والطبري، جامع البيان، 584/2، والشوكاني، فتح القدير، 327/1.

(7)ينظر، الكشاف، 376/1.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾. فأمروا بالسكوت[1].والمعنى: قوموا في الصلاة لله ساكتين؛ لا تتكلمون بغير آي القرآن والمناجاة والدعاء بحسب تنظيم الإسلام أحوال الصلاة.

وكذلك قوله: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾. [2]

الفعل "اعتصم" يتعدى بالباء. وقد تطرح الباء، تقول العرب: اعتصمت بك واعتصمتك[3]. وقد أمر الله المسلمين بالاعتصام بحبله. والحبل في حقيقته ما يشد به للارتقاء. والمراد به-هنا-كتاب الله (القرآن). وروي عنه ﷺ أنه قال: " القرآن حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء".[4]

ويحتمل أن يكون الكلام من باب التمثيل لهيئة التفافهم واجتماعهم على كتاب الله. ويحتمل أن يكون من باب الاستعارة؛ استعارة الحبل للعهد والاعتصام للوثوق بالعهد[5]. والأول أرجح، لأن إضافة "حبل" إلى "الله" قرينة على هذا التمثيل. والحال في قوله "جميعا" ترجح إرادة التمثيل، إذ ليس المراد الأمر باعتصام كل مسلم بكتاب الله في حال انفراده، بل المراد باعتصام الأمة الإسلامية كلها. ويحصل ضمنيا اعتصام كل فرد من أفراد الأمة بالقرآن. فالأمر لهم أن يكونوا على تلك الهيئة، فإذا كانوا عليها أمنوا من السقوط، وكأن الآخذين بحبل الله قوم أو أمة على نشر من الأرض، يخشى عليهم السقوط منه، فأخذوا بحبل موثق جمعوا به قوتهم فامتنعوا من السقوط[6]. فالمسلمون إن اعتصموا بالقرآن وتمسكوا به كانوا آخذين بالإسلام وصاروا قوة عظيمة تهابها الأمم الكافرة.

ويلحق بهذه الصورة قوله: ﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾.[7]

الظاهر من البنية السطحية للجملة أن الأمر لبني إسرائيل، لأن هذه الجملة معطوفة على مضمون النداء (جملة الأمر)-في الآية السابقة-وقيل: الأمر لكعب بن الأشرف وأصحابه من علماء اليهود ورؤسائهم[8]. والظاهر اتحاد المأمور، ويندرج فيه كعب ومن معه[9].

---

(1)ينظر، الطبري، جامع البيان، 485/2، وابن عطية، المحرر الوجيز، 333/2، ونظام الدين النيسابوري، غرائب القرآن، ضبط وتخريج زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1، 1996، 656/2.

(2)آل عمران، 103.

(3)ينظر ، الفراء، معاني القرآن، 228/1.

(4) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح، 159/5، (كتاب فضائل القرآن).

(5)ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 21/3.

(6)ينظر، محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، 20/4.

(7)البقرة، 41.

(8) ينظر، البغوي، معالم التنزيل، تحقيق خالد عبد الرحمن العك، ومروان سوار، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1987، 67/1، وأبو حيان، البحر المحيط، 332/1.

(9)ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 332/1.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وفي تعليق الأمر باسم الموصول "ما" في قوله: "بما أنزلتُ"، أي الذي أنزلت. والعائد محذوف تقديره: أنزلته، أي أنزلته دون غيره نحو القرآن، أو هذا الكتاب. وفيه إشارة إلى تعليل الأمر بالإيمان به، وهو أنه منزّل من الله. وبنوا إسرائيل قد أوصوا بالإيمان بكل كتاب مثبت أنه منزل من الله، لما فيه من التوحيد والنبوة، ولهذا جيء بالحال المؤكدة "مصدقا" التي هي علة الصلة، إذ جعل كون القرآن مصدقا ومؤيدا لما في التوراة علامة على أنه من عند الله. وهذه العلامة الربانية لأهل العلم من أهل الكتاب؛ فكلما جعل ﷺ الإعجاز اللغوي علامة على كون القرآن من عند الله لأرباب الفصاحة والبيان من العرب، كذلك جعل الإعجاز المعنوي، وهو اشتماله على الهدى الذي هو شأن الكتب السماوية علامة مميزة على أنه من عنده لأهل الدين.

والإيمان بالقرآن يتطلب الإيمان بالذي جاء به وبالذي أنزله. والمقصود بقوله: "لما معهم": التوراة وكتب الأنبياء السابقة. ومعلوم أن الله تعالى إنما ذكرهم بما معهم، ليكون حجّة عليهم في وجوب الإيمان بمحمدﷺ وبما جاء به.

ويلحق بهذه الصورة قوله: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾. (1)

تختلف هذه الجملة عن سابقتها –من هذه الصورة– في تعدد الحال بواسطة العطف، وفي حذف المتعلق "الجار والمجرور"، والتقدير: انفروا للقتال خفافا وثقالا.

الخطاب للمؤمنين الذين سبق عتابهم بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾. وقد أمروا بالنفير في سبيل الله.

و"انفروا" بمعنى: اخرجوا للحرب، ومصدره النفْر– بإسكان الفاء– بخلاف نفَر، ينفُر –بضم العين– في المضارع، فمصدره النفور[2]. والمراد–هنا–الحث على الجهاد والدعوة إليه. ومنه قول النبي ﷺ: "إذا استنفرتم فانفروا"[3]. فهو أمر للمسلمين بالخروج جميعا لملاقاة العدو"خفافا" و"ثقالا". والخفاف والثقال –هنا–مستعاران لما يشابههما من أحوال الجيش، فالخفة تستعار للإسراع إلى القتال. وكانوا يتمادحون بذلك لدلالتها على الشجاعة. والثقل الذي يناسب هذا هو الثبات أمام العدو. وقد تستعار الخفة لمن يمكنه السفر بيسر[4]. وقد تستعار لقلة عدد الجيش، كما تستعار للنشاط، والثقل لغيره.

وكل هذه المعاني تصلح للمراد من الجملة. ولما وقع "خفافا"و"ثقالا" حالا من المسند إليه في "انفروا" كان احتمال أن تكون الحال مقدرة، والواو العاطفة لإحدى الصفتين على الأخرى للتنويع أو التقسيم؛ فهي بمعنى "أو" المفيدة للتخيير. والمراد الأمر بالنفير في جميع الأحوال، فهو أمر بالنفر العام مع رسول الله عام

(1) التوبة، 41.

(2) ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 224/5، (نفر).

(3)رواه البخاري في صحيحه، 285/3، (باب وجوب النفير).

(4)ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 46/5.

غزوة تبوك لقتال أعداء الله من الروم والكفرة من أهل الكتاب. وقد نزلت في الذين اعتذروا بالضيعة والشغل، فأبى الله أن يقبل عذرهم دون أن ينفروا على ما كان من حالهم[1]، ولذلك ينصرف الأمر إلى الوجوب.

ونظير هذه الجملة قوله: ﴿أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾[2].

الخطاب للمنافقين بدلالة سياق الآية. والمعنى: أنفقوا أموالكم في سبيل الله–أيها المنافقون–طائعين أو مكرهين. وفي معنى الأمر توبيخ وتهديد.

وقد يتكرر العامل في الحال كما في قوله: ﴿فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا﴾[3].

تكرر المسند و المسند إليه "واو الجماعة" في "انفروا"، وهذا لتأكيد الخطاب، لأنه يصح أن يستغنى عن هذا التكرار، فيقال: انفروا ثبات أو جميعا. وانتصب "ثباتٍ" على الحال. ويذكر عن ابن عباس أنه قال: إنّ معنى "انفروا ثبات": سرايا متفرقين[4]. وعطف عليه "جميعا"، بمعنى: جيشا واحدا. والإتيان بـ"أو" العاطفة لإفادة التخيير، أي: اخرجوا مع رسولكم إلى الجهاد جماعة جماعة، وسرية سرية، أو كتيبة واحدة مجتمعة.

الصورة الرابعة عشرة: مسند + مسند إليه + مفعول به + حال.

من هذه الصورة قوله تعالى: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾[5].

الأمر لبني إسرائيل بقرينة المقام والسياق. وجملة الأمر هذه معطوفة على جملة: "ادخلوا هذه القرية" –في هذه الآية– والمراد بالقرية المشار إليها بيت المقدس[6].

والمفعول به "الباب" مراد به باب القرية التي أمروا بدخولها، لأن "ال" متعينة للعوضية عن المضاف إليه الدال عليه اللفظ المتقدم في الجملة المعطوف عليها. و"سجداً" حال من الضمير (المسند إليه) في "ادخلوا". والظاهر أن المقصود من السجود مطلق الانحناء لإظهار الضعف لكي لا يتنبه لهم أهل القرية. وهذا من أساليب الجوسسة. ويبعد احتمال أن يكون السجود المأمور به شكرا لله، لأنهم دخلوا متحسسين لا فاتحين.

(1) ينظر، الواحدي، أسباب النزول، ص207،208.

(2)التوبة، 53.

(3)النساء، 71.

(4)ينظر، تنوير المقباس، ص74.

(5)البقرة، 58.

(6)ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 306/1، والماوردي، 125/1.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وقد ورد عن رسول اللهﷺأنه قال: "قيل لبني إسرائيل: ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة، فبدلوا ودخلوا يزحفون على أستاههم، وقالوا حبّة في شعرة "[1]. وكان قصدهم من قولهم هذا خلاف ما أمرهم به نبيهم موسى عليه السلام فهم قد بدلوا وصيته[2]، ودخلوا زاحفين على ركبهم عنادا.

وتبديل القول بغيره أدل على المخالفة والعصيان، فكأنه قيل: إنهم خالفوا الأمر خلافا لا يقبل التأويل، وكانوا بذلك من القوم الفاسقين.

ويلحق بهذه الصورة قوله: ﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾[3].

الخطاب في هذه الجملة فيه خلاف، أهو للأزواج أم للأولياء؟ قال الفراء: إن الأمر مخاطبة للأولياء[4]. وقال البغوي وآخرون: مخاطب به الأزواج، ويدل بعمومه على أن هبة المرأة صداقها جائز، وبه قال جمهور الفقهاء[5]. وقيل: إنّ سبب نزول الآية أن قوما تحرجوا أن يرجع إليهم شيء مما دفعوا إلى الزوجات[6].

هذه الجملة شرطية جوابها "فكلوه هنيئا مريئا"، ولذلك ارتبط الجواب بالفاء. و"هنيئا" و "مريئا" حالان من الضمير المنصوب في "كلوه"، أي: فكلوه وهو هنيء ومريء، أي: لا تنغيص فيه. وتعدد الحال يدل على المبالغة في الإباحة. وقال سيبويه: هما صفتان نصبوهما نصب المصادر المدعو بالفعل غير المستعمل إظهاره المختزل للدلالة التي في الكلام عليه، كأنهم قالوا: ثبت ذلك هنيئا مريئا[7].

والضمير في "منه" عائد على الصداق –في الآية–فيكون متناولا بعضه، لأن "من" تدل على البعضية. ولو وقع الضمير موقع "صدقاتهنّ" لكان جائزا. قال الزمخشري: "ويجوز أن يكون تذكير الضمير لينصرف إلى الصداق الواحد، فيكون متناولا بعضه. ولو أنثّ لتناول ظاهره هبة الصداق كله، لأن بعض الصدقات واحدة منها فصاعدا".[8] وقال أبو حيان: "حسن تذكير الضمير، لأن معنى "فإن طبن"، فإن طابت كل واحدة، فلذلك قال: "منه"، أي: من صداقها"[9].

ومعنى الجملة: فإن طابت أنفسهن لكم بشيء من الصداق فانتفعوا به حلالا. والأمر على سبيل الإباحة.

ويلحق بهذه الصورة قوله: ﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ﴾[10].

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، 480/4، (كتاب أحاديث الأنبياء)، ومسلم، 2312/4، (كتاب التفسير).

(2) ينظر، الفراء، معاني القرآن، 38/1، والقرطبي، الجامع، 411/1.

(3)النساء،4.

(4)ينظر، معاني القرآن، 256/1.

(5)ينظر، معالم التنزيل، 392/1، وابن الجوزي، زاد المسير، 10/2، والقرطبي، الجامع، 24/5.

(6)ينظر، الطبري، جامع البيان، 585/4.

(7)ينظر، الكتاب، 316/1،317.

(8)الكشاف، 499/1.

(9)البحر المحيط، 174/3،175.

(10)الحج، 36.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

انتصب "صوافّ" على الحال من الضمير المجرور في "عليها". ولعلّ فائدة هذه الحال ذكر محاسن من مشاهدة البدن، وهي الإبل العظيمة البدن. فإن إيقاف الناس بدنهم للنحر وهي منتظمة مما يزيد هيبتها روعة وجلالا.

و"صواف": قراءة الجمهور -بفتح الفاء وشدها- من صَفّ، يصُفُّ، وواحدة صواف، جمع صافة[1]، يقال: صف إذا كان مع غيره صفا بأنه اتصل به[2]. ولعل المسلمين كانوا يصفون الإبل في المنحر يوم النحر بمنىً؛ لأنه كان بمنىً موضع أعد للنحر، وهو المنحر، أو أنها كانت تعقل منها قائمة واحدة، وتُصَفُّ على ثلاث فتنحر وهي كذلك[3]. وقرأ الحسن: "صوافيَ" جمع صافية[4]، أي: خوالص لوجه الله[5]. وقرأ الحسن -أيضا-: "صوافٍ" على قول من قال: فكسوت عارٍ لحمه، يريد عاريا، ونحو مثل العرب: "اعط القوس باريها"[6]. وعن عمرو بن عبيد: "صوافناً" بالتنوين عوضا عن حرف الإطلاق عن الوقف[7]. وقرأ ابن مسعود، وابن عمر، وابن عباس، والأعمش: "صَوَافِنَ" بفتح النون[8]، جمع صافنة، والصوافن من صفون الفرس، وهو القائم على ثلاث قوائم[9].

والأمر بذكر اسم الله: أن يقال عند النحر أو الذبح: بسم الله والله أكبر، اللهم منك وإليك[10]. وهو أمر ظاهره الوجوب، وقد أخذ بظاهره بعض الأئمة والعلماء، فأوجبوا التسمية على الذبيحة[11]. والأصح أنها مندوبة، والأمر مؤول على الندب أو الاستحباب[12].

ومعنى الجملة: اذكروا اسم الله على البدن حين نحركم إياها قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن.

<u>الصورة الخامسة عشرة</u>: مسند + مسند إليه + مفعول به أول + مفعول به ثان + حال.

من هذه الصورة قوله تعالى: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾[13].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 281/10.

(2) ينظر ، ابن منظور، لسان العرب، 194/9، (صفف).

(3) ينظر، الطبري، جامع البيان، 153/17.

(4) ينظر، الفراء، معاني القرآن، 226/2، والقرطبي، الجامع، 61/12.

(5) ينظر، المصدر السابق، 226/2، والطبري، جامع البيان، 154/17.

(6) ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 342/6.

(7) ينظر، الزمخشري، الكشاف، 15/3، والرازي، مفاتيح الغيب، 32/23.

(8) ينظر، الفراء، معاني القرآن، 226/2، والقرطبي، الجامع، 62/12.

(9) ينظر، ابن فارس، مجمل اللغة، 535/2، (صفن).

(10) ينظر، الطبري، جامع البيان، 153/17، والزمخشري، الكشاف، 14/3.

(11) ينظر، ابن قدامى، المغني، دار الكتاب العربي، بيروت، 1983، 32/11،33، وابن حزم، المحلى بالآثار، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، (د.ت)، 128/6، وجابر الجزائري، أيسر التفاسير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، السعودية، ط2، 1996، 477/3.

(12) ينظر، وهبة الزحيلي، التفسير المنير، 220/17.

(13) النساء، 4.

فعل الأمر تعدى إلى مفعولين ليس أصلها المبتدأ والخبر، وهما: "النساء" و "صدقاهن" المضاف إلى الضمير "هن". أما "نحلة" فحال من "صدقاهن". وإنما صح مجيء الحال المفردة وصاحبها جمع، لأن المراد هذا المفرد الجنس الصالح للأفراد كلها[1].

ويجوز أن يكون "نحلة" منصوب على المصدرية لـ "آتوا"، لبيان النوع من الإيتاء، لأن النحلة والإيتاء بمعنى الإعطاء، فكأنه قيل: وانحلوا النساء صدقاهن نحلة[2].

ومعنى "نحلة" –بكسر النون–لغة: عطية، ونحل المرأة مهرها، تقول أعطيتها نحلة، إذ لم ترد منها عوضا[3]. وسميت الصدقات "نحلة" إبعادا للصدقات عن أنواع الأعواض، إذ ليس الصداق عوضا عن التمتع بالمرأة؛ فهو عقد بينها وبين الرجل. والقصد منه المعاشرة، وإيجاد أواصر المحبة وتبادل الحقوق.

والمخاطب بالأمر في امتثال هذا الإيتاء هو كل من له دور في العمل بذلك؛ فهو خطاب لكل من له يد من الأزواج والأولياء وولاة الأمور الذين لهم سطوة في الضرب على أيدي ظلمة الحقوق أصحاها. والمقصود بالخطاب أولا هم الأزواج[4]، لكيلا يحتجوا أو يتذرعوا بحياء أزواجهن وضعفهن، فيأخذوا مهورهنّ أو يجعلوا حاجتهن للتزوج قصد إيجاد ذريعة لإسقاط المهر. وقال بعض العلماء: الخطاب لأولياء النساء، لأن عادة بعض العرب أن يأكل ولي المرأة مهرها، فرفع الله ذلك بالإسلام[5]. وأوجب عليهم إيتاءهن ما فرض لهن، وأحل للأزواج كل ما طاب نساؤهم عنه نفسا[6].

وفي الأمر دلالة على وجوب الصداق للمرأة، وعدم الأخذ منه إلا عن طيب نفس. والمعنى: اعطوا النساء مهورهن فريضة، لأن المهر نحلة من الله تعالى للنساء، حيث لم يوجب عليهن وأوجب لهن تكرما.

ومن هذه الصورة –أيضا– قوله: ﴿فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾[7].

الأمر للرجال، وذلك بأن يعطوا النساء أجورهن فريضة. وقوله "فريضة" حال من المفعول به "أجورهن"، بمعنى: مفروضة، أو مصدر (مفعول مطلق)، أي: فرض ذلك فريضة.

وهذه الجملة جملة جواب الشرط، وجملة الشرط –في هذه الآية– في قوله:﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ﴾.

ولذلك قرن الجواب بالفاء. والاستمتاع: الانتفاع أو التلذذ، والمراد: التلذذ بالجماع من النساء بالنكاح الصحيح. والأجور: المهور، ويسمى المهر أجرا، لأنه أجر الاستمتاع، وذلك دليل على أنه في مقابلة البضع،

(1)ينظر، ابن هشام، شرح شذور الذهب، ص 325.

(2) ينظر، العكبري، التبيان في إعراب القرآن، 329/1.

(3)ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 650/11، (نحل).

(4)ينظر، السمرقندي، بحر العلوم، 332/1، والواحدي، الوسيط، 9/2، والقرطبي، الجامع، 23/5.

(5)ينظر، الفراء، معاني القرآن، 256/1، والسمرقندي، بحر العلوم، 332/1.

(6)ينظر، الشافعي، أحكام القرآن، 140/1.

(7)النساء، 24.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

لأن ما يقابل المنفعة يسمى أجرا. والمعنى: فما استمتعتم بشيء منهن فآتوهن أجورهن؛ فلا يجوز استمتاع بهن دون مهر.

ويلحق بهذه الصورة قوله: ﴿وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾[1].

الخطاب بدلالة سياق الآية لولاة الإماء (السادة)، ليعطوا مهور ما ملكت أيمانهم بغير مطل وضرار. ويدل الأمر على وجوب المهر في النكاح، وأنه للإماء بحكم النص. ويؤكد هذا إضافة الأجور إليهن، فهو دليل على أن الأمة أحق من مهرها من سيدها.

والحال في قوله: "محصنات" حال من ضمير الإماء، والإحصان التزوج الصحيح، فهي حال مقدرة، أي: آتوهن أجورهن في حال تزويجهن ليصرن محصنات، لا في حال سفاح، ولا اتخاذ خدن[2].

فقد استثنى القرآن المسافحات في قوله: "غير مسافحات"، فـ "غير" صفة للحال، وكذلك ولا "متخذات أخدان". فأراد التشنيع بما كانت تفعله الإماء في الجاهلية بإذن مواليهن لاكتساب المال بالبغاء؛ فقد كان منهن المسافحات، أي: الزواني في العلانية، والمتخذات أخدان، اللاتي لهن أصدقاء على الفاحشة.

ويلحق بهذه الصورة كذلك قوله:﴿أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾[3].

الذين" قالوا أرنا الله جهرة" هم اليهود بدلالة السياق. وقد سألوا نبيهم موسى ذلك من قبل.وقد أخرج ابن جرير الطبري عن ابن جريج، قال: إن اليهود والنصارى قالوا: لمحمد ﷺ "لن نبايعك على ما تدعونا إليه حتى تأتينا بكتاب من عند الله إلى فلان إنك رسول الله، وإلى فلان بكتاب أنك رسول الله"[4]. وهكذا ذكروا أسماء معينة من أحبارهم، ومقصدهم من وراء ذلك إلا التعنت لا طلب الحجّة لأجل الإقناع. وأخبر الله رسوله محمدا بأن اليهود "سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة"-الآية-.

وقدر العلماء قبل هذه الجملة كلاما محذوفا، فجعله الزمخشري شرطا هذا جوابه، وتقديره: "إن استكبرت ما سألوه منك، فقد سألوا موسى أكبر من ذلك" [5].وقدره ابن عطية:"فلا تبالي يا محمد عن سؤالهم وتشططهم، فإنها عادتهم، فقد سألوا موسى" [6]. وأسند السؤال إليهم، وإن كان إنما وقع من نقبائهم السبعين، لأنهم راضون ومقتنعون بفعل آبائهم ومضاهين لهم في التعنت والتحير[7]. فهم لما سألوا موسى

(1)النساء، 25.

(2) ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 232/3.

(3)النساء، 153.

(4)جامع البيان، 346/6.

(5)الكشاف، 577/1.

(6) المحرر الوجيز، 277/4،278.

(7)ينظر، الزمخشري، الكشاف، 577/1.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أن يريهم الله جهرة ما أرادوا التنعم بالمشاهدة، ولكنهم أرادوا عجبا يشاهدونه، فلذلك قالوا تلك المقولة، ولم يقولوا: يا ليتنا نرى ربنا.

ودل الحال "جهرة" على أنهم سألوا موسى أن يريهم الله علناً، فهو حال من المسند إليه (الفاعل) في "أرنا"، أي حال كونك مجاهرا لنا في رؤيته.

الصورة السادسة عشرة: ظرف زمان + مسند + مسند إليه + (واو الجماعة) + مفعول به.

تبرز هذه الصورة في الجملة الآتية:

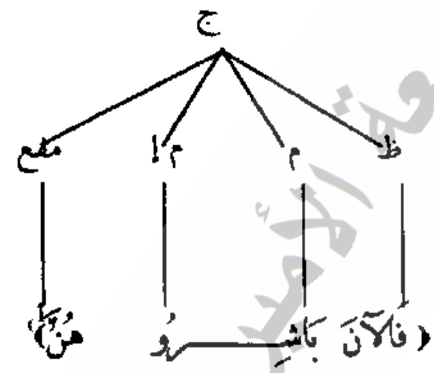

تقدم ظرف الزمان "الآن" عن المسند والمسند إليه، والأصل: باشروهن الآن. وظرف الزمان "الآن" لا يقيس زمنا مستقلا بنفسه، بل ينص على زمن حدوث الفعل عن طريق الاحتواء[2]. ولا يراد به الوقت الحاضر بالحقيقة، بل يشير إلى زمن نزول الحكم الشرعي وما بعده[3]. وقد جوز ابن مالك بقاء فعل الأمر المقرون بـ "الآن" مستقبلا[4]. وليس كما ذهب بعضهم من أن صيغة الأمر-هنا-مفرغة من الزمن، أو أنها خلو من الدلالة على الزمن البتة[5]. فظرف الزمان "الآن" لا يشير إلى تشريع المباشرة حينئذ كما يفهم من دلالته الزمنية، بل معناه: فالآن اتضح الحكم الشرعي فباشروهن.

ففي الجملة ترخيص في مباشرة النساء في شهر رمضان ليلا. والمباشرة كناية عن الجماع، وسميت المجامعة مباشرة للملاصقة بشرة كل من الزوجين بشرة صاحبه، وتدخل فيه المعانقة والملامسة[6].

وذكر العلماء لسبب نزول هذه الآية كلاما مضطربا، أشهره ما ورد في كتاب التفسير من صحيح البخاري عن حديث البراء بن عازب، قال: "لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله، وكان الرجال يخونون أنفسهم، فأنزل الله تعالى: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾"[7].

---

(1)البقرة، 187.

(2)ينظر، تمام حسان عبد الجبار، القرائن المعنوية في النحو العربي، ص136.

(3)ينظر، الزركشي، البرهان، 247/4.

(4)ينظر، شرح التسهيل، تحقيق، عبد الرحمن السيد، ومحمد بدوي المختون، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1990، 21/1.

(5)ينظر، مالك يوسف المطلبي، الزمن واللغة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1986، ص123.

(6)ينظر، الواحدي، الوسيط، 286/1، والبغوي، معالم التنزيل، 157/1، وابن عطية، المحرر الوجيز، 124/2.

(7)أخرجه البخاري في الصحيح، 186/5، (كتاب تفسير القرآن).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ومعنى الجملة: جامعوا نساءكم حلالا لكم في ليالي رمضان. والأمر يفيد الإباحة.

الصورة السابعة عشرة: مسند + مسند إليه + جار ومجرور + نائب مفعول مطلق + ظرف مكان +مضاف إليه (جملة فعلية).

وردت هذه الصورة في قوله تعالى: ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾(1).

فعل الأمر "كُلاَ" الذي اتصلت به ألف الاثنين (المسند إليه) المخاطب به آدم وحواء دليل على أن الخطاب لهما بعد وجود حواء. والجار والمجرور "منها" متعلق بالفعل، والضمير "ها" عائد إلى "الجنة"-في الآية- في قوله: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾.والتقدير: وكُلَا من ثمارها.

والصفة "رغدا" تنوب عن المفعول المطلق، أي: كُلا منها أكلا رغدا. فحذف الموصوف "أكلا"، وأقيمت الصفة مقامه(2).وقيل "رغدا" مصدر وضع موضع الحال(3)، وذلك من قوله: "أكْلا"، والتقدير: وكُلَا حالة كون الأكل رغدا. والمراد الهنيء الذي لا عناء فيه.و"حيث" ظرف مكان على حقيقته، والعامل فيه الفعل، وهو مبهم يحتاج إلى جملة تضاف إليه، وتمثلت في قوله: "شئتما".

والمعنى: كُلا الأكل الرغيد من أي موضع من الجنة أردتما الأكل منه. والأمر على سبيل الإباحة؛ فلم يحظر عليهما مأكولا إلا ما وقع النهي عنه.

ويماثل هذه الجملة قوله: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾(4).

الخطاب لبني إسرائيل بدلالة السياق. والضمير المجرور في قوله: "منها" عائد إلى القرية المشار إليها -في هذه الآية- في قوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا...﴾.

ونظير هذه الجملة قوله: ﴿فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾(5).

تختلف هذه الجملة عن سابقتها في شيئين:

أحدهما: إن العطف في السابقة تم بالواو، وهنا تم بالفاء. وقد عرض الرازي لهذا النوع من العطف عند تفسيره للآية (35)، فيقول: "وعطف "كُلا" على قوله: "اسْكُنْ" في سورة البقرة بالواو وفي سورة الأعراف بالفاء"(6). والذي دفعه إلى هذا الفرق هو وضع قاعدة في العطف السببي(7)، حيث يقول: "كل فعل عطف عليه شيء، وكان الفعل بمنزلة الشرط، وذلك الشيء بمنزلة الجزاء عطف الثاني على الأول بالفاء دون الواو،

---

(1)البقرة، 35.

(2) ينظر، العكبري، التبيان في إعراب القرآن، 52/1.

(3) ينظر، المصدر السابق، 52/1، وأبو حيان، البحر المحيط، 309/1.

(4)البقرة، 58.

(5)الأعراف، 19.

(6) مفاتيح الغيب، 5/3.

(7)ينظر، محمد خطابي، لسانيات النص، ص172.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

كقوله تعالى: "وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا...". فعُطف كلوا على ادخلوا بالفاء لما كان وجود الأكل منها متعلقا بدخولها، فكأنه قال: إن أدخلتموها أكلتم منها، فالدخول موصل إلى الأكل، والأكل متعلق وجوده بوجوده، [في حين أن] الأكل لا يختص وجوده بوجوده، [أي السكن]...فلما لم يتعلق الثاني بالأول تعلق الجزاء بالشرط وجب العطف بالواو دون الفاء "[1].ويرى محمد خطابي أن ما "يستفاد من هذا أن الرازي يفرق بين العطف السببي الذي يتم بالفاء (وهو السببي حقا)، وبين العطف بالواو دون أن يكون سببيا، فرغم أن الواقعة في السورتين معا هي هي إلا أنها في البقرة معطوفة بالواو، وفي الأعراف بالفاء، والذي رشح الثاني للسببية هو ورود الفعل الثاني معطوفا بالفاء"[2].

ثانيهما: قدم نائب المفعول المطلق "رغدا" هناك على الظرف، وهنا قدم الظرف عليه، والمعنى فيهما واحد. وأما تقديم الرغد هناك فظاهر، لأنه من صفات الأكل، فناسب أن يكون قريبا من عامله، ولا يؤخر عنه، ويفصل بينهما بظرف، وإن لم يكن فاصلا مؤثرا لَمَنعَ اجتماعهما في المعمولية لعامل واحد. وأما هنا فإنه أخّر لمناسبة الفاصلة[3].

والأمر بالأكل على سبيل الإباحة. وفي معنى الأمر إشارة إلى الثمار الكثيرة هناك.

الصورة الثامنة عشرة: مسند + مسند إليه + مفعول به + جملة تعليلية (حتى + جملة مضارعية).

يمثل هذه الصورة قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [4].

جملة "حتى لا تكون فتنة" تعليلية بـ: "حتى". وترى المدرسة البصرية أن الناصب للمضارع بعد "حتى"هو "أنْ" إلا أنها لا تظهر. ودليلهم أن "حتى" غير ناصبة، وأن "أنْ" هي الأصل في العمل، وهذا رأي أكثر نحاتها[5].أما الفراهيدي والكوفيون فيرون أن الفعل المضارع منصوب بـ: "حتى" دون تقدير "أنْ"، فهي الناصبة بنفسها[6].

وإذا احتكمنا إلى الواقع اللغوي الوارد في النصوص القرآنية لوجدنا أن البنية السطحية تتكون من (حتى + فعل مضارع منصوب). فالمضارع وقع بعد "حتى"منصوبا، فلم القول بإضمار "أنْ" وإلغاء عمل "حتى"؟.وإذا كان أغلب أعلام البصرة يرون ما ذهبوا إليه بمسألة اختصاص الأدوات العاملة، فإنّ الواقع اللغوي

---

(1)مفاتيح الغيب، 5/3.

(2)لسانيات النص، ص172.

(3)ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 383/1.

(4)البقرة، 193، والأنفال، 39.

(5)ينظر، سيبويه، الكتاب، 6/3، والمبرد، المقتضب، 38/2، والأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، وضع هوامشه حسن حمد، بإشراف، إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998، 121/2،122، والمرادي، الجنى الداني، تحقيق فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1992، ص543.

(6)ينظر، الجمل في النحو، تحقيق فخر الدين قباوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1985، ص48، والأنباري، الإنصاف، 121/2،122.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

لا يعرف وجها لهذا الاختصاص، ولا يقبل هذا الالتزام؛ فرأيهم في حقيقة الأمر لا يقبله الواقع اللغوي، بل يثبت خلافه؛ فما لا يحتاج إلى تقدير أولى مما يحتاج.

ومن هنا نرى أن المذهب الكوفي أكثر واقعية. وهذا ما ذهب إليه صاحب كتاب الرد على النحاة[1].

والأداة "حتى"-هنا-تدل على الغاية والتعليل، فهي بمعنى "إلى"[2]، كما ترادف "كي" التعليلية[3].

والمضارع بعدها دالّ على ترتب الغاية في المستقبل[4]، فيكون ما بعدها داخلا في حكم ما قبلها[5]. وإذا انتهت الفتنة، فتلك غاية القتال. والفتنة إلغاء الخوف، واضطراب أمر الناس. والمقصود-هنا-ألا تكون فتنة من المشركين، لأن الله جعل انتفاء الفتنة غاية لقتالهم.

ودلالة الجملة على ما ذهب إليه جمهور علماء الأمة من أن قتال المشركين واجب حتى يدخلوا في الإسلام[6]، لأن الأمر بالقتال إنما هو دفاع لأذى المشركين، وتضييق عليهم لمنع الفتنة.

والمعنى: قاتلوهم حتى تظهروا عليهم، فلا يفتنوكم عن دينكم. فتكون غاية القتال إزالة الكفر، لأن الواجب في قتال الكفار أن يكون القصد زوال الكفر.

ويلحق بهذه الصورة قوله: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[7].

ظاهر التركيب أن الذين أمر الله بقتالهم ثبتت لهم دلالات الأفعال المضارعية الثلاثة المتعاطفة في صلة الموصول، وأن البيان الواقع بعد الصلة بقوله: "مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ" عائد إلى الموصول لكونه صاحب تلك الصلات، فيقتضي أن المأمور بقتالهم هم أهل الكتاب الذين انتفى عنهم الإيمان بالله واليوم الآخر، وتحريم ما حرم الله، والتدين بدين الحق. ولو أنهم يؤمنون بالله واليوم الآخر، ويحرمون بعض ما حرمه الله، ولكنهم لا يدينون بدين الحق، وهو الإسلام. وفي معنى هذه الجمل المتعاطفة تشنيع عليهم بأنهم أوتوا الكتاب، ولم يدينوا بدين الحق الذي جاء به كتابهم، وإنما دانوا بما حرفوه منه، لأن كتابهم الذي أوتوا أوصاهم باتباع النبي الآتي من بعد.

والجملة الغائية "حتى يعطوا الجزية" تحدد نهاية القتال، أي يستمر قتالكم إياهم إلى أن يعطوا الجزية. فقتال أهل الكتاب واجب حتى يدخلوا في حكم الإسلام.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1)ينظر، ابن مضاء، الرد على النحاة، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط2، 1982، ص123.

(2)ينظر، الزجاجي، الجمل في النحو، تحقيق علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5، 1996، ص191.

(3)ينظر، المصدر السابق، ص191.

(4)ينظر، الاستراباذي، الكافية لابن الحاجب، 242/2.

(5)ينظر، المصدر السابق، 242/2.

(6)ينظر، ابن العربي، أحكام القرآن، 109/1– 110، الرازي، مفاتيح الغيب، 113/5، وابن عاشور، التحرير والتنوير، 208/2، 347/9.

(7)التوبة، 29.

والمسند إليه "واو الجماعة" المتصل بالمسند "يعطوا" عائد إلى "الذين أوتوا الكتاب". وقد ارتبط بالمفعول به "الجزية". والجزية: الخراج المعلوم الذي يدفعونه جزاء ما منحوا من الأمن[1]. والجار والمجرور "عن يد" يتعلق بحال، أي: يدفعونها بأيديهم ولا يقبل منهم إرسالها.

والجملة الاسمية "وهم صاغرون" حال من ضمير "يعطوا" أي: يعطونها أذلاء غير ممتنعين. وهذه حال لازمة لإعطاء الجزية عن يد. والمقصود تعظيم أمر الحكم الإسلامي، وتحقير شأن أهل الكفر، ليكون ذلك ردعا لهم في الانخلاع عن دينهم الباطل، واتباع دين الحق الذي ارتضاه الله لعباده.

ويلحظ أن هذه الجملة تميزت بالطول بسبب تعدد العطف، وقد استخدم لتوضيح المعنى. وطول الجملة في السور المدنية سمة غالبة، وذلك لأنها تشتمل على أحكام تشريعية. وكان من البلاغة الإطالة، لأن الإطناب في مقام الإطناب لازم.

ويلحق بهذه الصورة —كذلك– قوله: ﴿...فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾[2].

جملة الأمر جواب الشرط في قوله: ﴿فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى...﴾، ولذلك ارتبطت بالفاء وجوبا لتغاير الجملتين. والأمر للوجوب، وذلك بقتال الطائفة التي وصفت بالباغية، لأن هذا حكم بين الخصمين المتقاتلين. والقضاء بالحق واجب لوقف الاقتتال، لأن ترك الفئة الباغية يجر إلى استمرارها في البغي وإضاعة حقوق المبغي عليها في الأنفس والأغراض والأحوال. وهذا الأمر واجب وجوب كفاية. ويتعين بتعيين الإمام جيشا يوجهه لقتال الطائفة الباغية، إذ لا يجوز أن يلي قتال البغاة الأئمة أو الخلفاء وولاتهم[3]. وقد يلتبس أمر الباغية بين الطائفتين المتناحرتين، لأن أسباب القتال قد لا يهتم بها في أول الأمر، فلا تعرف الباغية منهما، فعندئذ يكون الإصلاح مزيحا للغموض واللبس، بحيث لو امتنعت إحداهما نسب البغي لها، وقوتلت حتى تفيء إلى أمر الله.

وجعلت جملة الأمر مذيلة بجملة غائية مفيدة للتعليل، والتقدير: قاتلوا الطائفة الباغية كي تفيء إلى أمر الله. وأمر الله هو ما في شرعه من العدل والكف عن الظلم والاعتداء.

والمعنى: قاتلوا —أيها المؤمنون– الطائفة التي تعتدي وتأبى الإجابة إلى حكم الله حتى تعود إليه وتخضع مستجيبة طائعة له.

وبقية الصورة في التوبة، (24)، والطلاق، (6).

الصورة التاسعة عشرة: مسند+ مسند إليه+ مفعول به+ ظرف مكان+مضاف إليه(جملة فعلية).

وردت في قوله تعالى: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾[4].

---

(1)ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 460/6، وأبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير، 358/2.

(2)الحجرات، 9.

(3)ينظر، القرطبي، الجامع، 317/16، 318، 319.

(4)البقرة، 191، والنساء، 91.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ضمير المفعول به "هم" عائد إلى "الذين يقاتلونكم"-في الآية السابقة من سورة البقرة-وهم المشركون. وهذا أمر بقتلهم. وفي إضافة الظرف "حيث" إلى المضاف إليه "ثقفتموهم" دلالة على إباحة قتلهم في كل موقع. فيكون المسلمون مأذونين بذلك، فكل مكان يحل فيه العدو فهو موضع قتال. وقد يدل على الوجوب إذا ظهرت مصلحة عظيمة استدعت ضرورته كنكثهم للإيمان من بعد عهدهم وطعنهم للدين.

والمعنى: واقتلوهم حيث لقيتموهم إن قاتلوكم. وفي هذا الأمر تهديد للمشركين.

ويماثل هذه الصورة -أيضا- قوله: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾[1].

هذه الجملة شرطية، وجوابها أمر. والأمر بالقتال-هنا-للإذن والإباحة، بشرط ألاّ يكون لقتال خلال الأشهر الحرم.وقد بقيت حرمة الأشهر الحرم ما بقي من المشركين لمصلحة الفريقين[2]. فلما آمن كل العرب يومئذ بطل حكم تحريم القتال فيها.

وقد يأتي الظرف "حيث" مجرورا كما في قوله: ﴿وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾[3].

ضمير المفعول به "هم" عائد على المأمورين بالقتال والإخراج-في الآية السابقة-في قوله: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾. والمراد هم المشركون. وفي المتعلق "من حيث أخرجوكم" إشارة إلى إخراجهم من مكة التي أُخرج منها المسلمون عنوةً. وهو أمر بالإخراج أمر تمكين من الله للمسلمين[4]. والمعنى: اخرجوا المشركين من مكة كما أخرجوكم منها. وقد امتثل الرسول ﷺ أمر ربّه، فأخرج من مكة من لم يسلم عند الفتح[5].

وجملة الأمر هذه معطوفة على الجملة السابقة-من هذه الآية-في قوله: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾. والمراد: افعلوا كل ما تيسر لكم من أمر القتل والإخراج في حق المشركين. وفي الأمر تهديد للمشركين ووعيد بفتح مكة.

ويأتي الظرف "حيث" مجرورا -كذلك- كما في قوله: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾[6].

المقصود من الأمر هو متعلق"أفيضوا"، أي: قوله: ﴿مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ .و"من" لابتداء الغاية. و"حيث" على أصلها من كونها ظرف مكان، وقد أضيفت إلى جملة مصدرة بماضٍ دلالة على أن الإفاضة

(1)التوبة، 5.

(2)ينظر، الألوسي، روح المعاني، 245/10.

(3)البقرة، 191.

(4)ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 74/2.

(5)ينظر، النسفي، مدارك التنزيل، 108/1، والشوكاني، فتح القدير، 242/1.

(6)البقرة، 199.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قد وقعت. وفي هذا المتعلق إشارة إلى عرفات، فيكون متضمنا الأمر بالوقوف بعرفة لا بغيرها إبطالا لعمل بعض قريش الذين كانوا يفيضون يوم الحج الأكبر من المزدلفة، وكان سائر المسلمين يفضون بعرفات[1]. فيكون المراد بالناس كل المسلمين عدا قريشا، وهذا شمل الخطاب بالأمر قريشا وجميع المسلمين.

ووردت بقية هذه الصورة وملحقاتها في البقرة، (149، 150، 222)، والنساء، (89)، والطلاق، (6).

الصورة العشرون: جملة أمر(مسند + مسند إليه)+ أداة عطف + جملة أمر (مسند + مسند إليه)+جملة غائية(حتى + جملة مضارعية).

وردت في موضوعين، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾[2].

الخطاب للمؤمنين بدلالة سياق الآية، وهو أمر لهم بالعفو والصفح عن أهل الكتاب. وهذا الأمر قد يخالف ما تميل إليه نفوسهم من حب الانتقام، ولكن أمروا به ليحملوا على مكارم الأخلاق.

ويشتمل التركيب على جملتين أمريتين، تتألف كل منهما من مسند ومسند إليه، وتربط بينهما أداة العطف "الواو" ربطا يبرز المماثلة البنيوية. وتتسم الجملتان بالاختصار لوضوح المعنى، والتقدير: فاعفوا واصفحوا عنهم، يعني أهل الكتاب. وبين العفو والصفح تقارب في المعنى، فالعفو: ترك مؤاخذة المذنب[3]. والصفح: ترك عقوبة المستحق[4]. يقال: صفحت عن فلان إذا أعرضت عن ذنبه[5]، وأوليته صفحة أخرى جميلة[6]. والصفح أبلغ من العفو، لأن الإنسان قد يعفو ولا يصفح[7].ولذلك عطف الأمر به على الأمر بالعفو.

ولعل الفرق بينهما يكمن في أن العفو ألا يكون في القلب من ذنب المذنب أثره، والصفح أن يبقى له أثر ما، ولكن لا تقع به المؤاخذة[8].

وجيء بجملة غائية "حتى يأتي الله بأمره" تتصدرها "حتى"، وهي-هنا-بمعنى "إلى" يتلوها فعل مضارع منصوب بـ"أن" مضمرة وجوبا[9]. أو منصوب بـ"حتى" على الرأي الكوفي-كما أشرنا آنفا-.

(1)ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 176/2، والواحدي، الوسيط، 304/1.

(2)البقرة، 109.

(3)ينظر، القرطبي، الجامع، 71/2.

(4)الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت، (د.ت)، 80/4.

(5)ينظر، القرطبي، الجامع، 71/2، والفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز، 421/3.

(6)ينظر، الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز، 421/3.

(7)ينظر، المصدر السابق، 421/3.

(8)ينظر، الزجاج، إعراب القرآن، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتب الإسلامية، ودار الكتاب المصري، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، ط2، 1982، 94/1.

(9)ينظر، ابن السراج، الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1988، 151/2.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قد أفادت هذه الجملة الغائية زمنا مستمرا؛ فالأمر يمتد من الحاضر إلى المستقبل، وينتهي عندما يأتي الله بأمره، أي: يجيء إليكم الأمر من الله سبحانه في شأنهم. وقيل: هو أمر بقتل بني قريظة وإجلاء بني النظير وإذلالهم بالجزية، وغير ذلك مما ورد من أحكام الشرع فيهم(1).

ويتضح من بنيتي الجملة أنه غاية مبهمة للعفو والصفح تأنيسا وتطمينا لخواطر المؤمنين المأمورين حتى لا ييأسوا من ذهاب أذى أهل الكتاب هدراً. وفي أمره تعالى بالعفو والصفح إشارة إلى أن المؤمنين على قلة عددهم هم أصحاب القدرة والهيمنة، لأن الصفح لا يكون إلا من القادر، فكأنه يقول لهم: لا تغرنكم كثرة أهل الكتاب مع طغيانهم، فأنتم على قلتكم أقوى منهم بما أنتم عليه من الحق، وأهل الحق مؤيدون بعون الله ورعايته، ولهم النصر ما ثبتوا عليه.

ووردت هذه الصورة- كذلك- في قوله: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾(2).

تتميز الجملتان الأمريتان بالإيجاز، فقد تم حذف مفعولي الفعلين المتعديين: "كلوا"، و"اشربوا" لوضوحهما وسهولة تقديرهما، إذ لا يجوز للمسلم أن يأكل أو يشرب إلا الحلال من الطعام والشراب. والأمر بالأكل والشرب للمسلمين، وهو أمر إباحة، وذلك في شهر رمضان.

وقد جيء في الجملة الغائية بـ"حتى" وبالمضارع "يتبين" للدلالة على أن الإمساك يكون عند اتضاح الفجر للناظر، وهو الفجر الصادق. والجملة الغائية "حتى يتبين لكم الخيط الأبيض ..." تحديد لنهاية وقت الأكل والشرب بدليل زمن الغاية الذي يمتد من زمن الفطور إلى غاية زمن الإمساك. وهذا الزمن هو ابتداء زمن الصيام، إذ ليس في زمان رمضان إلا صوم وفطر، وانتهاء أحدهما مبدأ الآخر.

وحرف الجر في قوله: "من الفجر" بيان للخيط الأبيض، واكتفى به عن بيان الخيط الأسود، لأن بيان أحدهما بيان للآخر. ويجوز أن تكون "من" مفيدة للتبعيض، لأنه بعض الفجر وأوله، أو ابتدائية بمعنى الشعاع الناشئ عن الفجر(3). فتكون الجملة قد حددت زمن إباحة الأكل والشرب، وهو يبدأ من غروب الشمس إلى طلوع الفجر. وحددت زمن وجوب الصيام، وهو من طلوع الفجر إلى غروب الشمس.

الصورة الحادية والعشرون: مسند+ مسند إليه (واو الجماعة)+مفعول به+صفة (جملة مكررة).

تظهر هذه الصورة في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾(4).

(1)ينظر، القرطبي، الجامع، 73/2، وأبو حيان، البحر المحيط، 518/1، والشوكاني، فتح القدير، 164/1.

(2)البقرة، 187.

(3)ينظر، الزمخشري، الكشاف، 339/1.

(4)البقرة، 48.

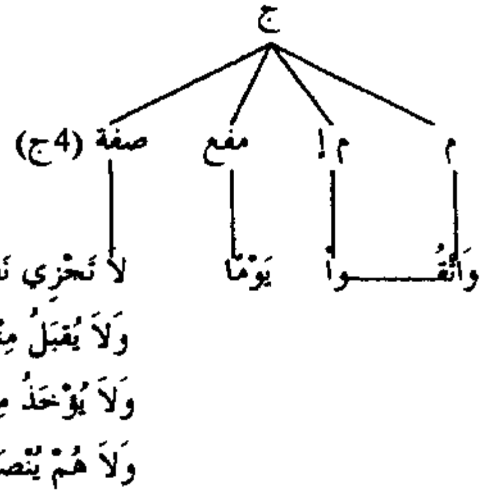

انتصب "يوما" على المفعول به اتساعا، وليس على الظرف، ولذلك جاء منونا، أو على حذف مضاف، والتقدير: واتقوا عذاب يوم. فحذف المضاف (المفعول به)، وأقيم المضاف إليه "يوما" مقامه، فأخذ حكمه الإعرابي. وقد خصص المفعول به تخصيصا وصفيا بأربع جمل خبرية منفية. والرابط بين الموصوف والصفة محذوف، وهو ضمير مجرور، تقديره: "فيه"، لأن الفعل "تجزي" لا يتعدى إلاّ بجار، أي: لا تجزي فيه نفس. وإنما جاز حذفه، لأن المحذوف "فيه" متعين من الكلام، فكان من الأحسن حذفه[1].

وتنكير "نفس" في الموضوعين-وهو في حيز النفي- يفيد عموم النفوس، أي لا يغني أحد كان من كان؛ فلا يغني عن الكفار آلهتهم ولا وجهاؤهم على اختلاف مللهم ونحلهم.

ودلالة الأمر تحذير، وهو لبني إسرائيل، فقد توهموا أن نسبتهم إلى الأنبياء وكرامة أجدادهم عند الله مما يجعلهم في أمن من عقابه على التمرد والعصيان.

ونظير هذه الصورة ورد في الآية: (123)من سورة البقرة.

ومن هذه الصورة قوله:﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾[2].

لقد خصص المفعول به "يوما" تخصيصا وصفيا بجملة فعلية مضارعية "ترجعون". والرابط بين الموصوف والصفة هو الضمير المجرور "منه".

وقرأ الجمهور: "تُرجَعون" بضم التاء وفتح الجيم على أن الفعل مبني للمجهول. وقرأ أبو عمرو بفتح التاء وكسر الجيم على أنه مبني للمعلوم[3]. وقرأ الحسن: "يَرجعون" بياء مضمومة[4]. وقال ابن جني: إنه ترك الخطاب إلى لفظ الغيبة على سبيل الالتفات، وكأنه قال: واتقوا يوما يرجع فيه البشر إلى الله، فأضمر على ذلك، فقال: يُرجعون إلى الله. وقد عدل فيه عن الخطاب إلى الغيبة رفقا منه سبحانه بعباده المؤمنين

(1)ينظر، سيبويه، الكتاب، 386/1.

(2)البقرة، 281.

(3)ينظر، أبو زرعة، حجة القراءات، ص149، والقيسي، الكشف، 319/1، والداني، التيسير، ص71، والقرطبي، الجامع، 376/4، وأبو حيان، البحر المحيط، 356/2.

(4)ينظر، ابن جني، المحتسب، 145/1، وابن عطية، المحرر الوجيز، 499/2، وأبو حيان، البحر المحيط، 356/2.

على أن لا يواجههم بذكر الرجعة، إذ هي مما يتفطر له القلوب[1]. وهذا اليوم المحذر منه هو يوم القيامة والحساب، فإنما يجازى فيه بحسب الأعمال.

ويماثل هذه الصورة -أيضا- قوله: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾[2].

جملة "لا تصيبن" خبرية مؤكدة منفية بـ"لا"، وهي في محل صفة للمفعول به "فتنة".

والخطاب للمؤمنين بدلالة السياق. والمعنى: احذروا الوقوع في الفتنة. وهي الاختبار والمحنة التي يعم فيها البلاء المجرم وغيره. وحاصل معنى الفتنة يرجع إلى اضطراب الآراء واختلال النظام، وحلول الخوف في نفوس الناس. وقد تكون الفتنة عقابا من الله في الدنيا، فهي تأخذ حكم العقوبات الدنيوية التي تصيب الأمم، فإن سننها لا تختص بالظالم بل تعم الصالح والطالح[3]. وقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: "إن الناس إذا رأوا الظالم و لم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده"[4]. وفي الأمر تحذير للمؤمنين من الفتنة بوصف عام.

الصورة الثانية والعشرون: مسند + مسند إليه + مفعول به + جملة تعليلية (لعل + جملة منسوخة).

وردت في سبعة مواضع، منها قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[5].

تكتمل عناصر الموقف اللغوي لتركيب الأمر؛ فيظهر في بنية الجملة الأمرية "واتقوا الله"، أي: اجعلوا بينكم وبين عقابه وقاية، وذلك بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه.

ويتضح الأمر بجملة تعليلية "لعلكم تفلحون"، فعلق التقوى برجاء الفلاح، وهو درك البغية[6]، لأن تقوى الله تفضي إلى فلاح العبد ونجاته في الدارين. أي: اتقوا الله رجاء أن تفلحوا في أعمالكم وتصلوا إلى غاية مطالبكم.

وتكررت هذه الصورة -أيضا- في قوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[7].

يُلحظ أن جملة الأمر اعترض بين جملة "وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ" في هذه الآية والفاء المتصلة ببنية الأمر للتفريع، وهي تقع في الجملة المعترضة على الأصح[8]. فإنه تعالى لما ذكر المؤمنين بانتصارهم يوم بدر،

---

(1)ينظر، المحتسب، 145/1.

(2)الأنفال، 25.

(3)ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 477/4.

(4)أخرجه أبو داود في سننه، 525/2، (كتاب الملاحم)، والترمذي في الجامع الصحيح، 406/4، (كتاب الفتن)، وابن حنبل في مسنده، 7/1.

(5)البقرة، 189، وآل عمران، 130، 200.

(6)ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 72/2.

(7)آل عمران، 123.

(8)ينظر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، 72/4.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ذكّرهم بأنه سبب للشكر، فأمرهم بشكر نعمته بملازمة التقوى. ومن الشكر على ذلك أن يثبتوا أمام العـدو، وأن لا يتخذوا بطانة من أعدائهم، ليكونوا بذلك شاكرين آلاء الله عليهم، فيزيدهم من نعمه.

وبقية هذه الصورة وردت في المائدة، (90)، والحج، (77)، والحجرات، (10).ويلحق بهذه الصورة ما جاء في البقرة، (63)، وآل عمران، (132)، والأنفال، (45)، والنور، (56)، والجمعة، (10).

الصورة الثالثة والعشرون: مسند + مسند إليه + مفعول به + جملة تعليلية(إنّ +جملة اسمية).

وردت هذه الصورة في ثمانية مواضع، منها قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[1].

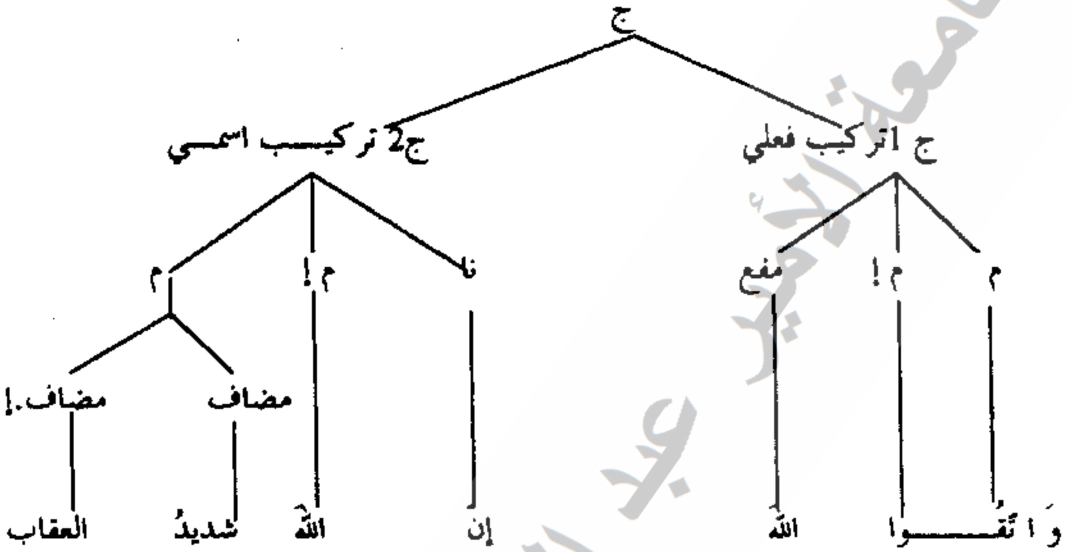

تختلف بنية الجملة التعليلية –في هذا التركيب– عن التركيب السابق في الصورة السابقة؛ فقد كـانت أداة التعليل في السابقة "لعلّ"، أما في هذه فإن الأداة محذوفة، وهي الـلاّم، ويطّـرد حذفـها مـع "إنّ"[2]، والتقدير: ...لأن الله شديد العقاب.

والارتباط بين جملة الأمر وجملة التعليل ارتباط دلالي؛ فالجملة التعليلية جيء بها للترهيب والتـهديد، لأن تقوى الله ما يطلبه المؤمن لينجو من عقابه. وإظهار اسم الجلالة "الله" في موضع الإضمار لإدخال الروعة وتربية المهابة في نفوس المتلقين.والمعنى: اتقوا الله بالسير على سننه التي بينها لكم في سننه حـتى لا يصيبكـم عقابه بالإعراض عن هدايته، فهو شديد العقاب لمن لم يتقه باتباع شرعه ومراعاة سننه. وهذا العقاب يشـمل عقاب الدنيا والآخرة.

ونظير هذه الجملة ورد في المائدة، (7،8)، والأنفال، (69)، والحجرات، (1،12)، والحشر، (7،18).

ونلحق بهذه الصورة قوله: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[3].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1)المائدة، 2.

(2)ينظر، سيبويه، الكتاب، 154/1.

(3)البقرة، 195.

جملة "وأحسنوا" تتصف بالاختصار؛ فقد حذف المفعول به، والتقدير: وأحسنوا أعمالكم. وذيلت بجملة اسمية تعليلية. وقد جيء بها للترغيب في الإحسان، لأن محبة الله عبده ما يطلبه الناس، إذ محبة الله العبد سبب الصلاح والخير في الدنيا والآخرة.

ونظير هذه الجملة قوله: ﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[1].

الأمر للمسلمين الوسطاء في الحكم بين الطائفتين المتقاتلتين، لأن هذه الجملة معطوفة –في هذه الآية– على قوله: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾. أي: اعدلوا في كل ما تأتون به. وهو أمر بالعدل والإنصاف في كل الأمور، على سبيل الوجوب.

وذُيلت جملة الأمر بجملة تعليلية: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ للترغيب في الإقساط، أي: لأن الله يحب العادلين في كل أعمالهم، ويجازيهم أحسن الجزاء.

وكذلك قوله: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾[2].

الخطاب للمسلمين الذين يقصدون البقاع المقدسة للحج بدلالة واو العطف في "وتزوّدوا"، فالجملة معطوفة "على جملة "وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ" –في هذه الآية– باعتبار ما فيها من الكناية عن الترغيب في فعل الخير، والمعنى: وأكثروا من فعل الخير".[3]

والمسند إليه (واو الجماعة) المتصل ببنية المسند (الفعل) يعود على الحجيج بدلالة سياق الآية. والفاء المتصلة بـ"إنّ" الناسخة في الجملة الاسمية "فإن خير الزاد التقوى" تفيد التعليل.

وفي تأكيد هذه الجملة بـ"إنّ" إشارة إلى تأكيد الأمر بالتزود تنبيها على أنه من التقوى. والتزود في حقيقته إعداد الزاد، وهو الطعام الذي يحمله المسافر. وقد يخرج عن معناه الحقيقي إلى المعنى المجازي، وهو الاستكثار من فعل الخير استعدادا ليوم الحساب.

وقال بعض المفسرين: هو أمر بالتزوّد للمسافر، وزاده الطعام والشراب والمأكل والمركب، وبالتزود للآخرة، وزاده تقوى الله[4]. وهذا الزاد أفضل من الزاد الأول بدلالة أفعل التفضيل في المسند إليه "خير". أي: إن التقوى أفضل من التزود للسفر، فكونوا عليها أشدّ حرصا. وتلخص من هذا ثلاثة أقوال[5]:

أحدها: أنه أمر بالتزود في أسفار الدنيا، فيكون مفعول "تزودوا" تقديره: ما تنتفعون به، فإن خير الزاد ما تكفون به وجوهكم عن السؤال لحصول التقوى الدنيوية بصون العرض أو ماء الوجه.

---

(1) الحجرات، 9.

(2) البقرة، 197.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 235/2.

(4) ينظر، الطبري، جامع البيان، 292/2، والبغوي، معالم التنزيل، 173/1، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 424/1.

(5) ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 102/2.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والثاني: أنه أمر لسفر الآخرة، وهو الذي نختاره، لأن هذه الجملة معطوفة على قولـه: "وما تفعلوا من خير يعلمه الله" باعتبار ما فيها من تحضيض على فعل الخير، أي: تزودوا بتقوى الله، فإنها خير التقوى.

والثالث: أنه أمر بالتزود في السفرين، ويكون التقدير: وتزودوا ما تنتفعون به لعاجل سفركم وآجلـه، أي: لدنياكم وآخرتكم.

وترد بقية هذه الصورة وملحقاها في الآتي: البقرة، (199)، آل عمران، (35،59)، النسـاء، (106)، المائدة، (4، 7، 8، 13، 42)، الأنفـال، (46، 69)، التوبـة، (4، 7، 12، 52، 95، 103)، النـور، (62)، الأحزاب، (2)، الحجرات، (1، 12)، الحشر، (7،18)، الممتحنة، (12)، النصر، (3).

الصورة الرابعة والعشرون: مسند +مسند إليه+ مفعول به+ حال+ مفعول مطلق+مضاف إليـه (جملة مصدرية).

وردت في قوله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ﴾[1].

يدل لفظ "كافة" على العموم، وهو بمنزلة "كل"و"جميعا". ولا يختلف لفظه باختلاف المؤكد من إفراد وتثنية وجمع، ولا من تذكير وتأنيث. ولا يدخله"الـ"التعريف. وموقعه النصب على الحال من المؤكدة بهـا؛ فهي في الأول تأكيد للمفعول به "المشركين"، وفي الثاني تأكيد لضمير المخاطبين، (واو الجماعة)[2]. والمقصود من تعميم ذوات المقاتلين تعميم الأحوال، أي: قتال كل فريق من المشركين وجد في حالة ما، وقد بدأ بقتـال المسلمين. فالمسلمون مأمورون بقتاله.

والكاف في "كما" صفة لمصدر محذوف تودي وظيفـة المفعـول المطلـق ، و"مـا" مصدريـة[3]. وهذه الكاف كاف تشبيه استعيرت للتعليل بتشبيه الشيء المعلول بعلته؛ فالتشبيه التعليلي يومئ بـأن قتـال المشركين يستوجب إذا بدأوا هم بالقتال.

ويلحق بهذه الصورة قوله: ﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾[4].

الكاف في "كما" تشبيه للذكر بالهدى، و"ما" مصدرية. ومعنى التشبيه في مثل هذه المشابهة في المقابلـة بين حدثين أو في التساوي، أي: اذكروا الله ذكرا متساويا لهدايته إياكم، أو اذكروه ذكرا حسنا كما هداكـم هداية حسنة. وهو أمر بتعديد النعمة وأمر بشكرها.

ويلحق بهذه الصورة ما جاء في الآيتين: (13،200) من سورة البقرة.

---

(1) التوبة، 36.

(2) ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 41/5.

(3) ينظر، العكبري، التبيان في إعراب القرآن، 163/1.

(4) البقرة، 198.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الصورة الخامسة والعشرون: مسند + مسند إليه+ مفعول به +صفة+ جملة فعلية مضارعة(مسند +مسند إليه+ جار ومجرور+ أداة عطف+ معطوف).

من هذه الصورة قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾(1).

تميزت جملة "واتقوا الله" بالاختصار، حيث حذف المضاف، وأقيم المضاف إليه لفظ الجلالة "الله"مقامه، والتقدير: واتقوا عذاب الله. فحذف المضاف لوجود ما يدل عليه، وذلك عن طريق المعنى السياقي؛ فاتقاء الله يكون عن طريق اتقاء عذابه. وقد ذكر ابن جني أن حذف المضاف كثير وواسع(2). ونقل عنه الزركشي أن في القرآن منه زهاء ألف موضع(3). واشترط المبرد لجواز حذفه وجود دليل على المحذوف، فلا يصح أن يقال: جاء زيد، والمراد: جاء غلام زيد، لأن المجيء يكون له، ودليل على المحذوف(4).

وتنوعت القراءات في قوله: "والأرحام"، فقرأ حمزة: "والأرحامِ"(5)، وذلك بالكسر على العطف على الهاء في "به". وهو قبيح عند البصريين، قليل في الاستعمال، بعيد في القياس لمخالفته للقاعدة لديهم في أنه "لا يجوز عطف الاسم الظاهر على الضمير المخفوض إلاّ بعد إعادة الخافض"(6)، لأن الضمير المخفوض لا ينفصل عن الحرف، ولا يقع بعد حرف العطف، ولأن المعطوف والمعطوف عليه شريكان يحسن في أحدهما ما يحسن في الآخر، ويقبح في أحدهما ما يقبح في الآخر. فكما لا يجوز: واتقوا الله الذي تساءلون بالأرحام، فكذلك لا يحسن: تساءلون به والأرحام، فإن أعيد حرف الجر حسن(7).

وجوز ابن مالك العطف على المجرور دون إعادة الجار(8). والحق قبول هذه القراءة وتصحيح القاعدة.وهذه القراءة على معنى: واتقوا الله الذي تساءلون به وبالأرحام. وهو قول الرجل: أسألك بالله وبالرحم. وهذا قول الحسن وعطاء وإبراهيم ومجاهد(9).

وقرأ أبو عبد الرحمن عبد الله ابن يزيد: "والأرحامُ" بالرفع(10). والرفع وجه على أنه مبتدأ، والخبر محذوف، قدره ابن جني: "والأرحامُ مما يجب أن تتقوه أن تحتاطوا لأنفسكم فيه".(11) وقدره ابن عطية:

(1)النساء، 1.

(2)ينظر، الخصائص، 362/2.

(3)البرهان، 146/3.

(4)ينظر، المقتضب، 30/4.

(5)ينظر، ابن خالويه، إعراب القراءات السبع وعللها، 127/1، والقيسي، الكشف، 375/1، والداني، التيسير، ص78، وأبو حيان، تذكرة النحاة، ص151.

(6)ينظر، الأنباري، الإنصاف، 463/2، وابن هشام، شرح شذور الذهب، ص583.

(7)ينظر، القيسي، الكشف، 375/1،376، وأبو حيان، تذكرة النحاة، ص151.

(8)ينظر، ابن الناظم، شرح ألفية ابن مالك، 544/1، وابن هشام، أوضح المسالك، 484/1.

(9)ينظر، الطبري، جامع البيان، 568/4.

(10)ينظر، ابن جني، المحتسب، 179/1، وابن عطية، المحرر الوجيز، 483/3، والبقاعي، نظم الدرر، 207/2.

(11)المحتسب، 179/1.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

"والأرحام أهل أن توصل"[1]، وقدره الزمخشري: "والأرحام مما يتقى"[2]. فابن جني وابن عطية قدراه من حيث المعنى، والزمخشري مما يدل عليه في ظاهر الجملة.

وقرأ الجمهور: "والأرحامَ" بالنصب على العطف على لفظ الجلالة "الله" على معنى: واتقوا الله والأرحامَ أن تقطعوها[3].

وفي عطف "الأرحامَ" على اسم الجلالة دلالة على تعظيم حق الرحم وتأكيد النهي عن قطعها[4]. فالله تعالى يأمر الناس بتقواه، كما يأمرهم بأن يحافظوا على الأرحام فلا يقطعوها. ومنه قوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾[5].

وعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: "الرحم معلقة بالعرش، تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله"[6].

يتبين من خلال ما تقدم أن صلة ذوي الأرحام واجبة، وأن قطيعتها محرمة.

ويلحق بهذه الصورة قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[7].

استعمل الوصف باسم الموصول "الذي"، وفي الصلة تنبيه وتذكير للمتلقين بأن المصير إلى الله، فيعدوا ما استطاعوا من الطاعة لذلك اللقاء، وهو يوم الحساب، إذ فيه يعرف من أطاع ومن عصى.

وكذلك قوله: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[8]. والمعنى: ابتعدوا عن اتباع المرابين وتعاطي ما يتعاطون من أكل الربا الذي يفضي إلى دخول النار التي أعدها الله للكافرين. وإعدادها للكافرين عدل من الله تعالى. والمسلمون لا يرضون لأنفسهم مصير الكافرين، لأن الإسلام يوجب كراهية ما ينشأ عن الكفر.

ويحتمل أن يكون التعريف في "النار" بـ"الـ" الجنسية، فتكون النار التي وعدها أكلة الربا أخف من نار الكافرين، أي: أعد جنسها للكافرين. ويجوز أن تكون "الـ" للعهد، فيكون أكلة الربا قد توعدهم الله بالنار التي يعذب بها الكفرة[9]. وقال أكثر أهل العلم والتفسير: هذا الوعيد لمن استحل الرّبا، ومن استحل الربا، فإنه كافر ومصيره النار[10]. وفي هذا الوعيد تخويف للمؤمنين الذين خوطبوا باتقاء المعاصي، لأنهم متى فارقوا التقوى ادخلوا هذه النار.

---

(1)المحرر الوجيز، 483/3.

(2)الكشاف، 493/1.

(3)ينظر، الطبري، جامع البيان، 569/4، وابن خالويه، إعراب القراءات السبع وعللها، 127/1.

(4)ينظر، المصدر السابق، 569/4.

(5)محمد، 22.

(6)رواه مسلم في صحيحه، 1981/4،(كتاب البر والصلة والآداب).

(7)المائدة،96، والمجادلة، 9.

(8)آل عمران، 131.

(9)ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 318/3، وأبو حيان، البحر المحيط، 58/3.

(10)ينظر، السمرقندي، بحر العلوم، 298/1، والواحدي، الوسيط، 491/1، والقرطبي، الجامع، 202/4.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ويلحق بهذه الصورة ما ورد في البقرة، الآية، (24)، والمائدة، (88)، والممتحنة، (11).

الصورة السادسة والعشرون: مسند +مسند إليه (واو الجماعة)+ مفعول به+ مضاف إليه+ جار ومجرور+ مفعول مطلق+ مضاف إليه.

يمثل هذه الصورة قوله تعالى: ﴿وَالزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾[1].

تتألف الجملة من فعل أمر مسند إلى واو الجماعة، ومفعول به "كلّ" مضاف، ومضاف إليه "واحد"، وجار ومجرور "منهما"، ومفعول مطلق "مائة"، ومضاف إليه "جلدة"، وهو في الأصل تمييز غير حقيقي لوقوعه بعد لفظ "مائة".

وقرئ "الزانيةَ والزانيَ" بنصبهما على الاشتغال، وذلك بخلاف قراءة الجمهور التي وردت بالرفع[2]. والنصب وجه عند سيبويه، لأنه عنده كقولك: زيدا أضربه[3]. ووجه الرفع عنده أنه مبتدأ، والخبر محذوف على معنى: فيما فرض عليكم الزانية والزاني[4]؛ أي فاجلدوهما. وأما الفراء[5]، والمبرد[6]، فإنّ الرفع عندهما هو الأوجه، والخبر في جملة الأمر "فاجلدوهما"، لأن المعنى:إن الزانية والزاني مجلودان بحكم الله تعالى.

والأمر للإمام ونوابه بإقامة حد الجلد، لأن غير الإمام لا يتولى هذا الأمر. والذي أمر بأن يجلد هو كل من الزانية والزاني غير المحصنين. ومعنى الجملة "فاجلدوا"-أيها الحكام- كلا من الزانية والزاني مائة جلدة. وهو أمر يقتضي الوجوب. ولم يحدد—في هذه الآية—بين المحدودين من الأحرار والعبيد.

ويلحق بهذه الصورة قوله:﴿فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾[7].

تتكون بنية الجملة من فعل أمر مسند إلى واو الجماعة، ومفعول به "هم"، ومفعول مطلق "ثمانين" ناب عن المصدر، منصوب بالياء، لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، وتمييز "جلدة". والضمير—المفعول به-"هم" عائد إلى "الذين يرمون المحصنات"—في الجملة السابقة من هذه الآية-ودلت القرائن على أن المراد الرمي بالزنا، لتقدم الكلام عليه— في الآية السابقة-ولأنّ وصف النساء بالمحصنات، وهنّ العفائف عن الزنا، ولاشتراط إثبات التهمة بأربعة شهود، ولا يطلب هذا إلا في الزنا. فهذه القرائن جميعا تجعل المقصود هو الرمي بالزنا. وقد خص الله قذف النساء-هنا-من حيث هو أهم، ورميهن بالفاحشة أشنع. وقذف الرجال داخل في الحكم بالمعنى.

والخطاب لأولي الأمر من الحكام، وذلك منوط بالإمام، وإقامة مراسيم الدين واجبة على المسلمين، والإمام ينوب عنهم فيها.

---

(1)النور، 2.

(2)ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 416/10، والزمخشري، الكشاف، 47/3، والرازي، مفاتيح الغيب، 114/23.

(3)ينظر، الكتاب، 144/1.

(4)ينظر، المصدر السابق، 143/1.

(5)ينظر، معاني القرآن، 244/2.

(6)ينظر، المقتضب، 225/3.

(7)النور، 4.

جامعة عبد القادر للعلوم الإسلامية

ومعنى الجملة: فاجلدوا -أيها الحكام- الذين يرمون المحصنات بالزنا ثمانين جلدة. وذلك على سبيل الوجوب.

الصورة السابعة والعشرون: مسند +مسند إليه(واو الجماعة)+ جار ومجرور+ مفعول مطلق+صفة.

تبرز هذه الصورة في قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾[1].

تتألف بنية الجملة من فعل أمر مسند إلى واو الجماعة، وجار ومجرور "لهم" متعلق بـ:"قولوا"، ومصدر -مفعول مطلق- "قولا" سدّ مسد المفعول، وصفة "معروفا".

والخطاب لأولياء اليتامى بدلالة السياق. ومعنى الجملة: تلطفوا لهم في القول، ولا تقسوا عليهم، وقولوا لهم ما يدلهم على طريق الرشد والصلاح، حتى إذا بلغوا كانوا على بصيرة، وذلك بأن يقول كل ولي للمولى عليه كلاما تطيب به نفسه، ويعده وعدا حسنا، كأن يقول له: المال مالك، وما أنا إلا وكيل أمين عليه، وإن رشدت دفعت إليك مالك. وإن كان سفيها بصره ونصحه، ورغبه في ترك الإسراف والتبذير.

ويلحق بهذه الصورة قوله: ﴿وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾[2].

أمر الله رسوله ليقول للمنافقين -حسب دلالة السياق- قولا بليغا رجاء صلاح حالهم. والقول البليغ صيغة "فعيل"بمعنى: بالغ بلوغا شديدا، أي: بالغا إلى نفوسهم مؤثرا فيها بالترغيب تارة، وبتخويفهم بالقتل إن استمروا على النفاق تارة أخرى.

والجار والمجرور "في أنفسهم" يجوز أن يتعلق بالفعل "قلْ"، وتقديره عند أبي حيان يكون على أحد معنيين: "أي: قل لهم خاليا بهم، لا يكون معهم أحد من غيرهم مسارّا، لأن النصح إذا كان في السر كان أنجح، وكان بصدد أن يقبل سريعا... أو قل لهم في معنى أنفسهم النجسة المنطوية على النفاق قولا بليغا يبلغ منهم ما يزجرهم عند العودة إلى ما فعلوا"[3].

ويجوز أن يتعلق بـ: "بليغا"، وقدره الزمخشري بقوله: "قل لهم قولا بليغا في أنفسهم مؤثرا في قلوبهم يغتمون به اغتماما ويستشعرون منه الخوف استشعارا، وهو التوعد بالقتل والاستئصال إن نجم منهم النفاق"[4]. ولا يجوز هذا التعلق عند البصريين، لأن معمول الصفة لا يتقدم على الموصوف عندهم، ويجوز عند الكوفيين. والزمخشري أخذ في ذلك بمذهب الكوفيين[5].

وحسب هذه الوجهة يكون تقدم الجار والمجرور للعناية بإصلاح أنفسهم مع الاهتمام بالفاصلة، لأن أصل نظام الجملة يكون: وقل لهم قولا بليغا في أنفسهم.

---

(1)النساء، 5، 8.

(2)النساء، 63.

(3)البحر المحيط، 293/3، والنهر الماد، 475/1.

(4)الكشاف، 537/1.

(5)ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 293/3، وينظر له، النهر الماد، 474،475/1.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ويلحق بهذه الصورة -كذلك- قوله: ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾[1].

الخطاب لأمهات المؤمنين بدلالة السياق. والأمر لهنّ بأن يتلطفن في الكلام؛ فلا يسمع منهن إلا القول الحسن.

ونظير هذه الجملة قوله: ﴿وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾[2].

الخطاب للمؤمنين بدلالة العطف على مضمون النداء -في هذه الآية- في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾.

والجار والمجرور "لهم" محذوف، وهو معلوم من السياق. والأمر للمؤمنين بأن يقولوا قولا سديداً. والقول السديد: الذي يوافق السداد. والسداد: الصواب والحق[3]. ويشمل القول السديد الأقوال الواجبة، والأقوال الصالحة النافعة مثل ابتداء السلام، وقراءة القرآن على الناس وتدريسه، وتحفيظ أحاديث الرسول ﷺ واستنباط الأحكام الشرعية منها، ونشر أقوال الصحابة.

ويتبع هذه الصورة ما ورد في الآية(83) من سورة البقرة.

الصورة الثامنة والعشرون: مسند+ مسند إليه(مضمر)+ جار ومجرور+ مفعول به (مقول القول).

من هذه الصورة قوله: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾[4].

تتألف بنية التركيب من مسند "قل"، ومسند إليه مضمر في البنية السطحية وجوبا، وهو المأمور، ويفهم من السياق، إذ هو المفرد المخاطب "أنت" والمراد به الرسولﷺ، وجار ومجرور "للمؤمنين" متعلق بـ: "قل"، ومفعول "قل" أي: مقول القول محذوف يفسره ما بعده بتقدير: قل غضوا، أي: كفوا.

ورأى النحاة أن الجمل بعد فعل القول في محل نصب مفعول به، يقول الزجاجي في باب القول: "والجملة في موضع نصب بوقوع الفعل عليها"[5]. وذكر ابن هشام أن ابن الحاجب اختار أن تكون الجملة بعد القول مفعولا مطلقا، وذكر أن الصواب أن تكون مفعولا به، وهو قول جمهور النحاة[6].

و"من" عند الأخفش زائدة لتأكيد اللفظ وتقوية المعنى[7]، أي يغضوا أبصارهم عن عورات النساء، وعند غيره للتبعيض[8]. وحذف مفعول "يغضوا" لدلالة "من" التبعيضية عليه، أي: يغضوا من أبصارهم عما

---

(1)الأحزاب، 32.

(2)الأحزاب، 70.

(3)ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 210/3، (سدد).

(4)النور، 30.

(5)الجمل في النحو، ص326، وينظر، ابن هشام، شرح جمل الزجاجي، تحقيق، علي محسن عيسى، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1985، ص388.

(6)ينظر، مغني اللبيب، 58/2.

(7)ينظر، معاني القرآن، 272/1.

(8)ينظر، الزمخشري، الكشاف، 60/3، والطبرسي، مجمع البيان، 191/7.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

حرم الله لا عن كل شيء. والأظهر أن "من" تبعيضية؛ لأن الغض التام لا يتحقق، فجيء بها إيماء إلى ذلك، إذ من المفهوم أن المأمور بالغض فيه هو ما لا يليق تحديق النظر إليه، من مفاتن المرأة، وذلك لتنبيه المؤمن من استحضار أحكام الحلال والحرام في هذا الشأن.

وسبب التفرقة بين غض البصر بذكر "من" وبين حفظ الفروج دون ذكر "من"، إن غض البصر فيه دلالة على أن أمر النظر أوسع، إذ يجوز النظر إلى المحارم فيما عدا ما بين السرّة والركبة، وإلى وجه المرأة الأجنبية وكفيها، وأما أمر الفروج فمضيق، كما ذكر بعض العلماء[1].

والغض: صرف المرء بصره عن التحديق، وتدقيق النظر، يقال: غض طرفه، أي: كفه. ومادة الغض تدل على معنى الخفض والنقص[2]. ويكون من الحياء كما قال عنترة:

وأغضُّ طرفي ما بدتْ لي جارتي حتّى يُواري جارتي مأواها[3]

ويكون من المذلة كما قال جرير:

فغضّ الطرفَ إنّكَ من نُمير فلا كعباً بلغتَ ولا كلابا[4]

والأمر بالغض– في الآية– على سبيل الوجوب، وهو أدب شرعي حكيم في إبعاد النفس الأمارة بالسوء عن التطلع إلى ما عسى أن يوقعها فيما حرم الله تعالى؛ فإن النظر بريد الزنى، فإن وقع البصر على محرم من غير قصد، وجب إغضاء الطرف وصرف النظر عنه.

ومعنى التركيب: قل يا محمد لعبادنا المؤمنين: كفوا أبصاركم عما حرم الله عليكم، فلا تنظروا إلا إلى ما أباح لكم النظر إليه.

وتكررت هذه الصورة –عقب الآية السابقة– في قوله: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾[5].

والأمر –هنا–للمؤمنات، وقد أُمرنَ بمثل ما أُمر به المؤمنون من غض البصر وحفظ الفرج. وخلافا لما عليه غالب الخطابات التشريعية من دخول النساء في الحكم بخطاب الرجال تغليبا، أمر تعالى المؤمنات كذلك تأكيدا للمأمور به، حتى لا يظن أنه خاص بالرجال.

والمعنى: قل يا أيها الرسول–أيضا–للنساء المؤمنات: اغضضن أبصاركن عما حرم الله عليكنّ من النظر إلى غير أزواجكن، واحفظن فروجكن عن الزنى ونحوه كالسحاق. فلا يجوز للمرأة النظر إلى الرجال الأجانب بشهوة أو بغير شهوة.

(1)ينظر، الزمخشري، الكشاف، 60/3، وأبو حيان، البحر المحيط، 412/6.

(2)ينظر، ابن منظور،لسان العرب، 197/7؛198، (غضض).

(3)الديوان،دار بيروت للطباعة والنشر، 1984 ص76.

(4)الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، 1986، ص63.

(5)النور، 32.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ومما يماثل هذه الصورة قوله: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾[1].

تتألف الجملة من فعل أمر"قل"،ومسند إليه مضمر "أنت"، مراد به الرسول، وجار ومجرور "للذين"، وهو اسم موصول، وجملة ماضوية "كفروا" صلة الموصول، ومفعول به –مقول القول- جملة مضارعية "ستغلبون"، وجملة معطوفة بحرف العطف (الواو) "وتحشرون".

ويحتمل أن يكون المراد باسم الموصول في قوله: "الذين كفروا" المذكورين–في الآية السابقة–في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ وعدل سبحانه عن الضمير "هم" إلى الاسم الظاهر لاستقلاله. والظاهر أن المراد هم المشركون خاصة، ولذلك أعيد الاسم الظاهر بدل الضمير. وقيل أريد "بالذين كفروا" خصوص اليهود، وذكروا لذلك سببا رواه الواحدي: إنّ يهود يثرب كانوا عاهدوا رسول الله ﷺ إلى مدة، فلما أصاب المسلمين يوم أحد ما أصابهم من النكبة، نقضوا العهد، وانطلق كعب بن الأشرف في ستين راكبا إلى أبي سفيان بمكة، وقالوا لهم: لتكونن كلمتنا واحدة، فلما رجعوا إلى المدينة أنزلت هذه الآية[2].

ومعنى التركيب: قل–يا محمد–للكافرين ومنهم اليهود ستغلبون في الدنيا وتحشرون يوم القيامة إلى جهنم. وفي معنى الجملة تهديد ووعيد.

ومما يماثل هذه الصورة أيضا- قوله: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾.[3]

الخطاب لرسول الله ﷺ ليطمئن المخلفين من الأعراب بأنهم سينالون مغانم في غزوات لاحقة، ليعلموا أن حرمانهم من الخروج إلى خيبر مع جيش رسول الله ليس لانسلاخ الإسلام عنهم، ولكنه لحكمة شرعية؛ فهو حرمان خاص بغزوة معينة، وأنهم سيدعون بعد ذلك إلى قتال قوم كافرين أشداء. فذكر سبحانه هذا الأمر في هذا المقام لإدخال الفرحة عليهم بعد الحزن بغية إزالة الانكسار عن أرواحهم من جراء الحرمان الذي نالهم. وفي هذه البشارة فرصة لهم ليستدركوا ما جنوه من التخلف عن صلح الحديبية. وكل ذلك دل على أنهم لم ينسلخوا عن الإيمان، ولو لم يكن شأنهم كذلك ما كانوا أهلا لذلك الأمر[4].

والمقصود من "الأعراب" –هنا– الذين نزل فيهم قوله: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا﴾[5]. وليس المراد بالمخلفين كل من يقع منه التخلف.

---

(1)آل عمران، 12.

(2) ينظر، أسباب النزول، ص81،82.

(3)الفتح، 16.

(4)ينظر، القرطبي، الجامع، 272/16، وأبو حيان، البحر المحيط، 94/8.

(5)الفتح، 11.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وأسند الفعل "تدعون" إلى المجهول، لأن الغرض من الأمر امتثال الداعي رسول الله ولي أمر المسلمين أو الخلفاء من بعده. وعدى هذا الفعل بـ"إلى" لإفادة أنها مضمنة معنى الذهاب أو السير. وهذا فرق بين تعديته بـ"إلى " وبين تعديته بـ"اللام".

وجملة "تقاتلونهم أو يسلمون" حال من ضمير "يدعون"، و"أو" حرف عطف يفيد التخيير، أي أحد الأمرين؛ أما المقاتلة أو الإسلام، لا ثالث لهما، ولذلك كان"أو يسلمون" حالا معطوفا على الجملة "تقاتلونهم".

وقد يحذف الجار والمجرور بعد فعل القول "قل" أو "قولوا"، وذلك كقوله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾(1).

الخطاب لرسول الله ﷺ. والجار والمجرور محذوف، وهو معلوم بقرينة المقام، أي: قل لهم يا محمد... وجملة مقول القول شرطية مصدرة بـ"إن". وقد جعل سبحانه محبته فعلا للشرط في مقام متعلق بالأمر باتباع الرسول؛ فالتعلق عليه تعليق شرط محقق، ثم رتب على الجزاء "فاتبعوني" مشروط آخر، وهو قوله: "يحببكم الله"، وهو جواب الشرط بتعبير النحاة. أما إطلاق المحبة في قوله: "يحببكم الله" فهو مجاز قصد به لازم المحبة، وهو الرضى. وتعليق محبة الله إياهم على "فاتبعوني" المعلق على قوله: "إن كنتم تحبون الله" يترتب منه قياس شرطي اقتراني. ويدل على الحب المزعوم إذا لم يكن معه اتباع الرسول؛ فهو كاذب، لأنّ المحبُّ مطيع لمن يحب.

واختلف في سبب نزول هذه الآية، فقال بعضهم: نزلت في قوم قالوا على عهد رسول الله ﷺ: "إنا نحب ربّنا"، فأمر الله –جلت قدرته– نبيه أن يقول لهم: إن كنتم صادقين فيما تقولون، فاتبعوني، فإن ذلك علامة صدقكم(2). وقال محمد بن جعفر بن الزبير: نزلت في وفد نجران إذ زعموا أن ما ادعوا في عيسى حبّ الله ﷻ(3).

وقال ابن عباس: إنّ اليهود لما قالوا: "نحن أبناء الله وأحباؤه" أنزل الله تعالى هذه الآية، فلما نزلت عرضها رسول الله ﷺ على اليهود فأبوا أن يقبلوها(4).

وعلى كل فالخطاب في الآية عام، ويشمل كل من ادعى حبّ الله، أي طاعته واتباع أمره، و لم يتبع رسول الله ﷺ، قال ابن كثير: "هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي، والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله"(5).

---

(1)آل عمران، 31.

(2)ينظر، الطبري، جامع البيان، 231/3.

(3)ينظر، المصدر السابق، 231/3.

(4)ينظر، تنوير المقباس، ص60.

(5)تفسير القرآن العظيم، 29/2.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والمعنى: قل يا محمد لهم: إن كنتم تطيعون الله وترغبون في ثوابه، فامتثلوا ما أنزل الله عليّ من الوحي، يرض عنكم، ويتجاوز عن سيئاتكم، وتحصل لكم محبته. ومحبة الله والرسول تتجلى في اتباع الإسلام وإطاعة رسول الله والعمل بشريعته، واتباع أوامره، واجتناب نواهيه.

ومن ذلك -أيضا- قوله: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾(1).

يلحظ -كذلك- حذف الجار والمجرور "لهم". وجملة مقول القول -هنا- اسمية، وهذا القول جواب من الله تعالى عن قول فريق من المنافقين، كما يدل عليه قولهم -في هذه الآية- ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾. وهذا القول يحتمل أن يكون علنا بألسنتهم، ليوقعوا الضعف والوهن في نفوس المستعدين للقتال. وسواء قولهم كان لسانيا، وهو الظاهر، أم كان نفسيا ليعلموا أن الله مطلع على ما تضمره نفوسهم، أي إن طلب التأخير لا يغني؛ فالتعلق به للاستبقاء على الحياة لا يوازي ما أعده الله في الآخرة.

وكذلك قوله: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾(2).

جملة مقول القول -هنا- جملة فعلية أمرية "اعملوا...". والمأمور هو رسول الله -حسب السياق- ليقول للمؤمنين: "اعملوا...". وحذف مفعول هذا الفعل، لأنه معلوم بالقرينة، أي: اعملوا الخير. وذلك لأن الأمر من الله تعالى لا يكون إلا بالعمل الصالح؛ فهو المطلوب، ليرتقي المؤمن إلى مراتب الكمال.

وفي مضمون الجملة ترغيب في عمل الخير، فإن من علم أن عمله لا يخفى سواء أكان خيرا أو شرا، رغب إلى أعمال البّر، وتجنب أعمال الشرّ. وفيه أيضا تحذير من التقصير، أو من ارتكاب المعاصي والذنوب، لأن عملهم لا يخفى على الله تعالى.

ويلحظ أن جملة "مقول القول" تنوعت بين الجملة الفعلية والاسمية. ولعل أهم ما يميزها في التنزيل، ومنه في السور المدنية ما يأتي:

1-تصدرها بفعل أو بأداة ناسخة، أو أداة شرط أو استفهام، أو نداء.

2-كونها جملة اسمية مؤكدة وغير مؤكدة.

3-كونها جملة فعلية مثبتة ومنفية.

4-كونها معطوفة على جملة محكية.

ووردت بقية هذه الصورة وملحقاتها في المواضع الآتية:

البقرة: (58، 80، 83، 91، 93، 94، 97، 111، 120، 135، 139، 140، 142، 189، 215، 217، 219(مكرر) 220، 222)، وآل عمران: (15، 20 (مكرر)، 26، 32، 61، 64، 73(مكرر)، 84، 93، 59، 98، 99، 119، 154 (مكرر)، 165، 168، 183)، والنساء: (78، 127، 176)، والمائدة: (4، 17، 18، 59،

(1)النساء، 77.

(2)التوبة، 105.

60، 68، 76، 77، 100)، والأنفال: (1، 38)، والتوبة: (24، 51، 52، 53،61، 64، 65، 81، 83، 94)، والرعد: (16(مكرر)، 27، 30، 33، 36، 43)، والنور: (53، 54)، والأحزاب: (16، 17)، والفتح: (11، 15)، والحجرات: (14(مكرر)، 16، 17)، والجمعة: (6، 8،11)، والتغابن: (7).

النمط الثاني: المضارع المقرون بلام الطلب (أداة طلب (اللام)+ فعل مضارع).

يتم الأمر في هذا النمط باللام، وهي التي تسمى بـ"لام الأمر" أو بـ"لام الطلب"[1] في صيغة "ليفعل"، لأن هذه اللام إنما تدخل للمأمور الغائب[2]، ولكل من كان غير مخاطب، ولو كانت للمخاطب لكان جيدا على الأصل[3].

ولام الطلب تدل على طلب الفعل على سبيل الاستعلاء. قد يخرج الأمر إلى دلالات أخرى تفهم من خلال السياق كالدعاء والالتماس والندب والإباحة والتهديد، ولهذا يحسن أن يطلق عليها مصطلح "لام الطلب"؛ فهو أدق وأنسب وأشمل من تسميتها بـ"لام الأمر" لقصور هذه التسمية عن الشمولية[4].

وقد ورد هذا النمط في تسع وثلاثين جملة، يوزع على الصور الآتية:

الصورة الأولى: لام الطلب+ مسند+ مسند إليه+ جار ومجرور.

يمثل هذه الصورة قوله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِن سَعَتِهِ﴾[5].

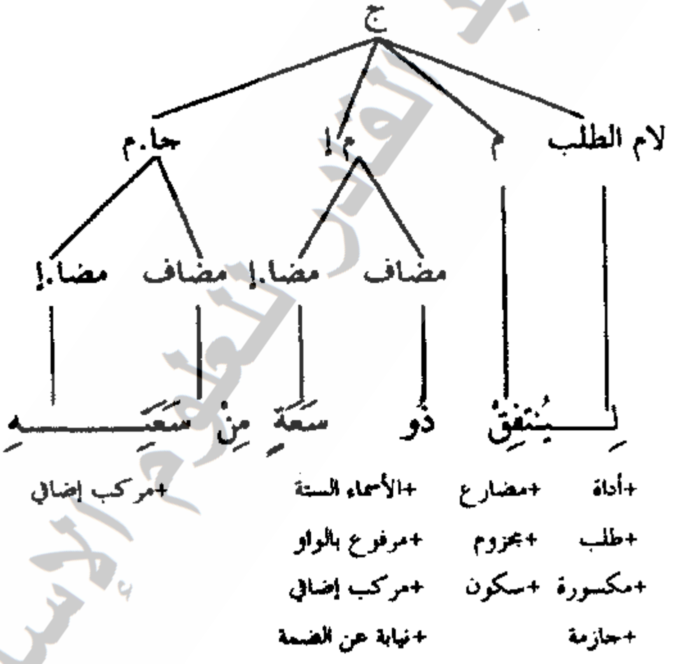

(1)ينظر، السكاكي، مفتاح العلوم، ص318، والاستراباذي، شرح الكافية لابن الحاجب، 251/2، وابن هشام، شرح شذور الذهب، ص334.

(2)ينظر، أبو الحسن الهروي، اللامات، تحقيق وتعليق، يحي علوان البلداوي، مكتبة الفلاح، الكويت، ط1، 1980، ص120.

(3)ينظر، المبرد، المقتضب، 44/2،45.

(4)ينظر، أبو السعود حسنين، العناصر الأساسية للمركب الفعلي وأنماطها من خلال القرآن الكريم، ص95.

(5)الطلاق، 7.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

اللام لام الطلب، وهي جازمة، وكسرت -هنا- لأنها وقعت في أول الجملة[1]. وقد دخلت على مضارع "ينفقْ" بصيغة الغائب فجزمته. وأشار النحاة إلى أنّ هذه اللام تدخل على كل من الغائب والمخاطب والمتكلم[2].

والأمر موجه إلى المسند إليه "ذو" المضاف إلى "سعة"، وهو أمر لأهل التوسعة، أن يوسعوا على نسائهم المرضعات أولادهن على قدر سعتهم. وهذا ما يدل عليه سياق الآيات السابقة المتصلة بجملة الأمر هذه. وقال الزمخشري: الأمر لكل من الموسر والمعسر بالإنفاق على المطلقات والمرضعات[3]. فينفق كل واحد على مقدار حاله، ولا يكلف الزوج ما لا يطيق، ولا يضيع حق الزوجة، بل يكون الإنفاق معتدلا. وفي هذا المعنى دليل على أن النفقة تختلف باختلاف أحوال الناس[4]. فهي ليست مقدرة شرعا، وإنما تقدر عادة بحسب الحالة من المنفق والحالة من المنفق عليه، فتقدر بالاجتهاد على مجرى العادة. ويتجلى المعنى أكثر من الجملة المعطوفة –في هذه الآية- في قوله:﴿فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾. أي: لينفق على المولود والده أو وليه بحسب قدرته. ومن كان فقيرا أو مضيقا عليه في الرزق، فلينفق مما أعطاه الله من الرزق بقدر سعته.

ويلحظ إسكان لام الطلب في هذه الجملة المعطوفة. وقد أشار النحاة إلى أنها تسكن في اللغة الجيدة إذا دخلت عليها الفاء أو الواو لئلا تتوالى الحركات[5]. وفهم الطلب بقرينة "اللام"؛ فزمن المعنى في الفعل هو المستقبل، وهو أمر بالإنفاق على سبيل الوجوب.

<u>الصورة الثانية</u>: لام الطلب+ مسند+ مسند إليه+ جار ومجرور+ مضاف إليه (مكرر).

وردت في قوله تعالى:﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾[6].

قرأ الجمهور: "وَلْيضربن" بسكون لام الطلب، وقرأ أبو عمرو بكسر اللام على الأصل[7].وقرأ أبو عمرو ونافع وعاصم: "جُيوبهن" بضم الجيم، وباقي السبعة بكسر الجيم لأجل الياء[8]. والمعنى واحد في القراءتين. وضمن قوله: "وليضربن" معنى وليضعن، ولذلك عدي الفعل بـ"على"، كما تقول: ضربت بيدي على الحائط إذا وضعتها عليه[9].

(1)ينظر ،المبرد، المقتضب، 133/2، والعكبري، اللباب، تحقيق عبد الإله نبهان، دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق، ط1، 1995، 49/2.

(2)ينظر، المبرد، المقتضب، 44/2، وابن السراج، الأصول في النحو، 157/2.

(3)ينظر، الكشاف، 122/4،123.

(4)ينظر، الواحدي، الوسيط، 315/4، والبغوي، معالم التنزيل، 360/4، وابن الجوزي، زاد المسير، 297/8، والكلبي، التسهيل،459/2.

(5)ينظر، المبرد،المقتضب، 133/2، والعكبري، اللباب، 49/2.

(6)النور، 31.

(7)ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 489/10، والقرطبي، الجامع، 230/12، وأبو حيان، البحر المحيط، 413/6.

(8)ينظر، الداني، التيسير، ص131، وابن الجوزي، زاد المسير، 32/6، والقرطبي، الجامع، 230/12.

(9)ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 413/6.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والباء في قوله: "بخمرهن" تفيد الإلصاق مبالغة في إحكام وضع الخمار على الجيب والخمر: جمع خمار، وهو ما تغطي به المرأة رأسها. والجيوب: جمع جيب، وهو جيب القميص[1]. وهو-هنا-فتحة في أعلى الثوب يبدو منها بعض النحر.

ومعنى الجملة: وليضربن خمورهن على جيوب الأقمصة، بحيث لا يبقى بين منتهى الخمار ومبدأ الجيب ما يظهر منه الجيد.

وسبب هذا الأمر أن النساء في ذلك الزمان إذا غطين رؤوسهن بالأخمرة سدلنها من وراء الظهر، فيبقى النحر والعنق والأذنان لا ستر على ذلك، فأمرن أن يضربن خمورهن على الجيوب[2]. وروي عن عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت:"يرحم الله نساء المهاجرات الأول؛ لما أنزل الله-هذه الآية- شققن مروطهن فاختمرن به"[3]. وقد ورد عنه ﷺ أنه قال: "يا أسماء إنّ المرأة إذا بلغت المحيض لم تصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا"[4]. وأشار إلى وجهه وكفيه. وفي معنى الأمر إشارة إلى أن الزينة ما يعم الخلقة وغيرها، فقد منعن من إبراز محاسن خلقهن، فأوجب سترها بالخمار اتقاء الفتنة.

الصورة الثالثة: جار ومجرور+ أداة عطف+ لام الطلب+ مسند+ مسند إليه.

وردت هذه الصورة في قوله تعالى:﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[5].

تقدم الجار والمجرور "على الله" على المسند والمسند إليه، وتأخر المسند إليه "المؤمنون" لرعاية الفاصلة، وللاهتمام بتقديم لفظ الجلالة "الله". وقديما قال سيبويه وغيره: والعرب قديما إذا أرادت العناية بشيء قدمته[6]. وذلك لأن أصل الجملة: فليتوكل المؤمنون على الله. ومن واجب المتوكل على الله أن يقوم بما أوجبه عليه من أحكام، ويهتدي بسننه الكونية من الأخذ بأسباب النصر المادية والمعنوية كإعداد العدة الكاملة، والابتعاد عن التنازع الذي يفرق الكلمة ويولد الوهن والفشل.

الصورة الرابعة: لام الطلب+ مسند+ مسند إليه (اسم موصول)+ جملة موصولية (اسمية).

تبرز هذه الصورة في قوله تعالى: ﴿وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾[7].

الفعل المضارع "يملل" مضاعف، وقد فك إدغامه في هذه الجملة. وجاء مدغما-في هذه الآية-في قوله: ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ﴾. ويرد هذا الفعل إلى لغتين: أملّ، وأملَى. فالأولى لغة أهل الحجاز وبني أسد،

---

(1)ينظر، ابن فارس، مقاييس اللغة، 497/1، (جيب).

(2)ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 489/10، والرازي، مفاتيح الغيب، 179/23، والقرطبي، الجامع، 230/12.

(3)أخرجه البخاري في صحيحه، 310/6، (كتاب التفسير).

(4)أخرجه أبو داود في سننه، 460/2، (كتاب اللباس).

(5)آل عمران، 122، والمائدة،11، والتوبة،51، والمجادلة،10، والتغابن،13.

(6)ينظر، الكتاب، 34/1- 56.

(7)البقرة، 282.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والثانية لغة تميم[1]. وورد الفعل في هذه الجملة على اللغة الأولى. وجاء على اللغة الثانية في قوله تعالى: ﴿فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[2]. والأصل: أملل، ثم أبدلت اللام ياء، لأنها أخف[3]. ومعنى اللغتين كما ورد عند صاحب اللسان أن يلقي صاحب الحق كلاما على سامعه ليكتبه عنه[4]. والأمر للذي عليه الدين بالإملاء، لأن الشهادة إنما تكون بحسب إقراره بثبوت الدين في ذمته[5]. ومعنى التركيب: وليلق الكاتب ما يكتبه من عليه الحق من المتعاملين، ليكون إملاؤه حجة عليه، تبينه الكتابة وتحفظه. والغرض من هذه الكتابة حفظ الديوان.

ويلحق هذه الصورة قوله تعالى: ﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ﴾[6].

جملة الأمر جواب الشرط -في هذه الآية- في قوله: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا...﴾.

المختلف في هذه الجملة عن سابقتها أن صلة الموصول وردت جملة فعلية ماضوية. والفعل المضارع "يؤد" مجزوم بلام الطلب، وعلامة جزمه حذف حرف العلّة. ومعنى الأداء: الدفع وردّ الشيء، يقال: أدى فلان دينه ،أي قضاه[7]. ومنه أداء الأمانة، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾[8].

والمفعول به في قوله: "أَمَانَتَه" مصدر سمي به الشيء الذي في الذمة، وأضيف إلى الذي عليه الدين من حيث النسبة إليه. وهذا الضمير (الهاء) يعود إلى "الذي أؤتمن".

ودلالة الأمر الوجوب بقرينة لفظ "أمانته"؛ فالأمانة واجبة الأداء.واستخدم لفظ أمانة، لأن له مهابة في النفوس المؤمنة، وذلك لتحذير المتلقين من عدم الوفاء بالأمانات.وسمي أمانة؛ لأن عدم أدائها ينعكس على خيانة.

الصورة الخامسة: لام الطلب+ مسند+ مسند إليه+ مفعول به.

وردت هذه الصورة في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾[9].

(1)ينظر، القرطبي، الجامع، 385/3، وابن منظور، لسان العرب، 631/11، (ملل).

(2)الفرقان، 5.

(3)ينظر، القرطبي، الجامع، 385/3.

(4)ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 631/11، (ملل).

(5)ينظر، الفراء، معاني القرآن، 183/1.

(6)البقرة، 283.

(7)ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 26/14، (أدا).

(8)النساء، 58.

(9)الحج، 29.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

اختلفت القراءة في سكون لام الطلب وتحريكها، فقرأ ورش عن نافع، وقنبل عن ابن كثير، وابن عامر، وأبو عمرو بكسر لام "لِيقضوا". وقرأ الباقون بسكون اللام[1]. وهما لغتان في لام الطلب (الأمر) إذا وقعت بعده "ثم"[2]. والأحسن مع "ثم"كسر اللام، لأنه حرف يقوم بنفسه، ويمكن الوقوف عليه، والابتداء به[3].

والفعل تقيد بالمفعول به"تفث" المضاف إلى الضمير"هم"، والمراد هم قوم إبراهيم عليه السلام بدلالة السياق.

وتردد المفسرون في المراد من كلمة "التفث"، فقال الفراء: "وأما التفث فنحر البدن وغيرها من البقر والغنم وحلق الرأس، وتقليم الأظافر وأشباهه"[4].وعند ابن عطية: "ما يفعله المحرم عند حلّه من تقصير شعره وحلقه وإزالة شعث ونحوه"[5]. ويوافقه البغوي وبعض المفسرين فيما ذهب إليه[6].

والظاهر من خلال السياق أن "التفث" ليس بتقليم ظفر، ولا بإزالة وسخ ولا شعر، وإنما هو عمل من أعمال الحج، وذلك بدلالة فعل "ليقضوا" .ويؤيد هذا المعنى ما روي عن ابن عباس وابن عمر في أن المراد ليتموا مناسك الحج من حلق الرأس ورمي الجمار وغير ذلك[7].

وإنّ موضع "ثمّ" في عطف جملة الأمر على ما قبلها يدل على معنى التراخي الرتبي لا الزمني، فيقتضي أنّ المعطوف بـ"ثم" أهم مما ذكر قبلها، فإنّ أعمال الحج هي المهم في القدوم إلى مكة، ومن ثَمَّ فلا جرم أن يكون المراد من "التفث" مناسك الحج.وفي الأمر دليل على وجوب القيام بتلك المناسك.

وتتكرر هذه الصورة في الجملة المعطوفة –في هذه الآية– في قوله: ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾.

الأمر بالوفاء بالنذور من أعمال الحج، أي إن كانوا قد نذروا أعمالا زائدة على ما تقتضيه فريضة الحج مثل نحر البدن والاعتكاف في المسجد الحرام أو إطعام بائس أو نحو ذلك.والأمر يدل على وجوب الوفاء بالنذور الشرعية، أما النذور للأولياء فهي شرك، ولا يجوز الوفاء بها.

<u>الصورة السادسة</u>: لام الطلب+ مسند+ مسند إليه(مضمر)+ مفعول به+ بدل.

تبرز هذه الصورة في قوله تعالى: ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾[8].

المسند إليه (المأمور) غير بارز في البنية السطحية للجملة، ويقدر بضمير الغائب (هو). ولفظ الجلالة "الله" المؤدي وظيفة المفعولية، هو الآمر. والأمر تضمنه المسند (المضارع) الذي حذف آخره (حرف العلة)، لأنه مجزوم بلام الطلب.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1)ينظر، الفراء، معاني القرآن، 224/2، والداني، التيسير، ص127، وابن الجزري، النشر، 326/2.

(2)ينظر، المبرد، المقتضب، 133/2،134، والاستراباذي، شرح الكافية، 251/2، والعكبري، اللباب، 49/2.

(3)ينظر، الهروي، اللامات، ص120.

(4)معاني القرآن، 224/2، وينظر، السيوطي، الإكليل في استنباط التنزيل، تحقيق سيف الدين عبد القادر الكاتب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1985، ص182.

(5)المحرر الوجيز، 269/10.

(6)ينظر، معالم التنزيل، 284/3، وابن الجوزي، زاد المسير، 427/5، والنسفي، مدارك التنزيل، 113/2.

(7)ينظر، ابن عباس، تنوير المقباس، ص352، والطبري، جامع البيان، 141/17.

(8)البقرة: 282،283.

ويلحظ أن ضمير المأمور يعود على "الذي عليه الحق"في الآية (282)، ويعود على "الذي أؤتمن أمانته" في الآية (283). وقد أُمر بأن يتقي عذاب الله بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه.وفي معنى الأمر تحذير، وزيد في التحذير بذكر اسم الجلالة "الله" مع إمكان الاستغناء بقوله: "وليتق ربّه". والمراد إدخال الفزع في نفس المتلقي، وتربيته على مهابة الله تعالى، فيطبق أحكامه.

الصورة السابعة: لام الطلب+ مسند+ مسند إليه+ جار ومجرور+ صفة.

وردت في قوله تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾[1].

الأمر خطاب لإبراهيم عليه السلام بدلالة السياق. وقد أُمر هو وأتباعه بالطواف بالبيت العتيق. فيفيد الأمر فريضة الإفاضة. وقيل: إنّ المراد به طواف الوداع. واستدل بالآية على أن الطواف لا يجوز داخل البيت إلا في شيء من هوائه[2]. وهو يؤذن بأنهم كانوا يجعلون آخر أعمال الحج الطواف بالبيت، وهو المسمى في الإسلام طواف الإفاضة. وهو ركن من أركان الحج، ولا يصح إلا بعد الوقوف بعرفة ورمي جمرة العقبة.

ووصف البيت بـ"العتيق" تشريفا له. والمراد بـ "العتيق" القديم، لأنه أقدم مواقع التعبّد. وقد يكون موصوفا بهذا الوصف، لأنه أُعتق من الجبابرة؛ فهو محرر غير مملوك للناس.وهذا البيت المكرّم معهود عند نزول القرآن، فلذلك عُرّف بلام العهد.

الصورة الثامنة: لام الطلب+ مسند+ ظرف+ مسند إليه+ جار ومجرور.

تظهر هذه الصورة في قوله تعالى: ﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾[3].

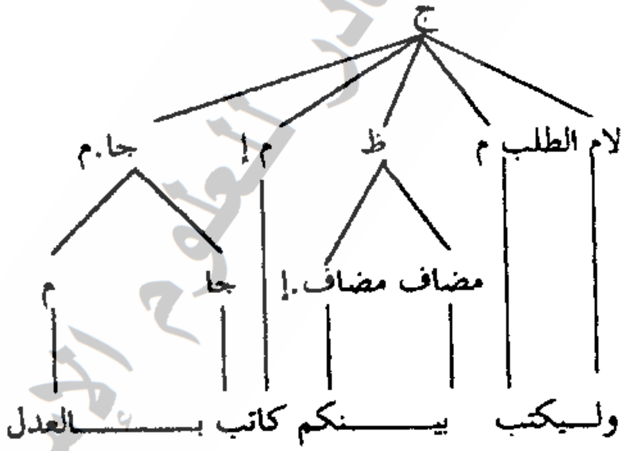

قرأ الجمهور: "ولْيكتب"بإسكان اللام، لأنه مسبوق بالواو، وقرأ الحسن بالكسر على الأصل[4].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1)الحج، 29.

(2)ينظر، السيوطي، الإكليل، ص182.

(3)البقرة، 282.

(4)ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 360/2.

وأسند أمر الكتابة إلى "كاتب" مبالغة في أمر المتداينين بالاستكتاب. فالعرب تعمد إلى المراد فتنزله منزلة الوسيلة مبالغة في حصوله، كقولهم في الأمر: ليكن ابنك مؤدبا.

ومتعلق فعل الطلب هو ظرف "بينكم" أي بين صاحب الدين والمستدين. والجار والمجرور "بالعدل" بمعنى الحق والإنصاف، بحيث لا يكون للكاتب ميل إلى أحدهما دون الآخر.

واختلف فيما تعلق به الجار والمجرور "بالعدل"، فقال ابن عطية: متعلق بـ"ليكتب"،وليس بـ"كاتب"، لأنه كان لازما عليه ألا يكتب وثيقة إلا العدل في نفسه[1]. وقال الزمخشري: متعلق بـ"كاتب"، وهو صفة له، أي: كاتب مأمون على ما يكتب؛ يكتب بالسوية، والاحتياط، لا يزيد على ما يجب أن يكتب ولا ينقص، وفيه أن يكون الكاتب فقيها عالما بشروط الكتابة. وهو أمر للمتداينين بتخير الكاتب بأن لا يستكتبوا إلا فقيها ذا خلق فاضل[2].

واختلف في دلالة الأمر، فقيل: فرض كفاية، وقيل: فرض عين على الكاتب متى طلب منه، وكان في حال فراغه، وقيل: إنه ندب[3].والصواب أنه أمر إرشاد، فيجوز للكاتب أن يتخلف عن أمر الكتابة حتى يأخذ أجره،إذ لو كانت الكتابة واجبة على الكاتب وجوبا عينيا ما صح الاستئجار لها، لأن الإجارة على فعل الفروض باطلة.

الصورة التاسعة: نائب مفعول مطلق+مسند+مفعول به+ مسند إليه+ لام الطلب+ أداة عطف(الفاء)+ مسند+ مسند إليه(مضمر).

تبرز هذه الصورة في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ﴾[4].

الكاف في "كما" للتشبيه، وهي في موضع المفعول المطلق، لأنها صفة لمصدر محذوف، والتقدير: أن يكتب الكاتب كتابة مثل ما علمه الله الكتابة. أو فليكتب كتابة مثل ما علمه الله. والمعنى: فليكتب الوثائق كتابة تشابه الذي علمه الله دون تبديل ولا تغيير. وفي ذلك حث على بذل جهده في إتقان فن الكتابة، والعمل وفق الحكم الشرعي.والظاهر تعلق "الكاف" بقوله: "أَن يَكْتُبَ" -في الآية-إلا أن الكلام توقف عند قوله: "أَن يَكْتُبَ". ولهذا يكون متعلقا بالأمر في قوله: "فليكتب"، ويكون ترتيب عناصر الجملة: فليكتب كما علمه الله.

---

(1)ينظر، المحرر الوجيز، 502/2.

(2)ينظر، الكشاف، 402/1.

(3)ينظر، الطبري، جامع البيان، 119/3، وابن عطية، المحرر الوجيز، 502/2، والبغوي، معالم التنزيل، 267/1،268.

(4)البقرة،282.

والفرق الدلالي بين التعلق في الموضعين أنه إذا تعلق بـــ: "أن يكتب" كان تابعا لجملة النهي، فهو نهي عن الامتناع من الكتابة المقيدة. وإذا كان متعلقا بقوله: "فليكتب" كان ذلك نهيا عن الامتناع مـــن الكتابـــة على الإطلاق، ثم أُمر بها مقيّدة[1].

ويستفاد من مضمون الجملة أن تعليم الله الكاتب ليس خاصا بصناعة الكتابة، بل هو يعم كل ما وكل إليه من أحكام شرعية، فالكتابة لا تكون كتابة موثوقة إلا إذا كان الكاتب عالما بالأحكام الشرعية، وتوفـرت فيه شروط الموثق.

الصورة العاشرة: لام الطلب+ جملة فعلية مضارعية(مسند +مسند إليه)+ أداة عطف+ جملة فعليـــة مضارعية (مسند+ مسند إليه).

وردت في قوله تعالى: ﴿وليَعْفُوا وليَصْفَحُوا﴾[2].

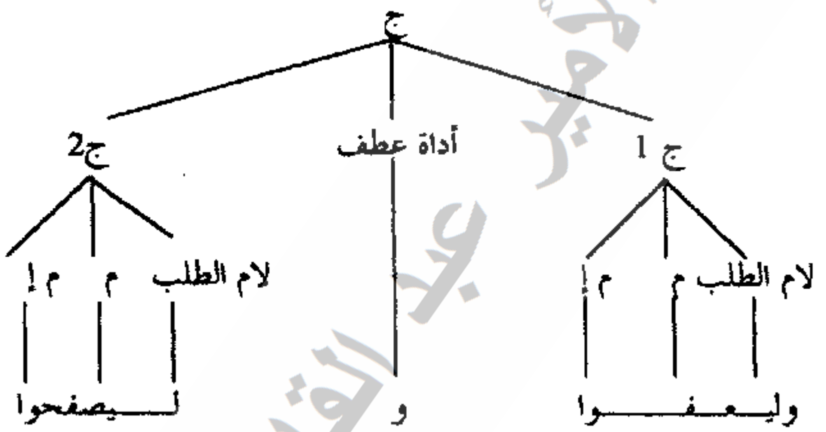

تميزت الجملتان المتعاطفتان بالاختصار، والتقدير: وليعفوا عنهم وليصفحوا. بمعنى وإن كانت بينـــهم شحناء لجناية اقترفوها فليعودوا عليهم بالعفو والصفح.

الخطاب لأبي بكر الصديق﷛ بقرينة المقام. وقد استخدمت صيغة الجمع للتعظيم. فقد ذكر في أسباب النزول أن أبا بكر الصديق أقسم ألا ينفق على مسطح بعد أن قال ما قاله في عائشة-رضي الله عنها-.

ولما نزلت هذه الآية إلى قوله: ﴿... ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾قال: والله إني أحب أن يغفر الله لي، ثم رجع إلى مسطح ما كان يصله من النفقة، وقال: "والله لا أنزعها منه أبدا"[3].

واختلف في قراءة الفعلين المضارعين، فقرأ الجمهور بياء الغائب، وقرأ عبد الله بن مسعود، والحســـن وسفيان بن الحسين بتاء الخطاب، وهو أمر للحاضرين[4]. أي: لتعفوا عن المسيء، وتصفحوا عن خطأ المذنب، فلا تعاقبوه ولا تحرموه من العطاء، ولتعودوا إلى صلتكم الأولى، فإن أخطأ مرة فلا يشدد في العقاب عليـــه.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1)ينظر، الزمخشري، الكشاف، 402/1،403، وأبو حيان، البحر المحيط، 360/2.

(2)النور، 22.

(3)البخاري، الصحيح، 216/3، (كتاب الشهادات)، ومسلم، 2129/4، (كتاب التوبة)، والواحدي، أسباب النزول، ص270.

(4)ينظر، ابن جني، المحتسب، 106/2، وابن عطية، المحرر الوجيز، 470/10، وأبو حيان، البحر المحيط، 404/6.

وقد عوقب مسطح بن أثاثة، وحسان بن ثابت، وحمنة بنت جحش جزاء خوضهم في إثم الإفك، وتابوا فغفر الله لهم.وذكر هؤلاء الذين أقيم عليهم الحد أبو داود عن عائشة –رضي الله عنها–[1].

وفي الأمر ترغيب في العفو والصفح، وهو وعد من ربٍّ رحيم كريم بمغفرة ذنوب التائبين.

الصورة الحادية عشرة: لام الطلب+جملة مضارعية(مسند+مسند إليه(مضمر)+جار ومجرور (مكرر)+أداة عطف (ثم)+جملة معطوفة (مسند+مسند إليه (مضمر).

وردت في قوله تعالى:﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾.[2]

جملة الأمر"فليمدد بسبب إلى السماء "جواب شرط جازم مقترن بالفاء، والمضارع"يمدد" مجزوم بلام الطلب، وجاء بصيغة الغائب.والضمير المستتر (المسند إليه) عائد على "مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ"في هذه الآية.وقد يكون هؤلاء الذين يظنون أن الله لن ينصرهم جماعة من المنافقين أسلموا واستبطأوا نصر الله فيئسوا منه، أو أنهم ظنوا أن الله لا ينصرهم في الدنيا ولا في الآخرة إن بقوا على الإسلام [3].

والجار والمجرور "بسبب"متعلق بـ"يمدد"، ويجوز أن تكون الباء زائدة، و"بسبب" اسما مجرورا لفظا منصوبا محلا على المفعولية، والتقدير: فليمدد سببا.

والجار والمجرور "إلى السماء" متعلق بصفة محذوفة من "بسبب"،بمعنى : بحبل إلى سقف. وفي هذا المعنى تعجيز؛فهم لا يستطيعون القيام بهذا الفعل.

وجيء بجملة معطوفة "ثم ليقطع" لدلالة التراخي الرتبي. ومفعول "يقطع" محذوف لدلالة المقام عليه، والتقدير: ثم ليقطعه أي : ليقطع السبب.

وفي قراءة عبد الله: "ثم ليقطعه"بذكر المفعول به، يعني السبب وهو الحبل.[4]والقطع يدل على الاختناق، لأنه يقطع الأنفاس.وذلك تهكم بهم في أنهم لا يجدون مناصا في شيء من أفعالهم.

الصورة الثانية عشرة: لام الطلب+مسند+مسند إليه(اسم موصول)+جملة مضارعية (مسند +مسند إليه+ جار ومجرور+ مضاف إليه + مفعول لأجله–جملة مصدرية–).

وردت في قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.[5]

الفعل المضارع "يحذر" مجزوم بـ "لام الطلب"، وكسر لالتقاء الساكنين، والفاعل اسم الموصول "الذين"، والفعل "يخالفون" يتعدى إلى المفعول به مباشرة، ولكنه تعدّى إليه–في هذه الجملة–

---

(1)ينظر، سنن أبي داود، دراسة وفهرسة، كمال يوسف الحوت، دار الجنان،ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط1، 1988، 568/2 ، (كتاب الحدود).

(2)الحج: 15.

(3)ينظر، السمرقندي، بحر العلوم،388/2، والرازي، مفاتيح الغيب، 15/23.

(4)ينظر، الفراء، معاني القرآن، 218/2، والقرطبي، الجامع، 22/12.

(5)النور: 63.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بواسطة "عن"لتضمينه معنى الصدود والإعراض، أو بمعنى يتجاوزون عن أمره، فهي ليست زائدة.[1] والضمير في "أمره" عائد إلى الله سبحانه وتعالى، أو على رسوله الكريم في هذه الآية .وجملة "أن تصيبهم فتنة"بتأويل مصدر في محل نصب مفعول لأجله، بتقدير: كراهةً أن تصيبهم نائبة في الدنيا. ثم عطف على الجملة المصدرية بـ"أو" المفيدة للتخيير، بمعنى: أو يصيبهم عذاب عظيم في الآخرة.

والخطاب للمنافقين بقرينة السياق والمقام، فقد ثقل عليهم المقام في المسجد يوم الجمعة واستماع خطبة الرسول ﷺ فكانوا يلوذون ببعض أصحابه فيخرجون من المسجد خفية معرضين عن أمره أو مخالفين بعد أمره[2]. وقال ابن عطية: "معناه يقع خلافهم بعد أمره".[3]

والأمر بالحذر للوجوب، وهو قول جمهور المفسرين.[4]فهو تحذير من عذاب الله ونقمته إذا خالفوا عن أمره.

الصورة الثالثة عشرة: لام الطلب+مسند+مسند إليه+جار ومجرور+أداة عطف (الواو)+جملة معطوفة (مسند+مسند إليه+ جار ومجرور)+جملة تعليلية (ناسخ (لعل)+مسند إليه+مسند).

تبرز هذه الصورة في قوله تعالى: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[5]

جملة "فليستجيبوا لي "تساوي في بنيتها جملة "ليؤمنوا بي".وتتكون كل منهما من (لام الطلب)، وفعل مضارع مسند إلى ضمير الجماعة (الواو)، وجار ومجرور.

ومعنى "فليستجيبوا لي": فليطلبوا إجابتي لهم إذا دعوني. فتكون صيغة (استفعل)قد دلت على الطلب. "وليؤمنوا بي"معطوف على "فليستجيبوا لي".ومعناه الأمر بالإيمان بالله، وذلك بالمداومة على الفعل، لأن الخطاب للمؤمنين بدلالة سياق الآية.

والتركيب تخصصه جملة "لعلهم يرشدون" تخصيصا تعليليا. والمعنى أنهم إذا استجابوا لله وآمنوا به كانوا على رجاء من حصول الرشد لهم، وهو الاهتداء لصالح دينهم ودنياهم.

وذيل التركيب برجاء الرشد، لأنه تعالى لما أمرهم بالاستجابة له وبالإيمان به نبه على أن هذا التكليف ليس المراد منه إلا الوصول بامتثاله إلى الرشد. والرشد ضد الغي والفساد، وذلك من أحسن ما يطلبه العبد من ربه.

---

(1)ينظر، أبوحيان، البحر المحيط، 437/6، والسمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، حققه علي محمد معوض وآخرون ، دار الكتب العالمية، بيروت، ط1، 1994، 239/5.

(2)ينظر، البغوي، معالم التنزيل،359/3، والقرطبي، الجامع، 322/12 ، والخازن ،لباب التأويل، 307/3.

(3)المحرر الوجيز، 556/10.

(4)ينظر، السمرقندي، بحر العلوم، 451/2، والقرطبي، الجامع، 322/12، وأبو حيان، البحر المحيط، 437/6، والسيوطي، الإكليل، ص 196.

(5)البقرة، 186.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الصورة الرابعة عشرة: لام الطلب+جملة منسوخة (فعل الكينونة +جار ومجرور+مسند إليه +مسند (جملة مضارعية)+أداة عطف+جملة مضارعية معطوفة (مكررة).

وردت في قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾.[1]

قرأ الجمهور:"ولْتكن" بسكون اللام، وقرأ الحسن وعيسى بن عمر، وأبو حيوه بكسرها على الأصل.[2]

والقراءتان فصيحتان، لأنه يجوز تسكين اللام وكسرها بعد الواو والفاء، لأنهما يتصلان بالكلمة كأنهما منها، ولا يمكن الوقوف على واحد منهما.[3]

والمخاطب بضمير"منكم"هم أصحاب رسول اللهﷺ بقرينة المقام.ويجوز أن تكون "من" بيانية [4]، فيكون متعلق الأمر جميع الأمة، أي ولتكونوا كلكم أمة يدعون إلى الخير. ويجوز-أيضا-أن يكون الخطاب لأصحاب رسول الله، وأن تكون "من"للتبعيض، ويكون متعلق الأمر ببعض الأمة[5]. وهم الذين تتوفر فيهم شروط الدعوة.

وتدل صيغة "ولتكن" على الوجوب، لأن الأمر يدل دوما على الوجوب إذا لم تكن هناك قرينة مانعة من ذلك. فإذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر غير معلوم بين المؤمنين من قبل نزول هذه الآية، فالأمر لتشريع الوجوب، وإذا كان ذلك حصل بينهم من قبل كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[6] . فالأمر لتأكيد ما كانوا يقومون به والدعوة إلى وجوبه على الدوام. وفيه إضافة الأمر بالدعوة إلى الخير. وينطبق هذا الحكم على الأجيال المتعاقبة بطريق القياس حتى لا تتعطل الدعوة، فتضعف شوكة المسلمين. وليس الكل مأمورين بالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل يكون الواجب على الكفاية، وذلك ممن توفرت فيهم شروط الكفاءة للقيام بهذا الغرض. وإلى هذا ذهب جل العلماء [7] .فهذا الواجب تقوم به جماعة متخصصة بالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1)آل عمران، 104.

(2)ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز،254/3، وأبو حيان، البحر المحيط ،23/3.

(3)ينظر، الهروي، اللامات، ص 120.

(4)ينظر، الزمخشري، الكشاف، 452/1.

(5)ينظر، المصدر السابق،452/1، وأبو حيان، البحر المحيط، 23/3.

(6)آل عمران، 110.

(7)ينظر، السمرقندي، بحر العلوم، 289/1، وابن عطية، المحرر الوجيز، 255/3، وابن العربي، أحكام القرآن، 292/1.

وفي حذف مفاعيل "يدعون"و"يأمرون"و"ينهون" دلالة على أن المراد بها التعميم لا التخصيص، أي: يدعون كل أحد كان، أو كل أمة من سائر الأمم، وذلك للحفاظ على الجامعة وسياج الأمة الإسلامية.

الصورة الخامسة عشرة: لام الطلب+جملة مضارعية (مسند+مسند إليه+صفة+أداة عطف+جملة مضارعية (لام الطلب+ مسند+مسند إليه+صفة+حال+جار ومجرور+جملة اسمية منسوخة(صلة الموصول).

وردت في قوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ .[1]

المأمورون هم "الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ" في الآية السابقة.والأمر بالضحك-هنا-كناية عن الفرح أو قصد ضحكهم فرحا لاعتقادهم.والبكاء كناية عن حزنهم في الآخرة. فالأمر بالضحك وبالبكاء مستخدم في الإخبار بحدوثهما فعلا، إذ هما من أمر الله تعالى.

واتسم التركيب بالاختصار، حيث حذف المفعول المطلق في الجملتين المتعاطفتين، وقامت الصفة مقامه، والتقدير: فليضحكوا ضحكا قليلا، وليبكوا بكاء كثيرا...

والحال في قوله:﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ حال من ضمير الجماعة، أي: جزاء لهم بما فعلوا، وجزاؤهم هو البكاء الكثير المعاقب للضحك القليل. وفي ذكر فعل الكينونة الماضي دلالة على تمكن الخطأ منهم منذ زمن مضى.وجيء بالمسند (خبر كان) بصيغة المضارع في قوله:"يكسبون"للدلالة على التجدد والتكرار.

وفي مضمون جملة الأمر وعيد لهم بأنهم صائرون إلى العذاب المهين في الآخرة.

الصورة السادسة عشرة: لام الطلب+جملة مضارعية(مسند+مسند إليه+جار ومجرور+أداة عطف+معطوف(مجرور)+أداة عطف+جملة مضارعية(مسند+مسند إليه+مفعول به)-مكرر-+أداة عطف+جملة مضارعية(مسند+مسند إليه+مفعول به+مفعول فيه+أداة عطف+معطوف(مفعول فيه).

وردت هذه الصورة في قوله تعالى: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾.[2]جملة "لتؤمنوا بالله ورسوله" استئنافية، واللام فيها لام الطلب، وليست لام التعليل.

واختلف القراء في قراءة أفعال هذه الآية، فقرأ الجمهور الأفعال الأربعة: "لتؤمنوا"،"وتعزروه"، "وتوقروه"،"وتسبحوه" بتاء الخطاب.وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بياء الغيبة فيها.[3]واختلفوا كذلك في قراءة قوله: "وتعزروه"، فقرأ عامة القراء العشرة هكذا، وقرأه علي وابن عباس وابن السميفع: "وتعززوه"بزاءين .[4]

---

(1)التوبة، 82.

(2)الفتح، 9

(3)ينظر، الداني، التيسير، ص 163، والقرطبي، الجامع، 266/16، وابن الجزري، النشر، 375/2، وأبو حيان، البحر المحيط، 92/8.

(4)ينظر، ابن جني ، المحتسب، 275/2، والزمخشري، الكشاف، 543/3، وابن عطية، المحرر الوجيز، 440/13، وأبو حيان، البحر المحيط، 92/8.

ومعنى القراءة بـ"تعزروه" أي: تنصروه وتعظموه وتكبروه. والمراد بتعزيز الله تعزيز دينه. قال النحاس: وأصله (يعني التعزيز) في اللغة من التبجيل والتطهير. ومنه التعزير الذي هو دون الحد، لأنه مانع.[1]

قال القطامي:

ألاَ بَكَرَتْ مَيٌّ بِغَيرِ سَفَاهَةٍ تُعَاتِب والمَوْدُودُ يَنْفَعُه العِزْرُ[2]

ومعنى القراءة بـ"تعززوه" يقال: عَزَّزَه، أي: جعله عزيزا وقويا، ومنه قوله تعالى﴿فعززنا بثالث﴾[3].

وللمفسرين رأيان في مرجع الضمائر في الآية: أحدهما أن الضمائر كلها مرجعها إلى لفظ الجلالة. وثانيهما أن الضمائر بعضها لرسول الله عليه الصلاة والسلام-وبعضها لله تعالى، فـ"تعزروه وتوقروه" للرسول، "وتسبحوه" لله تعالى. قال ابن عطية: "وقال بعض المتأولين: الضمائر في قوله تعالى: تعزروه وتوقروه وتسبحوه" هي لله تعالى. وقال الجمهور: "وتعزروه وتوقروه" هما للنبي ﷺ و"تسبحوه" هي لله تعالى[4].

وقال الرازي: "الكنايات المذكورة في قوله تعالى: ﴿وتعزروه وتوقروه وتسبحوه﴾ راجعة إلى الله تعالى أو الرسول عليه الصلاة والسلام؟ والأصح لأول".[5] وقال الزمخشري: الضمائر لله ﷻ، ومن فرّق الضمائر فقد أبعد.[6] وتبعه السيوطي الذي يرى أن الضمائر عائدة إلى الله تعالى، لأن "الأصل توافق الضمائر في المرجع حذرا من التشتيت".[7]

يتضح من القراءتين أن القراءة المتواترة طلبت النصرة والتعظيم، والقراءة الأخرى بينت أن المقصود هو جعله عزيزا قويا.

النمط الثالث: المصدر النائب عن فعل الأمر.

المصدر: هو الاسم الذي يحدثه الفاعل.[8] ويدل على زمن مطلق، ويتضمن مادة أحرف فعله لفظا، وتحدد دلالته الزمنية بقرينة لفظية أو معنوية حين دخوله في علاقات سياقية. والمصدر النائب عن فعل الأمر يأتي منصوبا، ويؤدي وظيفته الأمر.[9]

وقد ورد الأمر بهذا النمط-في السور المدنية-في ثلاث جمل. يوزع كالآتي:

(1)ينظر، معاني القرآن الكريم، تحقيق محمد علي الصابوني، مطبوعات مركز إحياء التراث، جامعة أم القرى، السعودية، ط1، 1410هـ، 500/6.

(2)الديوان، تحقيق إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب، دار الثقافة، بيروت، ط1، 1960، ص 124.

(3)يس، الآية 14.

(4)المحرر الوجيز، 440/13.

(5)مفاتيح الغيب، 75/28.

(6)ينظر، الكشاف، 542/3.

(7)الإتقان، 245/1.

(8)ينظر، عبد السلام هارون، الأساليب الإنشائية، ص 74.

(9)ينظر، سيبويه، الكتاب، 275/1، والمبرد، المقتضب، 216/3، و عبد السلام هارون، الأساليب الإنشائية، ص 76، 77.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الصورة الأولى: جار ومجرور+مصدر (نائب عن فعل الأمر).

وردت في قوله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾.[1]

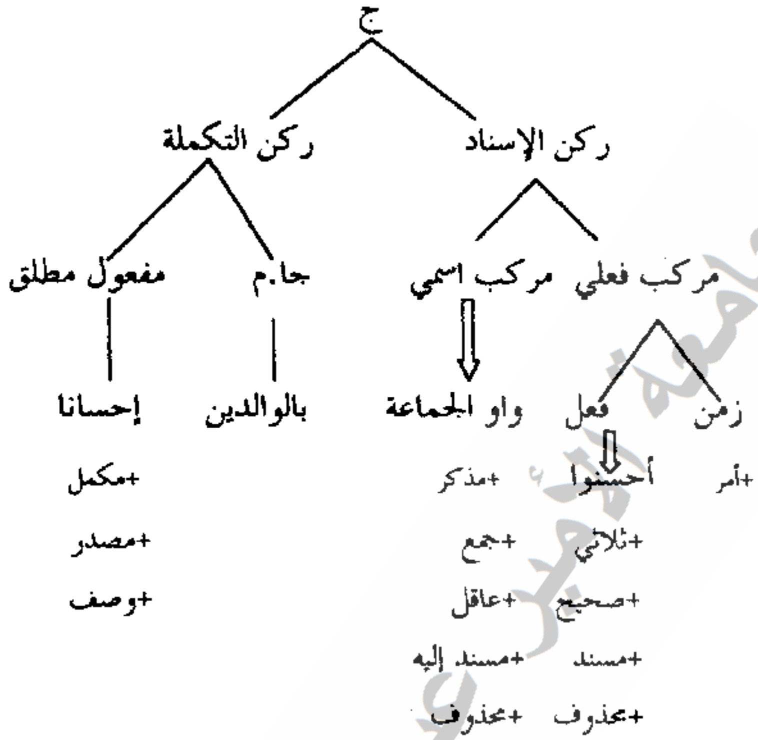

تم إحلال ركن التكملة المؤلف من المركب الاسمي "إحسانا" الذي جاء في موقع المفعول المطلق النحوي. وتقدم الجار والمجرور "بالوالدين" المتعلق بالمصدر "إحسانا" الذي ناب عن فعل الأمر، أو بفعل محذوف يدل عليه المصدر المذكور الذي هو من لفظه. وتأخر مركب التكملة بعد حذف ركن الإسناد حذفا إجباريا، حيث تقلص المركبان الفعلي والاسمي الممثلان لركن الإسناد إلى مركب واحد فقط، وهو ركن التكملة. وتصير الجملة مختصرة، تحدّدها البنية العميقة، والتقدير: وأحسنوا بالوالدين إحسانا. فهذا الفعل أو المصدر منه يتعدى بحرف الجر.

والخطاب بقوله: "وبالوالدين إحسانًا" في سورة البقرة لبني إسرائيل -بدلالة السياق- في عهد موسى عليه السلام وتكون الجملة معطوفة -في هذه الآية- على قوله: ﴿لا تعبدون إلا الله﴾ .فهي طلبية بصيغة الخبر، ولذلك يجوز أن يقدّر المحذوف في الجملة المعطوفة بصيغة المضارع: ويحسنون بالوالدين إحسانا.[2] والجملة تفيد الطلب مهما كانت الصيغة، وإخراج الأمر في صورة الخبر إشعار بأهميته و تأكيده، فيخبر عنه كأنه تحقق.

وقد تكون الجملة معطوفة على طلب حسب قراءة أُبي وابن مسعود: "لا تعبدوا " على النهي.[3] ولهذا وصل الكلام بالأمر. أما الخطاب -في سورة النساء- فهو للمسلمين بدلالة السياق. والجملة معطوفة على

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) البقرة، 83، والنساء، 36.

(2) ينظر، الزمخشري، الكشاف، 293/1.

(3) ينظر، الفراء، معاني القرآن، 53/1، الزمخشري، الكشاف، 293/1، والرازي، مفاتيح الغيب، 150/3، والقرطبي، الجامع، 13/2.

جملة أمر–في هذه الآية–في قوله: "واعبدوا الله". وجاءت هذه الجملة عقب عبادة الله للاهتمام بشأن الوالدين، لأن النشأة الأولى من عند الله، والنشء الثاني–وهو التربية–من جهة الوالدين. والمراد بالإحسان إلى الوالدين معاشرتهما بالمعروف، وامتثال أمرهما، والتواضع لهما، والدعاء بالمغفرة بعد مماتهما. والأمر بالإحسان إلى الوالدين أمر خالد من الناحية الزمنية، ويعد سرا من أسرار الإعجاز القرآني.[1] وهذا الأمر على سبيل الوجوب، على أن الله أمر بالإحسان الفعلي إذا كان في مقدور المأمور، وأمر بالإحسان القولي إذا تعذر الفعلي.

الصورة الثانية: جملة شرطية: جملة فعل الشرط+جملة جواب الشرط(مصدر نائب عن فعل الأمر+مضاف إليه).

وردت في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾.[2]

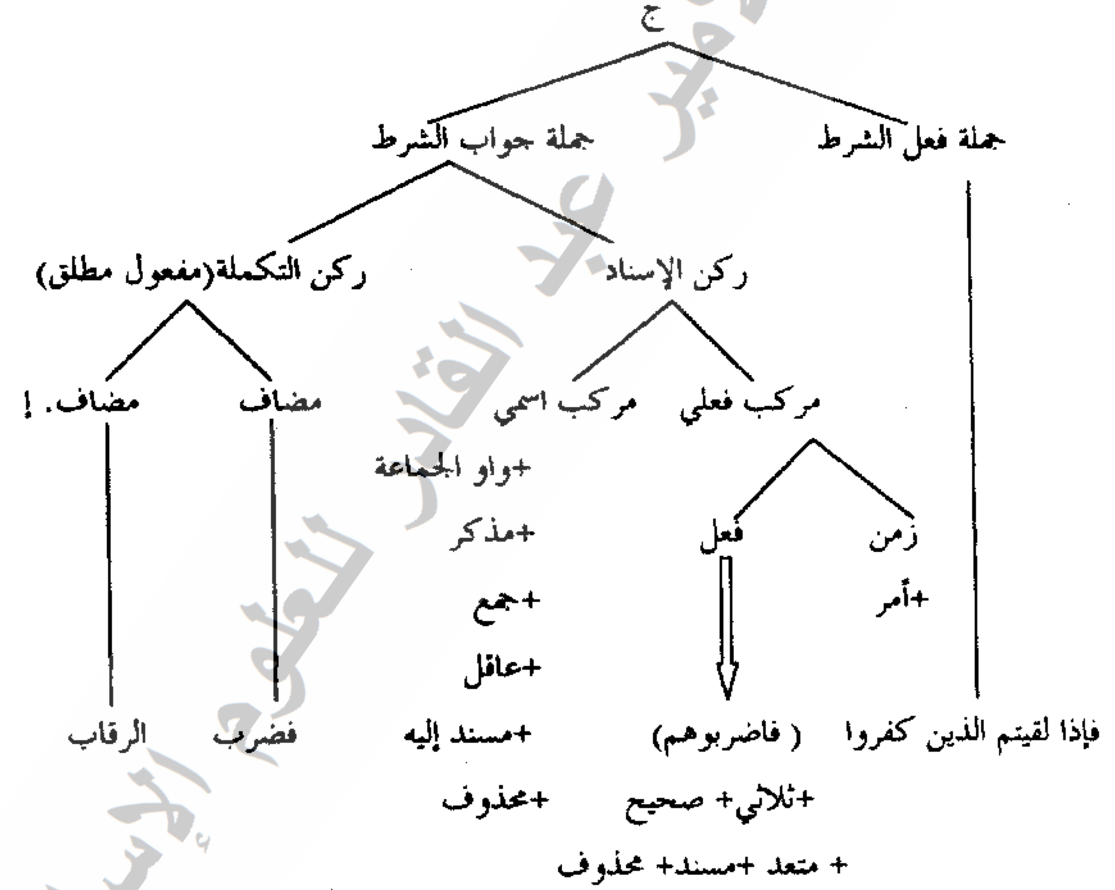

جملة "فضرب الرقاب "جواب شرط اقترن بالفاء وجوبا لتغاير الجملتين.[3]

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) ينظر ، فتحي عبد الفتاح الدجني، الإعجاز النحوي في القرآن الكريم ، مكتبة الفلاح، الكويت، ط1، 1984،ص 145 .يسرى الدجني: أن الأمر الخالد يعم الأفعال التي تتضمن توحيد الله وكذا الأحكام الشرعية بخاصة. ينظر، المرجع السابق، ص142،وما بعدها.

(2)محمد، 4.

(3)ينظر، مالك يوسف المطلبي، في التركيب اللغوي للشعر العراقي المعاصر، ص 249.

وقد اتضح للنحاة قديما وحديثا" أن كل ما لا يصلح للشرط من الجواب يجب اقترانه بالفاء، وعدم الصلاحية يتحقق في الجملة الاسمية والإنشائية".[1]

وانتصب المصدر"ضرب" على المفعولية المطلقة على أنه ناب عن فعل الأمر الذي أخذ منه، ثم أضيف إلى مفعوله "الرقاب"، والتقدير: فاضربوهم ضرب الرقاب، أو فاضربوا الرقاب ضربا. ولما حذف فعل الأمر اختصارا قدم المفعول المطلق على المفعول به، وناب مناب الفعل في العمل في ذلك المفعول، وأضيف إلى المفعول إضافة الأسماء إلى الأسماء .

وتعريف"الرقاب" يجوز أن يكون للعهد الذهني؛ فالقرآن عين من أنواع القتل أعرفَه فذكره. ويجوز أن يكون عوضا عن المضاف إليه، أي: فضرب رقابهم.وعبر بضرب الرقاب مجازا عن القتل، لأن الغالب في القتل أن يكون بضرب الرقبة. وفي هذا تصوير للقتل بأشنع صوره، يقول الزمخشري:" في هذه العبارة من الغلظة والشدة ما ليس في لفظ القتل لما فيه من تصوير القتل بأشنع صورة وهو حز العنق وإطارة العضو الذي هو رأس البدن وعلوه وأوجه أعضائه".[2]

والمصدر في قوله: "فضرب" منصوب بالأمر المحذوف.[3] والحجة لمن نصب أنه مصدر، والاختيار في المصادر النصب إذا هي وقعت مواقع الأمر.[4] وضرب الرقاب المأمور به عند اللقاء تصوير لعملية القتل بصورتها الحسية المباشرة، وبالحركة التي تجسدها تمشيا مع قواعد القتال.

الخطاب-في الآية- للمؤمنين بدلالة السياق. ومعنى الجملة: اقتلوهم بأي وجه أمكن، سواء كان القتل بضرب السيف أم بغيره، لأن الغاية من ذلك هو القتل. وهو أمر بقتال الكفار قتالا لا شفقة فيه ولا هوادة.

النمط الرابع: جملة الأمر بصيغة "اسم الفعل".

قد يطلب الفعل بصيغة (اسم فعل) بدلا من صيغة الأمر(افعل)وذلك في نحو: صه، ومه، ودونك، ووراءك، ومكانك، وإيه، وما شابه ذلك.[5]

واسم الفعل لا يتأثر بالعوامل، ولا يقبل علامات الفعل، كما أنه"لا يضاف ولا يتأخر عن معموله، و لا ينصب في جوابه".[6] ومن اسم الفعل ما يدل على الماضي، ومنه ما يدل على المضارع، ومنه ما يدل على الأمر، وهو الغالب.[7] ويقوم بعمله النحوي من إسناد إلى الفاعل واحتياجا إلى مفعول إن كان متعديا.[8]

---

(1)عبد السلام هارون، الأساليب الإنشائية، ص188، وينظر، المرادي ، الجنى الداني، ص 67، والاستراباذي، الكافية في النحو لابن الحاجب، 262/2، وهادي نهر، التراكيب اللغوية في العربية ، مطبعة الإرشاد، بغداد ، 1987، ص 207.

(2) الكشاف، 530/3.

(3) ينظر، البغدادي، المحلى" وجوه النصب"، تحقيق فائز فارس، مؤسسة الرسالة، بيروت، دار الأمل، الأردن، ط1، 1987، ص 32.

(4)ينظر، عبد العال سالم مكرم، القراءات القرآنية وأثرها في الدراسات النحوية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1996، ص 202.

(5)ينظر، المبرد، المقتضب، 202/3، وابن جني، الخصائص، 35/3.

(6)ابن هشام، شرح شذور الذهب، ص 512.

(7)ينظر، المصدر السابق، ص512.

(8)ينظر، سيبويه، الكتاب، 249/1، والعكبري، اللباب ، 456/1.

وورد من أسماء فعل الأمر-في السور المدنية-"هلم"و"عليكم". وقد جاء اسم فعل الأمر"هلم"في موضع واحد، وذلك في قوله تعالى: ﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾.(1)

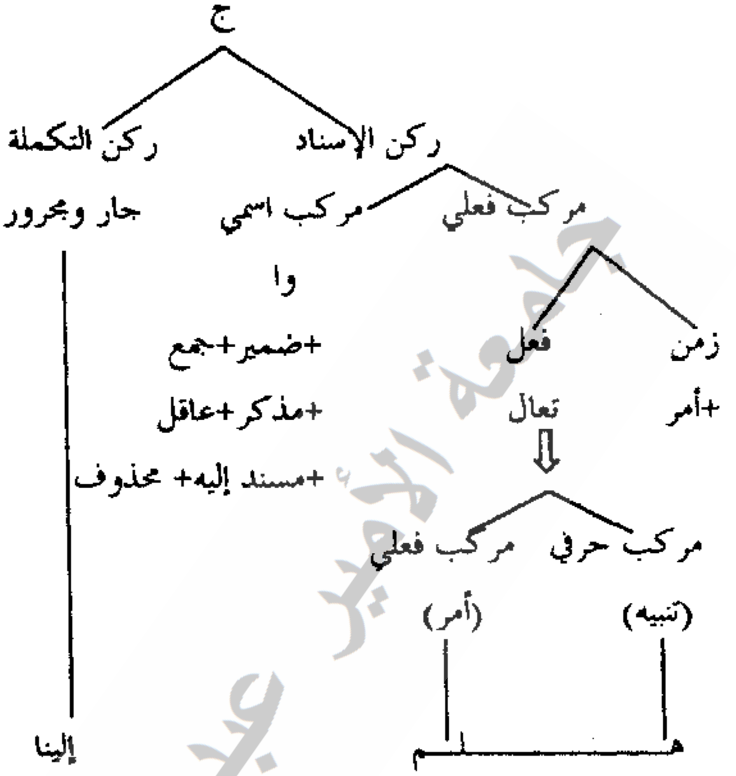

تم تحويل تركيب الأمر من البنية العميقة إلى البنية السطحية عن طريق الحذف الإجباري، ثم حـــذف كل من المركب الفعلي (تعال) والمركب الاسمي (واو الجماعة) حذفا إجباريا حيث حل المركب "هلم" المؤلف من: "ها" التنبيه وفعل أمر" لُمّ". فـ "هلم"الحجازية مركبة عند بعض النحاة، وقال البصريون: مركبة من "هـا" للتنبيه، ومن "لُمّ" أي: لُمّ بنا، ثم كثر استعمالها فحذفت الألف تخفيفا، وهي في الأصل فعل أمر من قولهـم: لَمّ الله شعثه، أي : جمعه، كأنه قيل: اجمع نفسك إلينا.(2) و"هلم"في لغة أهل الحجاز التي جاء بها التتريل تلـزم صورة واحدة، ولا يختلف لفظها بحسب من أسندت إليه، يقولون: هلم للواحد، والمتعدد المذكـر والمؤنـث، وهي فعل عند بني تميم، فلذلك يلحقونها العلامات، يقولون: هلم، وهلمي، وهلما، وهلموا، وهَلْمُمْنَ.(3)

وجملة "هلم إلينا"-جملة مقول القول-في محل نصب مفعول به لاسم الفاعل (القائلين)-في هذه الآيـة-في قولـه: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ﴾ . ويجـوز أن يكـون القـائلون لإخوانهـم "هلم إلينا" المعوقين أنفسهم، أي: المثبطين عن القتال. ويجوز أن يكونوا طائفة أخرى، وإخوانهم الموافقون لهـم في النفاق، فالمراد: الاخوة في الرأي والدين، وذلك أن عبد الله بن أبي ومعتب بـن قشـير، ومـن معـهما من الذين رجعوا من الخندق إلى المدينة، كانوا إذا جاءهم منافق قالوا له: ويحك فلا تخرج، وكانوا يرسلون إلى

(1)الأحزاب، 18.

(2)ينظر، ابن جني، الخصائص، 35/3،والسيوطي، همع الهوامع، 86/3.

(3)ينظر، سيبويه، الكتاب، 529/3،وابن جني، الخصائص، 36/3،والسيوطي، همع الهوامع، 86/3.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

من بقي من المنافقين في جيش المسلمين، يقولون لهم: "هلم إلينا"، أي: أرجعوا إلينا.[1] وقال قتادة: هؤلاء أناس من المنافقين، يقولون لهم: ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس، أي نفر قليل يأكلون رأس بعير، ولو كانوا لحما لالتهمهم أبو سفيان ومن معه.[2] والمعنى: تعالوا إلينا إلى المدينة، واتركوا محمدا وأصحابه يموتون وحدهم، فإنهم لا يزيدون عن أكلة جزور.

وورد اسم فعل الأمر "عليكم "في موضعين، وذلك في المائدة (105)، والنساء (24).

وأتناول بالدراسة-هنا-ما ورد في النساء، أما ما ورد في المائدة، فسأعرض له في الجملة الندائية، ذلك لأن جملة الأمر جاءت مضمونا للنداء.

يقول الله تعالى: ﴿كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾[3].

اسم الفعل "عليكم"نائب مناب فعل الأمر "ألزموا"أي: ألزموا كتاب الله.وهو محول عن الجار والمجرور، وذلك كثير في الظروف والمجرورات المنزلة منزلة أسماء الأفعال بالقرينة، كقولهم: إليك، ودونك، وعليك.[4]

و"كتاب" مفعول به لاسم الفعل، وهو مقدم عند الكوفيين[5]،وذلك للعناية والاهتمام. وأصل الجملة: عليكم كتاب الله. واستدل الكوفيون على جواز تقديم مفعول اسم الفعل بما ورد هنا-في هذه الآية-واستدلوا أيضا بقول الراجز:

يَا أَيُّهَا المَائِحُ دَلْوِي دُونَكُما إنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ يَحْمَدُونَكَا[6]

والتقدير: دونك دلوي. فـ"دلوي"في موضع نصب بـ "دونك"، فدل على جواز تقديم معمولها عليها.

وخالفهم البصريون، وعندهم أن "كتاب" مصدر محذوف العامل، و"عليكم" جار ومجرور متعلق به، أو بالعامل المقدر، وتقديره: كتب الله ذلك كتابا عليكم.[7]

ويبدو أن الرأي الكوفي أقرب إلى الصواب، لأن الجملة تحمل معنى الأمر بالالتزام بكتاب الله. والمراد بـ"كتاب الله": فرضه، واستعير للفرض لفظ الكتاب لثبوته وتقريره، فدل بالأمر المحسوس على المعنى المعقول.[8]

وفي مضمون الجملة حث وتحريض على وجوب الوقوف عند كتاب الله.وهذه الجملة تذييل للجملة السابقة -من هذه الآية-في قوله: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1)ينظر، ابن الجوزي، زاد المسير، 364/6.

(2)ينظر، الطبري، جامع البيان، 274/21.

(3)النساء، 24.

(4)ينظر، الأنباري، الإنصاف، 210/1، وابن هشام، أوضح المسالك، 40/2، 41 .

(5)ينظر،الأنباري، أسرار العربية، ص 165، وينظر له الإنصاف، 210/1، وابن هشام، أوضح المسالك، 41/2.

(6)الرجز لجارية من بني مازن في الإنصاف، 210/1، وأسرار العربية، ص 165، وأوضح المسالك، 41/2، وحاشية الصبان، 305/3.

(7)ينظر، الأنباري، الإنصاف، 210/1.

(8)ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 238/3.

والمعنى: الزموا ما قصه الله عليكم من تحريم الزواج بالمتزوجات من النساء رعاية لحق الأزواج ما دامت الزوجية قائمة فعلا. وفي هذا المعنى إشارة إلى التحريم الحاجز بين الناس وبين ما كانت العرب تفعله.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خصائص جملة الأمر

يمكن على ضوء الدراسة التحليلية لجملة الأمر أن نستنتج ما يأتي:

1-تحتل جملة الأمر المرتبة الأولى عددا في قائمة الجملة الطلبية في السور المدنية.

2-يعتمد تركيب الأمر في تأدية الوظيفة على صيغة (افعل) وفروعها، فيكون المأمور هو المخاطب أو الضمير المتصل ببنية الفعل الذي يدل على المسند إليه (الفاعل) عددا و نوعا.

3-تنوع الأمر فيعتمد اسم فعل الأمر، والمصدر في تأدية وظيفة الأمر، كما يعتمد على (لام الطلب) المقترنة بالمضارع في صيغة (ليفعل) وفروعها، حيث تنوع المأمور (المسند إليه)، فورد اسما ظاهرا وضميرا متصلا وضميرا مستترا. وخلص الوصف إلى أن المضارع ورد بعد لام الطلب للغائب والمخاطب، وورد للغائب أكثر، لأن فعل الأمر هو المتخصص الأصلي في الخطاب.و لم يدخل فيما درسناه —في السور المدنية–على المضارع المبدوء بحرف المتكلم. وإن كان قد ورد في القرآن المكي في قوله تعالى: ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ﴾.[1] ولكنه وإن كان قليلا فيمكن أن يقاس عليه لوروده في القرآن الكريم. ويلاحظ من حيث حركة اللام أن تحريكها بالكسر هو الغالب، إلا إذا سبقتها أدوات العطف "الواو"أو"الفاء" أو"ثم" فالأكثر تسكينها.

وتوضح كمية استخدام صيغة الأمر في الجدول الآتي:

نوع الصيغة	عدد الاستخدام
جملة الأمر بصيغة الفعل	577
المضارع المقرون بلام الطلب	39
اسم فعل الأمر	03
المصدر النائب عن فعل الأمر	03
المجموع	622

4- تميزت جملة الأمر بتنوع صيغتها وتراكيبها؛ فأسند الفعل إلى واو الجماعة، والمفرد المخاطب، والمثنى. وأغلب إسناده إلى واو الجماعة، والمفرد المخاطب، لأن الله ﷻ يخاطب على الخصوص رسوله أو المؤمنين، وهو في خطابه يأمر إلى امتثال أوامره. ونشير إلى أن المتكلم– في جملة الأمر–آمر، والمتلقي مأمور، والفعل وما يتعلق به مأمور به. فالآمر لا يظهر إلا قليلا، وتدل عليه القرائن، وقد يظهر ما يشير إليه في صورة

(1)العنكبوت، 12.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المجرور بالحرف. كقوله: ﴿وَاشْكُرُوا لِي﴾، (1) أو بالإضافة كقوله: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.(2) أو في صورة المفعول به، كقوله: ﴿وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾. (3)

والمأمور (المسند إليه) لا يظهر –هو الآخر– في البنية السطحية للجملة إذا كان مفردا مذكرا، وتغني عنه قرينة الخطاب كما في قوله: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾.(4) أو تغني عنه صيغة الفعل المضارع، كقوله: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ﴾.(5) ويظهر المأمور متصلا ببنية الفعل إذا كان مثنى، كقوله: ﴿ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾.(6) أو ضميرا للمخاطبة، كقوله: ﴿وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾.(7) أو ضميرا للجماعة، كقوله: ﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ﴾.(8)

والمأمور يلازم بنية الجملة، فيكون الفعل وحده، كقوله: ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾.(9) وقد يكون الفعل مقيدا بمفعوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾. (10) فليس المراد من الأمر الإقامة والإتيان، وإنما المراد إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.

5-يحذف المسند (فعل الأمر) من الجملة إذا كان في سياق السرد القصصي، كقوله: ﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾.(11) فظرف الزمان "إذ"-هنا-وقع عليه فعل الأمر، وقد حذف المسند والمسند إليه (الفعل والفاعل) معا من البنية السطحية للجملة، ويدل عليهما السياق، والتقدير: واذكروا إذ...ويستخدم هذا الأسلوب بقصد تذكير المتلقي بأحداث مضت على سبيل الاعتبار والنصح.

ويحذف المسند –كذلك– كقوله: ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾(12) فالضمير المنفصل "إياي" في موقع النصب، وهو مفعول به لفعل محذوف مع فاعله، يفسره الفعل المذكور بعده، ولا يكون مفعولا للمذكور

(1)البقرة، 152.

(2)النساء، 84.

(3)النساء، 106.

(4)آل عمران، 159.

(5)الطلاق، 7.

(6)التحريم، 10.

(7)آل عمران، 43.

(8)النساء، 5.

(9)المائدة، 8.

(10)النور، 56.

(11)المائدة، 20.

(12)البقرة، 41.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-كما قال النحاة-لأنه منشغل بضميره (ياء المتكلم)، وهذا الأظهر،لأن تقديم المفعول به -هنا- للاختصاص، وذلك على سبيل التأكيد، وكأن الجملة تكررت.وإذا صرفنا النظر عن هذا الرأي اتضح لنا أن الأصل في المسالة هو المفعول المقدم وأن ضميره شغل موقعه الأصلي قبل تقدمه حتى لا يكون أجنبيا عن الجملة . ومن هنا ينبغي أن يعاد النظر في باب الاشتغال.

6-احتواؤها على التعليل لإقناع المتلقي بأداة التوكيد الناسخة "إن" كقوله: ﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[1].وبالأداة "لعل" كقوله:﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[2]. أو بالأداة "حتى"، كقوله: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ .[3]

7-والأمر في أغلبه في السور المدنية يدل على الوجوب،وهو أمر خالد من الناحية الزمنية، ويعد سرا من أسرار الإعجاز القرآني، ويرتبط بالأحكام الشرعية التي يأمر الله بها عباده المؤمنين على سبيل الإلزام، كقوله: ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾.[4] و ﴿فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ﴾ .[5] و ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾.[6] ويخرج إلى دلالات أخرى، تفهم من السياق، ومنها:

1-الإرشاد، كقوله: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾[7]

2-الإباحة، كقوله: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ .[8]

3-الندب: وهي الأفعال التي يحث عليها الإسلام بأن تؤتى قصد ثواب الآخرة، كقوله:

﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾.[9]

4-الحث، نحو: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾.[10]

5-الدعاء، نحو: ﴿وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ .[11]

---

(1)الحجرات،9.

(2)آل عمران، 123.

(3)الأنفال، 39.

(4)الحج، 78، والمجادلة، 13.

(5)النساء، 25.

(6)البقرة،83، والنساء، 36.

(7)الطلاق، 2.

(8)المائدة، 2.

(9)النور، 33.

(10)النور،22.

(11)المائدة، 114.

6-التعجيز: وهو مطالبة المخاطب بعمل لا يقوى عليه إظهارا لعجزه وضعفه وعدم قدرته، وذلك من قبيل التحدي، نحو: ﴿فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾.(1) إذ ليس المراد طلب ذلك من المخاطب بل إظهار عجزه.

7-الامتنان، نحو: ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا﴾.(2)

8-التحذير والوعيد، نحو: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾.(3)

9-التذليل والتسخير، نحو: ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾.(4)

10-التكذيب، نحو: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا﴾.(5)

11-الاعتبار، نحو: ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾.(6)

12-التهديد والتوبيخ، نحو: ﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾.(7)

13-الترغيب، نحو: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.(8)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1)البقرة، 258.

(2)المائدة، 88.

(3)آل عمران،131.

(4)البقرة، 65.

(5)آل عمران، 93.

(6)آل عمران، 137.

(7)التوبة، 53.

(8)آل عمران، 133.

الفصـل الثـاني

جملة النهـــي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جملة النهي

للنهي صيغة واحدة، وهي اقتران الفعل المضارع بـ: "لا" الناهية. وهذه الأداة تختص بالدخول على المضارع فتقتضي جزمه واستقباله، سواء كان المطلوب مخاطبا أو غائبا أو متكلما[1]. فهي إذن تتفق مع لام الأمر في الطلب، ولكنها تزيد عنه في معنى الترك[2].

ويتحقق النهي إذا كان الطلب موجها إلى من هو أدنى درجة، ويكون للدعاء إذا كان من الأدنى إلى الله ﷻ، وللالتماس إذا كان من مساوٍ إلى نظيره. ولهذا يرى أحد الباحثين أن "إطلاق مصطلح (لا الطلبية) على (لا) أدق وأنسب وأشمل من تسميتها لا الناهية؛ لأن التسمية الأخيرة لا تشمل هذه المعاني"[3].وقد يستفاد من جملة (لا) الناهية دلالات أخرى بمعونة السياق والمقام.

وقد اقترن النهي في السور المدنية بالغائب في صيغ "لا يفعل"، و"لا يفعلوا"، و"لا يفعلن"، وبالمخاطب في صيغ "لا تفعل"، و"لا تفعلا"، و"لا تفعلن"، و"لا تفعلوا". وكانت هذه الصيغة الأخيرة أكثر ورودا.

وقد ورد من جملة النهي -في السور المدنية-اثنتان وأربعون ومائة(142) جملة. وقد اعتبرناها مستقلة في بنيتها النحوية عن غيرها من الجمل(*).ويمكن توزيعها على الصور الآتية:

الصورة الأولى: أداة نهي+ مسند+ مسند إليه (واو الجماعة).

من هذه الصورة قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾[4].

جملة النهي في قوله:" ولا تفرقوا" معطوفة على جملة الأمر في:"واعتصموا بحبل الله جميعا".وهذا النهي لتأكيد الأمر بناء على أن المعنى: ولا تتفرقوا عن الحق الذي أمرتم بالاعتصام به، أو لا تتفرقوا تفرقكم الجاهلي يحارب بعضكم بعضا.

وقد يكون النهي يشمل كل ما يوجب تفرق المؤمنين ويزول معه اجتماعهم. وقد يكون تعالى نهاهم عن التفرق في الدين، والاختلاف كما اختلف اليهود النصارى.قال ابن عطية: "يريد التفرق الذي لا يأتي معه الائتلاف على الجهاد وحماية الدين وكلمة الله تعالى. وهذا هو الافتراق بالفتنة والافتراق في العقائد، وأما

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) ينظر، المبرد، المقتضب، 134/2، وابن هشام، مغني اللبيب، 407/1.

(2) ينظر، السكاكي، مفتاح العلوم، ص320، وأبو حيان، النكت الحسان في شرح غاية الإحسان، تحقيق ودراسة، عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1985، ص150، وسعيد حسين بحيري، ظواهر تركيبية في مقابسات أبو حيان التوحيدي، دراسة في العلاقة بين البنية والدلالة، دار الفكر، القاهرة، 1995، ص113.

(3)أبو السعود حسنين الشاذلي، العناصر الأساسية للمركب الفعلي وأنماطها من خلال القرآن الكريم، ص98.

* ينظر، هذا البحث، الفصل الأول ،(جملة الأمر)، ص19.

(4)آل عمران، 103.

الافتراق في مسائل الفروع والفقه فليس يدخل في هذه الآية... وقد اختلف الصحابة في الفروع أشد اختلاف، وهم يدٌ واحدة على كل كافر"[1].

فليس في الآية دليل على تحريم الاختلاف في الفروع والجزئيات، وإنما الخلاف المذموم والمحرم هو اتباع الأغراض والأهواء المختلفة المؤدية إلى التدابر والتقاتل والتقاطع. وقد روى الترمذي عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "تفرقت اليهود على إحدى وسبعين، أو اثنتين وسبعين فرقة، والنصارى مثل ذلك، وتفترق أمتي على ثلاثٍ وسبعين فرقة"[2].وأخرجه أيضا عن ابن عمر بزيادة: "كلّهم في النار إلا ملّة واحدة، قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي"[3].

وجاء في معنى هذه الجملة قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾[4].

فالقرآن نهى عن اتباع السبل غير سبيل الله الذي هو كتابه.ومن تلك السبل المفرقة بين أبناء الأمة إحداث الشيع والمذاهب في الدين، والعصبية الجنسية، وهي التي نزلت فيها هذه الآية وما قبلها لما كان من الأوس والخزرج من إثارة العصبية الجاهلية.

ويتضح نظير هذه الصورة في الجملة الآتية:

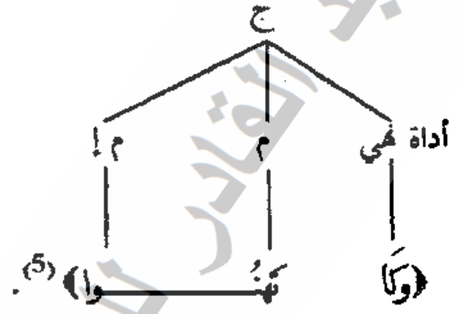

[5].

تتألف الجملة من واو الاستئناف، وأداة نهي "لا"، وفعل مضارع "تهنوا" مسند إلى واو الجماعة. وأصل الفعل: توهنوا، أي: من وَهَن، يهِن، يقال: وهن الرجل، إذا ضعف[6].ومنه قوله تعالى:﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾[7].

(1) المحرر الوجيز، 249/3.

(2)الجامع الصحيح، 25/5، (كتاب الإيمان).

(3)المصدر السابق، 26/5.

(4)الأنعام، 153.

(5)آل عمران،139.

(6)ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 453/13، (وهن).

(7)آل عمران، 146.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وتتصف هذه الجملة بالاختصار، والتقدير مثلا: ولا تهنوا أمام العدو، أو نحو ذلك.والخطاب للمومنين بدلالة السياق. والمعنى: ولا تضعفوا وتذلوا للعدو. فالله تعالى ينهى المؤمنين أن يضعفوا عن قتال أعدائهم من الكافرين. وفي هذا المعنى دلالة على حرمة الركون إلى مصالحة الأعداء ومهادنتهم مع القدرة على قتالهم والتمكن من دفع شرهم وظلمهم.

وورد نظير هذا النهي في الآية الخامسة والثلاثين (35) من سورة محمد.

ومن هذه الصورة-أيضا- قوله:﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ [1].

قرأ الجمهور: "ولا تجسسوا" بالجيم، وقرأ الحسن وأبو رجاء، وأبو سيرين بالحاء[2].

وتتسم هذه الجملة بالإيجاز، أي: ولا تجسسوا عن المسلمين.والتجسس: هو البحث عن الأخبار، والاستماع إلى حديث القوم وهم له كارهون. ومن لفظ الجس اشتق اسم الجاسوس. أما التحسس: فهو تعرف ما يدركه الحس[3]، أو هو البحث عما هو مكتوم من عورات المسلمين وعيوبهم. والمعنيان متقاربان[4].

والمعنى: لا تبحثوا عن عيوب المسلمين وعوراتهم، وتستكشفوا ما خفوه ، وتستطلعوا أسرارهم. ودلالة النهي التحريم.

وقد يحذف المسند إليه (الفاعل) فسيضمر في البنية السطحية وجوبا، كقوله:﴿ ...إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾[5].

يلحظ حذف المسند إليه، الضمير (أنت)، لأن النهي موجه للمفرد المخاطب.

واختلف المفسرون حول معنى قوله تعالى: "فلا تكفر" .فقال الزمخشري معناه: "فلا تتعلم معتقدا أنه حق فتكفر"[6].وحكى ابن عطية وغيره أن قول الملكين: "إنما نحن فتنة فلا تكفر" استهزاء، لأنهما إنما يقولانه لمن تحقق ضلاله[7].وقال السمرقندي وغيره معناه: "فلا تتعلم السحر، لأنه لا يجوز للمكين أن يعلما الكفر... وهو بمنزلة رجل قال لآخر: علمني ما الزنا، أو علمني ما السرقة؟، فيقول: إنّ الزنا كذا وكذا، وهو حرام فلا تفعل،وإن السرقة كذا وكذا، وهي حرام فلا تفعل. كذلك هنا الملكان يقولان: السحر كذا وكذا، وهو كفر فلا تكفر"[8].

(1)الحجرات، 12.

(2)ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 506/13، وأبو حيان، البحر المحيط، 113/8.

(3)ينظر، الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز، 382/2.

(4)ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 506/13، وأبو حيان، البحر المحيط، 113/8.

(5)البقرة،102.

(6)الكشاف، 301/1.

(7)ينظر، المحرر الوجيز، 422/1، وأبو حيان البحر المحيط، 499/1.

(8)بحر العلوم، 144/1.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فالله تعالى امتحن الناس بالملكين في ذلك الوقت، وجعل المحنة في الكفر والإيمان، فمن أطاعهما في ترك العمل بالسحر نجا، ومن عصاهما في ذلك هلك وخسر.

والظاهر من السياق أن المراد بالكفر الفتنة. وقول الملكين –كما يتضح من الآية– لمن جاءهما يريد تعلم السحر: "فلا تكفر" بمعنى: فلا تفتتن. وذلك على سبيل النصيحة والإرشاد.

وبقية هذه الصورة في الآيتين (66،94)من سورة التوبة.

<u>الصورة الثانية</u>: أداة نهي+ مسند+ مسند إليه (واو الجماعة)+ جار ومجرور.

تبرز هذه الصورة في الجملة الآتية:

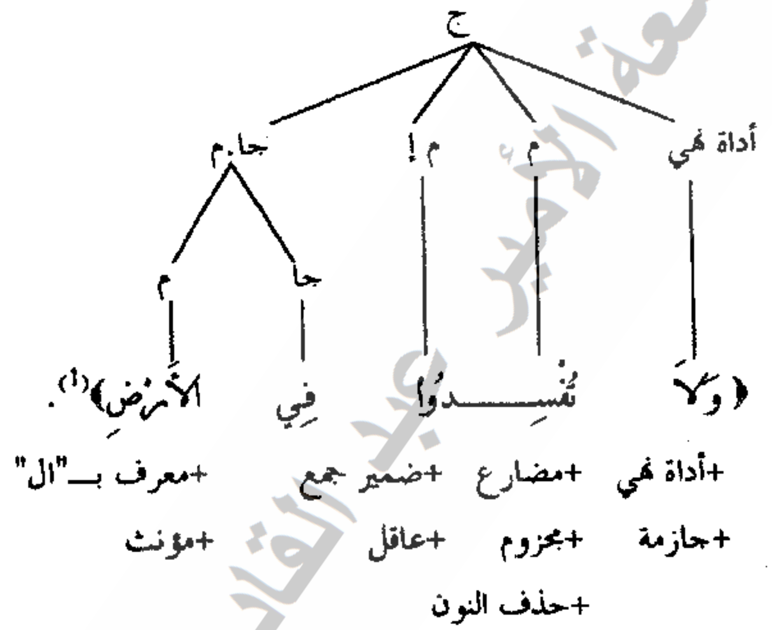

الظاهر من سياق هذه الآية وسابقتها أن الخطاب للمنافقين، وأن الذين قالوا لهم: "لا تفسدوا في الأرض" هم بعض من وقف على حالهم من المؤمنين الذين كان لهم اطلاع على أمرهم لقرابة أو صداقة، فيخلصون لهم النصح رجاء إيمانهم، ويسترون إفسادهم خوفا عليهم من أن ينالهم العقاب.

وذُكر الموضع الذي أفسدوا ما يحتوي عليه، وهو الاسم المجرور "الأرض"، والمراد بالأرض: الكرة الأرضية دون تحديد المكان، كما يتضح من ظاهر الجملة.

والإفساد نقضيه الإصلاح[2].وقال بعض المفسرين المعنى: لا تفسدوا في الأرض بالكفر وموالاة الكفرة[3]. وقد يشمل الإفساد قتل الأبرياء، وحرق الزرع والشجر، وإفساد الأنظمة والنواميس وغيرها.

ومن هذه الصورة قوله: ﴿وَلَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ﴾[4].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1)البقرة، 11.

(2)ينظر، الزمخشري، الكشاف، 179/1، وابن منظور، لسان العرب، 335/3، (فسد).

(3)ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 167/1، والثعالبي، الجواهر الحسان، 49/1.

(4)النساء،154.

قرأ ورش[1]:"لا تَعَدُّوا" بفتح العين وتشديد الدال المضمومة، على أن الأصل: لا تعتدوا، فألقيت حركة التاء على العين، وأدغمت التاء في الدال[2].

وقرأ قالون[3] بإخفاء حركة العين وتشديد الدال، والنّص بالإسكان، وأصله أيضا: لا تعتدوا[4]. وقرأ الأعمش والحسن:"لا تعتدوا" من الفعل اعتدى، يقال: اعتدى على فلان، أي تجاوز حد الحق معه. وقرأ الباقون من السبعة: "ولا تعدوا"[5]مضارع مجزوم من عدا، يعدو، وهو العداء والعدوان، كقوله: ﴿إِذۡ يَعۡدُونَ فِي ٱلسَّبۡتِ﴾[6]. وكان عداؤهم باقتناص الحيتان يوم السبت، قال ذلك القرطبي وغيره[7].

الخطاب –في الآية– لبني إسرائيل بدلالة السياق. فقد أوصاهم الله تعالى بحفظ السبت والتزام ما حرم عليهم ما دام مشروعا لهم، فقال: "لا تعدوا في السبت". أي: لا تتجاوزوا حدود الله فيه بالعمل الدنيوي، فخالفوا واحتالوا بحيلهم المعهودة باصطياد الحيتان فيه.

وكذلك قوله: ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِ﴾[8].

اللقب ما أشعر بخسة أو شرف، سواء أكان ملقبا به صاحبه أم ابتدعه النابز له؟ والمراد بـ: "الألقاب"–في هذه الجملة– الألقاب المكروهة بقرينة "ولا تنابزوا"، فهو نهي عن التنابز، كقول الرجل للرجل يا كافر، يا فاسق، يا منافق، وغير ذلك من الألقاب المذمومة. وقد خصص النهي –هنا– بـ"الألقاب" التي لم يتقادم عهدها حتى صارت كالأسماء لأصحابها، وتنوسي منها غرض الذم والتحقير.

وجيء بالمضارع "تنابزوا" بصيغة "تفاعل" للدلالة على الاشتراك بين طرفين؛ لأن التنابز كثير الوقوع من الجانبين.

ويلحق بهذه الصورة قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ﴾[9].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1)ورش : هو أبو سعيد المصري المقرئ، وقيل: أبو عمرو أو أبو القاسم عثمان بن سعيد بن سابق القبطي، مولى آل الزبير العوام. قرأ القرآن وجوده على نافع عدة ختمات، ولقبه نافع بورش لشدة بياضه. توفي سنة 197هـ، ينظر، الذهبي، معرفة القراء الكبار، 153/1، 155.

(2)ينظر، أبو زرعة، حجة القراءات، ص218، وابن عطية، المحرر الوجيز، 282/4، والطبرسي، مجمع البيان، 172/3، وأبو حيان، البحر المحيط، 403/3، وابن الجزري، النشر، 253/2.

(3)قالون، هو عيسى بن ميناء بن وردان بن عيسى الزرقي، مولى بني زهرة، قارئ أهل المدينة ونحويهم. وقيل: أنه ربيب نافع، وهو الذي لقبه قالون لجودة قراءته، وهي لفظة رومية معناها: جيد. قرأ على نافع وعرض القرآن على عيسى بن وردان الحذاء. توفي سنة 220هـ، ينظر، الذهبي، معرفة القراء الكبار، 155/1، 156.

(4)ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 282/4، وأبو حيان ، البحر المحيط، 403/3.

(5)ينظر، أبو زرعة، حجة القراءات، ص218، والطبرسي، مجمع البيان، 172/3، وابن الجزري، النشر، 253/2.

(6)الأعراف، 163.

(7)ينظر، الجامع، 7/6، ووهبة الزحيلي، التفسير المنير، 20/6.

(8)الحجرات، 11.

(9)البقرة، 119.

الفعل "تسأل" مسند إلى الضمير "أنت" المحذوف وجوبا. والخطاب للرسولﷺ بدلالة سياق هذه الآية. وقد عدي الفعل -هنا- بـ"عن" وقد يتعدى بـ"الباء"، كقوله تعالى:﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾[1].

أي: عن عذاب واقع. والفعل "سأل" في حقيقته يتعدى مباشرة إلى مفعولين، نقول: سألته حاجة. أو يتعدى إلى الأول مباشرة، وإلى الثاني بحرف جر، نقول: سألته عن حاجة[2].

قرأ نافع ويعقوب: "ولا تَسْأَلْ"[3] -بفتح التاء وسكون اللام- على أن "لا" أداة نهي جازمة للمضارع، وهو عطف على الجملة السابقة -من هذه الآية- في قوله:﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾. وهو عطف إنشاء على خبر. فقد نهى الله رسوله عن المساءلة عن أحوال الكافرين والمشركين.

والسؤال كناية عن فظاعة أحوال الكافرين والمشركين، فهي أكبر من الوصف. وفي هذا المعنى تهويل وتعظيم لما لهم فيه من العذاب. أي: لا تسأل عنهم فقد بلغوا غاية العذاب.

وقرأ الجمهور: "لا تُسألُ"[4] -بضم التاء ورفع اللام- على أن "لا" نافية، وذلك على عطف الجملة الخبرية. والمعنى: لا يسألك الله عن أصحاب الجحيم. والسؤال كناية عن عدم مؤاخذة الرسول ﷺ، وفي ذلك تسلية له- عليه السلام-، فكأنه قيل: لا تؤاخذ ببقاء الكافرين على كفرهم بعد أن بلغت لهم الرسالة. وفي ذلك دليل على أن أحدًا لا يسأل عن ذنب أحد؛ فكل يجازى بحسب عمله.

ويلحق بهذه الصورة -كذلك- قوله: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾[5].

قرأ الجمهور: "لا تُمسِكوا" من أمسَك، يمسِك، وهو فعل متعد، فقد يتعدى مباشرة، أو يتعدى بحرف الجر، فيقال:أمسكه،وأمسك به. وقرأ أبو عمرو:"تمَسّكوا"بالتشديد من قولك: مسَّك، يمسِّك[6].

فقد نهى الله سبحانه وتعالى المسلمين عن إبقاء النساء الكوافر في عصمتهم، وهن النساء اللاتي لم يخرجن للهجرة مع أزواجهم لكفرهن. فلما نزلت هذه الآية طلق المسلمون من كان من أزواج مكة؛ فطلق عمر -رضي الله عنه- امرأتين بقيتا بمكة مشركتين، وهما قريبة بنت أبي أميّة، وأم كلثوم بنت عمرو الخزاعية[7].

والمراد بـ"الكوافر": المشركات، وهن موضع هذا التشريع. وفي هذا دلالة على أنه لا يجوز العقد على الكافرة. ولا تشمل الجملة النهي عن بقاء المسلمة في عصمة زوج مشرك، وإنما يؤخذ حكم ذلك بالقياس.

ووردت بقية هذه الصورة في الآية (8) من سورة الرحمن.

---

(1)المعارج، 1.

(2)ينظر، الزعبلاوي، مسالك القول، ص208.

(3)ينظر، معاني القرآن، 75/1، وأبو زرعة، حجة القراءات، ص111، والقيسي، الكشف، 262/1، وابن الجزري، النشر، 221/2.

(4)ينظر، أبو زرعة، حجة القراءات، ص111، والقيسي، الكشف، 262/1، والداني، التيسير، ص65، وابن الجزري، النشر، 221/2.

(5)الممتحنة، 10.

(6)ينظر، ابن خالويه، الحجة، ص344، وأبو زرعة، حجة القراءات، ص707.

(7)ينظر، البغوي، معالم التنزيل، 333/4، والطبرسي، مجمع البيان، 349/9.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الصورة الثالثة: أداة نهي+ جملة فعلية مضارعية (مسند+ مسند إليه(واو الجماعة)+ مفعول به).

من هذه الصورة قوله تعالى:﴿ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ﴾[1].

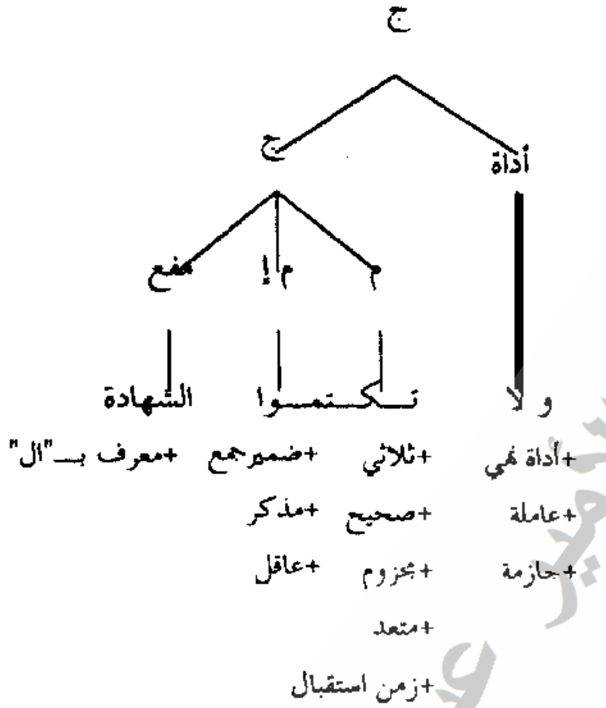

تتصدر أداة النهي "لا" الجملة، يتلوها فعل مضارع (مسند) مجزوم بالنهي، ولذلك حذفت منه النون، والفاعل (المسند إليه)ضمير متصل، يدل على جماعة المخاطبين (وهو المنهي)، ومفعول به "الشهادة"، أما الناهي فإنه لم يظهر في البنية السطحية للجملة، ويدل عليه المقام، إذ هو الله ﷻ.

قرأ أبو عبد الرحمن السلمي: "ولا يكتموا"-بالياء- جعله للغائب[2].فالله تعالى نهى نهيا جازما الشهود عن كتمان شهادتهم؛ فهو نهي يدل على الوجوب بعدة قرائن منها الوعيد في الجملة الشرطية-عقبه-في قوله: ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾. وذلك لأن كتمان الشهادة من أكبر الكبائر[3].

وموضع النهي هو حيث يخشى الشاهد ضياع الحق، فلذلك كان حقا على من تحمل شهادة بحق ألا يكتمه عند عروض إعلانه، بأن يبلغه إلى من يقضي به، أو ينتفع به، أو قبل ذلك إذا خاف الشاهد ضياع ما في علمه بغيبة أو تعرض للموت.والمعنى: لا تخفوا الشهادة بالامتناع عن أدائها إذا دُعيتم إليها. وهو خطاب للشهود المؤمنين.

ويماثل هذه الصورة قوله: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾[4].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1)البقرة، 283.

(2)ينظر، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 415/3، وأبو حيان، البحر المحيط، 373/2.

(3)ينظر، علي بن أبي طلحة، صحيفة عن ابن عباس في تفسير القرآن الكريم، ص121.

(4)المائدة، 3.

النهي في قوله: "فلا تخشوهم" تفريع عن خشية المشركين، وذلك للإخبار عن يأسهم من أذى الدين، لأن يأس العدو من نيل عدوه يزيل بأسه ويقعده عن طلب عدوه. فلما اخبر الله سبحانه المؤمنين عن يأس الكافرين، طمأنهم من بأس عدوهم.

والمعنى: فلا تخافوا –أيها المؤمنون- الذين كفروا في مخالفتكم إياهم، وذلك على سبيل الإرشاد.

وقد يظهر في الجملة ما يدل على الناهي، كما في قوله:﴿ ... ولا تكفرون﴾[1].

فالفعل "كفر" يتعدى بالباء في أصل وضعه اللغوي، والتقدير: ولا تكفرون بي، وتعدى هنا مباشرة، ومفعوله محذوف، وهو ياء المتكلم، وكسرة نون الوقاية دليل عليه. وحذفت "الياء"، لأجل الفاصلة.والنهي -هنا- عن الكفران للنعمة، وللكفران مراتب أعلاها جحد النعمة وإنكارها.

ومن هذه الصورة قوله: ﴿ولا تلمزوا أنفسكم﴾[2].

قرأ الجمهور: "ولا تلمزوا" بكسر الميم، وقرأ الحسن والأعرج بضمها. وقال أبو عمرو بن العلاء: هي عربية[3].

الخطاب للمؤمنين بدلالة العطف على مضمون النداء –في هذه الآية-في قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم﴾. فقد نهاهم الله عن اللمز. وقال ابن عطية: اللمز"معناه: يطعن بعضكم على بعض بذكر النقائص ونحوه، وقد يكون "اللمز" بالقول وبالإشارة ونحو هذا مما يفعله الآخر"[4].ومعنى الجملة: لا يعب بعضكم بعضا –أيها المؤمنون–فإنكم كفرد واحد، فمن عاب أخاه المؤمن كأنما عاب نفسه.ويفهم من لفظ "أنفسكم"–الواقع مفعولا به- أن للمؤمن أن يعيب غير المؤمنين.

وكذلك قوله: ﴿ولا تخسروا الميزان﴾[5].

قرأ الجمهور: "ولا تُخسِروا"بضم التاء وكسر السين[6]. ويرى أبو حيان أن الفعل تعدى بالهمزة، يقال: أخسر، أي: أفسدَ ونقص[7]. وهذا كقوله تعالى: ﴿وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون﴾[8].

(1)البقرة،152.

(2)الحجرات،11.

(3)ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 502/13، وأبو حيان، البحر المحيط، 112/8.

(4)المصدر السابق، 501/13.

(5)الرحمن، 9.

(6)ينظر، الزمخشري، الكشاف، 44/4، وأبو حيان، البحر المحيط، 118/8.

(7)ينظر، البحر المحيط، 118/8.

(8)المطففين،3.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فقد نهى سبحانه عن الخسران، وهو جعل الغير خاسرا. والخسارة النقص، "يقال: خسرت الميزان وأخسرته، إذا نقصته".[1] أي: لا تنقصوا الميزان بالجور بل سووه بالعدل والإنصاف.

وقرأ بلال بن أبي بردة وزيد بن علي: "ولا تَخْسِروا" بفتح التاء وكسر السين[2]. يقال: خسر، يخسر، وأخسر، يخسر، وهما بمعنى واحد[3].وحكى ابن جني عن بلال بفتح التاء والسين مضارع "خسِر"بكسر "السين"[4].وخرجها الزمخشري على أن يكون التقدير: ولا تخسروا في الميزان.فحذف الجار وأوصل الفعل[5]. إلا أن أبا حيان الأندلسي يرى أن هذا لا يحتاج إلى تخريج،لأن الفعل"خسر"يأتي متعديا[6]، كقوله تعالى:﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾[7].و﴿خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾[8].أمّا ابن عاشور فيرى أنّ قوله: "ولا تخسروا الميزان" يأتي على اعتبارين:فإن حمل الميزان فيه على معنى العدل كان المعنى النهي عن التهاون بالعدل لغفلة أو تسامح. ويكون لفظ"الميزان"منصوبا على نزع الخافض،وقد ذكر في مقام ضميره تنبيها إلى تحري العدالة.وإن حمل فيه على آلة الوزن،يكون الإخسار بمعنى النقص، ويكون المعنى النهي عن غبن الناس في الوزن لهم، أي:لا يجعلوا الميزان ناقصا[9].وذلك كقوله تعالى:﴿وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾[10].فالله سبحانه وتعالى جعل آلة الميزان لإقامة العدل في المعاملات ومنع المنازعات بين الناس وإبقاء ظاهرة الصفاء والود والوئام بينهم.

وقد يأتي المسند إليه (الفاعل) اسما ظاهرًا –في هذه الصورة- كقوله: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾[11].

الخطاب للمؤمنين بدلالة العطف على مضمون النداء في الآية. والفعل المضارع "يغتب" مجزوم بـ"لا"،وأصله: يغتاب، فحذفت الألف لالتقاء الساكنين. ويقال: غابه واغتابه. والغيبة من الاغتياب، وهي ذكر الشخص بما يكره، مما هو فيه[12].

---

(1)ابن فارس، مقاييس اللغة، 182/2،(خسر)، وينظر له، مجمل اللغة، 289/2.

(2)ينظر، ابن جني، المحتسب، 303/2، والزمخشري، الكشاف، 44/4، وأبو حيان، البحر المحيط، 188/8،والألوسي، روح المعاني، 102/27.

(3)ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 118/8.

(4)ينظر، المحتسب، 303/2.

(5)ينظر، الكشاف، 44/4.

(6)ينظر، البحر المحيط، 118/8.

(7)الحج،11.

(8)الزمر،15.

(9)ينظر، التحرير والتنوير، 240/27.

(10)هود، 84.

(11)الحجرات،12.

(12)ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 656/1، (غيب).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وفي الحديث سئل رسول الله ﷺ ما الغيبة؟ فقال: "ذكرك أخاك بما يكره".قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: "إن كان فيه ما تقول، فقد اغتبته. وإن لم يكن فيه، فقد بهته" [1]. وهذا دليل على تحريم الغيبة وعلى قبحها شرعا.والمعنى: لا يذكر بعضكم بعضا في غيبته بما يكره، سواء أكان الذكر إشارة أم صراحة، لما فيه من إلحاق الأذى بالمغتاب. وهو يتناول كل ما يكره، سواء في دنياه أم في دينه، في خُلقه أم في خَلقه، أو نحو ذلك.

ويحذف المسند إليه (الفاعل) فيضمر في البنية السطحية وجوبا، كقوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾[2].

يلحظ حذف المسند إليه، الضمير "أنت"، لأنّ النهي مخاطب به المفرد المذكر، وهو -هنا- لرسول الله ﷺ بدلالة سياق الآية.وقد نهي عن اتباع أهواء اليهود حين حكموه طامعين أن يحكم عليهم بما تقرر من عوائدهم. والمراد منه النهي عن الحكم بغير حكم الله إذا تحاكموا إليه، إذ لا يجوز الحكم بغيره، ولو كان شريعة سابقة، لأن نزول القرآن مهيمنا أبطل ما خالفه، وأيد ما وافقه وزكى ما لم يخالفه.

هذا الخطاب إما مقصود به أن يتقرر ذلك في علم الناس حتى ييأس الطامعون أن يحكم لهم بما يشتهون. وإما إظهار الله لرسوله وجه ترجيح أحد الدليلين عند تعارض الأدلة بأن لا يكون أهواء الخصوم طرفاً للترجيح.

ووردت بقية هذه الصورة وملحقاتها فيما يأتي:

البقرة، (150،187،229،282)، وآل عمران، (175)، والنساء،(29،36،135)، والمائدة،(44)، والتوبة، (49)، والحج، (26)، والأحزاب، (48)، ومحمد، (33).

<u>الصورة الرابعة:</u> أداة نهي+ مسند+ مسند إليه (واو الجماعة)+ مفعول به(جملة مصدرية).

تبرز هذه الصورة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْأَمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ﴾[3].

الفعل المضارع في قوله:"ولا تسأموا" أسند إلى واو الجماعة.والخطاب للمتداينين أصالة، ويتبع ذلك خطاب الكاتب –في الآية– في قوله: ﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ﴾، لأن المتداينين إذا دعوه للكتابة وجب عليه أن يكتب.

قرأ السلمي: "ولا يسأموا"-بياء الغيبة- وكذا "أن يكتبوه"[4]. والظاهر في هذه القراءة أن يكون ضمير الفاعل عائدا على الشهداء في الجملة السابقة من هذه الآية- في قوله: "ولا يأب الشهداء".

(1)أخرجه مسلم في صحيحه، 2001/4، (كتاب البر).

(2)المائدة،49.

(3)البقرة،282.

(4)ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 367/2، والألوسي، روح المعاني، 59/3.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والفعل "تسأم" من السأم، يقال: سئمت، أسأم سأما وسآمة، وسآما: أمل، والسآمة الملل والضجر[1].

ومعنى "لا تسأموا"-هنا- أي: لا تكسلوا، وعبر بالسأم عن الكسل، وهو تعبير مجازي؛ لأن الكسل صفة المنافق كما جاء في القرآن الكريم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾[2].

و"أن تكتبوه" في موضع نصب على المفعول به، لأن الفعل "سئم" متعدٍ بنفسه[3]، كما قال زهيربن أبي سلمى:

سَئِمْتُ تَكَالِيفَ الْحَيَاةِ، وَمَنْ يَعِشْ ثَمَانِينَ عَامًا لَا أَبَالَكَ يَسْأَمِ[4]

وقد يُعدى هذا الفعل بحرف الجر، فيكون الاسم المجرور في موضع نصب على إسقاط الحرف[5].

ومما يدل على أن "سئم" يتعدى بحرف الجر قول الشاعر:

وَلَقَدْ سَئِمْتُ مِنَ الحياةِ وطُولِهَا وَسُؤَالِ هَذَا الناسِ كَيْفَ لبيدُ؟[6]

ضمير النصب في "أن تكتبوه" عائد على الدين لسبقه —في الآية-في قوله: ﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ﴾.

أو على الحق لقربه، في قوله: ﴿وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ﴾ .والدين هو الحق من حيث المعنى.

وانتصب "صغيرا"على الحال من الضمير المنصوب بـ"تكتبوه"وعطف عليه "كبيرا"، أو منصوب على حذف كان مع اسمها كما قدر الخليل في هذه المسألة[7].وقدم لفظ"صغيرا" على "كبيرا"اهتماما وانتقالاً من الشيء القليل إلى الكثير.

وهذا النهي عن السآمة، إنما جاء لتكرر المداينة عندهم، فخيف عليهم أن يملوا الكتابة، فأكد تعالى بالتحضيض في القليل والكثير.

والجار والمجرور في قوله: "إلى أجله" لا يتعلقان بـ"تكتبوه"، فهو فاسد المعنى لاقتضائه استمرار الكتابة إلى أجل الدين، وإنما هو حال، من الضمير المنصوب بـ "تكتبوه". ولم يتنبه العكبري إلى هذا فذكر في تحليله للجملة أنّ "إلى" متعلقة بـ"تكتبوه"مع جواز أن تكون حالا من الهاء أيضا[8]. وتفطن محي الدين درويش إلى فساد المعنى منطقيا عند تعلق "إلى"بالفعل في "تكتبوه" فذكر أن الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال، أي مستقر في الذمة إلى حلوله، وإنه لا يجوز تعليقه بـ"تكتبوه" لعدم استمرار الكتابة إلى أجله[9].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1)ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 280/12، (سأم).

(2)النساء،141.

(3)ينظر، العكبري، البيان، 230/1.

(4)الديوان، 86.

(5)ينظر، الخليل، الجمل في النحو، ص93، وسيبويه، الكتاب، 38/1.

(6)ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 367/2.

(7)ينظر، الجمل في النحو، ص111.

(8)ينظر، إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن،120/1.

(9)ينظر، إعراب القرآن وبيانه، دار الإرشاد، حمص، ط1، 1980، 438/1.

ونص على الأجل للدلالة على وجوب ذكره؛ لأنّ الأجل وهو الوقت الذي اتفق المتداينان على تسميته، فيجب أن يكتب كما يكتب أصل الدين.

ومعنى التركيب: لا تملوا أو لا تكسلوا من كثرة مداياناتكم أن تكتبوا الدين أو الحق صغيرا كان أو كبيرا إلى وقت حلوله الذي أقرّ به المديون.وفي هذا المعنى حث على الكتابة، لأنه متى ضبط الدين بالكتابة، قل أن يحصل فيه إنكار أو منازعة. وأصبح توثيق العقود في العصر الحديث قاعدة من قواعد القانون والاقتصاد. فكل المعاوضات والمعاملات المالية لها سجلات خاصة تذكر فيها آجالها، والمحاكم تعود إليها عند الحاجة، وتجعلها أدلة في الإثبات.

الصورة الخامسة: أداة نهي+ مسند+ مسند إليه (واو الجماعة)+ مفعول به+ جار ومجرور.

من هذه الصورة قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾[1].

قرأ الجمهور: "ولا تتبدلوا"، وقرأ ابن محيصن:"ولا تّبدلوا" بإدغام التاء الأولى في الثانية[2].

والفعل "تبدل" مزيد. وظاهر كلام الزمخشري أن استبدل هو أصلها وأكثرها، وأن "تبدل" محمول عليه لقوله: "والتفعل بمعنى الاستفعال غير عزيز، ومنه التعجل بمعنى الاستعجال، والتأخر بمعنى الاستئخار"[3].وجميع أفعال مادة البدل تدل على جعل الشيء مكان شيء من الذوات أو الصفات أو عن تعويض شيء بشيء آخر من الذوات أو الصفات[4].

ولما كان هذا معنى الحدث المصوغ منه الفعل اقتضت الأفعال المشتقة من هذه المادة أن تتعدى إلى متعلقين، إما على وجه المفعولية فيهما معا، مثل تعلق فعل الجعل، وإما على وجه المفعولية في أحدهما والجر للآخر. فإذا تعدى إلى مفعولين نحو قوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾[5]. كان المفعول الأول هو المحذوف، والثاني هو الذي يخلفه، وإذا تعدى إلى مفعول واحد مباشرة، وتعدى إلى الثاني بالباء، وهو الأكثر –كما هو في هذه الجملة التي أتناولها بالدراسة– فالمنصوب هو المأخوذ، والمجرور هو المبذول. وذلك يتعين أن يكون الخبيث هو المأخوذ، والطيّب هو المتروك.

والخبيث والطيّب أريد بهما الوصف المعنوي؛ فالخبيث هو المذموم أو الحرام، والطيّب ضده، وهو الحلال.

ونظير هذه الصورة قوله تعالى:﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾[6].

(1)النساء، 2.

(2)ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 486/3، وأبو حيان، البحر المحيط، 168/3.

(3)الكشاف، 494/1.

(4)ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 48/11، (بدل).

(5)الفرقان، 70.

(6)النساء، 3.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فلما نهوا عن استبدال الخبيث من أموالهم بالطيب من أموال اليتامى، ارتقى الأسلوب القرآني إلى ما هو أشنع من الاستبدال، وهو أكل أموال اليتامى، فنهوا عنه.

وقال بعض المفسرين: إنّ "إلى" بمعنى "مع"[1] في قوله: "إلى أموالكم". وقيل "إلى" في موضع الحال، والتقدير: ولا تأكلوا أموالهم مضمومة إلى أموالكم[2]. وقيل: الجار والمجرور متعلقان بفعل "تأكلوا" على معنى التضمين؛ أي: ولا تضموا أموالهم في الأكل إلى أموالكم[3]. وهذا الظاهر من السياق.

وفي الجملة نهي عن قصد مال اليتيم بالأكل أو التمول على جميع الوجوه.

وذكر الطبري وغيره عن مجاهد: إنّ الآية ناهية عن الخلط في الإنفاق، فإن العرب تخلط نفقتها بنفقة أيتامها، فنهوا عن ذلك، ثم نسخ منه النهي[4]، بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾.[5]

وقال الحسن قريبا من هذا المعنى، فقال: تأول الناس من هذه الآية النهي عن الخلط، فاجتنبوه من لدن أنفسكم، فخفف عنهم في آية البقرة[6] -المذكورة آنفا- وحسن هذا القول الزمخشري بقوله: "وحقيقتها ولا تضموها إليها في الإنفاق حتى لا تفرقوا بين أموالكم وأموالهم قلة مبالاة بما لا يحل لكم وتسوية بينه وبين الحلال. فإذا قلت: قد حرم عليهم أكل مال اليتامى وحده ومع أموالهم، فلم ورد النهي عن أكله معها؟ قلت: لأنهم إذا كانوا مستغنين عن أموال اليتامى بما رزقهم الله من مال حلال، وهم على ذلك يطمعون فيها كان الطمع أبلغ والذم أحق، ولأنهم كانوا يفعلون ذلك فنعى عليهم فعلهم وسمع بهم ليكون أزجر لهم"[7].

وخلاصة القول: إنّ قوله: "إلى أموالهم" ليس قيدا للاحتراز، وإنما جيء به لذم فعلهم؛ لأن النهي واقع على أكل أموالهم مطلقا؛ سواء أكان للآكل مال يضم إليه مال يتيمه، أم لم يكن له؟.

ويلحظ أنه ورد نهيان في هذه الآية؛ فقد نهوا عن اكتساب الحرام، ثم نهوا عن الاستيلاء على أموال اليتامى أو بعضها.

ويلحق بهذه الصورة قوله: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[8].

تتألف بنية هذه الجملة من أداة نهي، وفعل مضارع مسند إلى ضمير جماعة المخاطبين، وجار ومجرور مكرر مرتين.

---

(1)ينظر، البغوي، معالم التنزيل، 390/1، والرازي، مفاتيح الغيب، 138/9.

(2)ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 168/3.

(3)ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 487/3، والرازي، مفاتيح الغيب، 138/9.

(4)ينظر، جامع البيان، 572/4، وابن عطية، المحرر الوجيز، 486/3.

(5)البقرة، 220.

(6)ينظر، الطبري،جامع البيان، 572/4، و ابن عطية، المحرر الوجيز،486/3.

(7)الكشاف، 495/1،496.

(8)البقرة، 195.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والباء في قوله: "بأيديكم" زائدة للتأكيد، يقال: ألقى يده، وألقى بيده[1]. فهذا الفعل مما يتعدى بنفسه وبحرف الجر، وهو كقوله تعالى: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ﴾[2].أي: هزي إليك جذع النخلة.وعند المبرد ليست زائدة، بل هي متعلقة بالفعل ،كمررت بزيد[3].

وهذه الجملة معطوفة على جملة الأمر في الجملة السابقة من هذه الآية: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ .فبعد أن أمر سبحانه المؤمنين بالإنفاق، نهاهم عن الأعمال التي تكون لها نتائج ضارة حتى لا يدفع بهم يقينهم أو ظنهم بأن الله ناصرهم وهم مفرطون في أعمال البر من الإنفاق، وقهر الأعداء. ويكون عندئذ النهي عن الإلقاء بالنفوس إلى التهلكة جامعا لمعنى الأمر بالإنفاق وغيره من تصاريف الوقائع، وحفظ أرواح المسلمين. ولهذا المعنى تكون الجملة في معنى التعقيب والتذييل، وإنما عطف على جملة الأمر، و لم تفصل عنها باعتبارها غرض آخر من أغراض النصح.

والمعنى عند السمرقندي: "لا تنفقوا من حرام فيرد عليكم فتهلكوا"[4].وقال الزجاج: "التهلكة: معناه: الهلاك، يقال: هلك، يهلك، هلاكا، وهلكة: معناه: إن لم تنفقوا عصيتم الله فهلكتم[5]". وقال ابن عباس: "لا تمنعوا أيديكم عن النفقة في سبيل الله فتهلكوا"[6]. وهذا ما يدل عليه سياق الآية.

ووقوع فعل "تلقوا" في سياق النهي يقتضي عموم كل إلقاء باليد للتهلكة، أي: كل تسبب في الهلاك عن عمد، فيكون منهيا عنه محرما، ما لم يوجد مقتضٍ لإزالة ذلك التحريم.

ويلحق هذه الصورة –كذلك– قوله: ﴿فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِي ٱلۡأَمۡرِ﴾[7].

تختلف هذه الجملة عن سابقاتها من هذه الصورة في أنّ المسند إليه (واو الجماعة) محذوف لالتقاء الواو الساكنة بنون التوكيد الثقيلة، والتقدير: لا ينازعونّك. وهذه الواو تعود على معنى "أمة"–في الجملة السابقة من هذه الآية– في قوله: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكًا هُمۡ نَاسِكُوهُۖ﴾. أي: قد عينا لكل أمة شريعة، ومن جملة الأمم الأمة المحمدية، وذلك موجب لعدم منازعة من بقي منهم لرسول اللهﷺ ومستلزم لطاعتهم إياه في أمر الدين.

والمفعول به هو كاف الخطاب في قوله:"ينازعنك"، وهو خطاب للرسولﷺ بدلالة السياق.

---

(1)ينظر، العكبري، التبيان في إعراب القرآن، 195/1.

(2)مريم، 25.

(3)ينظر، المقتضب، 33/4– 153 .

(4)بحر العلوم، 190/1.

(5)معاني القرآن وإعرابه، 255/1.

(6)تنوير المقباس، ص33.

(7)الحج، 67.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قرأ أبو مجلز: "فلا ينزِعُنَّك"[1] من الانتزاع، يقال: انتزع الرمح إذا اقتلعه ثمّ حمل، وانتزع الشيء: انقلع[2]. والمعنى: فلا يقلعنك ولا يغلبنّك فيحملونك من دينك إلى أديانهم.وقراءة الجمهور: "فلا ينازِعُنَّكَ" من المنازعة، وهي مجاذبة الحجج فيما يتنازع فيه الخصمان[3]. والمعنى: فلا ينازعنك المعارضون في شأن التوحيد بعدما أعطيتهم الحجج الكفاية والبراهين القاطعة.

والنهي في القراءتين للمعارضين من الكفار، وهم المقصود ون بالنهي، ولكن لما كان سبب نهيهم هو ما عند الرسول من البراهين وجه إليه النهي عن منازعتهم إياه.

وهذا النهي لهم عن المنازعة من باب قول العرب: "لا يرينّك ههنا ولا أرينّك ههنا"[4]. فجعل المتكلم النهي موجها إلى نفسه، والمقصود نهي المتلقي عن أسبابه، وهو نهي للآخرين بطريق المجاز.

وقيل : إنه نهي للرسول عن منازعتهم، أي: لا تنازعهم أنت، كما تقول: لا يخاصمك فلان،أي: لا تخاصمه، وكما تقول: لا يضاربنك فلان، أي: لا تضاربه أنت، لأن صيغة المفاعلة تقتضي حصول الفعل من جانبي فاعله ومفعوله، فيصبح كل من الجانبين منهي عنه[5]. وإنما أسند الفعل هنا لضمير المشركين مبالغة في نهي الرسول عن منازعته إياهم. فيكون النهي عند منازعته إياهم كإثبات الشيء بدليله وبرهانه.وحاصل معنى هذه الوجهة أنّ الله تعالى أمر رسوله بالإعراض عن محاجة المشركين بعدما بيّن لهم الحق بالحجج القاطعة.

الصورة السادسة: أداة نهي+ مسند+ مسند إليه (واو الجماعة)+ مفعول به أول+ مفعول به ثان.

يمثل هذه الصورة قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾ [6].

عطف هذا النهي على النهي –في هذه الآية– في قوله: ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟﴾ .وذلك لزيادة التحذير من فعل المسلمين الذين يطيلون العدة بغية مضارة الزوجات المطلقات، بأن في ذلك استهزاء بأحكام الله تعالى التي شرع فيها حق المراجعة، لغرض رحمة الناس، فيجب الحذر من أن تجعل آيات الله هزؤا ولعبا. وآيات الله –هنا–هي ما في القرآن من أحكام مراجعة المطلقة.

والفعل المجزوم في قوله: "تتخذوا"عدي إلى مفعولين، هما: "آيات" و"هزؤا".وقرأ حمزة: "هـزْوا" بإسكان الزاي، وإذا وقف سهّل الهمزة على مذهبه في تسهيل الهمز[7].وقرأ "هزُوا" بضم الزاي، وإبدال الهمزة واواً ، وذلك لأجل الضم[8].

---

(1)ينظر، الزمخشري، الكشاف، 21/3، والقرطبي، الجامع، 94/12، وأبو حيان، البحر المحيط، 358/6.

(2)ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 349/8، (نزع).

(3)ينظر، المصدر السابق، 351/8، (نزع).

(4)سيبويه، الكتاب، 101/3.

(5)ينظر، القرطبي، الجامع، 94/12.

(6)البقرة، 231.

(7)ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 219/2.

(8)ينظر، المصدر السابق، 219/2.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وقرأ الجمهور: "هزؤا" بضم الزاي والهمز، وهو الأصل[1].

والهزؤ بضم الزاي مصدر هزأ، يقال: هزأ به، واستهزأ، إذا سخر[2]. وهو هنا مصدر بمعنى اسم المفعول، أي: لا تتخذوها مستهزأ به.

ولما كان المخاطب بهذا المؤمنين بدلالة السياق. والمؤمنون في حقيقة الأمر لم يكونوا بالذين يستهزئون بآيات الله، تبيّن أن الهزؤ مقصود به المجاز، وهو الاستخفاف، وعدم الاهتمام، لأن المستخف بالشيء المحل يعتبر لاستخفافه به كالساخر واللاعب. وهو تحذير لهم من أن يتوصلوا بأحكام ما أقر الله إلى ما يخالف مقاصد شرعه.

والمعنى: لا تأخذوا أحكام الله على أسلوب الهزؤ، فإنها جد كلها، فمن هزأ فيها، فقد لزمته. قال القرطبي: "ولا خلاف بين العلماء أن من طلق هازلا أن الطلاق يلزمه"[3].

وخرج الدارقطني من حديث إسماعيل بن أميّة القرشي عن علي قال: سمع النبيّ ﷺ رجلا طلق البتة، فغضب، وقال: "تتخذون آيات الله هزوا، أو دين الله هزوا ولعبا، من طلق البتة ألزمناه ثلاثا، لا تحل له حتى تنكح زوجا غيره"[4].

فالمخاطبون محذرون أن يجعلوا حكم الله في العدة هزؤًا، وقد أراد منه تذكر حسن المعاشرة، لعل المطلق يندم فيمسك زوجه حرصا على دوام الألفة والمودة.

ويلحق بهذه الصورة قوله: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[5].

تتألف بنية الجملة من أداة نهي وجزم للغائبين،وفعل مضارع "يتخذ" مجزوم حسب قراءة الجمهور، وقرأه الضبيّ[6]مرفوعا على النفي، والمراد به النهي[7]. وعدي الفعل إلى مفعولين، هما: "الكافرين"و"أولياء". وجيء بــ"من"لتأكيد الظرفية، والمعنى مباعدين المؤمنين، أي في الولاية، وقيل: "من" لابتداء الغاية، أي لا تجعلوا ابتداء الولاية مكانا دون المؤمنين، لأن مكان المؤمنين الأعلى ومكان المؤمنين الأسفل[8]. وهو تقييد للنهي، فيكون المنهى عنه اتخاذ الكافرين أولياء دون المؤمنين، أي أنصارا وأعوانا يبادلونهم المناصرة على إخوانهم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1)ينظر، أبو حيان ، البحر المحيط ، 219/2.

(2)ينظر، ابن فارس، مقاييس اللغة، 52/6، (هزأ)، والزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق، عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، (د.ت)، ص483، (هزأ).

(3)الجامع، 157/3.

(4)سنن الدارقطني، دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، 1993، 20/4، (كتاب الطلاق).

(5)آل عمران، 28.

(6)الضبي: هو سليمان بن يحي الضبي، أبو أيوب البغدادي، من كبار المقرئين وعلمائهم. قرأ على الدوري، ورجاء بن عيسى، وروى عن خلف بن هشام، وروى عنه بن الأنباري، مات سنة291 هـ، ينظر، الذهبي، معرفة القراء الكبار، 256/1،257.

(7)ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 441/2.

(8)ينظر، الطبرسي، مجمع البيان، 211/2، وأبو حيان، البحر المحيط، 441/2.

المؤمنين، لأن في اتخاذهم أولياء يعدّ ضعفا في الدين وتصويبا للكافرين المعتدين، كما قال تعالى في عدة مواضع، من ذلك: ﴿لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾[1]. وقوله: ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾[2].

والموالاة تكون بالظاهر، وتكون بالظاهر والباطن معا، فإذا اتخذ المؤمن طائفة الكفر أولياء في باطن أمره ميلا إلى كفرهم، فهو في حالة كفر، ويعد منافقا، وإذا ركن إلى جماعة الكفر بغية قرابة ومحبة دون الميل إلى معتقدهم، فهذه حالة لا توجب كفر صاحبها، إلا أن ارتكابها إثم كبير؛ فإنّ صاحبها يكاد أن يواليهم على إلحاق الضرر بالمسلمين. وأما إذا اتخذ المسلمون الكفار خدماً مستعينين بهم استعانة العزيز بالذليل فلا مانع فيه[3].

ولعل تعليق النهي عن الاتخاذ بالكافرين بهذا المعنى، لأن المشركين هم الذين كان بينهم وبين المهاجرين صلات قرابة ونسب، ومخالطات مالية، فكانوا بمظنة الموالاة مع بعضهم، ولذلك كله قيل: إنّ الآية نزلت في عبادة بن الصامت، كان له حلفاء من اليهود، فأراد أن يستظهرهم على العدو[4]. وقيل: في عبد الله بن أبي وأصحابه، كانوا يتولون اليهود والمشركين، ويأتوهم بالأخبار يرجون لهم الظفر من المؤمنين[5]. وقيل: في حاطب بن أبي بلتعة وغيره، كانوا يظهرون المودّة لكفار قريش فنزلت[6].

والنهي -في هذه الجملة- عن الاتخاذ، إنما هو فيما يظهره المؤمن للكافر، فأما أن يتخذ بقلبه، فلا يفعله مؤمن[7]، لأن الله قد زكى المؤمنين في مواضع عدّة، ومن ذلك قوله:﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾[8].

فالنهي -هنا- إنما هو عن اللطف بالكفار في المعاشرة والميل إليهم لقرابة أو لصداقة.

ويلحق بهذه الصورة -كذلك- قوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ﴾[9].

تتألف بنية الجملة من أداة نهي "لا"،وفعل مضارع"تحسبنّ"، مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة في محل جزم، ومسند إليه (فاعل) مضمر وجوبا، تقديره "أنت"، ومفعول أول "الذين"،وجملة فعلية ماضوية (صلة الموصول)، ومفعول به ثان"أمواتا".

---

(1)المائدة، 51.

(2)الممتحنة، 1.

(3)ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 441/2.

(4)ينظر، البغوي، معالم التنزيل، 291/1، والرازي، مفاتيح الغيب، 7 /10، وابن الجوزي، زاد المسير، 371/1.

(5)ينظر،الرازي، مفاتيح الغيب، 7 /10، وابن الجوزي، زاد المسير، 371/1.

(6)ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 72/3.

(7)ينظر، المصدر السابق، 71/3، وأبو حيان، البحر المحيط، 441/2.

(8)المجادلة، 22.

(9)آل عمران، 169.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قرأ الجمهور: "ولا تحسبَنّ"[1] -بتاء الخطاب-أي: لا تحسبنّ -أيها السامع- أنّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً، لا يجازون على أعمالهم التي قدموها، بل هم أحياء في عالم آخر، مقربون عند ربّهم.

والخطاب يجوز أن يكون للرسول ﷺ تعليما له، وليعلم المؤمنين. ويجوز أن يكون جاريا على أسلوب العرب في عدم إرادة مخاطب بعينه، وإنما لكل سامع، قال الزمخشري: "الخطاب لرسول الله ﷺ أو لكل أحد"[2].

وقرأ هشام وحميد بن قيس بياء الغيبة[3]، أي: لا يَحْسِبُنَّ أي حاسب. وقال ابن عطية: "وأرى هذه القراءة بضم الياء فالمعنى: لا يحسب الناس"[4].

وقرأ ابن عامر: "قتّلوا" بتشديد التاء للمبالغة في التقتيل، لأن المقتولين كثر. وقرأ الباقون بالتخفيف، لأن التخفيف يفيد التقليل والتكثير، فهو كالتشديد في أحد وجهيه[5].

وقد نهى القرآن -هنا- عن الحسبان، وهو الظن؛ فهو نهي للمتلقين عن أن يظنوا أن المؤمنين الذين قتلوا في سبيل الله أموات، وبالأحرى هو نهي لهم بالجزم بأنهم أموات. فالقرآن أثبت للشهداء الموت الظاهري بقوله:"قتلوا"، ونفى عنهم الموت الحقيقي، ولذلك جيء بجملة "بل أحياء"، فقد أضرب عن جملة النهي، وأثبت لهم الحياة الأبدية.

وقد اختلف في قراءة لفظ "أحياء"، فقرأه الجمهور بالرفع، والتقدير: بل هم أحياء[6]. فحذف المسند إليه (المبتدأ) لدلالة الكلام عليه. وقرأه ابن أبي عبلة بالنصب[7] .وخرجهما أبو البقاء العكبري على وجهين: أحدهما: أن يكون عطفا على "أمواتا"، قال: "كما تقول: ظننت زيدا قائما بل قاعدا"[8].والثاني: وإليه ذهب الزمخشري-أيضا- على أن يكون منصوبا بإضمار فعل تقديره: بل أحسبهم أحياء[9]. وهذا التقدير جائز، لأن "حسب" قد يدل على اليقين، وذلك كقول الشاعر:

حَسِبتُ التقى والمجدَ والجودَ خيرَ تجارة   رَبَاحاً إذا ما المرءُ أصبحَ ثَاقِلاً[10]

فـ"حسب"في البيت لليقين لأن المعنى على ذلك.

---

(1)ينظر، القيسي، الكشف، 364/1، وأبو حيان، البحر المحيط، 117/3.

(2)الكشاف، 479/1.

(3)ينظر، القيسي، الكشف، 364/1

(4) المحرر الوجيز، 417/3.

(5)ينظر، القيسي ، الكشف، 364/1، والداني، التيسير، ص76، و ابن عطية، المحرر الوجيز، 417/3.

(6)ينظر، العكبري، إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، 157/1، وأبو حيان، البحر المحيط، 118/3.

(7)ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 118/3، والسمين الحلبي، الدر المصون، 256/2.

(8)إملاء ما من به الرحمن، 157/1.

(9)ينظر،المصدر السابق، 157/1، والكشاف، 479/1.

(10)ذكره السمين الحلبي في الدر المصون، 256/2.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والأولى أن يقدر فعل الاعتقاد في الآية، أي: بل اعتقدهم أحياء[1].وفي هذه الجملة بيان عاقبة المجاهدين في سبيل الله.

ويماثل هذه الجملة قوله:﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ ﴾[2].

قرأ الجمهور:"فلا تحسبنّهم"بتاء الخطاب وفتح الباء[3].فيكون الخطاب في هذه القراءة للرسول ﷺ أي: لا تحسبنّهم -أيّها الرسول- بمفازة من العذاب.وفي هذا المعنى تسلية للرسول مما لحق به من أذى المشركين والمنافقين.

وقد عدي الفعل -هنا- إلى مفعولين؛ الأول: الضمير "هم"المتصل ببنية الفعل، وهو عائد إلى "الذين يفرحون"-في الجملة السابقة من هذه الآية-. والثاني: الجار والمجرور"بمفازة"، أي "فائزين".

وقرئ: "فلا تحسبُنّهم" بتاء الخطاب، وضم الباء خطابًا للمؤمنين[4]، أي: لا تحسبن -أيها المؤمنون- أولئك الكفار بمنجاة من العذاب.وفي هذا المعنى تنبيه وتحذير للمؤمنين من أن لا يقعوا فيما وقع فيه أولئك.

وقرأ أبو عمرو وابن كثير: "فلا يحسبُنّهم" بياء الغيبة وبكسر السين وبرفع الباء[5]. على أنه خطاب للكفار. وحيث قرئ الفعل بياء الغيبة وضم الباء، فقد جعلا فاعل "يحسبنّ" ومفعوله متحدين، والتقدير: لا يحسبون أنفسهم بمفازة. واتحاد الفاعل والمفعول للفعل الواحد من خصائص أفعال الظن.وفي معنى هذه القراءة توبيخ لأهل الكتاب والمنافقين الذين يفرحون بما آتاهم الله في الدنيا، ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا.

ويلحق بهذه الصورة ما يأتي:

آل عمران،(178،180)، والنساء(89)، والمائدة،(87)، والأنفال،(59)، والتوبة،(23)، والنور،(57).

الصورة السابعة: أداة نهي+ مسند+ مسند إليه(اسم ظاهر)+ أداة عطف+ معطوف(مسند إليه).

من هذه الصورة الجملة الآتية: ﴿ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾.[6]

الفعل المضارع"يضارّ"أصله: يضارِرْ، فحذفت الراء الثانية، وشدّت الراء الأولى. والمضارع إذا كان مجزوما كهذا، كانت حركته الفتحة لخفتها، لأنه متى أدغم لزم تحريكه، فلو فك الإدغام ظهر فيه الجزم. وفك الإدغام هي لغة أهل الحجاز، والإدغام لغة تميم[7].

---

(1)ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 118/3.

(2)آل عمران،188.

(3)ينظر، ابن خالويه، الحجّة، ص116، وأبو زرعة، حجة القراءات، ص187، وابن عطية، المحرر الوجيز، 457/2.

(4)ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 144/3.

(5)ينظر، أبو زرعة، حجة القراءات، ص187، وابن عطية، المحرر الوجيز، 455/3، وأبو حيان، البحر المحيط، 143/3.

(6)البقرة،282.

(7)ينظر، ابن جني، المحتسب، 148/1، وابن عطية، المحرر الوجيز، 518/2، وأبو حيان، البحر المحيط، 370/2.

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قرأ عكرمة: "ولا يُضارِر" -بكسر الراء الأولى- على لغة الحجاز، ونصب لفظ "كاتبا" على المفعولية، و"شهيداً" على العطف، على معنى: لا يبدأهما صاحب الحق بضرر[1].

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن محيصن: "ولا يضارُّ"[2] -برفع الراء المشددة- وهو نفي، معناه النهي، أو لفظ خبر على معنى النهي، وذلك أن النهي إنما يكون عما يمكن وقوعه، فإذا برز في صورة النفي كان أبلغ، لأنه صار مما لا يقع ولا ينبغي أن يقع[3].

وفي قراءة المضارع "يضارْ" بالجزم يكون صالحاً لأن يكون مبنيا للمعلوم "يضارِرْ" -بكسر الراء- كما يصلح أن يكون للمجهول "يضارَرْ" -بفتح الراء- ويؤدي الاسم الظاهر بعده "كاتب ولا شهيد" وظيفته تبعا للاحتمالين؛ فإذا كان الفعل مبنيا للفاعل "ولا يضارِرْ" كقراءة ابن عباس ﷺ [4]، فإن الاسم الظاهر فاعل، ويكون الكاتب والشهيد قد نهيا أن يضارّا أحدا بالتحريف أو الزيادة أو النقصان، وذلك بأن يزيد الكاتب في الكتابة أو يحرف، وبأن يكتم الشاهد الشهادة، أو يمتنع من أدائها، أو يغيرها[5]. وإن كان الفعل مبنيا للمفعول "ولا يضارَرْ" كقراءة عمر بن الخطاب، وعبد الله بن مسعود -رضي الله عنهما-[6] فهو نائب فاعل. ومعنى ذلك: ولا يضارُّ المستكتب والمستشهد الكاتب والشهيد. فنهى القرآن أن يضارهما أحد بأن يشق عليهما في ترك أعمالهما. وهو المرجح، لأنه لو كان خطابا للكاتب والشهيد لناسب العدد -عقبه في هذه الآية- فقيل: وإن تفعلا فإنه فسوق بكما، إلا أنه جاء بصيغة الجمع، فقال: ﴿وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ﴾ .فناسب خطاب الجمع في جملة النهي.

والنهي في كل القراءات للغائب، وهو يدل على الوجوب، لأن الضرر إثم ومعصية يجب اجتنابه.

ويماثل هذه الصورة قوله تعالى: ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ﴾[7].

قرأ نافع وعاصم وحمزة والكسائي: "لا تضارّْ" بفتح الراء مشددة[8]، على أن "لا" أداة نهي، والمضارع "تضارّْ" مجزوم بها، والفتحة للتخلص من التقاء الساكنين الذي نشأ عن تسكين الراء الأولى ليتأتى الإدغام، وتسكين الراء الثانية للجزم، وحرك بالفتحة، لأنها أخف الحركات.

---

(1) ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 518/2.

(2) ينظر، المصدر السابق، 519/2، وأبو حيان، البحر المحيط، 370/2.

(3) ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 370/2.

(4) ينظر، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 405/4.

(5) ينظر، النسفي، مدارك التنزيل، 157/1، وأبو حيان، البحر المحيط، 370/2.

(6) ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 518/2، والقرطبي، الجامع ، 406/4، وأبو حيان، البحر المحيط، 370/2.

(7) البقرة، 233.

(8) ينظر، الزمخشري، الكشاف، 370/1، والقرطبي، الجامع ، 167/3.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو برفع الراء[1]، على أن "لا"أداة نفي، والكلام خبر في معنى النهي. وحجتهما قوله تعالى قبلها: ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾. فاتبعا الرفعَ الرفعَ نسقا عليه[2].

وكلتا القراءتين يجوز أن تكون على نية بناء الفعل للفاعل، بتقدير: "لا تضارِرْ"-بكسر الراء الأولى- وبنائه للنائب بتقدير:"لا تُضارَرْ"-بفتح الراء الأولى-كقراءة ابن عباس وابن مسعود[3].

والمرجح في المعنى قراءة الفتح على النهي، أي قراءة الجمهور، فإن كان الفعل مسندا إلى غير الفاعل، فهو نهي عن أن يلحق بالوالدة الضرر من الزوج، وعن أن يلحق الضرر بالوالد منها بسبب الولد. وإن كان الفعل مسندا إلى الفاعل، فهو نهي عن أن تلحق الوالدة الضرار بالزوج، بأن تطلب منه ما ليس بعدل من الرزق والكسوة، أو بأن تقول له بعدما ألفها الصبي: اطلب له ظئرا، أو ما أشبه ذلك[4]. فالنهي لهما عن أن يكلف أحدهما الآخر ما هو فوق قدرته، ويستغل ما يعلمه من شفقة الآخر على ولده، فيعمل على إحراجه وإلحاق الضرر به.

ويلحظ أن هذه الجملة لم تعطف على التي قبلها إشارة منه تعالى إلى أنها مقصودة لذاتها؛ فإنها تشريع مستقبل.

الصورة الثامنة: أداة نهي+مسند+مفعول به +مسند إليه (اسم ظاهر مضاف)+ أداة عطف+ معطوف (مسند إليه).

من هذه الصور قوله تعالى: ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ ﴾[5].

تتكون الجملة من فاء الاستئناف، وأداة نهي، ومسند، مضارع مجزوم "تعجب"، ومفعول به "كاف الخطاب"، تقدم وجوبا، لأنه اتصل بالفعل، ومسند إليه "أموال"مضاف إلى ضمير الغائبين "هم". وهذا الضمير عائد إلى الذين "كفروا بالله ورسوله"-في الآية السابقة-ثم عطف على المسند إليه "أموالهم" لفظ "أولادهم". ولكون ذكر الأولاد كالتكملة -هنا-لزيادة توضيح عدم انتفاعهم بكل ما هو مظنة أن ينتفع به الناس، عطف "أولادهم" بإعادة الأداة "لا" بعد أداة العطف إشارة إلى أن ذكرهم كالتكملة والاستطراد.

والخطاب لرسول الله ﷺ ، والمقصود المسلمون، والمعنى: فلا تعجبك -أيها الرسول وأيها المسلمون- أموالهم ولا أولادهم، ولا سائر نعم الله عليهم. فالقرآن يرشد المسلمين بأن لا يعجبوا بما فيه بعض المنافقين من ترف مادي، فما هم فيه يعد من أسباب المحن والنوائب عليهم. وفي هذا المعنى تحقير لشأن المنافقين الذين يتباهون بوفرة أموالهم وكثرة أولادهم.

---

(1)ينظر، أبو زرعة، حجة القراءات، ص136، والداني، التيسير، ص69، وأبو حيان، البحر المحيط، 225/2.

(2)ينظر، الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، 211/2، وأبو حيان، البحر المحيط، 225/2.

(3) ينظر، أبو زرعة، حجة القراءات ، ص: 136، وأبو حيان ، البحر المحيط، 2/ 225.

(4)ينظر، الزمخشري، الكشاف، 370/1، والنسفي، مدارك التنزيل، 130/1، 131 ، وأبو حيان، البحر المحيط، 225/2.

(5)التوبة، 55.

ويبدو من خلال سياق الآية أن المنافقين نالوا سعادة الحياة الدنيا بكثرة الأموال والأولاد، وخسروا الآخرة. وربما هذا ما جعل بعض المسلمين يقولون: كيف منَّ الله عليهم بالأموال والأولاد، وهم أعداؤه ؟ ولذلك أعلم الله المؤمنين بعد هذه الجملة –في هذه الآية– أن تلك الأموال والأولاد، وإن كانت في صورة النعمة فهي لهم نقمة وعذاب، فإن الله عذهم ها في الدنيا، بأن سلبهم طمأنينة البال. فقال: "إنما يريد الله ليعذهم ها في الحياة الدنيا...".

وتكررت هذه الجملة –في سورة التوبة– في قوله:﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ﴾ [1]. وذلك لتأكيد الكلام؛ فما يظنون أنه من متاع الحياة الدنيا ومنافعها، هو في الحقيقة سبب لبلائهم وعذاهم.

وورد هذا المعنى في أكثر من آية، ومنه قوله تعالى:﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾[2].

يتضح من مضمون الآيات السابقة أن النفاق جالب لجميع الآفات في الدنيا والآخرة، ومبطل لجميع الخيرات فيها.

ويلحق هذه الصورة قوله: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾[3].

التركيب يتكون من جملة نهي "ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر" معللة بجملة منسوخة: "إنهم لن يضروا الله شيئا". وقد حذفت أداة التعليل اللام أو الفاء، والتقدير: لأنهم أو فإنهم ...

و الفعل المضارع "يحزن" مسند إلي اسم الموصول "الذين"، وقد اتصل ببنيته المفعول به "كاف الخطاب"، المخاطب به رسول الله ﷺ حسب دلالة السياق. وقرأ الجمهور "يحزن" بفتح الياء، وضم الزاي، والماضي حزنه. وقرأ نافع وحده بضم الياء وكسر الزاي، والماضي أحزن [4]. وهذه لغة قليلة.[5] وذلك كقولهم: محزون، ولا يقال: مُحزَن، نقول: حزن، يحزن، حُزنا، وحَزنا.[6] قال سيبويه: يقال: حَزن الرجل إذا أصابه الحزن، وحزّنته: إذا جعله حزينا، وأحزنته: إذا جعلت فيه حزنا أو عرضته للحزن.[7]

---

(1)التوبة، 85.

(2)المؤمنون، 55، 56.

(3)آل عمران، 176.

(4)ينظر، بن خالويه ،إعراب القراءات السبع وعللها، 122/1، والداني، التيسير، ص 76، وأبو حيان ، البحر المحيط، 3/ 126، وابن الجزري، النشر، 244/2.

(5)ينظر، العكبري البيان، 312/1 .

(6) ينظر، ابن خالويه، إعراب القراءات، 122/1.

(7)ينظر، الكتاب، 56/4.

وقرأ الجمهور:"يسارعون" بزيادة الألف من"سارع". وقرأ الحر النحوي [1]:"يسرعون" من"أسرع".[2] وقال ابن عطية: "وقراءة الجماعة أبلغ؛ لأن من يسارع غيره أشد اجتهادا من الذي يسرع وحده" [3]. ومعنى "يسرعون في الكفر": يقعون فيه سريعا لشدة رغبتهم فيه، وغاية حرصهم عليه. ولتضمن معنى المسارعة معنى الوقوع تعدّى الفعل بـ"في" دون"إلى" الذائع تعديته بـه، كما ورد في قوله:﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [4] وفضل ذلك للإشارة على استمرار ملابستهم للكفر في مبدأ المسارعة، كما في قوله: ﴿وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾[5] .في شأن المؤمنين .

والمراد بـ﴿الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾: المنافقون كما يتضح من خلال معنى الجملة؛ فهم الذين ارتدوا بعد إسلامهم، وقد أسرعوا في الكفر، وقيل: المراد كفار قريش، وقيل: رؤساء اليهود [6]. والأولى حمله على العموم، كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ [7].

والمعنى: لا تتوقع –أيها الرسول– حزنا ولا ضررا منهم. ولذلك علل النهي بقوله: ﴿إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾. أي: لن يضروا أولياء الله، وذلك على حذف مضاف.

والمنفي –هنا– ضرر خاص، وهو إبطال دين الله، وهو الإسلام. وهذا لن يحدث أبدا بل سعيهم وكيدهم يضمحل ويعلو أمر الله تعالى.

وفي تعليق نفي الضرر به ﷻ تشريف المؤمنين و إيذان بأن مضارتهم بمنزله مضارته. وفي هذا تأنيس وتسلية لرسول الله ﷺ، بأن وبال ذلك عائد على أولئك الكفار والمنافقين، فلا يضرون إلا أنفسهم، ووجه الحاجة إلى هذه التسلية أو التأنيس هو أن نفس النبي، وإن بلغت درجة الكمال، فلا تعدو أن تعتريها في بعض أحايين الشدة أحوال النفوس البشرية من تأثير مظاهر عوامل الحزن، فكان أنْ سلّى الله تعالى نبيه بما وجهه له في هذا الخطاب عن حال الكافرين والمنافقين إذ كلهم مسارع في الكفر.

ويلحق بهذه الصورة: قوله: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾[8].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1)هو حر بن عبد الرحمن النحوي القارئ ، سمع أبا الأسود الدؤلي ، وعنه طلب إعراب القرآن أربعين سنة. ينظر السيوطي، بغية الوعاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت (د، ت)، 493/1.

(2)ينظر، ابن جني، المحتسب، 177/1، وابن عطية، المحرر الوجيز، 3/ 429.

(3)المحرر الوجيز، 429/3.

(4)آل عمران، 133.

(5)آل عمران، 114.

(6)ينظر، الرازي، مفاتيح الغيب، 9/ 84، والقرطبي، الجامع، 4/ 284.

(7)المائدة، 41.

(8)آل عمران، 196.

أُسنِدَ فعل الغرور إلى "تقلب"؛ لأن التقلب سببه، فهو مجاز عقلي، والمعنى: لا ينبغي أن يغرك حال الكفار في الأرض. والتقلب: تصرف الناس على حسب إرادتهم في التجارة والزراعة والأموال وغيرها.

وفسر اسم الموصول "الذين" بالمشركين من أهل مكة، فقد ذكر الواحدي "أ نهم كانوا في رخاء ولين من العيش، وكانوا يتّجرون ويتنعمون، فقال بعض المؤمنين: إن أعداء الله فيما نرى من الخير، وقد هلكنا من الجوع والجهد، فنزلت الآية".[1] وبعض فسره باليهود، فقيل: إنهم كانوا يضربون في الأرض ويصيبون الأموال والمؤمنون في عناء فنزلت، وإلى ذلك ذهب الفراء.[2]

واختلف في قراءة قوله: "لا يغرنك" فقرأ الجمهور– بتشديد الراء وتشديد النون– وهي نون التوكيد الثقيلة، وذلك للمبالغة في النهي. وقرأ رويس [3] عن يعقوب –بنون ساكنه–وهي نون التوكيد الخفيفة.[4]

والفعل في قوله: "يغرنك" من الغرور، والغرور: الإطماع في أمر محبوب على نية عدم وقوعه، وهو مشتق من الغِرة –بكسر الغين– وهي الغفلة، يقال: رجل غر –بكسر الغين– إذا كان ينخدع لمن خادعه[5]. والنهي لكل سامع، وذلك لمن يتوهم أن يغره من حال الكفار في الحياة الدنيا.

والمعنى: لا تظن أن حال الكفار حسنة، فتنشغل بذلك. أي: لا تنظر إلى ما هم فيه من تقلبهم في البلاد بالأسفار للتجارة التي يتوسعون بها في معاشهم.

والجملة مسوقة لتسلية المسلمين وتبصيرهم ببيان قبح ما أوتي الكفرة من حظوظ الحياة الدنيا.

وفي هذا المعنى –أيضا–تنبيه وتحذير لهم من الاغترار بما يكون عليه الكافرون من الترف وسعة الرزق، فإن ذلك لم يكن صادرا عن رضى الله تعالى عنهم، وإنما هو حظ زائل في الدنيا حصل لهم بحسب ما اقتضته سنة الله الكونية في العمل الذي يعود على صاحبه بالكسب بقدر جهده.

<u>الصورة التاسعة:</u> أداة نهي+ مسند+ مسند إليه(واو الجماعة)+ مفعول به+ ظرف مكان.

تبرز هذه الصورة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾[6].

الفعل مسند إلى واو الجماعة، وقد تقيد بالمفعول به"الفضلَ" وانتصب الظرف "بين" على الظرفية المكانية. وفي هذا الظرف إشارة إلى أن هذا الفعل متعارف عليه من لدن المخاطبين، لأن ما يتخللهم يكون مشتهرا بينهم.

---

(1)أسباب النزول، ص 119.

(2)ينظر، معاني القرآن ، 1/ 251.

(3)هو أبو عبد الله اللؤلؤي، رويس المقرىء ، قرأ على يعقوب، وتصدر للإقراء ، قرأ عليه محمد بن هارون التمار، وأبو عبد الله الزبيري، توفي سنة 238هـ . ينظر، الذهبي، معرفة القراء الكبار، 1/ 216.

(4)ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 3/ 471، والطبرسي، مجمع البيان، 2/ 368، وأبو حيان، البحر المحيط، 3/ 154، وابن الجزري، النشر، 2/ 246.

(5)ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 5/ 12، 13 (غرر).

(6)البقرة، 237.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قرأ الجمهور: "ولا تَنْسَوُا الفضلَ" بضم الواو، وكسرها يحي بن يعمر على أصل التقاء الساكنين[1]. وقرأ علي بن أبي طالب، ومجاهد، وأبو حيوة، وابن أبي عبلة: "وَلاَ تَنَاسَوُا"[2] قال ابن عطية:"وهي قراءة متمكنة المعنى، لأنه موضع تناسي لا نسيان إلا على التشبيه"[3]. والنسيان-هنا-الترك، واستخدم للدلالة على الإهمال وقلة الاعتناء. والفضل: هو فعل ما ليس بواجب من عمل الخير؛ فهو مندوب، وهو من الزوج تكميل المهر، ومن الزوجة ترك جزء من المهر الذي لها[4].

الخطاب –حسب السياق– للأزواج والزوجات جميعا، أي: لا تتركوا الأخذ بالتفضل والإحسان بينكم. فقد نهوا عن نسيان التفضل، لأن نسيانه تباعد بينهم. وفي هذا المعنى ترغيب في الأخذ بهذا الخلق لتقوية أواصر المودة.

ويلحق بهذه الصورة قوله: ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا﴾[5].

تقيد الفعل المضارع "تقبل" بالمفعول به "شهادة"، وشهادة نكرة واقعة في حيز النهي، فتفيد العموم كالنكرة الواقعة في حيز النفي. ومقتضى النهي عدم قبول كل شهادة للمحدود حديثة كانت أم قديمة.
وظرف الزمان "أبدا" يدل على الاستمرار والتأكيد للمستقبل[6].

وجملة النهي هذه معطوفة على جملة الأمر–في هذه الآية–في قوله: ﴿فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ .

أي: فاجمعوا لهم بين الأمرين: الجلد وعدم قبول الشهادة. فكما أن حكم القاذف الجلد كذلك حكمه رد شهادته. يقول الفراء: "القاذف لا تقبل له شهادة، توبته فيما بينه وبين ربّه، وشهادته ملغاة. وكان بعضهم يرى شهادته جائزة إذا تاب، ويقول: يقبل الله توبته ولا نقبل نحن شهادته"[7]. وبهذا قال أغلب المفسرين[8].

أما عدم قبول شهادة القاذف في المستقبل، فلأنه لما قذف دون إثبات فقد صار غير عدول، وكان حقيقيا بأن لا يؤخذ بشهادته.

ومعنى الجملة: ولا تقبلوا شهادة القاذف مدة حياته، ما لم يأت بأربعة شهداء.

ويدل مضمون الجملة على وجوب رد شهادة المحدود على الحكام، بمعنى إذا شهد عندهم على حكم وجب عليهم عدم قبول شهادته.

---

(1)ينظر، القرطبي، الجامع، 208/3.

(2)ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 327/2، والقرطبي، الجامع، 208/3.

(3) ابن عطية، المحرر الوجيز، 327/2.

(4)المصدر السابق، 327/2.

(5)النور، 4.

(6)ينظر، أبو البقاء الكفوي، الكليات، ص32.

(7)معاني القرآن، 245/2،246.

(8)ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 434/10،435، والطبرسي، مجمع البيان، 176/7، والرازي، مفاتيح الغيب، 141/23،142، والقرطبي، الجامع، 179/12.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ويلحق بهذه الصورة قوله:﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾[1].

الخطاب-هنا-للرسول ﷺ. والضمير المجرور"منه" عائد إلى المسجد في قوله: ﴿مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾ -في الآية السابقة- والتقدير: لا تقم في مسجد اتخذوه ضرارًا.

وعبر بالقيام عن الصلاة؛ لأن أولها قيام. والمعنى: لا تصلي فيه أبدا؛ لأن بُناته كانوا خادعو الرسول، فقد هَمَّ النبيء ﷺ بالشيء معهم، واستدعى قميصه لينهض، فنزلت الآية، وأمر جماعة بهدم ذلك المسجد، وجُعل مكانا ترمى فيه القمامة[2].

وفي هذا إشارة إلى قضية اتخاذ المنافقين مسجدا قرب مسجد قباء لقصد الضرر بالمؤمنين، وهم طائفة من بني غنم بن عوف، وبني سالم بن عوف، وهم من منافقي الأنصار، وكان الذين بنوه اثنا عشر رجلا سماهم ابن عطية[3].

ووجه النهي عن الصلاة فيه أن صلاة النبي ﷺ فيه تمنحه خيرا ويمنا، فلا يرى المسلمون لمسجد قباء -القريب منه-أي مزية عليه، فيقتصر أولئك المنافقون على الصلاة فيه لقربه من مساكنهم، وبذلك تحصل غاية أولئك القوم من موقعه للتفريق بين جماعة المسلمين.

وهذا النهي يشمل جميع المسلمين، لأنه لما نهى تعالى النبيء عن الصلاة فيه علم أن الله أخذ عنه صفة المسجدية، فأصبحت الصلاة فاسدة فيه، لأن النهي يقتضي بطلان المنهي عنه.

<u>الصورة العاشرة</u>: أداة نهي+ مسند+ مسند إليه(واو الجماعة)+ جار ومجرور+ حال.

من هذه الصورة قوله تعالى:﴿ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[4].

الخطاب لقوم موسى عليه السلام بدلالة سياق الآية.

وجملة النهي: "ولا تعثوا..." معطوفة على جملة الأمر-في الآية- في قوله: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ﴾. فقد نهاهم الله تعالى-بعدما أمرهم بالأكل والشرب- أن لا يقابلوا تلك النعم بما يكفرها، وهو ارتكاب المعاصي. وفي هذا تذكير لليهود المعاصرين لنزول القرآن بالاتعاظ، وشكر نعمة الله، والإيمان بمحمد ﷺ.

ووجه النهي أن النعمة قد تنسي العبد حاجته إلى ربه، فيترك أحكامه، فيقع في الفساد. قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾[5].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1)التوبة، 108.

(2)ينظر، الواحدي، أسباب النزول، ص220. وابن عطية، المحرر الوجيز، 35/7 .

(3)ينظر، المحرر الوجيز، 31/7.

(4)البقرة، 60.

(5)العلق، 6،7.

والمضارع في قوله: "ولا تعثَوا"من عثيَ، كرضي. وهذه لغة أهل الحجاز، وهي الفصحى[1]. قال ابن عطية: "عثي الرجلُ، يعثى، عُثُوًّا، وعَثِيَ، عُثِيًّا، إذا أفسد أشد فساد، والأولى هي لغة القرآن، والثانية شاذة"[2].

وذكر له صاحب اللسان مصدر العُثِيّ، والعِثِيّ، بضم العين وكسرها، مع كسر الثاء فيهما، وتشديد الياء فيهما[3].

وفي لغة غير أهل الحجاز: عثا، يعثو، عُثُوًا، مثل: سما، يسمو، سموًا. و لم يقرأ أحد من القراء بهذه اللغة التي توجب ضم الثاء[4].

وذهب جل المفسرين إلى أن "العيث" أشد الفساد[5]. ومنه قول رؤبة العجاج:

وعاثَ فِينَا مُستحلٌّ عائِثٌ   مُصدّقٌ، أو فاجرٌ مُناكِثُ[6]

وفي الكشاف جعل معنى: "لا تعثوا" "لا تتمادوا في الفساد في حال فسادكم، لأنهم كانوا متمادين فيه"[7]. فجعل المنهي عنه هو الدوام على الفعل، وكأنه يرفض صحة الحال المؤكدة للجملة الفعلية، فحاول المغايرة بين "لا تعثوا" وبين "مفسدين" تحاشيا للتأكيد.

وذكر أبو البقاء العكبري أن العُثي: الفساد، والحال مؤكدة، وفيه أن مجيء الحال المؤكدة بعد الفعلية خلاف مذهب الجمهور[8].

و"ال" في "الأرض" لاستغراق الجنس، وقد يقصد الله بالأرض أرض التيه، ويجوز أنه يريدها وغيرها مما قدر أن يبلغوا إليها، فينالها فسادهم. ويكون فسادهم فيها بسبب كثرة تمردهم وعصيانهم وإصرارهم على المخالفات، لأن هذه الصفات قد تجسدت في بني إسرائيل.

<u>الصورة الحادية عشرة:</u> أداة نهي+ مسند+ مسند إليه(واو الجماعة)+ جار ومجرور+ أداة حصر+ مفعول به.

وردت هذه الصورة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾[9].

(1)ينظر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، 519/1، 520.

(2)المحرر الوجيز، 313/1.

(3)ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 29/15، (عثا).

(4)ينظر، الطبري، جامع البيان، 349/1، وابن عطية، المحرر الوجيز، 313/1.

(5)ينظر، أبو عبيدة، مجاز القرآن، 90/2، والطبري، جامع البيان، 349/1، والماوردي، النكت والعيون، 128/1، والبغوي، معالم التنزيل، 77/1، وابن الجوزي، زاد المسير، 87/9، والرازي، مفاتيح الغيب، 99/1.

(6)ذكره الماوردي في النكت والعيون، 128/1.

(7)الزمخشري، الكشاف، 284/1.

(8)ينظر، البيان في إعراب القرآن، 67/1.

(9)النساء، 171.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخطاب للنصارى بدلالة العطف، لأن جملة النهي معطوفة على مضمون النداء -في هذه الآية- في قوله:﴿ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾.

وهذا العطف خاص على عام للاهتمام بالنهي عن الافتراء الشنيع الصادر من النصارى الذين أفرطوا في تعظيم المسيح، حتى ادعوا فيه ما ادعوه فنهاهم الله عن الافتراء والكذب بقولهم غير الحق، وذلك بتتريهه تعالى عن الشريك والولد.

وفعل القول إذا عدي بـ"على" دلّ على أن نسبة القائل القول إلى المجرور بـ"على" نسبة كاذبة[1].

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[2].

ومعنى القول على الله في هذه الجملة: أن يقولوا قولاً يزعمون أنه من دين الله المترل على عيسى عليه السلام، وهو من عند أنفسهم؛ فإن الدين الصحيح من شأنه أن يصدر منه تعالى.

ومعنى الجملة: لا تذكروا إلا القول الحق دون القول المتضمن لدعوى الاتحاد والحلول واتخاذ الصاحبة والولد.

ويلحق بهذه الصورة قوله: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾[3].

تتألف الجملة من أداة نهي، ومسند، ومسند إليه "واو الجماعة"، وأداة استثناء "إلاّ" ومستثنى اسم موصول "من" مجرورا لفظا بـ"اللام" الزائدة، منصوب محلاً على الاستثناء المنقطع، وجملة ماضوية "تبع دينكم" صلة الموصول.

هذا النهي من كلام الطائفة من أهل الكتاب بدليل قوله تعالى-في الآية السابقة-: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

أرادوا بقولهم هذا التنبيه والاحتراس بألاّ تظن الطائفة المخاطبة من قولهم: ﴿آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ﴾ أنه إيمان حق.

و معنى الجملة: لا تصدقوا تصديقا صحيحا وتؤمنوا إيمانا حقا إلا لمن جاء بمثل دينكم، فأما محمد فلا تؤمنوا به؛ لأنه لم يتبّع دينكم.وقال ابن كثير في تفسير ذلك: "لا تطمئنوا أو تظهروا سركم وما عندكم إلا لمن تبع دينكم، ولا تظهروا ما بأيديكم إلى المسلمين فيؤمنوا به ويحتجوا به عليكم"[4].

وفي هذا المعنى إظهار الاستغناء عن متابعتهم لما جاء به خاتم الأنبياء والمرسلين. وهو موقف يدل على شدّة كفرهم وحسدهم مع العلم بصحة نبوة محمد ﷺ.

---

(1)ينظر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، 51/6.

(2)آل عمران، 75،78.

(3)آل عمران، 73.

(4)تفسير القرآن العظيم،57/2.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الصورة الثانية عشرة: أداة نهي+ مسند+ مسند إليه (محذوف)+ نون التوكيد+ أداة حصر+حال (جملة).

وردت هذه الصورة في موضعين، وتتضح في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[1].

وقوله:﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[2].

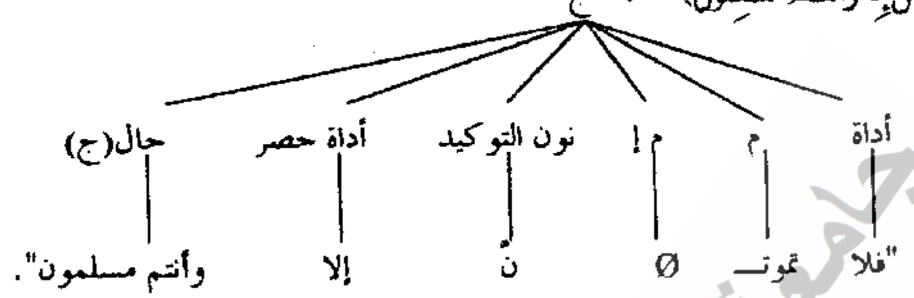

تتألف الجملة من أداة نهي، وفعل مضارع مجزوم، اتصلت به نون التوكيد الثقيلة، أما الفاعل (المسند إليه) فمحذوف، وهو واو الجماعة، وقد حذف لالتقاء الساكنين (الواو والنون)، والضمة فوق لام الفعل (المسند) دليل عليه. ثم جيء بجملة حالية "وأنتم مسلمون"، والرابط واو الحال والضمير معاً.

تميزت هذه الجملة بنظام بديع وجيز. ونظيرها ما حكى سيبويه من قول العرب: "لا يرينّك ههنا، أولا أرينّك ههنا"[3]. والمقصود: لا تكن ههنا فتكن رؤيتي لك. وبمعنى آخر: اذهب عن هذا المكان.

وتدل البنية السطحية للجملة على النهي، إلا أن البنية العميقة تدل على الأمر؛ فليس معناها في الحقيقة نهيا عن الموت، وإنما هو أمر بالتمسك بالإسلام حتى الموت[4]. فالنهي عن الموت على غير الإسلام يتطلب النهي عن مفارقة الإسلام طول حياة الإنسان، وذلك كناية عن ملازمته زمن الحياة، لأنه ليس بمقدوره أن يدرك متى يأتيه الموت، فنهي عن ألاّ يموت على غير الإسلام. وموقع النهي هو المستثنى منه المحذوف، والمستثنى هو جملة الحال؛ لأنها استثناء مفرغ من أحوال. يقول أبو حيان: "وبحيئها اسمية أبلغ لتكرر الضمير، وللمواجهة فيها بالخطاب"[5]. والتقدير: ولا تموتنّ على حال سوى حال الإسلام إذا أدرككم الموت.

وفي هذا المعنى حث على المبادرة إلى الإسلام ابتداء واستمرارا والمحافظة عليه في حال سلامتكم لتموتوا عليه، وليس معناه النهي عن الموت حتى يسلموا، وإنما المطلوب هو التدين بالإسلام قبل مفاجأة الموت.

الصورة الثالثة عشرة: أداة نهي+ مسند+ مسند إليه+ مفعول به+ مضاف إليه+ أداة استثناء +مستثنى(اسم موصول)+جملة فعلية ماضوية(صلة الموصول).

تظهر هذه الصورة في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾[6].

---

(1)البقرة، 132.

(2)آل عمران، 102.

(3)ينظر، الكتاب، 101/3.

(4)ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 247/3، وأبو حيان، البحر المحيط، 571/1، 20/3، وتمام حسان، البيان في روائع القرآن، ص153.

(5)البحر المحيط، 20/3.

(6)النور، 31.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفعل مضارع متعدٍ، وقد تقيد بالمفعول به "زينة" المضاف إلى ضمير الإناث "هنّ". والزينة: ما تحصل به الزين، والزين الحسن، مصدر زانه، يقال: زين بمعنى حسن[1]. ومنه قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ ﴾[2].

الخطاب– في الآية–للمؤمنات بدلالة العطف على جملة الأمر–في هذه الآية– في قوله:﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ... ﴾ . فقد نهاهن الله تعالى عن إبداء زينتهن للرجال؛ لأن التزين أساسه التظاهر بالحسن، فكان جاذباً للأنظار، ولذلك كان النهي عن إظهاره تحذيرا لهن من الافتتان الذي يمكن أن يتعرضن له، وهن باديات في زينتهن.

واستثنى الله تعالى من الزينة ما يظهر منها فقال: ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾. والظاهرة غير الخفية.

واختلف في قدر تلك الزينة التي استثنيت، فروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله: "الزينة الظاهرة الوجه وكحل العينين وخضاب الكف والخاتم، فهذا تظهره في بيتها لمن دخل عليها"[3]. وقال ابن عطية: "ويظهر لي بحكم ألفاظ الآية أن المرأة مأمورة بألا تبدي زينتها، وتجتهد في الإخفاء إلا ما غلبها بحكم الضرورة مما لا بد منه، والغالب أن الوجه والكفين يكثر منهما الظهور"[4].

فالله تعالى رخص في إبداء مواضع الزينة الظاهرة؛ لأن سترها فيه حرج، فإن المرأة لا تجد بدا من مزاولة الأشياء بيدها، ومن الحاجة إلى كشف وجهها خصوصا في الشهادة والنكاح، ولذلك استثنى بقوله: "إلا ما ظهر منها"، يعني ما جرت العادة على ظهوره، فهو مباح أن تريه المرأة لكل أحد، لأن إخفاءه فيه مشقة وحرج[5].

ويكون التزيين الذي نهى الله عن إظهاره للأجانب كالخلخال والسوار والقلادة والقرط والوشاح، ونحو ذلك مما يظهر غالبا.

وفي الغرض من النهي صون لكرامة المرأة المسلمة، لأن هذه الزينة واقعة على مواضع من الجسد، لا يحل لمن ليس بمحرم النظر إليها، وهي الرأس والعنق والصدر والساق والذراع والعضد والأذنان. فنهى عن إبداء الزين نفسها، ليعلم أن النظر لا يحل إليها لملابستها تلك المواقع، بدليل أن النظر إليها غير ملابسة، كالنظر إلى سوار امرأة يباع في السوق، فكان النظر إلى المواقع أنفسها متمكنا في الحظر ثابت القدم في الحرمة شاهدا على أن النساء حقهن أن يحتطن في سترها ويتقين في الكشف عنها[6].

---

(1)ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 201/13، (زين).

(2)آل عمران، 14.

(3)صحيفة عن ابن عباس في تفسير القرآن الكريم، ص372.

(4)المحرر الوجيز، 488/10، 489.

(5)ينظر، القرافي، الاستغناء في الاستثناء، تحقيق، محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1986، ص341.

(6)ينظر، الزمخشري، الكشاف، 61/3، وأبو حيان، البحر المحيط، 412/6.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ولهذا المعنى يكون الكلام على تقدير مضاف، أي: ولا يبدين مواقع زينتهنّ. وفي معنى النهي الوجوب.

ويماثل هذه الصورة قوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ... أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ (1).

تكررت جملة "ولا يُبدين زينتهنّ" -في هذه الجملة- تأكيدا للجملة المتقدمة -في هذه الآية- وذلك ليبنى على الحكم الاستثناء -في قوله: "إلا لبعولتهنّ..." الذي مقتضى ظاهره أن يعطف على "إلا لبعولتهن". أي: ولا يبدين زينتهن غير الظاهرة إلا لمن ذكروا بعد أداة الاستثناء لشدة الحرج في إخفاء الزينة غير الظاهرة في أوقات عدة ، فإن الملابسة بين المرأة وبين أقربائها وأصهارها المستثنين ملابسة متكررة، فلو وجب عليها ستر زينتها في أوقاتها ، كان ذلك مشقة وحرجا عليها.

وذكر في هذه الجملة اثنا عشر مُستثنى كلهم ممن يتردد دخولهم على المرأة ، ولهم صلة قرابة أو صهر ، وسكت عن غيرهم ممن هم في حكمهم بحسب المعنى .

وكل من عُدَّ من الرجال الذين استثنوا من النهي هم من الذين لهم بالمرأة علاقة هي وازع لهم من أن يهموا بها، وبدأ بالبعولة، وهم الأزواج، وهم المقصودون بالمتعة والنظر، ثم ثنى بذوي المحارم، وهم من ليس شأنهم أن تتحرك منهم شهوة تجاههن لحرمة، وهم آباء النساء، وكذا الأجداد، أو آباء الأزواج وأبناؤهم، و الإخوة الأشقاء، أو لأب أو لأم، وأبناء الإخوة كذلك. فكل هؤلاء محارم، يجوز للمرأة أن تبدي زينتها أمامهم بلا حرج، ولكن من غير تبرج.

ويلحق هذه الصورة قوله: ﴿وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (2).

الخطاب للمؤمنين بدلالة سياق هذه الآية وسابقها.

الفعل"تنكح" مسند إلى واو الجماعة، وتعدى إلى المفعول به "ما"، و"ما" بمعنى اسم الموصول. وذكر "من النساء" بياناً لكون "ما" موصولة. وعدل عن أن يقال: لا تنكحوا نساء آبائكم، ليدل بلفظ "تنكح" على أن عقد الأب على المرأة كاف في حرمة زواج ابنه منها.

والاستثناء في قوله: "إلا ما قد سلف" منقطع، لأن النهي للمستقبل، و الفعل"سلف" ماض، فليس من جنسه، وهو في موضع نصب(3).

---

(1)النور، 31.

(2)النساء، 22.

(3)ينظر، الطبرسي، مجمع البيان، 38/3، والعكبري، البيان، 343/1، والقرافي، الاستغناء في الاستثناء، ص371،372، وأبو حيان، البحر المحيط، 217/3.

ومعنى المنقطع أنه لا يكون داخلا في الأول، بل يكون في حكم المستأنف، وتقدر "إلاّ" فيه بـ"لكن"[1]، والتقدير هنا: ولا تتزوجوا النساء اللاتي نكح آباؤكم لكن ما سلف من ذلك فمعفو عنه. وهذا نظير قولك: ما مررت برجل إلا بامرأة، أي لكن مررت بامرأة[2].

ودلالة النهي تحريم، ويبدو لنا من حكمة هذا التحريم عدّة اعتبارات منها: إن امرأة الأب بمثابة الأم؛ فلا يصح أن يخلف الابن أباه، حتى لا تكون شبهة الإرث لزوجة الأب. ولهذا جيء بالجملة التعليلية: "إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا". فجعله الإسلام فاحشة وسبيلا سيئاً، إلا ما قد مضى منه قبل أن يرد في الإسلام تحريمه، فهو متروك أمره لله.

الصورة الرابعة عشرة: أداة نهي+ جملة فعلية مضارعية (مسند+ مسند إليه(ضمير متصل)+مفعول به+ جار ومجرور)+أداة عطف+ جملة مضارعية(مسند+ مسند إليه+ مفعول به)+ حال-جملة-).

جاء من هذه الصورة قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[3].

الخطاب لبني إسرائيل بدلالة العطف، لأن جملة النهي معطوفة على مضمون النداء في الآية السابقة، والتي وجه النداء فيها لبني إسرائيل.

وجملة "و تكتموا الحق" معطوفة على "ولا تلبسوا الحق بالباطل"، وكلاهما منهي عنه. والتغليظ في النهي على الجمع بينهما واضح.

وجملة "وأنتم تعلمون" في موضع نصب على الحال من الضمير في "تكتموا"، وهو أبلغ في النهي، لأن صدور ذلك من العالم أشد وأفظع . ومفعول "تعلمون" محذوف اختصارا ، وقد دل عليه ما تقدم، والتقدير: وأنتم تعلمون لبسكم الحق بالباطل؛ فلا يناسب من كان عالما أن يكتم الحق ويلبسه بالباطل.

والمعنى: ولا تخلطوا الحق المنزل من الله بالباطل الذي تبتدعونه وتكتبونه، ولا تكتموا وصف النبي وبشارته التي هي حق. وفي هذا المعنى دليل على أن العالم بالحق يجب عليه إظهاره للناس، ويحرم عليه كتمانه.

الصورة الخامسة عشرة : أداة نهي +مسند +مسند إليه (واو الجماعة) + مفعول به +حال (جملة).

من هذه الصورة قوله تعالى : ﴿وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾[4].

يتألف التركيب من أداة نهي، وفعل مضارع مسند إلى جماعة المخاطبين (الواو) المتصل ببنيته، ومفعوله الضمير المتصل "هن"، وجملة حالية، تربطها (الواو) والضمير بجملة النهي.

---

(1)ينظر، العكبري، البيان، 343/1.

(2)ينظر، المصدر السابق، 343/1.

(3)البقرة، 42.

(4)البقرة، 187.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والنهي عن مباشرة الزوجات مقيد بحال الاعتكاف في المساجد، وهو نهي تحريم. والمراد بالمباشرة: الجماع. وقال بعض المفسرين المعنى: ولا تلامسوهن بشهوة[1]. أما الملامسة بغير شهوة فغير محظورة.

ومن هذه الصورة -أيضا-قوله: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾[2].

قرأ الجمهور: "ولاتيمموا" بتاء واحدة خفيفة وصلا وابتداء. وقرأه البزي عن ابن كثير بتشديد التاء في الوصل على اعتبار الإدغام[3].

وحكى الطبري ومن أخذ عنه أن في قراءة عبد الله بن مسعود: "ولا تأمموا" من أممت، أي قصدت وعمدت، والمعنى في القراءتين واحد[4]. يقال: تيمم الرجل كذا وكذا، وتأممت فلانا إذا قصدته[5]. ومنه قول امرئ القيس:

تَيَمَّمَتُ العَيْنَ الَّتِي عِنْدَ ضَارِجٍ يَفِيءُ عَلَيْهَا الظِّلُّ عَرْمَضُهَا طَامِي[6]

وقرأ الزهري ومسلم بن جندب[7]: "ولا تُيَمِّمُوا" بضم التاء وكسر الميم، وهذا على لغة من قال: تيممت الشيء بمعنى قصدته[8].

والفعل:"تيمم" عدي إلى المفعول به "الخبيثَ". والخبيثُ: الشديد سوءً في نوعه وصنفه، فلذلك يطلق على الشيء الحرام، وعلى الكريه المستقذر. قال تعالى: ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾[9]. وهو ضد الطيب. ووقوع هذا اللفظ في سياق النهي يدل شمولية ما يصدق عليه اللفظ.

والجملة الفعلية "منه تنفقون" في موضع الحال. والجار والمجرور"منه" معمولان للحال، وقدما عليه للدلالة على الاختصاص.

ومعنى التركيب: ولا تقصدوا المال الخبيث مخصصين الإنفاق به، وقاصرين ذلك عليه. وفي هذا المعنى تقريع وعتاب، لأن محل النهي أن يخرج المسلم زكاته أو صدقته من الأصناف الرديئة، ويترك الجيّدة. أما إخراجه من الصنف الجيد ومن الرديء معاً، فليس بمنهي عنه، لا سيما في الزكاة ، لأنه يخرج عن كل ما هو عنده من نوعه جيدا كان أو رديئاً.

---

(1)ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 130/2، و الزمخشري، الكشاف، 339/1، وأبو حيان، البحر المحيط، 60/2 .

(2)البقرة، 267.

(3)ينظر، الداني، التيسير، ص 70، وابن عطية، المحرر الوجيز، 449/2، وأبو حيان، البحر المحيط، 330/2 .

(4)ينظر، جامع البيان، 82/3، وابن عطية، المحرر الوجيز، 449/2، وأبو حيان، البحر المحيط، 331/2.

(5)ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 22/12،23، (أمم).

(6)الديوان، ص168.

(7)هو مسلم بن جندب أبو عبد الله الهذلي، تابعي مشهور، عرض على عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة وعرض عليه نافع. توفي سنة 130هـ. ينظر، الذهبي، معرفة القراء الكبار، 80/1-82، وابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، عنى بنشره برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1982، 297/2.

(8)ينظر، ابن جني، المحتسب، 138/1، وابن عطية، المحرر الوجيز، 450/2.

(9)الأعراف، 157.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ويلحق بهذه الصورة قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1].

جيء بالفاء لترتيب جملة النهي على الكلام السابق؛ فالنهي مرتب ومتعلق بالأمر بالعبادة -في الآية السابقة-من قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾.

الفعل في قوله: "فلا تجعلوا" يتعدى إلى مفعولين، وقد تعدى إلى أحدهما بحرف الجر"لله" وتعدى للثاني مباشرة "أندادا".

والأنداد: الأكفاء والنظراء والأمثال في أمر من مجد وغيره[2]. وواحد نِدٌّ-بكسر النون-وكذلك قرأ ابن السميفع[3]: "ندًّا"[4]، وهو مفرد في سياق النهي. فالمراد به العموم، إذ ليس المعنى: فلا تجعلوا لله ندًّا واحدا بل أندادا.

وزاد على هذا المعنى بعض أهل اللغة أن يكون مخالفا، أي مناوئا ومعاديا، وكأنهم نظروا إلى اشتقاقه من نَدَّ إذا نفر وشرد[5]. ولعل وجه دلالة الند على المناوأة والمضادة أنها من لوازم المماثلة، لأن شأن المثل أن ينافس مماثله ويزاحمه في مراده وحكمه، فتحصل من ذلك المضادة والمخالفة. ومنه قول حسان بن ثابت:

أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِنِدٍّ؟ فَشَرُّكُمَا لِخَيْرِكُمَا الفِدَاءُ[6]

ومنه —كذلك-قول جرير:

أَتَيْمٌ تَجْعَلُونَ إِلَيّ نِدًّا وَهَلْ تَيْمٌ لِذِي حَسَبٍ نَدِيدُ[7]

والمعنى في الآية: لا تثبتوا لله أنداداً وتجعلوها جعلاً، وهي ليست أنداداً. وسماها أنداداً تعريضا بزعمهم الفاسد الذي ينبئ عن تفكير ساذج، لأن حال العرب في عبادتهم لها كحال من يسوي بين الله وبينها، وإن كان أهل الجاهلية يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾[8].

و جيء بجملة حالية "وأنتم تعلمون"، والخطاب بـ "أنتم" للكفار والمنافقين بدلالة السياق.

ومفعول "تعلمون" محذوف، لأن الفعل لم يقصد تعليقه بل قصد إثباته لفاعله، فترل الفعل مترلة اللازم، وذلك للدلالة على عدم اختصاص ما هم عليه من العلم بنوع واحد من الأنواع الموجبة للتوحيد. والمعنى: وأنتم ذو علم. والمراد بالعلم-هنا-رجحان الرأي المضاد للجهل.

---

(1)البقرة، 22.

(2)ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 420/3، (ندد)، والفيروز آبادي، القاموس المحيط، 341/1،(ندّ).

(3)هو محمد بن عبد الرحمن بن السميفع أبو عبد الله اليماني، له اختيار في القراءات، ينسب إليه، شذ فيه، قرأ على أبي حيوة، وقيل: قرأ على نافع، وقرأ عليه إسماعيل بن مسلم. ينظر،ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، 161/2، 162.

(4)ينظر، الزمخشري، الكشاف، 236/1، والقرطبي، الجامع، 230/1، وأبو حيان، البحر المحيط، 239/1.

(5)ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 420/3، (ندد).

(6)الديوان، حققه وليد عرفات، دار صادر، بيروت، 1974، 18/1.

(7)الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، 1986،ص:129 .

(8)الزمر،3.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وفي هذه الجملة إشارة إلى أنهم يعلمون أن الله لا ندّ له، ولكنهم مع ذلك تناسوا وعمت قلوبهم؛ فهم يعلمون أنه المنعم عليهم بالرزق دون الأنداد، ويعلمون وحدانيته بالقوة والإمكان، ولو تأملوا وأعملوا عقولهم، ما استخدموا الوسائط المزعومة. وفي هذا دليل على الأمر باستعمال الحجج والبراهين العقلية وإبعاد التقليد الأعمى.

وجعلت هذه الحال محل النهي تزيينا وتحسينا للكلام، و ذلك للجمع بين التوبيخ وإثارة النخوة والهمة؛ فإنه تعالى قد أثبت لهم علماً ليثير هممهم، ويلفت نظرهم إلى تأمل دلائل وحدانيته، فلا يجعلون له أنداداً.

ولقد استخدم القرآن هذا الأسلوب حتى لا يقتل الهمم بالقنوط من كمال قدرته، فإنه إن ساءت ظنون المرء في نفسه، خارت إرادته وعزيمته، وضعفت مداركه، وشلت أفكاره.

ويلحق-كذلك-ما جاء في قوله: ﴿وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾(1).

الخطاب للمؤمنين، لأن النداء في الآية لـ"الذين آمنوا". وجملة النهي معطوفة على جملة الأمر(مضمون النداء).

والضمير في قوله "ولا تولوا"عائد إلى الرسول-في الآية-لأن التولي إنما يصح في حق الرسول بأن يعرضوا عنه، وهذا إذا كان التولي حقيقة، أما إذا كان مجازا، فيجوز أن يعود إلى الأمر-في الآية-في قوله: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾، أو هو عائد إلى لفظ الجلالة "الله".

وجملة "وأنتم تسمعون" في موضع الحال من ضمير "تولوا". والمقصود من هذه الحال تشويه التولي المنهي عنه؛ فإن التولي عن رسول الله يعني الانصراف عنه وعصيانه. وهذا لا ينبغي أن يحدث من المؤمنين، لأنهم سمعوا الحق، فإذا لم يعملوا به فهم كمن لم يسمع سواء بسواء. ولما كان الكلام الصادر من الله ورسوله من شأنه أن يقبله أهل العقول، كان مجرد سماعه مقتضيا عدم التولي عنه. وتضمين"تولى عنه" بعد سماعه فأمر عجيب يستدعي الدهشة والحيرة، ثم زاد في تشويه التولي عن رسول الله ﷺ بالتحذير من التشبه بفئة ذميمة، يقولون للرسول: سمعنا، وهم لا يعلمون بما يأمرهم وينهاهم، وهم المنافقون والمشركون.

الصورة السادسة عشرة: أداة نهي+ جملة فعلية مضارعية+ جملة غائية.

من هذه الصورة قوله تعالى: ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ﴾(2).

تتألف جملة النهي من أداة ناهية "لا" ومسند (فعل مضارع)، ومسند إليه "واو الجماعة"، ومفعول به "هم"، وظرف مكان "عند" متعلق بـ"تقاتلوا" مضاف إلى اسم معرف بال"المسجد"، وصفة "الحرام". وخصصت جملة النهي بجملة غائية، تتكون من أداة غائية "حتى"، ومسند (فعل مضارع)، ومسند إليه "واو الجماعة "ومفعول به "كم" ، وجار ومجرور "منه".

---

(1)الأنفال، 20.

(2)البقرة، 191.

قرأ حمزة[1]، والكسائي، والأعمش: "ولا تقتلوهم"، وكذلك "حتى يقتلوكم"، بغير ألف، وقرأ ذلك الباقون بالألف[2]. ووجه القراءة بالألف أنه جعله من القتال. ووجه القراءة بغير الألف أنه جعله من القتل[3].

وحكى الفراء عن العرب أنهم يقولون: "قد قتل بنو فلان إذا قتل منهم الواحد"[4]. والقراءتان متداخلتان حسنتان[5]، لأن من قاتل قتل، ومن قَتل فبعد قتال قُتل. واختيار القراءة بالألف، لأن عليه جمهور القراء[6].

والتركيب يفيد نهي المخاطبين-وهم المسلمون- عن قتال المشركين عند المسجد الحرام. وهذا النهي مقيد بجملة غائية؛ إذ ينتهي بابتداء المشركين القتال، فإذا بدأ المشركون في قتال المسلمين عند المسجد الحرام بطل النهي، ووجب قتالهم، لأنهم خرقوا حرمة المسجد الحرام.

ومن هذه الصورة قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾[7].

قرأ الجمهور: "ولا تَنكحوا" بفتح التاء من (نَكَحَ)، وهو يتعدى إلى واحد[8]، ويطلق بمعنى العقد حقيقة، و بمعنى الوطء مجازا. وهو هنا بمعنى العقد، أي: لا تعقدوا عليهن عقد النكاح[9].

وقرأ الأعمش: "ولا تُنكحوا" بضم التاء[10] من (أنكحَ)، والتقدير: ولا تُنكحوا أنفسكم المشركات.

والمشركات في لسان الشرع من تدين بتعدد الآلهة مع الله ﷻ، والمراد-هنا-مشركات العرب، وتدخل الكتابيات، ومن جعل مع الله إلها آخر[11].

والنهي يقتضي حرمة نكاح المشركة. والجملة الغائية "حتى يؤمنّ" غاية للنهي، فإذا آمن زال النهي.

وكذلك قوله: ﴿وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا﴾[12].

---

(1)هو أبو عمارة حمزة بن حبيب بن إسماعيل الزيات الكوفي. أخذ القراءة عن سليمان الأعمش، وكان الأعمش يجود حرف ابن مسعود. توفي سنة 156هـ. ينظر، ابن الجوزي، النشر، 158/1، وما بعدها.

(2)ينظر،أبو زرعة، حجة القراءات، ص127،128، والقيسي، الكشف، 285/1، وابن عطية، المحرر الوجيز،141/2،142، وابن الجزري، النشر، 227/2.

(3)القيسي، الكشف، 285/1.

(4)الفراء، معاني القرآن، 116/1.

(5)ينظر، المصدر السابق، 116/1، والقيسي، الكشف، 285/1.

(6)ينظر، القيسي، الكشف، 285/1.

(7)البقرة، 221.

(8)ينظر، زكريا الأنصاري، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، تحقيق بهاء الدين عبد الموجود، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، (د.ت)،ص33.

(9)ينظر، الرازي، مفاتيح الغيب، 48/6.

(10)ينظر، الطبري، جامع البيان، 391/2، والقرطبي، الجامع، 3./67، وأبو حيان، البحر المحيط، 173/2.

(11)ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 246/2، وابن العربي، أحكام القرآن، 156/1.

(12)البقرة، 221.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

القراءة بضم التاء إجماع من القراء. والخطاب للأولياء. والمفعول به الثاني محذوف، والتقدير: ولا تنكحوا المشركين المؤمنات.

والنهي نهي تحريم؛ فيحرم تزويج المؤمنة من المشرك. وجيء بجملة غائية "حتى يؤمنوا" وهي غاية للنهي، فإذا آمنوا زال النهي.

ويماثل هذه الصورة-أيضا-قوله: ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾(1).

انتصب لفظ"عقدةَ" على المفعول به لتضمين "تعزموا" معنى ما يتعدى بنفسه، فضمن معنى تُبَتُّوا، أو تنووا، أي: لا تنووا، لأن عزم في أصله ألا يتعدى إلا بـ"على" تقول: عزمت على كذا(2). وقد ينصب"عقدة" على إسقاط حرف الجر، وهو على تقدير: و لا تعزموا على عقدة النكاح. حكى سيبويه أن العرب تقول: "ضرب زيدٌ الظهر والبطن"(3). أي: على الظهر والبطن، قال عنترة:

وَلَقَدْ أَبِيتُ عَلَى الطَّوَى وَأَظَلُّهُ ... حَتى أَنَالَ بِهِ كَرِيمَ المَأْكَلِ(4)

والتقدير: ...وأظل عليه. فحذف "على"، وتقيد الفعل بالضمير فنصبه، إذ أن أصل هذا الفعل أن يتعدى بـ"على". قال أنس بن مدركة:

عَزَمْتُ عَلى إِقَامَةِ ذِي صَبَاحٍ ... لِشَيْءٍ مَا يُسَوَّدُ مَن يَسُودُ(5)

الخطاب-في الآية-للمسلمين، وقد نهوا عن العزم على عقدة النكاح، وإذا كان العزم منهيا عنه، فالأولى أن ينهى عن العقدة. وعقدة النكاح ما يتوقف على صحة النكاح على اختلاف آراء العلماء ، ولذلك قال ابن عطية: "عزم العقدة: عقدها بالإشهاد والولي، وحينئذ تسمى عقدة. وقوله تعالى: ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾ .يريد تمام العدة"(6). والمعنى: لا تعقدوا النكاح حتى تنقضي العدة.

وهذا النهي معناه التحريم، فلو عقد عليها في العدة فسخ النكاح.

و من هذه الصورة كذلك قوله: ﴿فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾(7).

دخلت "لا" الناهية الدالة على طلب ترك الفعل والكف عنه. ثم وردت جملة غائية "حتى يهاجروا...". فـ"حتى" بمعنى : "إلى أن يهاجروا". فالله نهى المؤمنين عن ولاية المنافقين إلى أن يخرجوا في سبيل الله في غزوة تقع بعد نزول الآية، وهي الغزوة التي تلي غزوة أحد، لأن غزوة أحد التي خذل فيها عبد

(1)البقرة، 235.

(2)ينظر، الصبان، الحاشية، ضبطه وصححه وخرج شواهده إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997، 141/2، وأبو حيان، البحر المحيط، 238/2.

(3)الكتاب، 158/1، 159.

(4)الديوان، 57.

(5)من شواهد سيبويه، الكتاب، 227/1، والمبرد، المقتضب، 345/4، وابن جني، الخصائص، 32/3، والسيوطي، همع الهوامع، 301/1.

(6)المحرر الوجيز، 310/2، وينظر، البغوي، معالم التنزيل، 216/1، والقرطبي، الجامع، 192/3.

(7)النساء، 89.

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الله بن أبي وأصحابه رسول الله ﷺ قد مضت قبل نزول هذه الآية[1]. فأقام الله للمؤمنين بالهجرة علامة على كفر المتظاهرين بالإسلام، حتى لا يبقى بينهم الاختلاف في أمرهم، وهي علامة واضحة، فلم يعد من النفاق شيء مستور إلاّ نفاق أهل المدينة. يقول أبو حيان: "لما نص على كفرهم، وأنهم تمنوا أن تكونوا مثلهم بانت عداوتهم لاختلاف الدينين. فنهى تعالى أن يوالى منهم أحد، وإن آمنوا حتى يظاهروا بالهجرة الصحيحة لأجل الإيمان، لا لأجل حظ الدنيا"[2].

فالنهي مستمر إلى غاية إظهار نيتهم بالهجرة إلى المدينة، فهي واجبة يومئذاك، و لم يزل حكمها كذلك إلى أن فتحت مكة ، فنسخ بقول رسول الله ﷺ: "لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية. وإذا استنفرتم فانفروا"[3]. فالمهاجرة في سبيل الله هي الخروج من مكة إلى المدينة بقصد مفارقة أهل مكة في الدين، ولذلك قال تعالى:﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾. أي: لأجل الوصول إلى الله. والمراد: دينه الذي ابتغاه لعباده، وأتم به الأديان.

وتكرر هذا النهي ــ في هذه الآية ــ لتأكيد الخطاب في قوله:﴿وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾.

فقد أكد القرآن للمؤمنين لئلا يتخذوا المنافقين أولياء مناصرين لهم على أعدائهم، وهم على حالة ارتدادهم وكفرهم، إ لا إ ذا أسلموا وهاجروا في سبيل الله مخلصين محتسبين صابرين.

وترد بقية هذه الصورة في البقرة، (196)، والمنافقون، (7).

الصورة السابعة عشرة: أداة نهي+مسند+مسند إليه(واو الجماعة)+مفعول به+حال+أداة عطف+معطوف(حال)+مفعول لأجله(جملة مصدرية).

يمثل هذه الصورة قوله تعالى:﴿ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا﴾[4] .

أسند الفعل المضارع "تأكل" إلى واو الجماعة، وتقيد بالمفعول به"ها" العائد على أموال اليتامى في الآية في قوله: ﴿ فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾. وقد عبر القرآن بالأكل عن الأخذ، وهو تعبير مجازي، لأن الأكل أعظم وجوه الانتفاع بالشيء المأخوذ.

وانتصب "إسرافا" على أنه مصدر في موضع الحال، و"بدارا" على العطف، أي: مسرفين ومبادرين. ويجوز أن يكون "إسرافا" مفعولا لأجله، أي: لإسرافكم ومبادرتكم[5].

وجيء بالمفعول لأجله المصدر المؤول "أن يكبروا" لبيان سبب الفعل، والتقدير: لا تأكلوها إسرافا مخافة أن يكبروا. وقيل: يجوز أن يقع هذا المصدر في محل نصب لـ"بدارا"، أي: بدارا كِبَرَكُم[6].

---

(1)ينظر، القرطبي، الجامع، 306/5.

(2)البحر المحيط، 327/3.

(3)أخرجه البخاري في صحيحه، 285/3، (كتاب الجهاد والسير)، ومسلم في صحيحه، 986/2، (كتاب الحج).

(4)النساء، 6.

(5)ينظر، أبو حيان، النهر الماد، 428/1.

(6)ينظر العكبري، البيان في إعراب القرآن، 332/1.

والبدار: مصدر بادره، يقال: بدره عجله، وبادره عاجله[1] ، وهو من باب المفاعلة، والمفاعلة هنا تكون بين اثنين غالبا، لأن اليتيم إلى الكبر، والولي ساع إلى أخذ ماله، فكأنهما يستبقان[2].

وأريد بالمفاعلة تصوير هيئة الأولياء وحالتهم وهم يتسرعون لاستهلاك أموال اليتامى قبل أن يبلغوا رشدهم، فيقوموا بمحاسبتهم والمطالبة بحقوقهم. وهذا هو المعنى الذي عبر عنه القرآن الكريم بالإسراف؛ فإن الإسراف هو سوء الإنفاق والإفراط فيه. وفي النهي تحذير للأولياء.

الصورة الثامنة عشرة: أداة نهي+ مسند+ مسند إليه+ مفعول مطلق+ مضاف إليه+ صفة.

تبرز هذه الصورة في قوله تعالى:﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ﴾[3].

الخطاب لأمهات المؤمنين بدلالة سياق الآية.

انتصب لفظ "تَبَرُّجَ" على المفعول المطلق، وأضيف إلى اسم معرف بألـ"الجاهلية"، ووصف المضاف إليه بـ"الأولى". والتقدير: تبرج نساء الجاهلية الأولى. فحذف المضاف إليه الأول "نساء"، وأقيم المضاف إليه الثاني مقامه، أي"الجاهلية". وفي هذا الوصف تحقير لما كان عليه أمر البشرية قبل الإسلام.

وقال الزمخشري المراد بالجاهلية الأولى: "القديمة التي يقال لها الجاهلية الجهلاء، وهي الزمن الذي ولد فيه إبراهيم عليه السلام... ويجوز أن تكون الجاهلية الأولى جاهلية الكفر قبل الإسلام، والجاهلية الأخرى جاهلية الفسوق والفجور في الإسلام"[4].

وقال ابن عطية: "والذي يظهر عندي أنه أشار إلى الجاهلية التي لحقنها، فأمرن بالنقلة عن سيرتهن فيها، وهي ما كان قبل الشرع من سيرة الكفرة، لأنهم كانوا لا غيرة عندهم، وكل أمر النساء دون حجبة، وجعلها أولى بالإضافة إلى حالة الإسلام، وليس المعنى أنّ ثم جاهلية أخرى"[5]. وهذا أقرب إلى الصواب؛ لأنه يقال لكل متقدم: أول وأولى، وهذه "الجاهلية الأولى": هي جاهلية الكفر قبل الإسلام، فهي واحدة وإن اختلفت مشاربها واتجاهاتها.

والمراد من النهي الاستمرار على ترك التبرج. والتبرج: إبداء المرأة محاسن جسمها وثيابها وحليها للرجال.

والظاهر من بنية الجملة أن أمهات المؤمنين منهيات عن التبرج مطلقا، حتى في الأحوال التي رخص للنساء التبرج فيها كما ورد في سورة النور، لأن ترك التبرج تنزه عن الاهتمام بسفاسف الأمور.

وفي هذا النهي تعريض بنهي غيرهن من المسلمات بقصد تربيتهن على الاحتشام.

---

(1)ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 48/4، (بدر).

(2)ينظر، العكبري البيان، 332/1.

(3)الأحزاب، 33.

(4)الكشاف، 260/3.

(5)المحرر الوجيز، 61/12.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الصورة التاسعة عشرة: أداة نهي+ مسند+ مسند إليه(واو الجماعة)+ جار ومجرور+ مفعول به+ صفة.

تظهر هذه الصورة في الجملة الآتية:

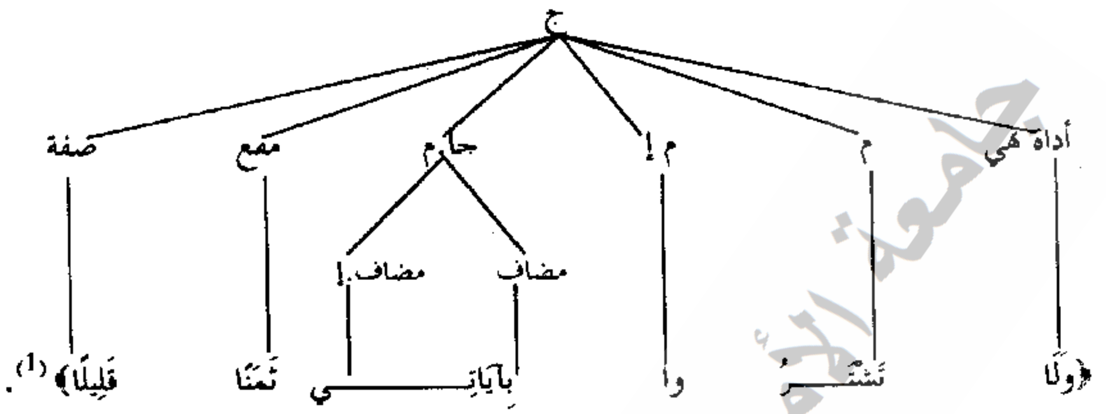

الأصل في الباء أن تدخل على الثمن بعد فعل الشراء والبيع، وقد دخلت هنا على المبيع "بآياتي" فانتصب لفظ "ثمناً" على المفعولية، أي: إن الآيات هي الواقعة موقع الثمن، لأن الثمن هو مدخل الباء. ودل دخول الباء على أن الآيات شبهت بالثمن في كونها أهون العوضين عند المستبدل.

والقاعدة في هذا أن تدخل الباء على المتروك لا على المأخوذ. يقول الفراء: "وكل ما كان من القرآن من هذا قد نصب فيه الثمن وأدخلت الباء في المبيوع أو المشتري، فإن ذلك أكثر ما يأتي في الشيئين لا يكونا ثمنا معلوما مثل الدنانير والدراهم، فمن ذلك اشتريت ثوبا بكساء، أيهما شئت تجعله ثمنا لصاحبه، لأنه ليس من الأثمان"[2]. ومنه قوله تعالى: ﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾[3].

إن الاشتراء يوضع موضع الاستبدال، فكذا الثمن يوضع موضع البدل عن الشيء والعوض عنه. فإذا اختير على ثواب الله شيء من الدنيا فقد جعل ذلك الشيء ثمنا عند فاعله. وهي مبادلة خاسرة، لأن كل كثير بالنسبة للحق المتروك قليل وحقير.

والنهي موجه إلى علماء بني إسرائيل، وهم القدوة لقومهم، فقد كانوا يأخذون من فقراء اليهود الهدايا، وعلموا أنهم لو اتبعوا محمدًا ﷺ لانقطعت عنهم تلك الهدايا، فأصروا على الكفر، لئلا ينقطع عنهم ذلك القدر القليل. وقد ثبت أن علماءهم كانوا يأخذون الرشا على كتمان أمر الرسول وتحريف ما يدل على

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1)البقرة، 41، والمائدة، 44.

(2)معاني القرآن، 30/1.

(3)التوبة، 9.

ذلك من التوراة لتبقى لهم رئاستهم عليهم[1]. قال رسول الله ﷺ: "لو آمن بي عشرة من أحبار اليهود لآمن بي كل يهودي على وجه الأرض"[2].

ومعنى الجملة: لا تبيعوا ما آتيتكم من العلم بكتابي وآياته بثمن بخس. فالله تعالى نهى اليهود عن الاعتياض عن بيان الحق في أمر الإيمان برسوله محمدﷺ ثمنا قليلا من متاع الحياة الدنيا.

والنهي لا يدل على إباحة ذلك بالثمن الكثير، بل يفهم من السياق استعظام وقوع الجحد والإنكار ممن قرأ في التوراة والإنجيل نعت الرسولﷺ وصفته.

ويستخلص من هذا النهي وجوب بيان الحق، وحرمة كتمانه. وينطبق هذا الحكم على الأمة الإسلامية؛ فمن أخذ من المسلمين رشوة على إبطال حق أمر الله، أو إثبات باطل نهى الله عنه، أو كتم البيان الذي أخذ الله عليه ميثاقه به، فقد اشترى بآيات الله ثمنا قليلا.

ويلحق بهذه الصورة قوله:﴿ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾[3].

تتألف الجملة من أداة نهي، ومسند فعل مضارع"تأس"، ومسند إليه مضمر وجوبا في البنية السطحية، يقدر في البنية العميقة بالضمير "أنت"، وجار ومجرور "على القوم"، وصفة"الفاسقين".

ويلحظ أن لفظ "القوم" ألحق بوصف "الفاسقين" ليدل على أن المراد بالفاسقين هم الذين صار الفسق لهم صفة تقوم عليها قوميتهم. ولو لم تذكر كلمة "القوم" لكان بمنزلة اللقب لهم؛ فلا يدل على التوصيف، فكان دالا على من كان الفسق غير ثابت فيه، بل هو في تردد وحيرة من أمره، ولذلك فمرجو توبته وإسلامه.

ومعنى فلا تأس: فلا تحزن، يقال: أسِيَ الرجل يأسى أسًى، وأسِيْتُ على الشيء إذا حزنت عليه[4].

ومنه قول متمم بن نويرة:

فَقلْتُ لَها: طُولُ الأسَى إذْ سَألْتِنِي　　　وَلَوْعَةُ حُزْنٍ تَترُكُ الوَجْهَ أسْفَعَا[5]

والخطاب-في الآية-لموسى عليه السلام لما ندم حين دعائه على قومه، وحزن عليهم [6].

وفي النهي تسلية له على أن لا يحزن، وأن لا يأسف على أولئك القوم الفاسقين، فإن ضرر ذلك راجع إليهم وواقع بهم. وعلل كونه لا يحزن عليهم بأن وصفهم بأنهم قوم فاسقون. وفي هذا الوصف تحقير لشأنهم.

ونظير هذه الجملة ورد في الآية (68) من سورة المائدة. والخطاب فيها للرسولﷺ، فقد نهاه الله ألا يحزن على تكذيب أولئك الكفار من اليهود والنصارى؛ فإن مثل ذلك منهم سجية وخلق في تكذيب رسلهم.

وفي معنى النهي تسلية للرسول وتحقير للقوم الكافرين.

---

(1)ينظر، السمرقندي، بحر العلوم، 114/1، وابن عطية، المحرر الوجيز، 271/1، والقرطبي، الجامع، 334/1.

(2)رواه أحمد بن حنبل في مسنده، 346/2، (متفرقات كتاب الحج والعمرة).

(3)المائدة، 26.

(4)ينظر، أبو عبيدة، مجاز القرآن ، 1/ 161، وابن فارس، مقاييس اللغة، 1/ 106، (أسي).

(5)ينظر، المفضل الضبي، المفضليات، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف مصر، ط4، 1964، ص 268.

(6)ينظر، الطبري، جامع البيان، 527/6، وابن عطية، المحرر الوجيز، 4/ 408.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الصورة العشرون: أداة نهي+جملة فعلية مضارعية (مسند+مسند إليه(مضمر)+مفعول به+مضاف إليه+ جار ومجرور) +جملة فعلية ماضوية (صلة الموصول).

تبرز هذه الصورة في قوله:﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ (1).

الفعل "تتبع" ضمن معنى فعل آخر يتعدى بالحرف"عن"، نحو: تنحرف، أو تعدل. (2) أي: لا تنحرف بسبب أهوائهم عما جاءك من الحق.

والجار والمجرور"عما" متعلق بـ "لا تتبع"، والمعنى: لا تتبع ما يريدون، وهو الحكم بما يسهل عليهم منحرفا بذلك عما جاءك من الحق المنزل الذي لا ريب فيه.

والمنهي هو رسول الله ﷺ نهاه الله عن اتباع أهواء اليهود، أو أهل الكتاب حين حكموه طامعين أن يحكم عليهم بما تقرر من عوائدهم وشرائعهم، ويعدل عن الحق الذي أنزله الله عليه، فإن كل ملة من الملل تريد أن يكون الأمر على ما هم عليه، وما أدركوا عليه أسلافهم، وإن كان باطلا كما وقع في القصاص والرجم ونحوه مما حرفوه من كتب الله، إذا لا يجوز الحكم بما هو في عوائدهم أو شريعتهم، لأن القرآن نسخ ما قبله، فأبطل ما خالفه في الديانات السابقة، وزكى ما وافقه.

والمراد من النهي أن يتقرر ذلك في علم جميع الناس. ثم أكد القرآن هذا النهي –في الآية الموالية من السورة– بقوله:﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ﴾. أي: لا تتبع أهواءهم بالاستماع لهم، وقبول كلامهم، ولو لفائدة في ذلك كجذبهم إلى الإسلام؛ فالحق لا يأتي عن الباطل.

الصورة الحادية والعشرون: أداة نهي+جملة اسمية منسوخة(تكون+مسند إليه(واو الجماعة)+مسند (جار ومجرور)+جملة ماضوية(صلة الموصول).

من هذه الصورة قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾(3).

الخطاب للمومنين باعتبار العطف على جملة الأمر –في الآية السابقة– في قوله:﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾. فقد نهى الله تعالى أمة الإسلام عن أن يكونوا كالمتفرقين من الأمم.

واختلف المفسرون في المشار إليهم في الجملة الموصولية، فقال ابن عباس: هم الأمم السالفة التي افترقت في الدين(4). وقال جمهور المفسرين: المراد هم: اليهود والنصارى الذين تفرقوا واختلفوا من بعد مجيء الدلائل

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1)المائدة، 48.

(2)ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 513/3.

(3)آل عمران، 105.

(4)ينظر، علي بن أبي طلحة، صحيفة عن ابن عباس في تفسير القرآن الكريم، ص129،130، والطبري، جامع البيان، 386/4.

التي فيها عصمة من الوقوع في الاختلاف[1]. وقد زاد الزمخشري: "هم مبتدعو هذه الأمة، وهم المشبهة، والمجبرة، والحشوية، وأشباههم"[2].

والظاهر رأي الجمهور، لأن التفرق والاختلاف المتحدث عنه كان قبل مجيء الإسلام، وهذا ما يدل عليه الفعلان "تفرقوا واختلفوا"؛ فهما يدلان على المضي.

فقد اختلفت اليهود والنصارى في التوحيد والتتريه وأحوال المعاد. وهذا معنى "تفرقوا" كذلك، لأن التفرق لغة خلاف الجمع[3]. والاختلاف بمعنى المضادة والمفارقة[4]، فاللفظان -هنا- بمعنى واحد. وكرر الفعل المعطوف "اختلفوا" للتأكيد.

وقدم الافتراق على الاختلاف إيذانا بأن الاختلاف علة التفرق إذ تكثر التراعات، فتنشق الأمة انشقاقا بعيدا، ويصعب التحكم في زمام الأمور.

وهذا الترتيب والتنسيق من نظام الكلام، وذكر الأمور مع مقارنالها، ليتجلى المعنى للمتلقي.وفيه إشارة إلى أن الاختلاف المذموم المؤدي إلى الافتراق هو الاختلاف في أصول الدين الذي يفضي إلى تكفير بعض أفراد الأمة بعضا دون الاختلاف في الفروع المبنية على اختلاف مصالح الأمة في الأزمنة والأمكنة، وهو المعبر عنه بالاجتهاد.

ومعنى التركيب: لا تتفرقوا -يا معشر المؤمنين- في دينكم تفرق هؤلاء في دينهم، وذلك لأن التفرق في الدين والسياسة العامة للأمة أمر شنيع وحرام. فهو يؤذن بتهديم المصلحة العامة والقضاء على كيان الدولة المسلمة.

وقد عد القرآن المتفرقين في الدين من الكفار والمشركين، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾[5]. وكقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾[6].

ويستفاد من هذه النصوص أن الاختلاف المحظور، إنما هو الاختلاف في العقيدة وأصول الدين، وأما الاختلاف في الفروع الاجتهادية بين الفقهاء، فهو محمود، لأن به تسنُّ الأحكام الشرعية، فيتم التسهيل على الأمة.

وورد نظير هذه الجملة في قوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾[7].

(1)ينظر، الطبري، جامع البيان، 385/4، والزمخشري، الكشاف، 453/1، والقرطبي، الجامع، 166/4، والشوكاني، فتح القدير، 470/1.
(2)الكشاف، 453/1.
(3)ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 299/10، (فرق).
(4)ينظر، المصدر السابق، 90/9، (خلف).
(5)الروم، 31، 32.
(6)الأنعام، 159.
(7)الأنفال، 21.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخطاب لـ"الذين آمنوا" في الآية السابقة، لأن جملة النهي هذه معطوفة على مضمون النداء في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾. وهو نهي عن أن يكونوا كالذين ادعوا السماع. والمشبه بهم اليهود والمشركون أو المنافقون، أو الذين﴿قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا﴾[1].

وعن ابن عباس أن المراد بأصحاب هذه الصلة هم نفر من قريش، وهم بنو عبد الدار بن قصي، والنضر بن الحارث وأصحابه[2]. وقد شبه القرآن سماعهم بسماع من لا يصدق؛ فهم أرادوا بقولهم"سمعنا": إيهامهم بأنهم مطيعون.

والمراد بالسماع: سماع تدبر وتأمل في المسموع، كما هو الشأن في المؤمنين أن يقولوا:﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[3].

وجاءت الجملة المنفية "وهم لا يسمعون" على شكل المثبتة إذ لم تأت وهم ما سمعوا أو لم يسمعوا، لأن لفظ الماضي لا يدل على استمرار الزمن بخلاف نفي المضارع بـ"لا"؛ فكما يدل إثباته على الاستمرار يجيء كذلك نفيه. وجيء-كذلك- بالنفي "لا"، لأنه أوسع في نفي المضارع من "ما" وأدل على انتفاء السماع في المستقبل، أي: وهم ممن لا يقبلون أن يسمعوا.

وقدم المسند إليه"هم"على المسند الفعلي"يسمعون" للاهتمام به، ليقرر مفهومه في ذهن المتلقي، فتثبت صفته بمفهوم المسند، وهو انتفاء السمع عنهم.

والمراد من النهي التعريض بأصحاب هذه الصلة من الكافرين أو المشركين أو المنافقين، وتحذير المؤمنين من الوقوع فيما وقع فيه أولئك، أي: احذروا أن تكونوا مثل الذين قالوا: سمعنا وهم لا يسمعون، فإنهم يتظاهرون بالسماع والاستجابة، والحال أنهم لا يسمعون أبداً.

وتكررت هذه الصورة في قوله:﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ﴾[4].

الخطاب فيها لـ"الذين أمنوا"، لأن هذه الجملة معطوفة على مضمون النداء-في هذه الآية -في قوله: "ولا تنازعوا". فيكون عطف نهي على نهي، ويصح أن تكون معطوفة على جملة "فاثبتوا"، فيكون عطف نهي على أمر إكمالا لأسباب النجاح والفوز عند لقاء الجمعين حين احتدام القتال في غزوة بدر الكبرى، بأن يتلبسوا بما يقربهم من نصر دينه، ومؤازرة رسوله، وأن يبتعدوا عما يدنس إخلاص نيتهم في جهاد أعداء الإسلام. فكان أن نهاهم عن تشبههم بحال المشركين في خروجهم لبدر، إذ "خرجوا بطرا ورئاء الناس".

(1)الأنفال، 31.

(2)ينظر، المقباس من تفسير ابن عباس، ص190.

(3)البقرة، 285.

(4)الأنفال، 47.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والمراد بالموصول جماعة خاصة، وهم أبو جهل وأصحابه، خرجوا لحماية العير بالقيان والمعازف، فنجا بها أبو سفيان، فقال لهم أبو جهل: لا نرجع ديارنا حتى نرد بدرا، وننحر الإبل، ونشرب الخمر، وتعزف علينا القيان، ويسمع بنا العرب، ويهابنا الناس، فكان من أمر الله ما كان[1].

وانتصب "بطرا ورئاء الناس" على الحالية أي: بطرين مرائين. والمعنى: معجبين مستكبرين مفتخرين. وذلك حال المشركين لما خرجوا لقتال المؤمنين؛ خرجوا عجبا بما هم فيه من القوة.

وبقية هذه الصورة وردت في الآية (69) من سورة الأحزاب، والآية (19) من سورة الحشر. فالنهي في الآية الأولى تحذير للمؤمنين مما يؤذي الرسولﷺ بتتريههم عن أن يكونوا مثل قوم موسى الذين نسبوا إلى رسولهم ما هو أذى له كتعييبه كذبا وبهتانا أو تعجيزه برؤية الله جهرا، وهم لا يبالون بما في ذلك من إغضابه الذي فيه غضب الله تعالى. وهو في الآية الثانية تحذير للمؤمنين عن الإعراض عن الدين والتغافل عن تقوى الله.

الصورة الثانية والعشرون: أداة نهي+جملة اسمية منسوخة (تكن+مسند إليه+جار ومجرور+مسند).

تبرز هذه الصورة في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴾.[2]

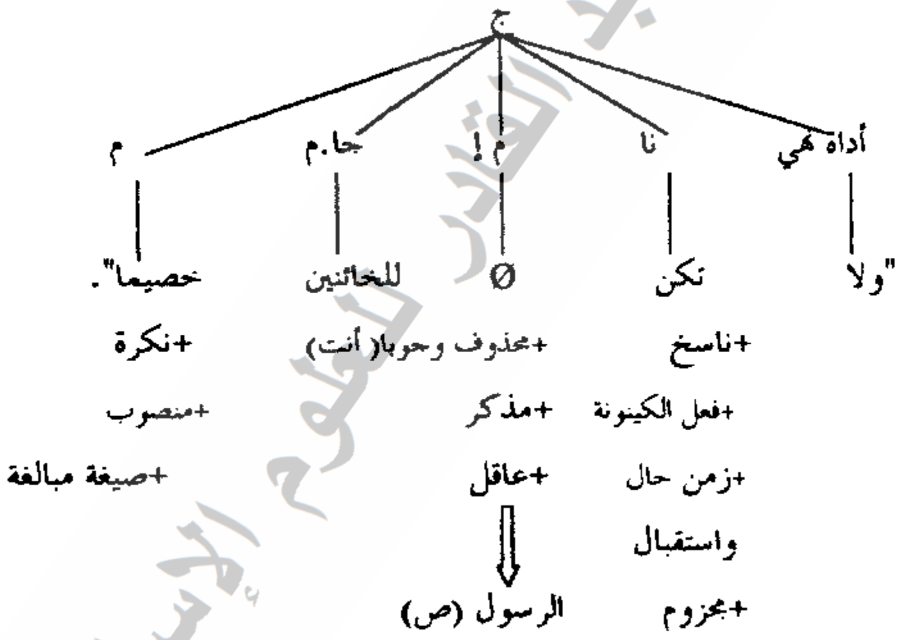

المسند إليه مضمر في البنية السطحية مقدر في البنية العميقة بالضمير(أنت)، ويراد به الرسول ﷺ وذلك بدلالة سياق الآية.

(1)ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 332/6، والماوردي ، النكت والعيون، 324/2. وأبو حيان، البحر المحيط، 4/ 500.

(2)النساء، 105.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

واللام الجارة تفيد التعليل، أي لأجل الخائنين، ويجوز أن تكون بمعنى "عن"[1]. أي: لا تخاصم عنهم. ومفعول صيغة المبالغة "خصيما" محذوف دل عليه ذكر مقابله، وهو"للخائنين"، والتقدير: لا تكن تخاصم من يخاصم الخائنين، أي: لا تخاصم عنهم.

وجمهور المفسرين أن الآية نزلت في طعمة بن أبيرق سرق درعا في جراب فيه دقيق لرفاعة بن زيد عم قتادة بن النعمان، وخبأها عند يهودي [2] وقيل: إن بني أبيرق الثلاثة، ومنهم طعمة، قد أخذوا ذلك، فشكاهم قتاده: إلى رسول الله ﷺ وأن الرسول هَمَّ أن يجادل عن طعمة أو عن بني أبيرق[3]، فنزلت الآية.

والظاهر من لفظ الجمع في قوله: "للخائنين" أن بني أبيرق الثلاثة هم الذين فعلوا ذلك، وإن كان طعمة وحده هو الذي سرق الدرع، فجاء الجمع باعتباره و اعتبار من شهد له بالبراءة من قومه. [4] فكانوا بذلك شركاء له في الإثم.

والخطاب-في الجملة-لرسول ﷺ. والمعنى: لا تكن لمن خان مدافعا ومعاهدا. وفيه تأنيب للنبي ﷺ على قبول ما رفع إليه بسرعة في أمر بني أبيرق.

ويلحق بهذه الصورة قوله: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾.[5]

تتكون الجملة من "لا" الناهية، وفعل مضارع ناقص مجزوم، اتصلت به نون التوكيد الثقيلة للمبالغة في النهي، ومسند إليه-اسم "تكن"-مضمر وجوبا في البنية السطحية، يقدر في البنية العميقة بالضمير "أنت"، وجار ومجرور "من الممترين" متعلق بخبر (مسند) تكون.

و الامتراء: افتعال من المراء : وهو الشك، ومصدر المرية لا يعرف له فعل مجرد بل هو دائما بصيغة الافتعال [6]، "يقال: امترى فلان في كذا إذا اعترضه اليقين مرة، والشك أخرى، فدافع أحدهما بالآخر"[7]. قال سيبويه: وهذا الفعل من الأفعال التي تكون للواحد [8].

ونظير هذه الجملة ورد في قوله: ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ﴾.[9]

الخطاب في الموضعين للرسول ﷺ، والمقصود أمته، وهو تحذير للأمة من الوقوع في الشك.

(1)ينظر، العكبري، التبيان في إعراب القرآن، 1/ 387.

(2)ينظر، بن عباس، تنوير المقباس، ص 104، وابن عطية، المحرر الوجيز، 218/4، والواحدي، أسباب النزول، ص 152، والبغوي، معالم التنزيل، 477/1.

(3)ينظر، الترمذي، الجامع الصحيح ، 228/5، 229، (كتاب تفسير القرآن). والطبري، جامع البيان، 265/5، والطبرسي، مجمع البيان، 136/3.

(4)ينظر، الطبري، جامع البيان، 266/5، وابن عطية، المحرر الوجيز، 217/4، 218.

(5)البقرة، 147.

(6)ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 15/ 278، (مرى).

(7)الماوردي، النكت و العيون، 1/ 205.

(8)ينظر، الكتاب، 279/1.

(9)آل عمران، 60.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والمعنى: فلا تكن من الذين يشكون في الحق، لأن ما جاء من الله سبحانه لا يمكن أن يحدث فيه ريب ولا جدال، إذ هو الحق الذي لا يلحق به شك و لا ريب.

الصورة الثالثة والعشرون: أداة نهي+جملة فعلية مضارعية (مسند+ مسند إليه+ مفعول به+ بدل + جملة تعليلية (فاء السببية+ ناسخ+ مسند إليه+مسند).

يمثل الصورة قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.[1]

الأداة "لا" تفيد النهي، والمنهي عنه جملة فعلية مضارعية، تتكون من فعل مضارع (مسند) مجزوم، وعلامة جزمه حذف النون، لأنه من الأفعال الخمسة، ومسند إليه، جاء ضميرا للمثنى، يعود على "آدم وحواء" —في الآية—ومفعول به اسم إشارة "هذه"، وبدل أو عطف بيان "الشجرة".

والإشارة بـ"هذه" إلى شجرة مرئية لآدم وزوجه. و لم يعين الله تعالى هذه الشجرة، وقد نهى المُخَاطَبَيْنِ عن اقترابها. والمعنى: لا تأكلا من الشجرة، لأن قربانها إنما هو لغرض الأكل. فالنهي عن القربان أبلغ من النهي عن الأكل، لأن القرب من الشيء ينشئ ميلا إليه. وقد جاء في الحديث الشريف: "من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه"[2]. فيكون المعنى: لا تقرباها بالأكل. يقول أبو حيان: "وحكى بعض من عاصرناه عن ابن العربي يعني القاضي أبا بكر، قال: سمعت الشاشي في مجلس النضر بن شميل يقول: إذا قلت: لا تقرَب—بفتح الراء—معناه: لا تلبس بالفعل، وإذا كان بضم الراء كان معناه: لا تدن"[3].

والواقع إن "قَرُبَ"و "قَرِبَ" بمعنى " دَنَا"[4]. فسواء ضمت الراء أو فتحت في المضارع فالمراد النهي عن الدنو، إلا أن الاقتراب أو الدنو بعضه مجازي وبعضه حقيقي، ويراد هنا المعنى المجازي، وهو النهي عن الأكل.

وقرئ:"ولا تِقْرَبَا" بكسر التاء[5]، وهي لغة عن الحجازيين في "فَعَلَ" "يَفْعِلُ" يكسرون حرف المضارعة[6].

وقد خصص النهي —في هذا التركيب— تخصيصا سببيا، يفيد التعليل، وفي ذلك إقناع لآدم وحواء، ليكفا عن الفعل. فالفعل المنهي عنه سبب في وجود الفعل الثاني الذي تحقق بأن ارتكبا ما نهي عنه، فترتب عنه الحرمان من نعيم الجنة الدائم.

ويلحق بهذه الصورة قوله تعالى: ﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾[7].

(1)البقرة، 35.

(2)الزبيدي، إتحاف السادة المتقين لشرح إحياء علوم الدين، دار الفكر (د.ت)، 159/4، 275/7.

(3)البحر المحيط، 309/1.

(4)ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 662/1،663، (قرب).

(5)ينظر، الزمخشري، الكشاف، 273/1، وأبو حيان، البحر المحيط، 309/1.

(6)ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 309/1.

(7)النساء، 129.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يتضح من البنية العميقة للجملة أن متعلق"تميلوا " محذوف في البنية السطحية، والتقدير: فلا تميلوا إلى إحداهن كل الميل. فالله تعالى أقام ميزان العدل بين الزوجات، فلا يفرط الزوج بإظهار الميل إلى إحداهن أشد الميل حتى يسوء الأخرى، بحيث تصير كالمعلقة.

وإن ضمير "تذروها" المنصوب على المفعولية عائد إلى غير المتعلق المحذوف بالقرينة. والجار والمجرور في قوله:﴿كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ متعلق بالفعل في "تذروها". والمتعلقة: هي المرأة التي يهجرها زوجها هجرا طويلا، فلا هي مطلقة، ولا هي زوجة.

وقد دل المفعول المطلق أو نائبه في لفظ "كُلَّ" على أن الزوج لا يكلف بما ليس في وسعه من الحب لزوجته، ولكن ينبغي أن يروض نفسه على الإحسان والحب إليها.

ويلحق -كذلك-قوله: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[1].

الخطاب للمؤمنين، لأن الضمير المتصل بالفعل يعود على "الذين آمنوا" -في الآية- وقد نهوا عن التنازع، وهو يقتضي التشاور والتفاهم وعدم الاختلاف، لتكون كلمتهم واحدة.

وجئ بالجملة التعليلية "فتفشلوا وتذهب ريحكم" للتحذير من التنازع الذي يؤدي إلى أمرين معلومي العاقبة، وهما: الفشل، وذهاب الريح.

والمعنى: إن تنازعتم فشلتم وذهبت قوتكم، لأن التنازع مقوض لبنية الجماعة، ومبدد لقوة الدولة وهيبتها.

الصورة الرابعة والعشرون: أداة نهي+جملة فعلية مضارعية (مسند+مسند إليه+مفعول به+مضاف إليه)+جملة تعليلية (اسمية).

من هذه الصورة قوله تعالى:﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[2].

تتكون بنية هذه الجملة من أداة نهي "لا"، وجملة فعلية مضارعية، وقد خصص النهي تخصيصا تعليليا بجملة اسمية تتصدرها أداة التوكيد "إنّ".

وجئ بالجملة الاسمية لمجرد الاهتمام بالخبر، لأن العداوة بين الشيطان والناس معلومة عند المومنين والمشركين.

الضمير (المسند إليه) المتصل ببنية الفعل المضارع عائد على "الناس"-في الآية- وهم المشركون المتلبسون بالمنهي عنه، وهو اتباع خطوات الشيطان. "والنهي عن اتباع خطوات الشيطان كناية عن ترك الاقتداء به وعن اتباع ما سنّ من المعاصي"[3].

وفي معنى النهي تحذير من اتباع سبل الشيطان، لأن من اتضحت عداوته، فالأحق ألا يتبع في شيء.

---

(1)الأنفال، 46.

(2)البقرة، 168.

(3)أبو حيان البحر المحيط، 654/1.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وتكررت هذه الجملة في الآية (208) من سورة البقرة. والخطاب فيها للمؤمنين، وتتضمن تحذيرا لهم مما يصدهم عن الدخول في السلم المأمور به، لأن كل ما يحول بينهم وبين الدخول في السلم هو من مسالك الشيطان.

ونلحق بهذه الصورة ما جاء في قوله: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾(1).

الخطاب للمؤمنين بدلالة السياق، وقد نهوا عن الابتداء بقتال العدو. قال ابن عطية المعنى: "ولا تعتدوا في قتال من لم يقاتلكم"(2). وفي ذلك مسالمة للعدو من جهة واستبقاء على حياتهم من جهة أخرى.

وروي عن ابن عباس أنه قال: "ولا تقتلوا النساء والصبيان وهكذا، ولا الشيخ الكبير، ولا من ألقى إليكم السلم وكف يده، فمن فعل ذلك فقد اعتدى"(3).

وقال أبو حيان: في الجملة "نهي عام في جميع مجاوزة كل حد حده الله تعالى، فدخل فيه الاعتداء في القتال بما لا يجوز"(4).

والظاهر من السياق أن الله تعالى نهى المؤمنين عن البدء بالقتال، كما نهاهم عن قتل المسالمين وغير المقاتلين من نساء وأطفال وعجزة وشيوخ.

وتكررت جملة "ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين" في الآية (87) من سورة المائدة. والخطاب فيها للمؤمنين، لأن الضمير المتصل بالفعل يعود على "الذين آمنوا" -في الآية-. وهذه الجملة وردت في سياق النهي عن تحريم الطيبات، فلما نهاهم تعالى عن تحريم الحلال أردفه بالنهي عن استحلال المحرمات، وذلك بالاعتداء على حقوق الله تعالى كأكل الدم ولحم الخنزير وشرب الخمر. ويعم الاعتداء -في سياق النهي- كل ما حرمه الله. وفي هذا المعنى تحذير من كل اعتداء.

ويلحق بهذه الصورة ما ورد في الآية (40) من سورة التوبة.

<u>الصورة الخامسة والعشرون:</u> أداة نهي+جملة فعلية مضارعية+ جملة تعليلية (مصدرية).

من هذه الصورة قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾(5).

الفعل في قوله "تجعلوا" عدي إلى مفعولين، هما: لفظ الجلالة "الله" و"عرضة". وتعليق الفعل بالذات -هنا- هو على معنى التعليق بالاسم، والتقدير: ولا تجعلوا اسم الله. وحذف لكثرة الاستعمال، كقول النابغة:

حَلَفْتُ، فَلَم أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيبةً ... وَلَيْسَ وَرَاءَ اللهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبُ(6)

والتقدير: وليس بعد اسم الله للمرء مذهب للحلف.

(1)البقرة، 190.

(2)المحرر الوجيز، 139/2.

(3)علي بن أبي طلحة، صحيفة عن ابن عباس في تفسير القرآن الكريم، ص 97.

(4)البحر المحيط، 73/2.

(5)البقرة، 224.

(6)الديوان، تحقيق كرم البستاني، دار بيروت للطباعة والنشر، 1986، ص17.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وقوله: "عُرْضة" على وزن "فُعْلة" وهو وزن دال على المفعول بمعنى معروض، وهو مشتق من "عرض"، يقال: عرضه إذا وضعه على العُرض، أي على الجانب.

ومعنى العرض -هنا- جعل الشيء حاجزا، وهو من قولهم: فلان عرضة للناس، لا يزالون يقعون فيه.(1) فنشأ عن ذلك إطلاق العرضة على الحاجز أو المانع المعرض، وهو إطلاق شائع الاستعمال.

وقد خصص النهي تخصيصا تعليليا بجملة مصدرية، تتصدرها أداة مصدرية "أن"، والتقدير: لأن تبروا... وذلك على الإثبات. وهذه الجملة هي علة النهي.

وجملة "أن تبروا" في محل نصب مفعول لأجله، والتقدير: كراهةً أو إرادةً أن تبروا. وهو قول الجمهور(2).

وقال الفراء: المعنى: ولا تجعلوا الحلف بالله معترضا مانعا لكم أن تبروا.(3) فجعل العرضة بمعنى المعترض. و روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، قال: "ولا تجعلن الله عرضة ليمينك أن لا تصنع الخير، ولكن كفر عن يمينك واصنع الخير".(4) فيكون ذلك نهيا عن الحلف بالله على ترك الطاعات، لأن تعظيم الله لا ينبغي أن يكون سببا في قطع ما أمر الله بفعله. وهذا النهي يتطلب: إنه إن وقع اليمين على ترك عمل البر والتقوى والإصلاح، أنه لا حرج في ذلك، وأن على صاحبه أن يكفر عن حلفه، ويفعل الخير.

ويحتمل أن يكون المسلمون قد نهوا عن أن يجعلوا الله عرضة لإيمانهم فيحلفوا به في البر والفجور، كما روي عن عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت: "نزلت في تكثير اليمين بالله نهيا أن يحلف الرجل به برا، فكيف فاجرا".(5) ويكون المعنى على هذا الوجه لا تكثروا الحلف بالله تعالى؛ فهو مذموم، والذي يجعل الله عرضة لأيمانه هو كالحلاف في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ﴾.(6)

والحكمة في النهي عن تكثير الإيمان بالله أن ذلك يكون معه الحنث وقلة اهتمام الحق لله تعالى.

ونظير هذه الجملة ورد في قوله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.(7)

(1)ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 179/7، (عرض).

(2)ينظر، السمين الحلبي، الدر المصون، 546/1، وأبو حيان، البحر المحيط، 188/2.

(3)ينظر، معاني القرآن، 144/1.

(4)صحيفة عن ابن عباس في تفسير القرآن الكريم، ص107.

(5)ابن عطية، المحرر الوجيز، 259/2، وأبو حيان، البحر المحيط، 187/2.

(6)القلم، 10.

(7)النور، 22.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

دخلت "لا" الناهية على فعل مضارع معتل الآخر "يأتل"، فحذف حرف العلة من آخره، وهو اليـاء. وهذا الفعل من آلى، يؤلي، إيلاء، من الآلية، وهي الحلف أو القسم[1]، على وزن "يفتعل". وقيل معناه: يقصر، يقال: ألوْتُ، أي، قصرت.[2] ومنه قوله امرئ القيس:

وَمَا المَرْءُ مَادَامَتْ حُشَاشَةُ نَفْسِهِ   بِمُدْرِكِ أَطْرَافِ الخُطُوبِ وَلَا آلِي [3]

قرا الجمهور:"يأتل"، وقرأ ابن عياش،[4] وأبو جعفر مولاه والحسن: "يتألّ" صيغة "يَتَفَعَّـلُ" مضـارع "تألّى" بمعنى حلف.[5] ومنه قول الشاعر:

تَـألّى ابن أوْسٍ حِلْفَةً لِيَرُدَّنـي   إلى نِسْـوَةٍ لي كَأَنَّهُنَّ مَقَـائِدُ[6]

وقال الفراء: هذه القراءة هي مخالفة للكتاب من تَأَلَّيْتُ.[7] وقال الطبري: "والصـواب مـن القـراءة في ذلك عندي: قراءة من قرأ، ولايأتل، بمعنى يفتعل من الألية، وذلك أن ذلك في خط المصحف... والقـراءة الأخرى مخالفة خط المصحف، فاتباع المصحف مع قراءة جماعة القراء"[8].

وجملة "أن يؤتوا أولي القربى..." تعليلية، وقد نصب الفعل المضارع بـ "أن" المصدريـة. وإن كـان الفعل "يأتل" بمعنى الحلف، فيكون التقدير: كراهة أن يؤتوا، على الإثبات، وأن لا يؤتوا على النفي، فحذفـت الأداة "لا"، وإن كان بمعنى يقصر، فيكون التقدير في "أن يؤتوا" أو عن "أن يؤتوا".[9]

ومعنى التركيب: لا يحلف ذوُو التفضل والمال منكم على أن لا يحسنوا إلى المسـتحقين للإحسـان، أو لا يقصروا في أن يحسنوا إليهم، وإن كانت بينهم شحناء لجناية اقترفوها.

ويماثل هذه الصورة قوله: ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا﴾[10].

يتألف التركيب من أداة نهي، وفعل مضارع مسند إلى واو الجماعة، ومفعول به ضمير الإناث"هـن"، ومفعول لأجله "ضرارا"، أوحال. ثم جيء بجملة تعليلية "لتعتدوا"، تتكون من لام التعليل، وفعل مضارع مسند إلى واو الجماعة، منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل. وحذف مفعول "تعتدوا" ليشـمل الاعتـداء علـى الزوجات، وعلى أحكام الله تعالى.

---

(1)ينظر، أبو عبيدة، مجاز القرآن، 65/2، والعكبري، إملاء ما منّ به الرحمن، 155/2، وابن منظور، لسان العرب، 40/14، (ألا).

(2)ينظر، ابن جني، المحتسب، 106/2، والزمخشري، الكشاف، 56/3.

(3)الديوان، ص:145.

(4)هو عبد الله بن عياش بن ربيعة المخزومي المكي القارئ. قرأ القرآن على أبي بن كعب. سمع من عمر وابن عباس وأبيه عياش، وقرأ عليـه مولاه أبو جعفر. وقيل: مات سنة 70 هـ، وقيل: سنة 78هـ. ينظر، الذهبي، معرفة القراء الكبار، 58/1.

(5)ينظر، الفراء، معاني القرآن، 248/2، والطبري، جامع البيان، 289/18، وابن جني المحتسب، 106/2، والزمخشـري، الكشـاف، 56/3، والطبرسي، مجمع البيان، 186/7، وابن الجزري، النشر، 331/2.

(6)البيت لزيد الفوارس بن حصين. ينظر، السيوطي، همع الهوامع، 246/4، والألوسي، روح المعاني، 321/18.

(7)ينظر، معاني القرآن، 248/2.

(8)جامع البيان، 289/18.

(9)ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 404/6، والألوسي، روح المعاني، 321/18.

(10)البقرة، 231.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

هذه الجملة معطوفة على جملة الأمر –في هذه الآية– في قوله:﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾. فالضرار ضد المعروف؛ فحينما تحقق المعروف في الإمساك انتفى الضرار، وحينما انتفى المعروف تحقق الضرار، وكل إمساك بقصد الضرر والاعتداء منهي عنه.

وجيء بجملة النهي بعد جملة الأمر تنبيها على ما كان بعض الناس يفعلونه من الرجعة، ثم الطلاق، ثم الرجعة، ثم الطلاق على سبيل الضرار، فنهى الله عن هذه الفعلة القبيحة بخصوصها تعظيما لهذا المرتكب السيئ الذي هو أعظم إيذاء النساء حتى تطول عدتها (1).

وروى الطبري عن السدي قال: "نزلت في رجل من الأنصار، يدعى ثابت بن يسار، طلق امرأته، حتى إذا انقضت عدتها إلا يومين أو ثلاثة، راجعها، ثم طلقها، ففعل بها ذلك حتى مضت عليها تسعة أشهر مضارة يضارها، فأنزل الله ذكره"(2).

والمعنى: لا تراجعوهن بقصد مضارتهن وإيذائهن للاعتداء عليهن، لتتجاوزوا حد الإحسان إلى الإساءة. فالله تعالى حرم على الزوج مراجعة زوجه من أجل أن يضر بها؛ فلا هو يحسن إليها، ولا يطلقها فتستريح منه.

وكذلك قوله: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ (3).

الفعل المضارع في قوله "يضربن" أسند إلى نون الإناث (النسوة)، وهو متعد، ومفعوله محذوف لدلالة المعنى عليه، والتقدير مثلا: ولا يضربن الأرض بأرجلهن، أو لا تضربن رجلها بالأخرى.

والجملة التعليلية "ليعلم ما يخفين من زينتهن"، جيء بها لبيان سبب التحريم. أي: لا يجوز للمرأة أن تدق برجليها في مشيتها، ليعلم الرجال صوت خلخالها، لأنه مظنة الفتنة، وإثارة مشاعر الشهوة، وإساءة الظن بأنها من أهل الفسوق، فإسماع صوت الزينة مؤثر كإظهارها أو أشد تأثيرا.

وروي عن ابن عباس أن المعنى : "هو أن تقرع الخلخال بالآخر عند الرجال أو يكون في رجليها خلاخل، فتحركهن عند الرجال"(4).

وقال الفراء المعنى: "لا تضربن رجلها بالأخرى فيسمع صوت الخلخال، فذلك قوله: "ليعلم ما يخفين". وفي قراءة عبد الله "ليعلم ما سر من زينتهن"(5).وهي قراءة بالمعنى، لأنها مخالفة رسم المصحف.

---

(1)ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 218/2.

(2)جامع البيان، 494/2.

(3)النور، 31.

(4)أخرجه علي بن أبي طلحة، صحيفة عن ابن عباس في تفسير القرآن الكريم، ص 373، والطبري، جامع البيان، 310/18.

(5)معاني القرآن، 250/2.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والغرض من النهي التستر، فقد أسند الطبري عن المعتمر عن أبيه، أنه قال: زعم حضرمي أن امرأة اتخذت برّتَيْن[1] من فضة، واتخذت جَزْعًا[2]، فمرت على قوم، فضربت برجلها الأرض، فوقع الخلخال على الجزع، فصوت، فنزلت هذه الآية[3].

ومن فعل ذلك منهن فرحا بحليهن دون إرادة الغواية والفتنة، فهو مكروه ومن فعل ذلك منهن تبرجا وتباهيا بالحسن لجذب انتباه الرجال، فيفتنون بهن، فهو حرام[4]. وإذا كان السبب في تحريم هذا الفعل هو ما يؤدي إليه من الفتنة والغواية كان كل ما في معناه مما يجر إلى الفتنة ملحقا به في التحريم كتحريك الأساور في اليد. ولذلك فالتنصيص في الجملة على الضرب بالأرجل ليس كقصر النهي عليه، بل لأن هذا الفعل هو ما كان عليه النساء قبل الإسلام، فقد كانت إحداهن تمشي في الطريق حتى إذا مرت بالرجال، وفي رجلها خلاخل ضربت برجلها الأرض، ليسمع رنين خلخالها، فيتعلق الرجال بها.

ويلحق بهذه الصورة قوله:﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[5].

أداة النهي "لا" دخلت على جملتين فعليتين، فعلهما مضارع، وقد ربطت بينهما أداة عطف "الواو"، ويدعّم هذا العطف قراءة أُبَيّ: "ولا تدلوا" بإعادة "لا" الناهية [6]. وأجاز الأخفش وغيره أن يكون الفعل المضارع في قوله"وتدلوا" منصوبا على جواز النهي بإضمار"أن"[7]، كقول أبي الأسود الدؤلي:

لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَهُ ... عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ[8]

فالشاهد في البيت الفعل المضارع المنصوب "تأتيَ".

ووردت جملة النهي في الآية معللة بجملة فعلية مضارعية تتصدرها "لام التعليل"، وفي التعليل إقناع للمخاطب (المنهي) بأن يكف عن الفعل. وقد خصص النهي بجملة حالية: "وأنتم تعلمون". ومفعول "تعلمون" محذوف، والتقدير: تعلمون أنكم مبطلون. وفي هذا دلالة على أن الإقدام على الباطل مع العلم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) مثنى"بَرَة" بضم الباء وفتح الراء خفيفة، وهي الخلخال. ينظر، بن عطية، المحرر الوجيز، 494/10.

(2)الجزع، ضرب من العقيق يعرف بخطوط مستديرة مختلفة الألوان. ينظر، المصدر السابق، 494/10، وابن منظور، لسان العرب، 48/8، (جزع).

(3)ينظر، الطبري، جامع البيان، 310/18.

(4)ينظر، القرطبي، الجامع، 12/ 238.

(5)البقرة، 188.

(6)ينظر، الفراء، معاني القرآن، 115/1، والطبري، جامع البيان، 191/2، وابن عطية، المحرر الوجيز، 135/2، وأبو حيان، البحر المحيط، 63/2.

(7)ينظر، معاني القرآن، 353/1، والفراء، معاني القرآن، 115/1، وابن عطية، المحرر الوجيز، 133/2.

(8)ينظر، سيبويه، الكتاب، 42/3، والفراء، معاني القرآن، 34/1، والطبري، جامع البيان، 191/2.

بقبحه أشد، وصاحبه بالتوبيخ أحق. أما من لا يعلم أنه مبطل، وحكم له الحاكم بأخذ مـــال، فإنــه يجــوز له أخذه [1].

ويلحظ أن كلمة "أموال" أضيفت إلى المخاطبين –وهم المسلمون عامة– في قوله: "أموالكم" باعتبـــار أن المال مال الأمة، ينتفع به الأفراد والجماعات.

والمعنى: لا يأكل بعضكم مال بعض بغير وجه مشروع، ولا تدلوا بالأموال إلى الحكـــام أو القضـــاة، لتأخذوا قسما من أموال الناس بالباطل، وأنتم تعلمون أن ذلك القسم من المال ليس بحق لكم.

والإدلاء بالأموال-هنا- مجاز في الدفع والتوسل، وهو دفعها لارشاء القضاة [2]، ليقضوا للدافع بمـــال غيره. فمضمون الجملة يدل على تحريم أكل الأموال لغير حق، و على تحريم إرشاء القضاة والحكام.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1)ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 64/2.

(2)ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 2/ 133.

خصائص جملة النهي

-يتضح من خلال الدراسة التطبيقية لجملة النهي أنها تمثل الثلث تقريبا بالنسبة لجملة الأمر. ووردت وجملة الأمر متعاقبتين غالبا.

-وإذا كانت جملة النهي قد جاءت على نمط واحد، فإن صورها تنوعت. وقمت بتحليل أغلبها، وبينت مختلف العناصر التي تسهم في بناء الجملة.

وتتكون جملة النهي من أربعة عناصر: أداة النهي، والناهي، والمنهي، والمنهي عنه.

والناهي (المتكلم) لا يظهر في البنية السطحية للجملة، وتدل عليه القرائن السياقية والمقامية، إذ هو الله سبحانه وتعالى -غالبا- فهو المشرع.

وقد يظهر ما يدل عليه في الجملة كياء المتكلم، نحو قوله: ﴿وَلَا تَفْتِنِّي﴾ [1].

والمنهي هو الذي أسند إليه الفعل؛ فهو فاعل لفعل النهي. ويظهر في البنية السطحية للجملة، إذا كان ضميرا لغير المفرد -كما ذكر آنفا- أو اسما ظاهرا كقوله:﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ﴾ [2]. ولا يظهر إذا كان مخاطبا مفردا، فتغني عنه قرينة الخطاب،كقوله: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾[3]. أو تدل عليه صيغة الفعل، كقوله: ﴿وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا﴾ [4]. ولا يظهر -كذلك- إذا اتصلت بالفعل نون التوكيد، وكان الخطاب لجماعة المخاطبين أو الغائبين، كقوله: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [5]. وكقوله:﴿فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ﴾[6].

والمنهي عنه يلازم جملة النهي، فيكون المسند(الفعل) وحده، كقوله: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا﴾ [7]. فالنهي واقع على الاتصاف بالاعتذار. وقد يرد شاملا المسند مقيدا بالمفعول به، إن كان متعديا لواحد، كقوله:﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ﴾ [8]. أو يرتبط النهي بالمفعولين معا، كقوله: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [9].

(1)التوبة، 49.

(2)النور، 22.

(3)المائدة، 26.

(4)البقرة، 282.

(5) آل عمران، 102.

(6)الحج، 67.

(7)التوبة، 66.

(8)المائدة، 44.

(9)آل عمران، 28.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-وتنوعت جملة النهي من حيث المخاطب؛ فشمل الخطاب المفرد المذكر، والمثنى، وجمع الذكور والإناث. وجاءت مسندة إلى الغائب المفرد، والجمع المذكر، وجمع الإناث.

-ويكثر مجيء المسند إليه (الفاعل) ضميرا متصلا ببنية الفعل دالا على جماعة الذكور المخاطبين، وصيغته "لا تفعلوا". وقد ورد مرة واحدة مخاطبا به المثنى في قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[1].

والجدول الآتي يوضح كمية الاستخدام.

صيغة النهي	النهي	العدد
لا تفعلوا	مخاطب جمع	95
لا تفعل	مخاطب مفرد	26
لا يفعل	غائب مفرد	13
لا تفعلن	مخاطب جمع المؤنث	3
لا يفعلن	غائب جمع المؤنث	2
لا يفعلوا	غائب جمع المذكر	2
لا تفعلا	مخاطب مثنى	1
المجموع		142

-وجاءت جملة النهي بسيطة ومركبة، كما وردت مؤكدة وغير مؤكدة. فمن ورودها بسيطة مؤكدة قوله: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ﴾[2]. ومن مجيئها مركبة غير مؤكدة قوله:﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾[3].

-وتتراوح الجمل بين الطول والقصر حسب ما يقتضيه الخطاب من إيجاز وإطناب. ويعود طول الجمل لبسط العقائد الإسلامية والأحكام التشريعية، لأن تفصيل الأحكام يناسبه الاسترسال. ونجد هذه الظاهرة اللغوية-بوصف عام- في الجمل المعطوفة والجمل التعليلية. وكان الغالب على هذه الجمل تقدير الأحكام للعبادات والمعاملات والفرائض والحدود وأحكام الجهاد وغيرها.

(1)البقرة، 35.

(2)آل عمران، 188.

(3)النساء، 34.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-ارتكاز الجملة على أسلوب التعليل، وفي التعليل إقناع للمتلقي، ليكف عن الفعل، سواء أكان التعليل بـ"أن" المؤكدة الناسخة، كقوله: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾(1). أو بـ"فاء" السببية، كقوله: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾(2). أو بـ:"أن"المصدرية، كقوله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى﴾(3). أو بـ"لام" التعليل، كقوله: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾(4).

-ويلحظ أن النهي طلب الترك والكف عن الفعل على سبيل التحريم في أصل وضعه ومعناه. و هذا المعنى الأكثر وروداً في الجمل التي تناولها البحث. وقد خرج عن معناه الأصلي إلى دلالات، منها:

1-النصح والإرشاد، كقوله: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ﴾(5). وكقوله: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾(6).

2-التسلية، كقوله: ﴿وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾(7).

3-التهويل، كقوله: ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾(8). ومعنى النهي عن السؤال تعظيم ما وقع فيه الكفار والمنافقون من العذاب المهين.

4-الدعاء، كقوله: ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾(9).

5-التسوية، كقوله: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾(10). أي: أمرك-أيها الرسول- بالاستغفار للمنافقين أو نهيك عنهم سواء، وذلك كناية عن كون الآمر والناهي ليس بمغير مراده فيهم.

6-الكراهة، كقوله: ﴿وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾(11). ففي هنا النهي دعوة إلى إبقاء التفضل والإحسان والمودة بين أسرة المرأة المطلقة، وأسرة الزوج المطلق، وذلك حتى لا يكون الطلاق سببا في التقاطع والعداوة.

7-التحذير، كقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾(12).

(1)المائدة، 87.
(2)الأنفال، 46.
(3)النور، 22.
(4)النور، 31.
(5)المائدة، 44.
(6)آل عمران، 175.
(7)آل عمران، 176.
(8)البقرة، 119.
(9)آل عمران، 194.
(10)التوبة، 80.
(11)البقرة، 237.
(12)آل عمران، 105.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

8-اليأس، كقوله: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا﴾[1].

9-الاستمرار على الحال التي عليها المخاطب، كقوله: ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ﴾[2]. فالمخاطب -وهو الرسول ﷺ -غير متصف بالمنهي عنه؛ فهو ليس من الممترين. وحاشاه أن يشك؛ فهو المعصوم مما هو أقل من الشك الذي هو كفر، ولهذا كان النهي استمراراً على الحال التي هو عليها، أي: انتفاء المرية أو الشك عنه.

10-بيان العاقبة، كقوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ﴾[3]. أي: عاقبة الشهادة في سبيل الله الحياة لا الموت.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1)التوبة، 66.

(2)آل عمران، 60.

(3)آل عمران، 169.

الفصل الثالث

جملـــة النـــداء

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جملة النداء

النداء: هو تنبيه المنادَى، وطلب الإقبال منه بحرف من حروف النداء. أو أنه التصويت بالمنادى ليميل ويعطف على المنادِي[1].

وعامل النصب في المنادى هي الأداة، ولا حاجة لنا أن نقدر فعلا بمعنى أنادي أو أدعو [2]، كما قدر بعض النحاة[3].

وتتكون جملة النداء من عناصر، هي: أداة النداء، والمنادي، والمنادى، ومحتوى النداء (مضمون النداء). أما معاني النداء فتفهم من السياق.

ووردت جملة النداء-في السور المدنية-في سبع ومائتي (207) جملة. تتوزع على الأنماط الآتية:

النمط الأول: أداة نداء (يا)+ منادى (مركب وصفي وبياني)+ مضمون النداء.

ورد هذا النمط في ثماني عشرة ومائة (118) جملة. يوزع على الصور الآتية:

الصورة الأولى: أداة نداء (يا)+منادى+ مضمون النداء(جملة أمرية).

وردت هذه الصورة في أربع وعشرين (24)جملة. من هذه الصورة قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾[4].

أداة النداء "يا"، والمنادى "أيُّ". والمقصود بالنداء لفظ"الناس"، ولما استثقلت العرب نداء المحلى بـ"الـ" توصلوا بلفظ"أيُّ" للتخلص من التقاء الساكنين[5]، في تركيب (يا +الناس). ولفظ "أيُّ" مبهم يحتاج إلى تفسير، وعطف البيان بعده "الناس" توضيح له. ولابد له من "ها" الدالة على التنبيه، وهو وما بعده بمنزلة اسم واحد[6].

والمنادى "أيُّ" عومل معاملة النكرة المقصودة؛ فهو مبني على الضم في محل نصب، والاسم بعده بدل مرفوع بالضمة تبعا للمحل[7].

ومضمون النداء جملة أمر، تكونت بنيتها من مسند ومسند إليه "كلوا"، وجار ومجرور مكرر "مما في الأرض". و "من" للتبعيض، تدل على أن ما في الأرض ما هو حلال وما هو حرام، وهو متعلق بمفعول "كلوا" المحذوفة، والتقدير: كلوا بعضا مما في الأرض. فالتبعيض راجع إلى كون المأكول بعضا من كل نوع،

(1) ينظر، ابن يعيش، شرح المفصل، 118/2، وعباس حسن، النحو الوافي، 1/4.

(2) ينظر، ابن مضاء القرطبي، الرد على النحاة، ص79،80.

(3) ينظر، سيبويه، الكتاب، 182/2، وابن مالك، شرح التسهيل، 385/3، وابن هشام، شرح شذور الذهب، ص215.

(4) البقرة، 168.

(5) ينظر، المبرد، المقتضب، 239/4، والأنباري، أسرار العربية، ص228،229، وابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، 275/2.

(6) ينظر، سيبويه، الكتاب، 2/88-197.

(7) ينظر، الزجاجي، الجمل في النحو، ص150، 151، والقيسي، مشكل إعراب القرآن، 187/1، وابن هشام، شرح شذور الذهب، ص584.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وليس راجعا إلى كون المأكول أنواعا دون أخرى، وقد خصص المأكول العام"مما في الأرض" بالوصف "حلالا طيبا". وتخرج بذلك المحرمات الثابت تحريمها بالحكم الشرعي[1].

والظاهر من لفظ النداء أنه لعامة الناس؛ فالآية نزلت في كل من حرم على نفسه ما أحله الله، أو أنه موجه إلى المشركين كما هو شأن الخطاب القرآني بـ"يا أيها الناس". والخطاب به يرد في السور المكية، وقد يرد في المدنية[2].وقيل: نزلت الآية في الذين حرموا على أنفسهم السوائب والوصائل والبحائر ونحوها، وهم قوم من ثقيف وخزاعة وبني عامر بن صعصعة وبني مدلج[3]. فأباح الله لهم آكل ما حرموه، وجعله لهم حلالا مستطابا. ولم يبين القرآن هذا الذي حرموه على أنفسهم—في هذه الآية—ولكنه فصله في موضع آخر،فصرح بأنه لم يحرم ذلك بقوله: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾[4].

وفي معنى النداء توبيخ للذين يحرمون الحلال. وجملة النهي المعطوفة على جملة الأمر—في هذه الآية— توضح ذلك أكثر في قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾.

ومن هذه الصورة–أيضا– قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾[5].

الخطاب بـ"يا أيها الذين آمنوا" خطاب للمؤمنين على طريق القرآن في إطلاق هذه الصفة عليهم، ولأن شأن اسم الموصول أن يكون بمنزلة الاسم المعرف بلام العهد.

وقد ورد الخطاب بـ"يا أيها الذين آمنوا" في ثمانية وثمانين (88) موضعا، كله في السور المدنية.

ويتألف مضمون النداء من فعل أمر "ادخلوا" مسند إلى "واو الجماعة" ، وجار ومجرور "في السلم"، وحال "كافة". وهذه الحال تفيد الإحاطة بأجزاء ما وصف به، وهو —هنا– حال من ضمير"ادخلوا"، أي: حالة كونكم جميعا لا يستثنى منكم أحد. وقال ابن هشام: إنّ "كافة" إذا استعملت في معنى الجملة والإحاطة لا تأتي إلا حالاً مما جرت عليه، ولا تكون إلا نكرة، ولا يكون موصوفها إلا مما يعقل[6]. لكن الزمخشري جوز جعل "كافة" حالاً من "السلم"، لأنها مؤنث، كأنهم أمروا أن يدخلوا في الطاعات كلها أو في شعب الإسلام وشرائعه كلها[7].

---

(1) ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 652/1، 653، وابن عاشور، التحرير والتنوير، 102/2.

(2) ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 196/1، والقرطبي، الجامع، 225/1، ومحمد عبد السلام كفافي، وعبد الله الشريف، في علوم القرآن، ص55.

(3) ينظر، الماوردي، النكت والعيون، 220/1، والبغوي، معالم التنزيل، 138/1، وابن الجوزي، زاد المسير، 172/1، والخازن، لباب التأويل، 101/1، والقمي النيسابوري، غرائب القرآن، 464/1.

(4) المائدة، 103.

(5) البقرة، 208.

(6) ينظر، مغني اللبيب، 266/2.

(7) ينظر، الكشاف، 353/1.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ولقد اختلف القراء في قراءة "السلم" -بفتح السين وكسرها- فقرأ نافع وابن كثير والكسائي وأبو جعفر بفتح السين. وقرأ باقي العشرة بكسر السين[1]. وقرأ الأعمش بفتح السين واللام[2]. فأما الذين فتحوا السين فإنهم وجهوا تأويلها إلى المسالمة، بمعنى: ادخلوا في الصلح والمسالمة وترك الحرب وإعطاء الجزية. وأما الذين كسروا السين فإنهم مختلفون في تأويله؛ فمنهم من يوجهه إلى الإسلام، بمعنى: ادخلوا في الإسلام كافة، ومنهم من يوجهه إلى الصلح، بمعنى: ادخلوا في الصلح[3]. ويستشهد على أن السين تكسر وهي بمعنى الصلح بقول زهير:

وَقَدْ قُلْتُمَا: إِنْ نُدْرِكَ السِّلْمَ وَاسِعًا   بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ القَوْلِ نَسْلَمِ[4]

وقال أبو عمرو بن العلاء: "السلم بكسر السين: الإسلام، وبالفتح المسالمة"[5]. وقد كان يقرأ سائر ما في القرآن مما ذكر فيه "السلم" بالفتح عدا هذه التي في سورة البقرة، فإنه كان يخصها بكسر سينها توجيها منه لمعناها إلى الإسلام دون سواها[6].

ورجح الطبري حمل هذه اللفظة على معنى الإسلام، فقال: "وأولى التأويلات بقوله: "ادخلوا في السلم"، قول من قال: معناه: ادخلوا في الإسلام كافة. وأما الذي هو أولى القراءتين بالصواب في قراءة ذلك، فقراءة من قرأ بكسر "السين"، لأن ذلك إذا قرئ كذلك -وإن كان قد يحتمل معنى الصلح- فإن معنى الإسلام ودوام الأمر الصالح عند العرب أغلب عليه من الصلح والمسالمة"[7]. ويؤيد هذا المعنى قول امرئ القيس بن عابس الكندي في قضية ارتداد قومه:

دَعَوْتُ عَشِيرَتِي لِلسِّلْمِ لَمَّا   رَأَيْتُهم تَوَلَّوْا مُدْبِرِينا[8]

ونقول: إن كون "السلم" -بكسر السين- فيه معنى الصلح فهذا لا خلاف فيه، وكونه يطلق على الإسلام إذا دلّ المعنى على ذلك جاز أن يكون مقصوداً أيضا، ويكون من استخدام المشترك اللفظي في معنييه.

و"السلم" -بكسر السين وفتحها- لغتان مستعملتان كما ذهب بعض العلماء[9]، إلا أن ما يمكن ملاحظته أن الخطاب للمؤمنين دون سواهم، لأن النداء بـ"يا أيها الذين آمنوا" للمؤمنين، وهو معهود في لغة القرآن. ولا يتصور أنه يأمرهم بالدخول في الإسلام وهم مؤمنون. ولذلك ينبغي أن يؤول الأمر بالدخول في الإسلام بأنه أمر بزيادة التمكن منه والتغلغل فيه والمداومة عليه. ويكون المعنى: يا أيها الذين آمنوا داوموا

---

(1) ينظر، أبو زرعة، حجة القراءات، ص130، والداني، التيسير، ص68، وابن عطية، المحرر الوجيز، 197/2، والرازي، مفاتيح الغيب، 175/5.

(2) ينظر، الزمخشري، الكشاف، 353/1، وابن الجوزي، زاد المسير، 224/1، والرازي، مفاتيح الغيب، 176/5.

(3) ينظر، ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص95، وأبو زرعة، حجة القراءات، 130، وأبو حيان، البحر المحيط، 118/2.

(4) الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، 1986، ص79.

(5) ابن عطية، المحرر الوجيز، 197/2.

(6) ينظر، الطبري، جامع البيان، 336/2.

(7) المصدر السابق، 336/2.

(8) ذكره الطبري في المصدر السابق، 336/2، وابن منظور، لسان العرب، 295/12، (سلم)، وأبو حيان، البحر المحيط، 118/2.

(9) ينظر، النحاس، إعراب القرآن، 300/1، وابن الجوزي، زاد المسير، 224/1، والرازي، مفاتيح الغيب، 176/5.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

على الإسلام، ولا تخرجوا عن شيء من شرائعه، بل خذوا الإسلام بجملته وتفهموا المراد منه، لتكون كلمتكم واحدة، فيرتفع التنازع والشقاق.

ومن هذه الصورة -أيضا- قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾[1].

مضمون النداء جملة أمرية:"عليكم أنفسكم"، مكونة من حرف جر"على"، وضمير مجرور "كم"،واسم معرف بالإضافة"أنفسكم". ويمكن أن يأخذ هذا الاسم الضمة فتكون الجملة خبرية، والتقدير: أنفسُكم عليكم. أو تقديم المسند، وتأخير المسند إليه، فتقول: عليكم أنفسُكم. وهذا ما أكدته القراءة الشاذة: "عليكم أنفسُكم" برفع المسند إليه. وقد حكى هذه القراءة الزمخشري[2]عن نافعﷺ.

وتوجيه هذه القراءة عند أبي حيان الأندلسي[3]، تحتمل وجهين:

أحدهما: يرتفع "أنفسُكم" على أنه مبتدأ (مسند إليه)، وعليكم في موضع الخبر "المسند". والمعنى: على الإغراء.

ثانيهما: أن يكون توكيدا للضمير المستتر في "عليكم"، ولم يؤكد بمضمر منفصل. ويكون مفعول "عليكم" محذوفا لدلالة المعنى عليه، والتقدير: عليكم أنفسَكم هدايتكم.

ولكن في قراءة الجمهور بنصب "أنفسَكم" على المفعولية لا يراد بها الإخبار بل يراد معنى آخر هو الحث على أمر مخصوص، بمعنى: الْزَمُوا. وقد دل على الوجوب. ولما كان كذلك كان لزاما أن تغير حركة المسند إليه"أنفسكم" من ضمة إلى فتحة، لتعبر عن هذه الدلالة، فالفتحة تعبر هنا عن معنى، وليست أثرا لعامل محذوف سدت مسده "عليكم" التي هي بمعناه، وهو: الزموا. فاسم الفعل "عليكم" منقول من الجار والمجرور. وهذا الجار والمجرور ظل على ما كان عليه في الأصل، وقد جرى التحويل في الحركة الإعرابية على الاسم الذي يليه "أنفسَكم"ليعبر عن هذا المعنى الجديد[4].

وتلحق ضمائر الخطاب بحرف الجر "على"، فيقال: عليك، وعليكما، وعليكم. ولاتلحق به ضمائر الغيبة، لأن الغائب لا يؤمر بهذه الصيغة، بل يؤمر بواسطة لام الطلب. يقول الفراء: "هذا أمر من الله عزّ وجلّ، كقولك: عليكم أنفسَكم. والعرب تأمر من الصفات بعليك، وعندك، ودونك، وإليك"[5].

والمأمورون -هنا-هم المؤمنون. والمأمور به: إلزام النفس، أي: الزموا أنفسكم واحرصوا عليها.والمقام يوضح المحروص عليه، وهو ملازمة الاهتداء بقرينة الجملة الشرطية بعده-في هذه الآية-"إذا اهتديتم"، فهو يومئ بالحرص على النفس والإعراض عن الغير. وقد وضحه جواب الشرط المقدم "لا يضركم من ضل...". فهذه الجملة بيانية لما قبلها، ولذلك فصلت، لأنّ أمر المخاطبين بملازمة أنفسهم مراد منه دفع ما أصابهم من

(1) المائدة، 105.

(2) ينظر، الكشاف، 650/1.

(3) ينظر، البحر المحيط، 42/4.

(4) ينظر، عمايرة، في نحو اللغة وتراكيبها، ص166.

(5) معاني القرآن، 322.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الآسى والهم على عدم قبول الضالين للاهتداء ومخافة أن يكون ذلك لتقصير في دعوتهم. فخاطبهم المولى بقوله: "عليكم أنفسكم"، أي: الزموا هدايتها وإصلاحها[1].

ويفهم من سياق الجملة الشرطية أن الاهتداء يعم كل ما أمروا به. ومن جملة ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلو سكتوا عن المنكر بتقصير منهم لضرهم من ضل، لأن إثم ضلاله يتحملون وزره.

ولا ينبغي أن يشك أن مضمون جملة "عليكم أنفسكم" رخصة للمؤمنين في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأن ذلك واجب بأدلة شرعية لا خلاف فيها. وكان ذلك داخلا في مضمون الجملة الشرطية "إذا اهتديتم ...".

ويبدو أن اقتصار الفهم على الجملة الأمرية "عليكم أنفسكم" يدخل المتلقي في شك. وهذا ما جعل بعض الناس يشك في أن يكون معناها الترخيص في ترك الدعوة. وقد حدث ذلك في عهد رسول الله بما أخرجه أبو داود والترمذي وغيرهما عن أبي أمية الشعباني، أنه قال: سألت عنها أبا ثعلبة الخشني، فقال: سألت عنها خبيرًا؛ سألت عنها رسول الله ﷺ فقال: "بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخاصة نفسك ودع العوام..."[2].

وبلغ أبا بكر الصديق أن بعض الناس تأول الآية على أنه لا يلزم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فصعد المنبر، وقال: "يا أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ...﴾ وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنّ الناس إذا رأوا ظالما فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم بعقاب"[3].

ويتضح أن ظاهر هذه الآية قد أوهم بعض السلف في أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر غير واجب، إلا أن مقصد الآية لا يدل على ذلك، بل يوجب أن المطيع لربّه لا يؤاخذ بذنوب العاصي. أما وجوب الدعوة فثابت بالدلائل[4]. وهذا ما أكده -كذلك- ابن العربي في أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يعد من أصل الدين وخلافة المسلمين[5]. فالمؤمن لا يكون مهتديا بمجرد إصلاحه لنفسه إذا لم يهتم بإصلاح غيره. فالواجب عليه أن يعمل على فعل الخير، وأن يقاوم الشر ويحارب الرذيلة والمنكر.

وترد بقية هذه الصورة في المواضع الآتية: البقرة، (172، 254، 267)، وآل عمران، (102)، والنساء، (47، 135،136)، والمائدة، (1، 8، 11، 67)، والأنفال، (24، 65، 70)، والأحزاب، (9، 28، 41، 59)، والصف،(14)، والتحريم، (6، 8).

(1) ينظر، البقاعي، نظم الدرر، 553/2.

(2) أبو داود، السنن، 526/2، (كتاب الملاحم)، والترمذي، الجامع الصحيح، 240/5، (كتاب تفسير القرآن)، وابن ماجة، السنن، 1331/2، (كتاب الفتن).

(3) الترمذي، الجامع الصحيح، 240/5، (كتاب تفسير القرآن)، وابن ماجة، السنن، 1327/2.

(4) ينظر، الرازي، مفاتيح الغيب، 93/12.

(5) ينظر، أحكام القرآن، 709/2.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الصورة الثانية: أداة نداء (يا)+منادى+مضمون النداء (جملة أمريه مكررة).

وردت في عشر مواضع، وذلك كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (1).

أعيد فعل الأمر في قوله:"أطيعوا الرسول"مع أن أداة العطف (الواو)تغني عن إعادته إظهارا للعناية بتحصيل طاعة الرسول، لتكون في أسمى المراتب من طاعة أولي الأمر، وللإشارة على وجوب طاعته فيما يأمر به، ولو أن أمره غير مفسر بتبليغ ما أنزل عليه، لئلا يتوهم المتوهم أن طاعة الرسول المأمور بها تعود إلى طاعة الله فيما يبلغه عن ربه دون ما يأمر به في غير الحكم الشرعي، فإن امتثال أمره كله واجب، قال الله تعالى:﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (2). وقال:﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾(3).

والمعنى: الزموا طاعة الله سبحانه فيما أمركم به ونهاكم عنه. والزموا طاعة رسوله أيضا.

و لم يكرر الفعل (العامل) في الجملة الأخيرة "وأولي الأمر منكم"، بل اكتفي بالعاطف تجنبا للتكرار وثقل التركيب. ولكن من هم أولو الأمر؟ ذهب بعض المفسرين إلى أن المراد بهم الأمراء والحكام (4). وذهب آخرون إلى أنهم العلماء الذين يبينون للناس الأحكام الشرعية(5).

والظاهر إرادة ذلك كله، فتجب طاعة الأمراء والحكام والولاة في السياسة وقيادة الجيوش، وتجب طاعة العلماء في بيان أحكام الدين. قال ابن العربي: "والصحيح عندي أنهم الأمراء والعلماء جميعا، أما الأمراء فلأن أصل الأمر منهم والحكم إليهم. وأما العلماء فلأن سؤالهم واجب متعين على الخلق، وجوابهم لازم، وامتثال فتواهم واجب"(6).

وقال الزمخشري: إن "المراد بأولي الأمر منكم أمراء الحق، لأن أمراء الجور الله ورسوله بريئان منهم، فلا يعطفون على الله ورسوله في وجوب الطاعة لهم، وإنما يجمع بين الله ورسوله والأمراء الموافقين لهما في إيثار العدل واختيار الحق، والأمر بهما والنهي عن أضدادهما كالخلفاء الراشدين ومن تبعهم بإحسان" (7).

---

(1) النساء، 59.

(2) النساء، 80.

(3) الحشر، 7.

(4) ينظر، ابن عباس، تنوير المقباس، ص72، والماوردي، النكت والعيون، 499/1.

(5) ينظر، علي بن أبي طلحة، صحيفة عن ابن عباس في تفسير القرآن الكريم، ص151، والطبري، جامع البيان، 151/5، 152.

(6) أحكام القرآن، 452/1.

(7) الكشاف، 1/ 535.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ويرى فخر الدين الرازي أن المراد من أولي الأمر: أهل الحل والعقد، ليستدل بالآية على حجية الإجماع الصادر من العلماء [1]. فموجب ذلك أن إجماع الأمة حجة قاطعة.

ويماثل هذه الصورة قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [2].

الأمر لرسول الله ﷺ بمجاهدة الكفار والمنافقين. وإنما وجه الأمر له دون المؤمنين، لأنه جُبِلَ على الرحمة، فأمر بأن يتخلى عن جُبلّتِهِ في شأن الكفار والمنافقين، وأن لا يشفق عليهم كما هو شأنه من قبل.

ولم يكرر المسند "جاهد" في الجملة المعطوفة، بل استغنى عنه بأداة العطف (الواو)، لأن المجاهدة لهما معا. وبدأ بمجاهدة الكفار، لأنهم أقوى أسبابا في إثارة الحرب، وأشد شكيمة من المنافقين.

وقُرِنَ المنافقون بالكفار إشارة منه تعالى إلى أن سبب الأمر بجهاد الكفار قد تحقق في المنافقين كذلك؛ فهم سواء. إلا أن كيفية الجهاد تختلف. فقال ابن عباس وغيره: مجاهدة الكفار تكون بالسيف، ومجاهدة المنافقين باللسان[3].

وجيء بجملة معطوفة "واغلظ عليهم" لتوضيح أمر الجهاد بأن يغلظ عليهم في الجهادين. والغلظ: الشدة، وهو ضد الرقة[4]. والمراد: خشونة الكلام وتحصيل الانتقام، أي: كن شديدا في إقامة حكم ما أمر الله به.

ومعنى التركيب: يا أيها الرسول قاتل الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة والبرهان وإقامة الحدود عليهم إذا ارتكبوها، وشدد على الفريقين فيما تجاهدهما به من القتال والمحاجة.

ويماثل هذا التركيب ما ورد في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [5].

في توجيه الخطاب -هنا- للذين آمنوا دون الرسول ﷺ إشارة إلى أن الرسول لا يقاتل بعد ذلك، وأن أجله قد اقترب. ولعل في الجملة المعطوفة ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ إشارة إلى التسلية على فقد نبيهم، وأن الله معهم.

وترد بقية هذه الصورة فيما يأتي: النساء، (71)، والتوبة (119)، والأحزاب، (56،70) والحديد، (28)، والحشر، (18).

---

(1) ينظر، مفاتيح الغيب، 117/10.

(2) التوبة، 73، والتحريم، 9.

(3) ينظر، تنوير المقباس، ص، 162، وابن أبي طلحة، صحيفة عن ابن عباس في تفسير القرآن الكريم، ص، 268، والطبري، جامع البيان، 420/10.

(4) ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 7/ 449، (غلظ).

(5) التوبة، 123.

الصورة الثالثة: أداة نداء (يا)+منادى+مضمون النداء (جملة أمر)+جملة تعليلية (إن+جملة اسمية منسوخة).

وردت في موضعين، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[1].

افتتح الكلام بالنداء للمؤمنين، لأن فيه إشعارا بخبر جليل مهم. وفي استهلال هذا الخطاب بالاستعانة بالصبر تنبيه وإشعار بأنه سيعقب-في الجملة الموالية-بالندب إلى عمل عظيم يحتاج إلى التجلد، وذلك تهيئة لجهاد الكفار. وجيء بجملة منسوخة "إنّ الله مع الصابرين" في معنى التعليل، أي: اصبروا ليكون الله معكم، لأنه مع الصابرين.

وردت-كذلك-في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾[2].

مضمون النداء جملة أمرية "اجتنبوا كثيرا من الظن". والاجتناب: من جنبه وأجنبه، إذا أبعده، أي جعله جانبا آخر[3]. وفعله يتعدى إلى مفعولين، يقال: جنّبه الشر، قال تعالى: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾[4]. أي: اجنبني عبادة الأصنام. وقد يعدى إلى مفعول واحد كما هو في هذه الآية؛ فقد تعدى إلى المفعول به "كثيرًا" وذلك كقولنا: اجتنب الشر.

والمأمور باجتنابه هو بعض الظن، وذلك البعض موصوف بالكثرة. ويتضح -هنا- في الجملة التعليلية: "إنّ بعض الظن إثم". وقد حذفت اللام الدالة على التعليل لاطرادها مع "إنّ" الناسخة، والتقدير: ... لأن بعض الظن إثم. وهذا الظن المنهي عنه أو المحظور هو سوء الظن بالله وسوء الظن بالمؤمنين. أما ظن الخير بالمؤمن فمحمود؛ لا يلزم اجتنابه[5]. قال النبي ﷺ : "إنّ الله حرم من المسلم دمه وعرضه، وأن يُظن به ظن السوء"[6]. فعلى المسلم أن يكون معياره في تمييز أحد الظنين من الآخر أن يعرضه على ما بينته الشريعة الإسلامية من أحكام.

ومعنى التركيب: يا أيها المؤمنون ابتعدوا عن كثير من الظن بإخوانكم، بأن تظنوا بهم السوء ما وجدتم إلى ذلك سبيلا.

---

(1) البقرة، 153.

(2) الحجرات، 12.

(3) ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 278/1، (جنب).

(4) إبراهيم، 35.

(5) ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 405/13، والقرطبي، الجامع، 332/16، والكلبي، التسهيل، 359/2.

(6) ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن، 332/16، والألوسي في روح المعاني، 307/26.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الصورة الرابعة: أداة نداء (يا)+ منادى+ مضمون النداء (جملة أمرية)+جملة تعليلية(لعل+ جملة منسوخة).

وردت هذه الصورة في قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1].

تختلف هذه الصورة عما قبلها في أن مضمون النداء ورد جملة أمرية تعليلية مصدرة بـ"لعل" التي بمعنى "كي"، فحملت على التعليل[2].

والأداة "لعل" تدل على الرجاء، والرجاء هو الإخبار عن وقوع أمر في المستقبل وقوعا مؤكدا[3]. فتبين أن الأداة "لعل" مدلولها خبري، لأنها إخبار عن تأكد حصول الشيء. فهي للإخبار بأن المخاطب يكون طامعا في الرجاء[4]. وتتعلق بفعل الأمر في قوله: "اعبدوا" لا بالفعل الماضي في قوله: "خلقكم"، لأن الناس أمروا بالعبادة على رجائهم حين حصولها حصول التقوى المنجية لهم من عذاب الله تعالى[5].

وقد جيء بجملة الترجي، لأن المقام يقتضي معنى الرجاء، وهو حصول التقوى. ولما كانت التقوى نتيجة عبادة الله تعالى جعل رجاؤها أثرا للأمر بالعبادة، لأن اتقاء عذاب الله يحصل بالعبادة، وذلك بتوحيد الله والتزام شرائع دينه[6].

والخطاب يعم كل الناس في كل مكان وزمان. والمخاطب في هذا المقام هم المشركون من العرب وغيرهم، وأهل الكتاب والمؤمنون، كل بما عليه من واجب العبادة لله، والامتثال لما شرعه.

الصورة الخامسة: أداة نداء (يا)+ منادى+ مضمون النداء (جملة أمرية مكررة)+ جملة تعليلية(لعل+ جملة منسوخة).

وردت هذه الصورة في ثلاث جمل، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[7].

اشتمل مضمون النداء على جمل أمرية متعاطفة، ارتبطت بأداة العطف(الواو) وهي تتضمن مجموعة وصايا جامعة للمؤمنين تجدد إرادتهم وتبعث في نفوسهم الهمم إلى دوام الاستعداد للعدو لكسب النصر. فأمرهم الله تعالى -بادئ ذي بدء- بالصبر الذي هو جامع الفضائل ثم بالمصابرة، أي: مغالبة الأعداء على

(1) البقرة، 21.

(2) ينظر، القرطبي، الجامع، 227/1، والأستراباذي، شرح الكافية، 346/2، والكفوي، الكليات، ص1076.

(3) ينظر، المبرد، المقتضب، 73/3، 108/4، والسيوطي، معترك الأقران، 626/2.

(4) ينظر، سيبويه، الكتاب، 148/2.

(5) ينظر، القرطبي، الجامع، 227/1، وأبو حيان، البحر المحيط، 235/1.

(6) ينظر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، 326/1.

(7) آل عمران، 200.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الشدائد. وخص المصابرة بالذكر بعد أن ذكر الصبر، لكونها أشد منه وأشق [1]. ثم أمرهم بالمرابطة، وفي معناها الحذر من العدو والاستعداد للغزو. وأعقب هذا الأمر بالأمر بتقوى الله بأن لا يخالف ما شرع. ثم ذيل التركيب بجملة تعليلية "لعلكم تفلحون". أي: ليكون حالكم حال من يرجى فلاحه ونجاحه بما يريد من النصر على الأعداء والفوز بعيش الشهداء.

ووردت -كذلك- في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2].

يلحظ تكرير مضمون النداء في ثلاث جمل أمرية مترابطة بأداة العطف "الواو". فقد أمر الله المؤمنين بتقواه، وابتغاء الوسيلة إليه، والجهاد في سبيله.

والوسيلة: هي القربة من توسل فلان إلى فلان بكذا، أي تقرب إليه، وجمعها وسائل [3]. ومن ذلك قول عنترة:

إِنَّ الرِجَالَ لَهم إِلَيْكِ وَسِيلَةٌ ... أَنْ يَأْخُذُوكِ تَكَحَّلِي وَتَخَضَّبِي [4]

والمجرور في جملة "وابتغوا إليه الوسيلة -في الآية-" متعلق بـ"ابتغوا"، ويجوز تعلقه بـ"الوسيلة"، وقدم على متعلقه للحصر، والتقدير: لا تتوسلوا إلا إليه.

والتعريف في "الوسيلة" تعريف الجنس، أي كل ما تعلمون أنه يقربكم إلى الله، فتنالون رضاه. فالوسيلة ما يقرب العبد من ربه بالعمل بأوامره ونواهيه. وفي الحديث الشريف: "ما تقرب لي عبدي بشيء أَحَبُّ إليَّ مما افترضت عليه" [5].

أما جملة الترجي فتفيد التعليل، أي: لكي تفوزوا بالجنة، لأن الفلاح اسم جامع للخلاص من كل مكروه، والفوز بكل محبوب.

ومعنى التركيب: اخشوا عقاب الله، وتقربوا إليه بالطاعة والعمل بما يرضيه، وجاهدوا لإعلاء دينه، لتفوزوا بالنعيم.

وفي دلالة النداء إرشاد. وقد ورد عقب ذكر العقوبات النازلة بمحاربي الله ورسوله -في الآية السابقة- وهذا من أبلغ الوعظ، لأنه يرد على النفوس وهي وجلة. وعادة طبائع الإنسان إذا سمع أو رأى أمرا كريها أن يرِقّ ويخشى، فجاء الوعظ في هذا المقام، ليكون أنسب تأثيرا، فتنقاد النفوس لبارئها ملتزمة بما أُمِرَتْ به.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) ينظر، الزمخشري، الكشاف، 491/1.

(2) المائدة، 35.

(3) ينظر، البغوي، معالم التنزيل، 34/2، والقنوجي، فتح البيان، 412/3.

(4) الديوان، ص33.

(5) البيهقي، السنن الكبرى، دار المعرفة، بيروت، 1992، 346/3، (كتاب الصلاة).

ونظير هذه الصورة -أيضا- قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1].

يضم مضمون النداء أربع جمل أمرية متعاطفة، ربطت بينها"الواو". وتتمثل في قوله:"اركعوا"، "واسجدوا"، "واعبدوا..."، "وافعلوا...". فقد أُمِر المؤمنون بالركوع والسجود وعبادة الله وفعل الخير.

والمراد بالركوع والسجود: الصلوات. وتخصيصهما بالذكر من بين أركان الصلاة، لأهما أعظم أعمال الصلاة وأركاهما، إذ هما يتم إظهار العبودية.

وتخصيص الصلاة بالذكر قبل الأمر ببقية العبادات المشمولة لقوله: "واعبدوا ربكم" إشارة إلى أن الصلاة عماد الدين وأشرف العبادات. والمراد بالعبادة: ما أمر الله عباده أن يتعبدوا به كالصيام والحج.

وقوله: "وافعلوا الخير" أمر بالأخلاق الكريمة من حسن المعاملة، وصلة الرحم، وأداء نوافل الطاعات. وهذه الأوامر تكليفية يراد بها توثيق العلاقة بالله، وتربية النفس، وإقامة العدالة الاجتماعية.

وعلل تلك الأوامر بجملة ترج "لعلكم تفلحون"، أي: لتفلحوا. والرجاء مستخدم في معنى تقريب الفلاح والفوز للمؤمنين إذا امتثلوا ما أُمروا به.

الصورة السادسة: أداة نداء(يا)+منادى+ مضمون النداء(جملة أمر ونهي).

من هذه الصورة قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾[2].

نادى الله سبحانه نبيه محمدا بـ"النبي" دون اسمه تكريما وتشريفا له ليربأ بمقامه عن أن يخاطب بمثل ما يخاطب به غيره من الأنبياء والرسل، ولذلك لم يناد في القرآن بغير"يا أيها النبي"، أو"يا أيها الرسول".

أما مضمون النداء فاشتمل على جملة أمر، وجملة نهي عطفت عليها؛ فأمر الرسول ومنه أمته بالتقوى للاستمرار على ملازمتها والازدياد منها[3]. ونهي عن قبول أقوال الكافرين والمنافقين.

وهذا التكليف يومئ أن تشريفا عظيما سيلقى إليه، لا يخلو من حرج عليه وعلى أمنه، وأنه سيلقى مكائد ومطاعن الكافرين والمنافقين، ولذلك كان التعقيب بجملة النهي ليحصل من الجملتين قصر تقواه على التعليق بالله دون غيره؛ فإن معنى قوله: "لا تطع..." مرادف معنى: لا تتق الكافرين والمنافقين؛ فإن الطاعة تقوى، فصار مجموع الجملتين المتعاطفتين مفيدا معنى: يا أيها النبي لا تتق إلا الله. فعدل عن صيغة القصر، هي أشهر في الكلام البليغ وأوجز إلى ذكر جملتي الأمر والنهي للدلالة على أنه قصر إضافي[4]؛ أريد به أن لا يطيع الكافرين والمنافقين، لأنه لو اقتصر على القول: لا تتق إلا الله، لما أصاخت إليه الأسماع

---

(1) الحج، 77.

(2) الأحزاب، 1.

(3) ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 2/12، وابن الجوزي، زاد المسير،348/6، والمرتضى، غرر الفوائد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1967، 2/79، وأبو حيان ، البحر المحيط، 206/7، والبقاعي، نظم الدرر، 68/6.

(4) ينظر، عبد العزيز عتيق، علم المعاني، ص 159.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إصاحة خاصة، جعلت المتلقي يدرك التكليف المأمور به، والمنهي عنه. فكان أن انتهج القرآن أسلوب الإطناب.

ويتضح من سياق هذه الآية أن الرسول ﷺ كان يميل إلى الكافرين والمنافقين بقصد استمالتهم إلى الإسلام، وعلم الله أن ميله إليهم لا يجلب منفعة، ولذلك نهاه عنه. وهذا رأي أغلب المفسرين[1]. وفي معنى التركيب نصح وإرشاد.

ويماثل هذه الصورة قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾[2].

يختلف هذا التركيب عن سابقه -من نفس الصورة- في أنه اشتمل على جملة حالية "وأنتم تسمعون" .

الأمر للمؤمنين بطاعة الله وطاعة رسوله. والمعنى: "لا تخالفوا أمره، وأنتم تسمعون لقوله، وتزعمون أنكم مؤمنون"[3]. والأمر بالطاعة -هنا- في مسألة الجهاد[4]، لأن فيه بذل النفس والنفيس.

وأردف جملة الأمر بجملة النهي لتوضيح الطاعة المأمور بها؛ فقد نهوا عن التولي، أي الإعراض والانصراف. وهو -هنا- لمخالفة أمر الرسول في القتال، بدليل الضمير المجرور بـ"عن"، لأنه راجع إلى رسول الله ﷺ.

وجملة"وأنتم تسمعون" في موضع الحال من الفاعل المتصل بالفعل في قوله: "ولا تولوا". والمراد بالسماع سماع تدبر وتأمل المسموع، كما هو شأن المؤمنين أن يقولوا: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[5]. أي: لا تنصرفوا عنه في حال لا يعوزكم ترك التولي، لأن غاية السمع العمل بالمسموع. وهؤلاء سمعوا الحق، فيجب أن يعملوا به.

ومعنى التركيب: يا أيها المتصفون بالإيمان أطيعوا الله ورسوله في الدعوة إلى الجهاد، ولاتعرضوا عنه.فاحذروا أن تكونوا مثل الذين قالوا: سمعنا وهم لا يسمعون، وهم المنافقون والمشركون.

وفي مضمون النداء إرشاد للمؤمنين بطاعة الله والرسول إذا دعاهم للجهاد وغيره، وتحذير من مخالفة أمرهما ونهيهما، لئلا يتقاعسوا عن الدفاع عن الدين.

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) ينظر، الماوردي، النكت والعيون، 369/4، والواحدي، أسباب النزول، ص292 وينظر له ، والوسيط، 457/3، وابن عطية، المحرر الوجيز، 3،2/12، والقرطبي، الجامع، 115/14، وأبو حيان، البحر المحيط، 206/7.

(2) الأنفال، 20.

(3) ابن إسحاق، التفسير،جمع وترتيب، محمد عبد الله أبو صعيليك، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1،1996، ص93، وينظر، الطبري،جامع البيان،209/9.

(4) ينظر، البغوي، معالم التنزيل، 203/2.

(5) البقرة، 285.

الصورة السابعة: أداة نداء (يا)+ منادى+ مضمون نداء(جملة نهي).

وردت هذه الصورة في اثنتين وعشرين جملةً، ومنها الجملة الآتية:

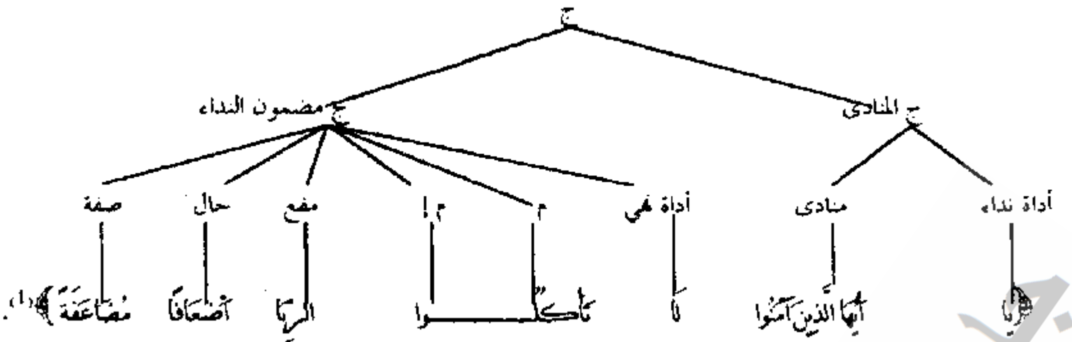

الخطاب موجه إلى المؤمنين، وقد نهوا عن التعامل بالربا الفاحش كما يظهر من دلالة الحال في "أضعافا"؛ فهو حال من "الربا". وقد وصف بـ"مضاعفة" بقصد التشنيع لينفر منه المتلقي.

وقرئ: "مُضَعَّفَة"[2]-بتشديد العين-ومعناه: "الربا الذي كانت العرب تضعف فيه الدين"[3]. و"مضاعفة"-على قراءة الجمهور-إشارة إلى تكرار التضعيف سنة بعد أخرى[4]. والقراءتان بمعنى واحد؛ فهما يدلان على مضاعفة الربا. وهو ما يسمى بالربا الفاحش أو المركب.

والربا الفاحش محرم قطعا كما يتضح من هذا النص. ولا يقتصر التحريم على الربا المضاعف بل ولو كان قليلا يحرم التعامل به[5]. وأما التقييد بالأضعاف المضاعفة في الجملة، فهو قيد لبيان الواقع الذي كان عليه الناس قبل التحريم. ولا يعني هذا التقييد أبدا أن الربا القليل حلال، وأن الحرام هو الربا الفاحش فقط.

والمعنى: يا أيها المؤمنون إياكم أن تأكلوا الربا كما كان الناس يفعلون. فهو نهي صريح للمؤمنين عن تعاطي الربا. وفي هذا المعنى تحذير لهم عن التعامل به.

ويماثل هذه الصورة قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾[6].

جملة مضمون النداء: "لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ" نظير قوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾[7].

يحتوي مضمون النداء على أداة نهي، ومضارع مسند إلى واو الجماعة "تأكلوا "، ومفعول به مضاف "أموالكم"، وظرف مكان مضاف "بينكم"، وجار ومجرور"بالباطل"، متعلق بحال في محل نصب، بمعنى: باطلا.

(1) آل عمران، 130.

(2) ينظر، القرطبي، الجامع،202/4.

(3) ابن عطية، المحرر الوجيز، 317/3.

(4) ينظر، المصدر السابق، 317/3، والقرطبي، الجامع، 202/4، وأبو حيان، البحر المحيط، 57/3.

(5) ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز،318/3، وابن عاشور، التحرير والتنوير، 86/4.

(6) النساء، 29.

(7) البقرة، 188.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والمفعول به"أموال" مضاف إلى ضمير المخاطبين"كم" بمعنى: أموال بعضكم، وهو راجع إلى"الذين آمنوا". فأكل أموال الغير بالباطل منهي عنه؛ فقد نهى الله أن يأكل الناس أموال غيرهم بالحرام، أي بطريق غير مشروع، وذلك عن طريق السرقة والخيانة والغصب والربا والعقود الفاسدة[1].ويدخل تحت أموال غيره أموال نفسه، لأن قوله: "أموالكم" يدخل فيه القسمان معا. وهذا كقوله تعالى-في هذه الآية -: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾. فقد نهى عن قتل الغير وقتل النفس بالباطل. أما أكل مال نفسه بالباطل، فهو بإنفاقه في المعاصي[2]. وأما أكل مال غيره فقد ذكر آنفا. وأكل الأموال أسلوب مجاز، وهو الانتفاع بها انتفاعا كاملا بنية عدم إرجاعها لأصحابها.

ومن هذه الصورة-أيضا-قوله: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ﴾[3].

الفعل في قوله: "تخونوا " مسند إلى واو الجماعة، وهو موجه للمومنين بدلالة النداء، وقد تعدى إلى مفعول واحد. واختزل الفعل والفاعل معا في الجملة الثانية، واكتفي بالمفعول به "الرسول" المعطوف على لفظ الجلالة "الله" تجنبا لتكرار وثقل التركيب، لأن أصل التركيب: لا تخونوا الله وتخونوا الرسول وتخونوا أماناتكم. والمضارع في الجملة الأخيرة مجزوم لوقوعه في الجملة المعطوفة، فهو في حكم النهي.

والخيانة ضد الأمانة، وهي الغدر وإبطال ما وقع عليه تعاقد دون إعلان[4]. يقول ابن عطية: "الخيانة لله تعالى هي في تنقص أوامره في سر، وخيانة الرسول تنقص ما استحفظ، وخيانات الأمانات هي تنقصها وإسقاطها"[5].

والنهي عن الخيانة يشمل كل المومنين. وهو يجمع كل أنواع الخيانات، فيحذرهم الله من العصيان الخفي بإظهار الطاعة و الاستجابة وإخفاء المعصية والخلاف.ودلالة النداء تحذير للمومنين من مخالفة أمر الله ورسوله.

وكذلك قوله: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾[6].

تتألف جملة مضمون النداء من أداة نهي، وفعل مضارع مسند إلى واو الجماعة "تتبعوا"، ومفعول به "خطوات" مضاف إلى "الشيطان".

وخطوات: جمع خُطوة بضم الخاء. قرأه نافع وأبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم، والبزي عن ابن كثير بسكون الطاء. وحجتهم أنهم استثقلوا الضمتين بعدهما واو، فأسكنوا الطاء للتخفيف. وقرأ عداهم بضم الطاء،

---

(1) ينظر، البغوي، معالم التنزيل، 417/1، والكلبي، التسهيل، 186/1، وأبو حيان، البحر المحيط، 240/3.

(2) ينظر، الرازي، مفاتيح الغيب، 57/10، وأبو حيان، البحر المحيط، 241/3.

(3) الأنفال، 27.

(4) ينظر، الطبري، جامع البيان، 219/9، والنسفي، مدارك التنزيل، 467/1.

(5) المحرر الوجيز، 269/6.

(6) النور، 21.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وحجتهم أن "خطوة" على وزن "فُعْلَة" كظُلمة جمع ظُلمات، وقُربة وقُربات، فلم تستثقل فيها العرب ضم العين[1]. فالخَطوة والخُطوة-بفتح الخاء وضمها- والجمع خُطى وخُطُوَات-بضم الطاء وإسكانها- هما لغتان سائدتان[2].

وقوله: ﴿لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾. هو "تمثيل مبني على تشبيه حالة محسوسة بحالة معقولة إذ لا يعرف السامعون للشيطان خطوات حتى ينتهوا عن اتباعها. وفيه تشبيه وسوسة الشيطان في نفوس الذين جاءوا بالإفك بالمشي"[3]. والمعنى: لا تتبعوا آثار الشيطان ومسالكه بالقبائح من الأقوال والأفعال، وكل ما نهى الله ﷻ عنه،لأن كل معصية يرتكبها المؤمن فهي من وساوس الشيطان.

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[4].

حذف المفعول به للفعل المضارع "تقدّم" المزيد بالتضعيف. والمقصود به: "كل ما وقع في النفس مما يقدم من القول أو الفعل"[5]. أي: لا تقدموا على التلبس بهذا الفعل.

قرأ الجمهور: "لا تقدِّموا"-بكسر الدال والتشديد-. "ولو قرأ قارئ: "لا تقْدَموا" لكان صوابا؛ يقال: قدمت في كذا وكذا، وتقدمت"[6]. وقرأ الضحاك ويعقوب[7]: "لا تقدَّموا"-بفتح الدال والتشديد- أي: لا تفعلوا ما تؤثرونه وتتركوا ما أمركم الله ورسوله به. وهذا هو معنى قراءة الجمهور: "لا تُقدِّموا"، أي: لا تقدموا أمرا على ما أمركم الله به[8].

وفي قوله تعالى: ﴿لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾. ضرب من المجاز، يقال: جلس فلان بين يدي فلان، أي: جلس من جهة يمينه وشماله، أي: قريبا منه. وفائدة هذا المجاز تصوير الشناعة فيما نهوا عنه من الإقدام على أمر دون أن يهتدوا بكتاب الله وسنّة رسوله.

ويقول ابن جزي الكلبي: إن هذا الكلام يحتمل "ثلاثة أقوال: أحدها: لا تتكلموا بأمر قبل أن يتكلم هو به [أي الرسول ﷺ]، ولا تقطعوا في أمر إلا بنظره. والثاني: لا تقدموا الولاة بحضره، فإنه يقدم من يشاء. والثالث: لا تقدموا بين يديه إذا مشى. وهذا إنما يجري على قراءة يعقوب: "لا تَقدَّموا" بفح التاء والقاف

---

(1) ينظر، أبو زرعة، حجة القراءات، ص120، 121، والقرطبي، الجامع، 207/12.

(2)ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 231/14، (خطا).

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 186/18، 187.

(4) الحجرات، 1.

(5) النسفي، مدارك التنزيل، 579/2.

(6) الفراء، معاني القرآن، 69/3.

(7) يعقوب، هو ابن إسحاق بن زيد بن عبد الله أبو محمد الحضرمي مولاهم البصري. أحد القراء العشرة، وإمام أهل البصرة ومقرئها. أخذ القراءة عرضا عن سلام الطويل ومهدي بن ميمون، وسمع الحروف من الكسائي وحمزة. توفي سنة 205هـ. ينظر، الذهبي، معرفة القراء الكبار، 157/1، 158، وابن الجزري، النشر،186/1.

(8) ينظر، ابن جني، المحتسب، 278/3.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والدال، والأول و الأظهر، لأن عادة العرب الاشتراك في الرأي وأن يتكلم كل أحد بما يظهر له، فربما فعل ذلك قوم مع النبيﷺ فنهاهم الله عن ذلك"[1]. والمقصود: اتبعوا الله والرسول ولا تخالفوا لهما أمرا.

ودلالة الجملة النهي عن إبرام أي شيء دون إذن من الرسول. وفي هذا النهي تأديب للمؤمنين فيما يعاملون به رسولهم من التوقير والتبجيل والإعظام، فلا يسرعوا في أي مسألة قبله بل يكونوا تبعا له.

وكذلك قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾[2].

يتألف مضمون النداء من: أداة نهي، ومسند، ومسند إليه، ومفعول به أول، ومضاف إليه، وأداة عطف، ومعطوف (مفعول به)، ومضاف إليه، ومفعول به ثان. وفي إضافة"عدو" إلى ضميره ﷻ غليظا لجرم الكافرين ولأمر اتخاذهم أولياء، وإشارة منه إلى حلول عقابه بهم[3]. وعومل لفظ "عدو" معاملة المصدر لكونه على وزنه، فاستوى في الوصف به المفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث [4]. والعداوة ضد الصداقة، وهما لا يجتمعان في محل وزمن واحد. واستخدمت تنفيرا للمؤمنين من مناصرة الكفار.

والمعنى: لا تتخذوا أعدائي وأعداءكم أنصارا. فنهى الله المؤمنين عن اتخاذ المشركين أولياء، لأن في اتخاذهم أولياء ضلال؛ فهم لو تمكنوا من المؤمنين لأساءوا إليهم بالقول والفعل، وأن ما بينهم وبين المشركين من أواصر القرابة لا يعتد به تجاه العداوة في الدين.

والنهي عن موالاة الكفار جاء في عدة مواضع، من ذلك قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[5]. وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ﴾[6]. وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ﴾[7].

والخطاب موجه إلى جميع المؤمنين-في كل زمان ومكان-تحذيرا من مناصرة الكفار والتودد إليهم بأي وجه من الوجوه.

ومن هذه الصورة-أيضا- قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ﴾[8].

الخطاب موجه للكافرين بقرينة اللفظ في صلة الموصول، فقد نهوا عن الاعتذار يوم القيامة. فيقال لهم يومئذ: إنّ المعذرة لا تنفعكم، وإنما تجزون بأعمالكم، فلا تلوموا إلا أنفسكم، لأنه قد قدم إليكم الإنذار

(1) التسهيل، 355/2.

(2) الممتحنة، 1.

(3) ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 250/8.

(4) ينظر، ابن فارس، مجمل اللغة، 653/3.

(5) آل عمران، 28.

(6) آل عمران، 118.

(7) المائدة، 51.

(8) التحريم، 7.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

و الإعذار، ولا ينفعكم الاعتذار والتوبة؛ فذلك مردود بعد دخولكم النار التي أعدّت لكم[1]. وهذا المعنى نظير قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾[2]. ودلالة النداء تأييس لأهل الكفر.

ويلحق بهذه الصورة قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا﴾[3].

يختلف هذا التركيب عن سابقيه-من نفس الصورة-في أن مضمون النداء ورد جملة نهي عطفت عليها جملتان أمريتان، وهذا النظام يلحظ في التراكيب القرآنية إذ أن النهي والأمر يتعاقبان. فقد نهى الله تعالى المؤمنين أن يقولوا: راعنا، وأمرهم أن يقولوا: انظرنا.

اختلف القراء في كلمة "راعنا"، فقرأ الجمهور: "راعنَا" على أنه أمر من المراعاة، أي: ارعنا نرعَك. وفي هذا المعنى جفاء أن يخاطب به أحدٌ رسوله[4]. وقرأ ابن مسعود: "راعونا"[5] على إسناد الفعل لضمير الجمع للتعظيم والتوقير. وهي قراءة شاذة. وقرأ الحسن، وابن أبي ليلى، وأبو حيوة، وابن محيصن: "راعناً" بالتنوين[6]. حيث جعل"راعنًا" صفة لمصدر محذوف، أي: قولاً راعنا. ويحتمل أن يكون وجه النصب بالتنوين على نصب القول، والتقدير: لا تقولوا حمقا، كما يقال: قالوا خيرا وقالوا شرا[7].

فالقرآن نهى عن قول: "راعنا" للرسول ﷺ وأمر بقول: "انظرنا". وهما كلمتان مترادفتان[8]. إلاّ أن كلمة"انظرنا" هي بمعنى: انتظرنا وتأن علينا، وكما يقول ابن عطية: "لفظة مخلصة لتعظيم النبي"[9]. وأنها تدل "على استدعاء نظر العين المقترن بتدبر الحال. وهذا هو معنى راعنا، فبدلت للمؤمنين اللفظة ليزول تعلق اليهود"[10]. فقد كان لهم كلمة عبرانية يتسابون بها تشبيه هذه الكلمة، وهي: "رعنا" ومعناها: "اسمع

---

(1) ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 524/14، والرازي، مفاتيح الغيب، 42/30، والخازن، لباب التأويل، 316/4.

(2) الروم، 57.

(3) البقرة، 104.

(4) ينظر، الفراء، معاني القرآن، 69/1، وابن عطية، المحرر الوجيز، 425/1، وأبو حيان، البحر المحيط، 508/1.

(5) ينظر، الزمخشري، الكشاف، 302/1، وابن عطية، المحرر الوجيز، 426/1، وأبو حيان، البحر المحيط، 508/1، والألوسي، روح المعاني، 348/1 .

(6) ينظر، الفراء، معاني القرآن، 70/1، الزمخشري، الكشاف، 302/1، وابن عطية، المحرر الوجيز، 425/1، 426، وأبو حيان، البحر المحيط، 508/1، والألوسي، روح المعاني، 348/1.

(7) ينظر، الفراء، معاني القرآن، 70/1.

(8)ينظر، الرازي، مفاتيح الغيب، 203/3، وأبو حيان، البحر المحيط، 508/1، والنيسابوري، غرائب القرآن، 354/1، والألوسي، روح المعاني، 348/1.

(9) المحرر الوجيز، 426/1.

(10) المصدر السابق، 426/1، وأبو حيان، البحر المحيط، 509/1.

لا سمعت"[1]. كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ﴾[2].

وقال بعض المفسرين: أرادوا نسبته ﷺ إلى الرعن وهو الحمق والجهل[3]. وذلك على سبيل السخرية.

وترد بقية هذه الصورة في المواضع الآتية: البقرة، (264)، وآل عمران، (156)، والنساء، (144)، والمائدة، (2، 41، 57، 101)، والتوبة، (23)، والأحزاب، (69)، والحجرات، (2)، والممتحنة، (1، 13)، والمنافقون، (9).

الصورة الثامنة: أداة نداء(يا)+ منادى+ مضمون النداء(جملة نهي)+ جملة معترضة+جملة نهي معطوفة+ جملة معترضة.

وردت في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ﴾[4].

جملة النهي: "لا يسخر قوم من قوم"، وقد عطفت عليها جملة "ولا نساء من نساء". والرابط أداة العطف (الواو) الدالة على مطلق الجمع والاشتراك بين الجملتين المتعاطفتين. وحذف الفعل اختصارا، لأنه معلوم، ولأن ما قبله دل عليه. أي: لا يسخر نساء من نساء.

والقوم: اسم جمع يدل على الرجال بخاصة دون النساء[5]. ومن هذا قول زهير بن أبي سلمى:

وَمَا أَدْرِي، وَسَوْفَ إِخَالُ أَدْرِي ... أَقَوْمٌ آلُ حِصْنٍ أَمْ نِسَاءُ؟[6]

وتنكير "قوم" -في الموضعين- لإفادة الشيوع، لئلا يتصور أحد أن القرآن نهى قوما معينين سخروا من قوم معينين. وإنما أسند المضارع "يسخر" إلى قوم، وعدل أن يقول: لا يسخر بعضكم من بعض، أو لا يسخر رجل من رجل ولا امرأة من امرأة. وذلك النهي هو ما كان منتشرا بين العرب من سخرية القبائل بعضها من بعض. فوجه النهي إلى الأقوام لتصير قبيلة منهية عن السخرية.

وخص النساء بالذكر -هنا- مع أن لفظ "قوم" يعمهم بطريق التغليب دفعا لتوهم تخصيص النهي بسخرية الرجال، إذ كانت السخرية في النساء أكثر بسبب طبعهن وميلهن إلى السخرية والتهكم من بعضهن.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) ينظر، الفراء، معاني القرآن، 69/1، 70، والبغوي، معالم التنزيل، 134/1، والزمخشري، الكشاف، 302/1، والرازي، مفاتيح الغيب، 203/3.

(2) النساء، 46.

(3) ينظر، الألوسي، روح المعاني، 348/1، والزحيلي، التفسير المنير، 254/1.

(4) الحجرات، 11.

(5) ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 505/12، (قوم).

(6) الديوان، ص12.

وجيء بجملة الترجي: "عسى أن يكونوا خيرا منهم" للتفسير؛ فهي جملة -معترضة بين الجملتين المتعاطفتين- تفيد المبالغة في النهي عن السخرية بذكر ظاهرة متفشية؛ فتكون سخرية الساخرين أشنع من المسخور بهم. ويتحمل الساخرون ما اقترفوا من ذنب، لأن الله تعالى نهى عن هذا الفعل الشنيع.

ولذا فإن جملة "عسى أن يكونوا خيرا منهم" ليست صفة لـ"قوم"؛ الاسم المجرور بـ"من"، وإلاّ صار النهي عن السخرية خاصا بما يظن البعض أن المسخور به خير من الساخر. وكذلك القول بالنسبة لجملة "عسى أن يكن خيرا منهن،" فليست صفة للاسم المجرور "نساء".

فالله تعالى نهى المؤمنين عن السخرية ببعضهم بجميع أنواع السخرية؛ فلا يحل لمؤمن أن يسخر من مؤمن لا لقبحه ولا لفقره، ولا لغير ذلك[1].

وفي معنى النداء تأديب للأمة المحمدية بغية الإقلاع عن هذه الصفة الذميمة.

الصورة التاسعة: أداة نداء(يا)+ منادى+ مضمون النداء(جملة نهي)+ جملة نهي معترضة+ جملة تعليلية.

وردت هذه الصورة في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾[2].

مضمون النداء جملة نهي: "لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ". وجملة "ولا تعتدوا" معترضة لمناسبة أن تحريم الطيبات اعتداء على ما شرعه الله تعالى. والمراد بالاعتداء: ظلم الناس، والاعتداء على حقوقهم، أو على حقوق الله في أوامره ونواهيه.

ولما نهى الله ﷻ عن تحريم الحلال أردفه بالنهي عن استحلال المحرمات؛ فالنهي تضمن الأمرين معا، أي: "لا تتشددوا فتحرموا حلالا، ولا ترخصوا فتحلوا حراما" [3]. وهو رد على الغلاة المتزهدين والمتصوفين[4].

وفي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: "ما بال أقوام يقولون: كذا وكذا لكني أصلي وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني"[5].

ومعنى التركيب: لا تحرموا ما طاب ولذ من الحلال مبالغة منكم في العزم على تحريمه تزهدا وتقشفا، فإن من حرم شيئا أحله الله فقد كفر. أما ترك متاع الحياة والتفرغ للعبادة من غير إضرار ففضيلة مأمور بها.

وفي هذا النهي تنبيه الأمة الإسلامية على الاحتراز في القول بتحريم شيء لم يرد فيه دليل شرعي.

---

(1) ينظر، الطبري، جامع البيان، 390/26.

(2) المائدة، 87.

(3) ابن عطية، المحرر الوجيز، 13/5، وينظر القرطبي، الجامع، 263/6، والثعالبي، الجواهر الحسان، 449/1.

(4) ينظر، القرطبي، الجامع، 262/6.

(5) أخرجه مسلم في صحيحه، 178/9، (كتاب النكاح)، والنسائي في السنن، 46/6، (كتاب النكاح).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الصورة العاشرة: أداة نداء (يا)+ منادى+مضمون نداء(جملة نهي)+جملة حالية+ جملة غائية.

وردت هذه الصورة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾[1].

مضمون النداء جملة نهي: "لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى". فنهى القرآن عن قربان الصلاة في حالة سكر. والنهي عن قربان الصلاة أبلغ من أن يقول: لا تصلوا وأنتم سكارى، وذلك للإشارة إلى أن تلك حالة منافية للصلاة يجب اجتنابها.

وهذا أسلوب سلكه القرآن في عدة مواضع، كقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ﴾[2].وكقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[3].

والقرب-هنا-مستعمل في معناه المجازي، وهو التلبس بالفعل، ومعناه: لا تتلبس به. والمراد النهي عن التلبس بالصلاة وغشيانها. وبه قال جمهور المفسرين[4]. وقالت طائفة: المراد موضع الصلاة، وعلى هذا لا بد من تقدير مضاف، أي: لا تقربوا مواضع الصلاة وأنتم سكارى[5]. وقال بعض المفسرين: المقصود الصلاة ومواضعها معا، لأن المسلمين كانوا حينئذ لا يأتون المسجد إلا للصلاة، ولا يصلون إلا جماعة، فكانا متلازمين[6].

والجملة الاسمية: "وأنتم سكارى" في موضع نصب على الحال، ويتوقف المعنى عليها[7]، لأنه تعالى ينهى عن الصلاة في هذه الحال.

والجملة الغائية: "حتى تعلموا ما تقولون" إشارة إلى علة النهي. واستخدم الفعل "تقولون" بدل " تفعلون" لبيان أن السكر يفضي إلى اختلال العقل، وإذا اختل العقل، اختلت أعمال الصلاة، فلا يدرك المصلي ما يقول.

والمعنى: لاتصلوا و الحال أنكم سكارى حتى تكون عقولكم تامة تميزون بها الخطأ من الصواب، فتعلموا ما تقولون في صلاتكم.

ويماثل هذا التركيب قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾[8].

---

(1) النساء، 43.

(2) الأنعام، 151.

(3) الأنعام، 152.

(4) ينظر، الطبري، جامع البيان، 99/5،والقرطبي، الجامع، 201/5، والخازن، لباب التأويل، 378/1.

(5) ينظر، السمرقندي، بحر العلوم، 356/1، وابن العربي، أحكام القرآن، 433/1، وأبو حيان، البحر المحيط، 265/3.

(6) ينظر، ابن العربي، أحكام القرآن، 434/1، والقرطبي، الجامع، 202/5.

(7) ينظر، ابن هشام، مغني اللبيب، 126/2.

(8) المائدة، 95.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الجملة الاسمية: "وأنتم حرم" في محل نصب حال.و"حُرُم" أو"حُرْم" جمع حرام، بمعنى محرم، والمحرم: أصله التلبس بالإحرام. ويطلق على الكائن في الحرم، فيقال: أحرم الرجل إذا أهل بالحج أو العمرة وباشر شروطهما[1].

ويحمل مضمون النداء النهي عن قتل الصيد. ولفظ الصيد في الجملة عام، إلا أن الآية بعدها خصصت هذا العموم بصيد البر، في قوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾[2].

ويستثنى من صيد البر ما ثبت عنه ﷺ أنه قال:"خمس فواسق يقتلن في الحرم: العقرب، والفأرة، والحدأة، والغراب، والكلب العقور"[3].

يقاس على هذه كل الحيوانات المفترسة أو الحيات السامة، لأنها في حكم العقرب[4]. وما عدا ذلك من حيوانات البر فهو منهي عن قتله في الحرم، وإن قتل المحرم فدا[5].

ومعنى الجملة: لا تقتلوا صيد البر وأنتم محرمون بحج أو عمرة.والظاهر من الجملة أن النداء لجميع المؤمنين. وقيل: إن الآية نزلت في أبي اليسر، واسمه عمرو بن مالك الأنصاري كان محرما بعمرة عام الحديبية، فقتل حمار وحش[6]. ثم صار هذا الحكم عاما للمؤمنين، فلا يجوز لهم قتل الصيد ما داموا محرمين أو في الحرم.

وحُرِّم صيد البر لتعظيم شأن الكعبة الشريفة، لأن الصيد إثارة للحيوانات الآمنة حولها. و لم يحرم صيد البحر، إذ ليس بقرب مكة بحرا ولا نهرا[7]. فالله تعالى حرم صيد البر على المحرم، فليس له أن يعرض له ما دام محرما بحج أو عمرة.

ويلحق بهذه الصورة قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾[8].

لقد وردت عقب النهي جملة غائية: "حتى تستأنسوا..." . وهذه قراءة الجمهور. والمعنى في هذه القراءة: تلتمسوا الأنس، أو يأنس بكم صاحب البيت، فهي كناية لطيفة عن الاستئذان[9].

---

(1) ينظر،ابن منظور، لسان العرب، 122/12، (حرم)، والفيروز آبادي، القاموس المحيط،95/4، (حرم).

(2) المائدة، 96.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، 8/ 352، (كتاب الحج)، والنسائي في سننه، 148/5، (كتاب مناسك الحج).

(4) ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 37/5، 38.

(5) ينظر، المصدر السابق، 38/5.

(6) ينظر، البغوي، معالم التتريل، 64/2، والخازن، لباب التأويل، 78/2.

(7) ينظر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، 42/7.

(8) النور،27.

(9) ينظر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، 197/18.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وكان ابن عباس يقرأ: "تستأذنوا"[1] أي: تطلبوا الإذن، والاستئذان بمعنى: الاستئناس[2]. فهي قراءة بالمعنى.

وتدل الجملة الغائية على أنه يجوز الدخول بعد الاستئذان والسلام إن سمح صاحب البيت بذلك.

والعطف على الاستئناس، وجعل كلاهما غايته للنهي عن دخول البيت يدل على وجوب القيام بهما معا؛ لأن النهي لا يرتفع إلا بهما.

ويدل مضمون النداء على أن الاستئذان واجب وكذا السلام؛ فلا يدخل بيت الغير إلا بعد الاستئذان وإلقاء السلام. وسياق الآية لتشريع حكم الاستئذان.

ونظير هذا النهي ورد في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ﴾[3].

يتألف مضمون النداء من جملة نهي وجملة استثنائية. وجملة الاستثناء: "إلا أن يؤذن لكم" بمعنى: وقت أن يؤذن لكم . فحذف الظرف والمستثنى، وأقيم المصدر"الإذن" المضاف إليه مقامه.

وقوله:" غير ناظرين" حال من المسند إليه(الفاعل) في "لا تدخلوا"، فوقع الاستثناء على الحال والوقت معا، بتقدير:لا تدخلوا بيوت النبي إلا وقت الإذن. ولا تدخلوها إلا غير ناظرين. أي: غير منتظرين أو مترقبين وقت الأكل[4].وهؤلاء نفر من المؤمنين كانوا يتحينون طعام النبي، فيدخلون عليه قبل الطعام إلى أن يدرك، ثم يأكلون ويطيلون المكث، وكان يتأذى بهم[5].

والنهي للتحريم، أي: لا تدخلوا أيها المتحينون للطعام إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير منتظرين إدراكه.

وليس المراد بالنهي عن دخول بيوت النبي إلى الطعام، فهذا من باب التخصيص بالذكر للمناسبة، لأنه يجوز دخول بيته إلى غيره؛ فدلالة النهي عام.

الصورة الحادية عشرة: أداة نداء+ منادى+ مضمون نداء(جملة خبرية).

وردت هذه الصورة في أربع عشرة جملة. ومنها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا﴾[6].

---

(1) ينظر، الطبري، جامع البيان، 296/19، وابن جني، المحتسب، 108/2.

(2) ينظر، ابن جني، المحتسب، 108/2.

(3) الأحزاب، 53.

(4) ينظر، ابن قتيبة، غريب القرآن، ص352، والزمخشري، الكشاف، 270/3.

(5) ينظر، السمرقندي، بحر العلوم، 58/3، والواحدي، أسباب النزول، ص298، 299،والنسفي، مدارك التنزيل، 352/2، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 489/5،490.

(6) النساء، 19.

الخطاب موجه للمؤمنين للتنويه بما خوطبوا به، ليعم جميع أفراد الأمة، فيأخذوا بحكمه؛ فلا يرثوا النساء كرها، لأن الفعل المضارع"يخل " المنفي بـــ"لا" الدال على الحال والاستقبال يرادف معنى التحريم.

وقد تعدى الفعل في قوله: "ترثوا" إلى الموروث "النساء". ثم جيء بالحال "كرها" من النساء، ليدل مضمون النداء عن أحوال كانت قبل الإسلام، منها إرث النساء وهن مكرهات أو كارهات؛ فقد كن كالمال يورثن عن الرجال[1]. وتنزيل النساء منزلة الأموال الموروثة للتدليل على شناعة صورة المجتمع آنذاك.

وقرأ الجمهور: "كرها" بفتح الكاف، وقرأ حمزة والكسائي بضم الكاف[2]. وهما لغتان، "يقال: الكُره: المشقة، والكَره: أن تكلف الشيء فتفعله كارها"[3]. أي: إن الكُره-بالضم-ما أكرهت نفسك عليه، والكَره-بالفتح- ما أكرهك غيرك عليه[4].

ولهذا فعلى القراءة بالضم يكون المعنى أنه يحرم إرثهن وهن غير راضيات. وعلى القراءة بالفتح يكون المعنى أنه يحرم إرثهن إلزاما وإرغاما، وذلك بأن يزوجن أو يورث مالهن وهن مكرهات[5].

وقد روي في سبب نزول هذه الآية عدة روايات أشهرها ما أخرجه البخاري عن ابن عباس، قال: "كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته، إن شاء بعضهم تزوجها، وإن شاءوا زوجوها، وإن شاءوا لم يزوجوها، وهم أحق بها من أهلها، فنزلت هذه الآية في ذلك"[6]. فالآية أبطلت ذلك الحكم السائد في الجاهلية، وأصبحت المرأة إذا مات زوجها اعتدت في بيت زوجها، فإذا انقضت العدة ذهبت حيث أرادت، ولها ما لها وما ورثته عن زوجها.

ومن هذه الصورة-أيضا- قوله: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ [7].

في مضمون الجملة وجوب التوثيق للوصية. وقد كانت الوصية مشروعة في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾[8]. وأعيد ذكرها-هنا- للاهتمام بالوصية قصد بيان التوثيق لها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) ينظر،القرطبي، الجامع، 95/5.

(2) ينظر،السمرقندي، بحر العلوم،341/1، وأبو زرعة، حجة القراءات،ص195، والقيسي،الكشف،382/1، وابن الجوزي، زاد المسير،40/2.

(3) ابن فارس، مجمل اللغة، 782/3، (كره).

(4) ينظر،ابن منظور،لسان العرب،534/13، (كره).

(5) ينظر، القرطبي، الجامع، 95/5، والخازن، لباب التأويل،356/1.

(6) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق وتصحيح، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، إخراج وإشراف، محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، (د.ت)، 245/8.

(7) المائدة، 106.

(8) البقرة، 180.

والمعنى: شهادة منكم فيما بينكم على وصية أحدكم إذا حضره الموت اثنان مسلمان عدلان أو غير مسلمين. فيكون في الآية دليل على جواز شهادة أهل الذمة على المسلمين في خصوص الوصايا.

وكذلك قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾[1].

مضمون النداء جملة خبرية مؤكدة بـ"إن" الناسخة، المسند إليه فيها متصل وهو الضمير"نا" الدال على تعظيم الله ﷻ، والمسند جملة فعلية ماضوية "أرسلناك". وقد اشتملت على خمسة أوصاف للرسول الكريم، هي: شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله وسراجا منيرا. وهي أوصاف تنطوي على شموليات رسالته، ولذلك اقتصر عليها دون ذكر أوصافه العديدة. والغرض من ذكرها الإشارة والتنويه بمقامه الكريم، وتذكيره بأركان رسالته.

وانتصب"شاهدا" وما بعده على الحال من المفعول به (كاف الخطاب)، وهي حال مقدرة، أي: أرسلناك مقدرا أن تكون شاهدا ... على الأمم في الدنيا والآخرة. ومثل سيبويه للحال والمقدرة بقوله: "مررت برجل معه صقر صائدا به"[2].

و"شاهدا" اسم فاعل من فعل ثلاثي متعدٍ يحتاج إلى مفعول به، وقد يتعدى بحرف الجر، تقول:... شاهدا على أمته.

واسم الفاعل "مبشرا" معطوف على "شاهدا". وهو مشتق من الفعل "بشّر" الثلاثي المزيد بالتضعيف، ويتعدى بحرف الجر. والمبشر: المخبر بالبشرى، والبشارة: هي الحادث المسر لمن يخبر به. والرسول مبشر للمؤمنين المتقين بالفوز بالجنة في الآخرة.

وصيغة المبالغة "نذيرا" على وزن "فعيل"، ومشتق من الفعل "أنذر" الثلاثي المزيد بالهمزة. والإنذار بمعنى الإخبار بوقوع حادث غير سار. والنبي منذر للكافرين والعصاة من النار. وقدم لفظ "بشيرا" على "نذيرا"، لأن النبي غلب على رسالته التبشير، فهو مبعوث رحمة للعالمين.

و"داعيا" اسم فاعل تعدى إلى لفظ الجلالة "الله" بحرف الجر. والداعي إلى الله هو الذي يدعو إلى الله دون غيره، أي: بعثناك داعيا إلى الله والإقرار بوحدانيته.

وإضافة المتعلق "بإذنه" لاسم الفاعل "داعيا" للدلالة على أن الله أرسل نبيه داعيا إليه، وقد سهل له سبل التبليغ.

و"سراجا" معطوف على ما قبله، وهو تشبيه بليغ، أي: أرسلناك كالمصباح في الهداية. وقال ابن عطية: هو "استعارة للنور الذي يتضمنه شرعه، فكأن المهتدين به والمؤمنين يخرجون بنوره من ظلمة الكفر"[3].

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) الأحزاب، 45.

(2) الكتاب، 49/2.

(3) المحرر الوجيز، 81/12.

و "منيرا" وصف للسراج، ووصف "بالإنارة، لأن من السراج ما لا يضيء إذا قل سليطه ودقت فتيلته"[1].

ودلالة النداء، تأنيس للنبي ﷺ وتكريم له.

وتكرر نداء الرسول الكريم -في مثل هذه الصورة- في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ... وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾[2].

مضمون النداء جملة خبرية "إنا أحللنا لك أزواجك...". وهو خبر أريد به التشريع. ودخلت "إن" الناسخة على الجملة لتأكيد الخبر. والمسند إليه ضمير المتكلمين "نا" يدل على المعظم نفسه، وهو الله ﷻ. والمسند في قوله: "أحللنا لك أزواجك" مراد به الإباحة.

وتعدى فعل الإحلال إلى المفعول به "أزواجك" المضاف إلى كاف الخطاب العائد إلى النبي. وتفيد الكاف إلى أهن الأزواج اللاتي في عصمته كعائشة وحفصة وأم سلمة -رضي الله عنهن-.

ووصفت الأزواج بـ"التي أتيت أجورهن" إشارة إلى أنه تم الزواج بهن على حكم النكاح. وعطف على هؤلاء النساء أخر، وهن ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: ما ذكر في قوله: ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾، أي: مما أعطاك الله من الإماء والغنائم كمارية القبطية أم إبراهيم وصفية وجويرية[3].

الصنف الثاني: المذكور في قوله: ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ... اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾. وقد وصفن بـ "اللاتي هاجرن معك" للتنويه بشرف الهجرة وشرف من هاجر. والمراد بالمعية في قوله:"معك": الإشراك في الهجرة لا في الصحبة.

الصنف الثالث: ورد في قوله: ﴿وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾. اختلف المؤولون فيما إذا كان عند الرسول امرأة وهبت نفسها على قولين:

أحدهما: لم يكن عنده امرأة وهبت نفسها له. واستدلوا بقراءة الجمهور: "إِن وهبت"[4] -بكسر همزة- "إِنْ"، على أن الأداة للشرط، والفعل محمول على المستقبل. والمعنى: يحل لك -يا أيها النبي- المرأة المؤمنة التي تهب نفسها لك أن تتزوجها بغير مهر إن أرادت. ويكون التشريع على هذا المعنى للمستقبل.

---

(1) أبو حيان، البحر المحيط، 230/7.

(2) الأحزاب، 50.

(3) ينظر، الماوردي، النكت والعيون، 413/4.

(4) ينظر، الطبري، جامع البيان، 310/22، وأبو حيان، البحر المحيط، 233/7.

ثانيهما: أنه كانت عنده امرأة وهبت نفسها له، واستدلوا بقراءة من قرأ: "أَنْ وهبت"[1] -بفتح الهمزة- على أن الفعل وقع في الماضي. ويرجح هذا الرأي قراءة زيد بن علي[2]: "إذ وهبت"، فـ"إذ" ظرف لما مضى من الزمان، أي: حين وهبت. فالفعل دل على امرأة بعينها[3]. وكذلك قراءة ابن مسعود: "وامرأةً مؤمنة وهبت"[4]. بنصب "امرأة" بالفعل في "أحللنا"، وحذف "إنْ" على أن الفعلين في قوله: "أحللنا" و"وهبت" يدلان على المضي، والمعنى: "لا جناح عليه أن ينكحها في أن وهبت"[5].

ويكون على هذا المعنى تقرير حكم سابق للنبي وخص به توسعة عليه.

ويلحق بهذه الصورة قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ...﴾[6].

يختلف هذا التركيب عن سابقيه -من نفس الصورة- في أن مضمون النداء فيه ورد جملة خبرية معللة، تتألف من مسند "كتب"، وجار ومجرور "عليكم" متعلق بالمسند، ومسند إليه "الصيام"، كما ورد نائب مفعول مطلق "كما كتب"، أي: كتب الله عليكم الصيام كتابة، بمعنى فرضه فرضا. وذلك لتأكيد حكم الصيام. ثم جيء بجملة تعليلية "لعلكم تتقون" بمعنى: لتتقوا الذنوب. وحذف المفعول به في هذه الجملة اختصارا. والغرض من الجملة التعليلية بيان حكمة الصيام ومشروعيته.

ويلحظ تأخير المفعول فيه -ظرف الزمان- "أياما" عن عامله بعد جملة الترجي. ولا يضر وقوع الفصل بين العامل "كتب" أو "الصيام"، وبين المعمول "أياما"، لأن الفصل لم يكن بأجنبي. وهذا اختيار الزمخشري وابن عطية[7]، وهو الذي نختاره.

ومعنى "أياما معدودات" : موقتات بعدد معلوم أو قلائل. والمراد: شهر رمضان عند جمهور المفسرين[8]. وإنما عبر عن رمضان بأيام، وهي جمع قلة، ووصفت بـ"معدودات" وهي جمع قلة كذلك تسهيلا وتهوينا على المكلفين بأن هذه الأيام التي يحصرها العد ليست بالكثيرة.

(1) ينظر، الطبري، جامع البيان، 310/22.

(2) هو زيد بن الحسين بن علي بن أبي طالب. روى عن أبيه وأخيه محمد بن علي. توفي سنة123 هـ .ينظر، محمد بن شاكر الكتبي، فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د.ت)، 35/2،36.

(3) ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 233/11.

(4) ينظر، الفراء، معاني القرآن، 345/2.

(5) المصدر السابق، 345/2.

(6) البقرة، 183، 184.

(7) ينظر، الكشاف، 335/1، والمحرر الوجيز، 103/2.

(8) ينظر، الماوردي، النكت والعيون،237/1، وابن الجوزي، زاد المسير، 185/1، وابن عطية، المحرر الوجيز،130/2، وأبو حيان، البحر المحيط، 36/2.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ومعنى التركيب: فرض عليكم شهر رمضان في أيام موقتات كما فرض على الأنبياء والأمم من لدن آدم إلى عهدكم، لتتقوا ما حرم عليكم فعله،كما قال عليه السلام: "الصوم وجاء"[1]، لما فيه من قهر النفس وترك الشهوات.

ويدل مضمون النداء على وجوب صيام شهر رمضان بدلالة الفعل"كتب" الذي يفيد الفرضية.

ويلحق بهذه الصورة-كذلك-قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [2].

استخدم لفظ"الناس" وهو بدل دون لفظ المؤمنين، لأن أغلب النداء في السور المدنية يكون بلفظ المؤمنين. واستعمل هنا بهذا اللفظ للمناسبة، لأن القرآن ينادي البشرية قاطبة.

أما مضمون النداء فورد جملة خبرية معللة: "إنا خلقناكم... لتعارفوا".

واختلف القراء في قوله: "لتعارفوا"، فقرأ الجمهور: "لتعارفوا" مضارع "عرف" محذوف التاء. وقرأ الأعمش: "لتتعارفوا" بتاءين مضارع "تعارف"[3].

وقرأ ابن مسعود: "لتعارفوا بينكم"[4]. و الظاهر أنها قراءة تفسير لمخالفتها الرسم العثماني. وقرأ أبي، وابن عباس، والضحاك، وابن يعمر[5] : "لتعْرِفوا" بإسكان العين وكسر الراء. وقرأ مجاهد،[6] وابن محيصن: "لتّعارفوا" بتاء واحدة مشددة، وبألف وراء مخففة[7].

ويلحظ أن عامة القراء مالوا إلى التخفيف، والأصل: "لتتعارفوا"، فحذف إحدى التاءين، والمفعول به محذوف، تقديره عند ابن جني: "لتعرفوا ما أنتم محتاجون إلى معرفته" [8]. أو حذف المفعول فيه كما مر في قراءة ابن مسعود. والمعنى واحد، أي: ليعرف بعضكم بعضا بقرب النسب وبعده. فالله تعالى يخاطب الناس قاطبة بأنه خلقهم من ذكر وأنثى أنسابا وأصهارا وقبائل وشعوبا للتواصل الاجتماعي، وذلك لحكمة إلهية قدرها. والمقصود التسوية بين الناس جميعا من حيث الخلْق والمنع مما كانت الشعوب تفعله من التفاخر بالأنساب والأحساب.

---

(1) أخرجه البخاري في الصحيح، 438/6، (كتاب النكاح)، وأبو داود في السنن، 624/2، (كتاب النكاح)، والترمذي في الجامع الصحيح، 392/3، (كتاب النكاح).

(2) الحجرات، 13.

(3) ينظر،ابن عطية،المحرر الوجيز، 516/13، وأبو حيان، البحر المحيط، 115/8.

(4) ينظر،المصدر السابق، 516/13.

(5) هو يحي بن يعمر البصري، تابعي جليل. عرض على ابن عمر وابن عباس وغيرهما، وعرض عليه أبو عمرو بن العلاء، وعبد الله بن إسحاق. توفي سنة 90هـ. ينظر، الذهبي، معرفة القراء الكبار، 67/1، 68.

(6) هو مجاهد بن جبر، أحد الأعلام من التابعين والأئمة المفسرين. أخذ عنه القراءة عرضا ابن كثير وابن محيصن. توفي سنة 103هـ. ينظر، الذهبي، معرفة القراء الكبار، 66/1، 67.

(7) ينظر، ابن الجوزي، زاد المسير، 474/7.

(8) المحتسب، 280/2.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أما اللام في "لتعارفوا" فهو لام التعليل، أضمرت بعدها "أن" الناصبة للمضارع، أي: لأن تعارفوا، لأن اللام تبين السبب، وهي ليست لام الأمر (الطلب) كما رأى أبو حيان، حيث قال: "...اللام في "لتعارفوا" لام الأمر، وهو أجود من حيث المعنى"[1]. إلا أن المعنى يستقيم على لام التعليل.

وترد بقية هذه الصورة وملحقاتها في الآتي:

البقرة،(178)، والنساء،(174)، والمائدة،(90، 94)، والأنفال،(64)، والحج،(49)، والتغابن،(14).

الصورة الثانية عشرة: أداة نداء (يا)+ منادى+ مضمون نداء (جملة استفهامية).

وردت في أربعة مواضع، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ﴾[2].

في مضمون النداء تحريض على الجهاد في سبيل الله بأسلوب اللوم والعتاب على التثاقل بإجابة دعوة النفير إلى الغزو. والمراد بذلك غزوة تبوك. قال ابن عطية: "هذه الآية هي بلا اختلاف نازلة عتابا على تخلف من تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، وكانت سنة تسع من الهجرة بعد الفتح بعام، غزا فيها الروم في عشرين ألفا بين راكب وراجل، وتخلف عنه قبائل من الناس ورجال من المؤمنين كثير ومنافقين"[3].

وجملة الاستفهام "ما لكم...؟" تتألف من مسند إليه "ما"، ومسند "لكم". والاستفهام يفيد الإنكار، والمعنى: أي شيء يمنعكم عن النفير؟

و"إذا" ظرف بمعنى"حين"، وقد تعلق بمعنى الاستفهام الإنكاري على معنى أن الإنكار قد حدث في ذلك الزمان الذي قيل لهم فيه: "انفروا في سبيل الله". وليس مضمنا لمعنى الشرط، لأنه ظرف يحمل دلالة الزمن الماضي بخلاف الشرط الذي يدل على المستقبل.

وجملة "اثاقلتم إلى الأرض" في موضع نصب حال من ضمير الجماعة. وتلك الحالة هي محل الإنكار على المخاطبين. أي: ما لكم متثاقلين إذا قيل لكم انفروا؟.

والفعل في قوله: "اثاقلتم" أصله: تثاقلتم، كقراءة الأعمش. وقد أدغمت التاء في الثاء لتقارب مخرجيهما، ثم احتيج إلى ألف الوصل[4].

والتثاقل: تكلف الثقل، والمعنى إظهار الثقل بحيث يصعب النهوض. وعدي فعل التثاقل بـ"إلى"، لأنه ضمن معنى الخلود والميل[5]. أي: خلدتم أو ملتم إلى الإقامة بأرضكم ودياركم.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) البحر المحيط، 116/8.

(2) التوبة، 38.

(3) المحرر الوجيز، 493/6.

(4) ينظر، المصدر السابق، 495/6.

(5) ينظر، المصدر السابق، 495/6، وأبو حيان، البحر المحيط، 44/5.

وفي معنى "اثاقلتم إلى الأرض" تصوير لحال الذين كرهوا الجهاد طلبا للراحة وخوفا من ملاقاة جيش الروم.

ومن هذه الصورة -أيضا- قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[1].

دخلت اللام المفيدة للتعليل على "ما" الاستفهامية التي تدل على الشيء المبهم المراد تعيينه. والمعنى: لأي شيء تقولون قولا وتخالفونه عملا؟.

والاستفهام عن العلة مستخدم في إنكار أن يكون سبب قول المؤمنين ذلك مرضيا لله ﷻ. فقد روى الفراء في سبب نزول هذه الآية أن المسلمين كانوا "يقولون: لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله لأتيناه، ولو ذهبت فيه أنفسنا وأموالنا، فلما كانت وقعة أحد فتولوا عن رسول الله ﷺ حتى شج وكسرت رباعيته"[2].

والظاهر مما أورده الفراء أن يكون القول الذي قالوه وعدا وعدوه و لم يفوا به. وفي ذلك تحذير لهم من الوقوع في مثل ما وقعوا فيه يوم أحد بطريق الرمز والإشارة.

وكذلك قوله : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾[3].

جواب النداء جملة استفهامية "هل أدلكم..."؟ وجاء هذا الجواب لما قال المؤمنون: لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله عز وجل لعملناه ؟.[4] وجعل ذلك بمنزلة التجارة، لأنهم يربحون فيها رضى الله ونيل جنته والنجاة من النار. ثم بين الله تعالى تلك التجارة، فقال "تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله...".

واختلف القراء في قوله: "تؤمنون" و"تجاهدون"، فقرأ الجمهور: "تؤمنون" و"تجاهدون" وقرأ عبد الله بن مسعود: "آمنوا" و"جاهدوا" على أنهما أمران. وقرأ زيد بن علي: "تؤمنوا" و"تجاهدوا" [5]. وذلك بحذف نون الرفع على الجزم بلام الطلب المحذوفة، أي: لتؤمنوا ...وتجاهدوا.

أما توجيه قراءة الجمهور، فقال المبرد: قوله "تؤمنون" بمعنى: آمنوا، فجاء على صورة الخبر، ومعناه الأمر[6]. والقول نفسه ذكره الزمخشري، فهو يرى أنه استئناف وقع في جواب الاستفهام[7]. وعند العكبري وابن هشام يصح أن يكون بدل من "تجارة"[8]. وهو ما يرفضه أبو حيان إلا على تقدير "أن" المصدرية[9].

---

(1) الصف، 2.

(2) معاني القرآن، 153/3، وينظر، السمرقندي، بحر العلوم، 357/3، و الواحدي، الوسيط، 291/4، وابن عطية، المحرر الوجيز، 424/14.

(3) الصف، 10، 11.

(4) ينظر، البغوي، معالم التنزيل، 338/4، والخازن، لباب التأويل، 288/4.

(5) ينظر، السمرقندي، بحر العلوم، 359/3، وأبو زرعة، حجة القراءات، ص 708، وابن عطية، المحرر الوجيز، 433/14.

(6) ينظر، المقتضب، 82/2-135.

(7) ينظر، الكشاف، 99/4.

(8) ينظر، التبيان في إعراب القرآن، 1221/2، ومغني اللبيب، 41/2.

(9) ينظر، البحر المحيط، 99/4.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والحقيقة أن المضارع "تؤمنون" يفسر غموض كلمة "تجارة". و لم يقل: "أن تؤمنوا"، لأن العرب إذا فسرت الاسم يفعل تُثْبتُ في تفسيره "أن" أحيانا، وتطرحها أحيانا أخرى، فيقال: هل لك في خير تقوم بنا إلى فلان فنعوده؟ وهل لك في خير أن تقوم إلى فلان فنعوده؟ بذكر "أن" وحذفها[1]. يقول الفراء: لو قيل في قراءتنا: "أن تؤمنوا"، لأنه ترجمة للتجارة لكان صوابا[2].

أما المضارع "يغفر" -عقب التركيب -في قوله: "يغفر كلم ذنوبكم"[3]. فهو مجزوم لوقوعه في جواب الاستفهام في قراءة الجمهور، كأنه قيل: هل تتجرون بالإيمان والجهاد يغفر لكم؟ ووجهه أن متعلق الدلالة هو التجارة، والتجارة مفسرة بالإيمان والجهاد[4]، لأن المعنى: فإنك إن تفعل أفعل. أما في قراءة عبد الله وزيد بن علي، فهو مجزوم لوقوعه في جواب الطلب الظاهر.

واختلف-كذلك-في قوله: "تنجيكم"، فقرأ بن عامر بفتح النون وشد الجيم، من الفعل "نجَّى"، "يُنَجِّي". وفيه دلالة التكثير. وقرأ الجمهور بتخفيف النون وكسر الجيم دون شد من "أنجى"،"يُنجِي". ويدل على القليل والكثير[5].

والقراءتان لغتان مستعملتان في القرآن، فقد جاء بهما إجماعا. ومن ذلك قوله: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ﴾[6]. و﴿فَأَنجَاهُ اللَّهُ﴾[7]. و﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾[8].

وفي دلالة الاستفهام ترغيب وتشويق. فقد جعل الله العمل الصالح لنيل الرضوان بمنزلة التجارة؛ لأنهم يربحون فيه كما يربحون فيها، وذلك بدخولهم الجنة.

ومن هذه الصورة-كذلك- قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾[9].

الخطاب لرسول الله ﷺ لما حرم جاريته مارية القبطية، وذلك حين خلا بها في بيت إحدى زوجاته، فاطلعت عليه إحداهن، فقالت له: يا رسول الله في بيتي وعلى فراشي، فجعلها، أي مارية عليه حراما ترضية لصاحبة البيت[10].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) ينظر، الطبري، جامع البيان، 84/28.

(2) ينظر، معاني القرآن، 154/3.

(3) الصف، 12.

(4) ينظر، الزمخشري، الكشاف، 100/4.

(5) ينظر،السمرقندي ، بحر العلوم،359/3، والقيسي، الكشف،320/2، وأبو زرعة، حجة القراءات، ص 708.

(6) الأعراف، 64.

(7) العنكبوت، 24.

(8) فصلت، 18.

(9) التحريم، 1.

(10) ينظر، الفراء، معاني القرآن، 165/3، والجصاص، أحكام القرآن، 621/3، والقرطبي، الجامع، 178/18،179، وابن عطية، المحرر الوجيز، 510/14، وأبو حيان، البحر المحيط، 284/8.

والاستفهام في قوله: "لما تحرم ...."؟ مستخدم في معنى النفي، كأنه قال: لا يوجد ما يدعوك إلى التحريم. وفعل "تحرم" من التحريم على وزن "تفعيل"، بمعنى تصيير، أي: تجعل ما أحل لك حراما؛ بمعنى: تحرمه على نفسك دون كونه حراما. وهذا التحريم تحريم امتناع، لا تحريم اعتقاد لكونه حراما. فالنبي حرم مارية إرضاء لأزواجه مع اعتقاده أن ذلك حلال[1].

والجملة الموصولية: "ما أحل الله لك" حذف منها المفعول به، والتقدير: ما أحله الله لك. وجيء بالموصول"ما" لما في الصلة من الإشارة إلى تعليل الحكم الشرعي،ذلك أن ما أحله الله ينبغي أن يتمتع به لا أن يحرم.

والجملة المضارعية: "تبتغي مرضاة أزواجك" حالية في محل نصب من فاعل "تحرم"، أي: لم تحرم مبتغيا به مرضاة أزواجك؟ وفي مضمون هذه الجملة إشارة إلى عذر الرسول فيما فعله من أنه يبتغي جلب رضا أزواجه بسبب ما نشأ بينهن من غيرة. فأُخبر أن رأيه في غير محله، وأنه ينبغي أن يعدل عنه. وفي معنى النداء عتاب منه تعالى إلى رسوله.

الصورة الثالثة عشرة: أداة نداء (يا)+ منادى+ مضمون نداء(جملة شرطية).

وردت هذه الصورة في اثنتين وعشرين (22) جملة، ومنها الآتي:

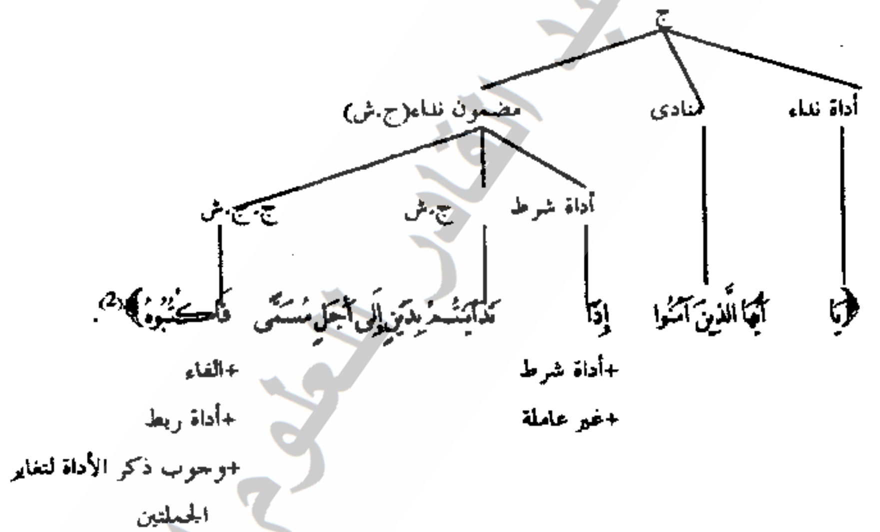

تختلف هذه الصورة عن السابقة في أن مضمون النداء ورد جملة شرطية، تتألف من أداة شرط "إذا"، وجملة شرط ماضوية "تداينتم بدين إلى أجل مسمى"، وجملة جواب أمرية "فاكتبوه"، والضمير (الهاء) عائد إلى "دين" في جملة الشرط.

(1) ينظر، الخازن، لباب التأويل، 312/4.

(2)البقرة، 282.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والظاهر من البنية السطحية لجواب النداء أنه للوجوب.وقال أغلب علماء التفسير: إنه أمر ندب وإرشاد، يصان به المال، ويزال به الشك[1]، لئلا يقع المتداينان في الخصومات. وفي ذلك تعليم لذوي الحقوق حتى لا يتساهلوا في أمر المعاملات، ثم يصلوا إلى المنازعات بعد ذلك.

والخطاب موجه إلى المؤمنين جميعا. والمقصود منه خصوص المتداينين، والأخص بالخطاب هو المدين، ليجعل دائنه مطمئنا على ماله، وإن لم يطلب الكتابة[2].

والمعنى: اكتبوا الدين الذي تداينتموه إلى وقت معلوم من بيع كان أو سلما أو قرضا أو غير ذلك.

ومن هذه الصورة قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾[3].

النداء بـ"يا أيها الذين آمنوا" عام في المؤمنين. والإشارة بذلك وقت نزوله إلى الأوس والخزرج بسبب ثائرة شاس بن قيس اليهودي الذي يذكر أنه كان شديد الحقد على المسلمين، فذكر رجال القبيلتين بما كان بينهم في الماضي من أحقاد لإثارة الفتنة[4].

ومضمون النداء جملة شرطية، تتركب من شقين متلازمين:

-**جملة الشرط**: "إن تطيعوا فريقا...". وتتكون من: أداة شرط جازمة، وفعل شرط "تطيعوا" يدل على الاستقبال، وقد أسند إلى "واو الجماعة". والمراد به: الأوس والخزرج، وتعدى إلى المفعول به "فريقا". والمراد به: الأحبار ورؤوس القوم.

-**جملة جواب الشرط**: "يردوكم بعد إيمانكم كافرين". تتألف من المضارع المجزوم في قوله: "يردوكم"، وقد أسند إلى "واو الجماعة"، وتعدى إلى مفعولين: "كم" المخاطب به الأوس والخزرج، و"كافرين"، لأن الرد-هنا-التصيير[5]. أي: يصيرونكم، كقول الشاعر:

فَرَدَّ شُعُورَهُنَّ السُّودَ بِيضًا　　　وَرَدَّ وُجُوهَهُنَّ البِيضَ سُودا[6]

ومعنى التركيب الشرطي: "إن حملتم السلاح فاقتتلتم كفرتم"[7]. إلا أن "الكفر المشار إليه هنا ليس بكفر حقيقة، لأن سبب النزول هو إلغاء العداوة بين الأوس والخزرج، ولو وقعت لكانت معصية لا كفراً"[8].

---

(1)ينظر، البغوي، معالم التنزيل، 267/1، وابن عطية، المحرر الوجيز، 501/2، وابن العربي، أحكام القرآن، 248/1، وأبو حيان، البحر المحيط، 359/2.

(2)ينظر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، 98/3.

(3)آل عمران، 100.

(4)ينظر، الواحدي، أسباب النزول، ص98،99، والبغوي، معالم التنزيل، 331/1، وابن عطية، المحرر الوجيز، 243/3، والخازن، لباب التأويل، 275/1، والقرطبي، الجامع، 155/4.

(5)ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 17/3، وابن هشام، أوضح المسالك، 217/1.

(6)البيت للكميت، ينظر، القالي، كتاب الأمالي، 115/3.

(7)الطبري، جامع البيان، 373/3.

(8)أبو حيان، البحر المحيط، 17/3.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فالله تعالى حذر المؤمنين من إغواء اليهود وإضلالهم، ومنعهم عن الالتفات إلى أقوالهم، فبين لهم إنْ لانوا وقبلوا ما قاله الحاسدون أدى بهم حتما إلى أن يصيروا كفاراً بعد أن منَّ الله عليهم بالإسلام، كما جاء في قوله: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾[1].

ومن هذه الصورة-أيضا-قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾[2].

مضمون النداء جملة شرطية: "إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا".تتألف من:

-جملة فعل الشرط: "ضربتم في سبيل الله". تقول العرب: ضربت في الأرض، إذا سرت لتجارة أو غزوة أو غير ذلك، فيتعدى الفعل بـ"في".

-جملة جواب الشرط: "فتبينوا"،جاءت أمرية، وتطلب ربطها بالفاء وجوبا لتغاير الجملتين.

قرأ الجمهور: "فتبينوا" بالباء، وقرأ حمزة والكسائي: "فتثبتوا"بالثاء[3]. وكلاهما على وزن "تفعّل"، بمعنى: استفعل التي تأتي لدلالة الطلب، بمعنى: اطلبوا بيان الأمر وثباته، ولا تقدموا من غير روية وإيضاح[4]. أو قفوا وتثبتوا حتى تعرفوا المؤمن من الكافر، وتعرفوا حقيقة الأمر قبل الإقدام عليه[5].

وقيل: إن "تبينوا" أشد وأبلغ من"تثبتوا"، لأن المتثبت قد لا يتبين الشيء[6]. وقيل:-أيضا-إن "من أمر بالتبين فقد أمر بالتثبت"، يقال: تبينت الأمر، وتبيّنَ الأمر بنفسه، فهو متعد ولازم"[7]. وحاصل معنى القراءتين: أن القراءة بالثاء "فتثبتوا"، أي: تأنوا، ولا تقدموا وقفوا حتى يتضح الأمر[8]. والقراءة بالباء "فتبينوا"، أي: افحصوا واكشفوا حتى تتبين لكم الحقيقة. ففيها أمر زائد على مجرد التوقف والتأني، وهو الحث على التبين وكشف الحال[9]، لأن الإنسان قد يتثبت ولا يتبين، ففي هذه القراءة تأكيد. ويكون الاختيار لها لعموم لفظها، ولأن جمهور القراء عليها[10].

---

(1)البقرة، 109.

(2)النساء، 94.

(3)ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 183/4، وأبو حيان، البحر المحيط، 342/3، وابن الجزري، النشر، 251/2، والثعالبي، الجواهر الحسان، 377/1.

(4)ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 342/3، والكلبي، التسهيل، 205/1، والنسفي، مدارك التنزيل، 274/1.

(5)ينظر، البغوي، معالم التنزيل،466/1، وابن عطية، المحرر الوجيز، 183/4، وأبو حيان، البحر المحيط، 342/3.

(6)ينظر، الرازي، مفاتيح الغيب، 3/11، والقرطبي، الجامع، 337/5.

(7)ينظر، القرطبي، الجامع، 337/5.

(8)ينظر، بازمول، القراءات وأثرها في التفسير والأحكام، 518/2.

(9)ينظر، المرجع السابق، 518/2.

(10)ينظر، الواحدي، أسباب النزول، ص146، 147، والقرطبي، الجامع، 337/5.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وقد جاء عن النبي ﷺ أنه قال: "ألا إن التبين من الله والعجلة من الشيطان فتبينوا"[1]. فالمراد من التبين -هنا- التثبت.

ويذكر لسبب نزول هذه الآية عدة روايات، أشهرها: إن سرية من سرايا الرسول لقيت رجلا له غنيمة، فحمل عليه أحدهم فقتله[2].

وفي معنى النداء وجوب التبين في الأحكام الشرعية، وعدم التسرع في أمر القتل لخطورته، وأنه يكتفى في الحكم على الشخص بالإسلام، وذلك بنطقه بالشهادتين دون استبطان عما في القلب، لأن ذلك متروك لله سبحانه وتعالى[3]. فالحكم عام، ولكنه خص السفر بالذكر، لأن الحادثة التي نزلت فيها الآية وقعت في السفر. والمقصود المبالغة في تحريم قتل الأنفس البريئة، وأمر المجاهدين بالتبين والتثبت فيه حتى لا تزهق الأرواح هدرا، أو تسفك دما حراما بتأويل ضعيف[4]. ويكون فحص الأمر وكشفه واجبا في من التبس أمره، و لم يعلم يقينا أنه عدو لله.

ونظير هذه الجملة ورد في قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾[5].

كان اختلاف القراء -أيضا- في لفظ "فتبينوا" على ما مر بنا في الآية السابقة.

الخطاب بـ "يا أيها الذين آمنوا" للرسول وللمؤمنين معه، ويظل الخطاب للمؤمنين عامة في كل زمان ومكان.

وقد ذكر أغلب المفسرين أن هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط حين بعثه رسول الله ﷺ إلى بني المصطلق ليأتي بصدقاهم، إلاّ أنه عاد دونها بحجة أن القوم منعوه وأرادوا قتله[6].

ومضمون النداء جملة شرطية جواها أمر على سبيل الوجوب. وقد جيء بـ "أن" التي "تدل على الشرط المشكوك في وقوعه"[7]. وذلك لأن أصحاب رسول الله ﷺ لهم منزلة لا يحق لأحد أن يخبر عنهم بكذب، وما وقع من الوليد يعد من الندرة. والدلالة الزمنية لفعل الشرط استقبال، لأنه يشترط فيه ألا يكون ماضي المعنى[8].

وتنكير كلمة "فاسق"، و"نبأ" في سياق الشرط يدل على العموم في الفساق بأي فسق اتصفوا.

---

(1)ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، ومحمود الطناحي، دار الفكر، بيروت، (د.ت)، 175/1.

(2)ينظر، الواحدي، أسباب النزول، ص146، 147، والرازي، مفاتيح الغيب، 3/1، والخازن، لباب التأويل، 413/1، والقرطبي، الجامع، 336/5، والثعالبي، الجواهر الحسان، 377/1.

(3)ينظر، ابن العربي، أحكام القرآن، 481/1، ووهبة الزحيلي، التفسير المنير، 217/5.

(4)ينظر، الطبري، جامع البيان، 223/5، والقيسي، الكشف، 394/1، والرازي، مفاتيح الغيب، 3/11.

(5)الحجرات، 6.

(6)ينظر، الطبري، جامع البيان، 383/11، والواحدي، أسباب النزول، ص322، والزمخشري، الكشاف، 560/3، وأبو حيان، البحر المحيط، 109/8.

(7)الأهدل، الكواكب الدرية على متممة الأجرومية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط5، 1995، 500/2، وينظر، الزمخشري، الكشاف، 560/3، وأبو حيان، البحر المحيط، 109/8.

(8)ينظر، العكبري، اللباب، 52/2، وابن هشام، شرح شذور الذهب، ص 439.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ومعنى التركيب: إنْ يأتكم أي فاسق بأي نبأ فتأملوه وتفحصوه لتعرفوا حقيقته.

وهذه الآية ترد على من يرى أن المسلمين كلهم عدول حتى تثبت حقيقة الخبر، لأن الله تعالى أمر المؤمنين بالتبين في حقائق الأمور قبل القبول[1]. فلا يعتمد على شهادة مجهول الحال، ولا يبنى عليه حكم، إلا بعد التبين والتثبت معا[2]. فلا يجوز ترك أي واحد منهما[3]. وذلك للاحتياط، فلا يحكم بقول قد يكون صاحبه كاذبا أو مخطئاً، فالأمر بتبين الخبر واجب في القضاء، فلا يتبع الحاكم أو القاضي القيل والقال، ولا ينساق وراء الشكوك والأوهام.

ويماثل هذه الصورة -أيضا- قوله: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾[4].

مضمون النداء جملة شرطية "إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا...".

قال الأنباري: إن المرافق والكعبين داخلة في الغسل، لأن "إلى" بمعنى "مع"، أي: مع المرافق ومع الكعبين[5].

اختلف القراء في اللام من قوله: "وأرجلكم". فقرأ نافع، والكسائي، وابن عامر، وحفص عن عاصم، وأبو جعفر، ويعقوب -بالنصب- عطفا على "وجوهكم وأيديكم". وهذه القراءة متواترة[6].

وكل من قرأ بالنصب جعل العامل "فاغسلوا"، وبنى على الفرض في الرجلين الغسل بالماء دون المسح، وهذا هو مذهب الجمهور، وعليه فعل النبي ﷺ، وهو اللازم من قوله، وقد رأى قوما يتوضؤون وأعقابهم لم يمسسها الماء، فنادى بأعلى صوته: "ويل للأعقاب من النار"[7].

وتكون جملة "وامسحوا برؤوسكم" اعترضت بين المتعاطفين. وكأن فائدة الاعتراض الإشارة إلى ترتيب أعضاء الوضوء. ومن هنا أخذ العلماء بوجوب الترتيب حسبما ورد في الآية الكريمة. أما الباء "هنا" فتفيد معنى الإلصاق، أي لتعليق أحد المعنيين بالآخر حقيقة، والمعنى: اجعلوا المسح ملاحقا برؤوسكم[8].

---

(1)ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 493/13.

(2)ينظر، الزمخشري، الكشاف، 560/3، وأبو حيان، البحر المحيط، 109/8.

(3)ينظر، حسن ضياء الدين عتر، الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط1، 1988، ص206.

(4)المائدة، 6.

(5)ينظر، مسائل الخلاف، 248/1.

(6)ينظر، الداني، التيسير، ص82، وابن عطية، المحرر الوجيز، 369/4، والأنباري، مسائل الخلاف، 125/2، وابن الجزري، النشر، 254/2.

(7)أخرجه مسلم في صحيحه، 213/1، (كتاب الطهارة)، وابن ماجة، السنن، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1975، 154/1، (كتاب الطهارة وسننها).

(8)ينظر، الزركشي، البرهان، 253/4، والكفوي، الكليات، ص228.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وقرأ أبو عمرو، وابن كثير، وحمزة، وأبو بكر عن عاصم، وخلف(وأرجلِكـــم) بـــالخفض[1]عطفـــا على"برؤوسكم". ومعنى "إذا قمتم إلى الصلاة" إذا عزمتم عليها، لأن القيام يطلق في لغة العرب بمعنى العـــزم على الفعل. قال النابغة الذبياني:

نُبِّئْتُ حِصْناً وحَيًّا مِن بَنِي أَسَد فَقَامُوا، فَقَالُوا:حِمَانَا غَيْرُ مَقْرُوب[2]

أي: عزموا أمرهم فقالوا. ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾[3]. أي: لما عزم.

وفي معنى"قمتم"-في الآية-عمدتم بقرينة تعدية الفعل بـــ"إلى"، أي: إذا عمدتم إلى الصلاة[4].

أما مضمون النداء فظاهر جملة الشرط الأمر بالوضوء عند كل صلاة، لأن الأمر بغسل ما أمر بغســله شرط بـــ"إذا قمتم"، فوجب غسل الأعضاء المذكورة عند القيام لكل صلاة، إلا أن جمهور العلماء حملوا الآيـة على معنى: إذا قمتم إلى الصلاة إن كنتم محدثين أو جنبا فاغسلوا[5]. فحذفت أداة الشرط، وفعــل الشــرط في هذه الجملة لاقتضاء المعنى.

واختلف في أن المرافق والكعبين مغسولة أو متروكة؟. والظاهر أنها تغســل بدلالــة "إلى" في قولــه: "فاغسلوا ...إلى المرافق...إلى الكعبين"، لأنها تدل على الغاية، فهي بمعنى "حتى". والأصل في الغاية في الحد أنه داخل في المحدود[6].

فيكون حكم الأرجل هو المسح، لأنها معطوفة على "رؤوسكم" لفظا ومعنى. ويحتمل أنها معطوفة لفظا لا معنى، فيكون حكم الأرجل الغسل على الجوار، إذ العرب تخفض الكلمة لمجاورتها للمخفوض. ولو اعتبرنـا هذه القراءة تدخل في هذا الباب لرجع معنى هذه القراءة إلى القراءة بالنصب، فلا تفيد القراءة عندها إلا حكما واحدا، وهو غسل الرجلين، فتكون قراءة النصب موضحة لقراءة الخفض[7].

وقرأ الحسن: "وأَرْجُلُكُمْ" بالرفع[8]. وذلك على الابتداء، والخبر محذوف، والتقدير: وأرجلكم مغسولة أو نحو ذلك[9]. فيكون حكم الأرجل الغسل. ويتفق معنى هذه القراءة بالقراءة المتواترة بالنصب.

---

(1)ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز،369/4، والأنباري، مسائل الخلاف، 125/2، والقرطبي، الجامع، 91/6، وأبو حيـــان، البحــر المحيـــط، 452/3.

(2)الديوان، ص 14.

(3)الجن، 19.

(4)ينظر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، 128/6.

(7)ينظر، الماوردي، النكت والعيون، 18/2، وابن عطية، المحرر الوجيز، 364/4، والطبرسي، مجمع البيـــان، 213/3، وعبـــد الفتـــاح أحمد الحموز، التأويل النحوي في القرآن الكريم، 630/1.

(6)ينظر، سيبويه، الكتاب، 231/4.

(7)ينظر، بازمول، القراءات وأثرها في تفسير الأحكام، 523/2، 524.

(8)ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 370/4، والقرطبي، الجامع، 91/6.

(9)ينظر، ابن جني، المحتسب، 208/1، والبيضاوي، أنوار التنزيل، 142/6.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ومما يماثل هذه الصورة قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ﴾[1].

تتكون بنية الجملة الشرطية (مضمون النداء) من: أداة شرط "إذا"، وفعل شرط "لقيتم" مسند إلى ضمير المخاطبين، متعد إلى مفعول به "الذين"، وحال "زحفا"، تبين حالة جيش الكفر، وهم كثيرو العدد. وجواب شرط جملة نهي "فلا تولوهم الأدبار". الفعل فيها "ولّى"متعد إلى مفعولين بسبب التضعيف، وهما: ضمير الغائبين المتصل بالفعل "هم" العائد على "الذين كفروا"، و"الأدبار".

وجملة النهي: "ولا تولوهم الأدبار" إشارة وكناية عن الفرار من العدو يوم الزحف.

وهذه الآية نزلت بعد وقعت بدر[2].وقد نهى الله المؤمنين عن التقهقر إذا لاقوا العدو، لتوقع حدوث غزوات قد يكون فيها جيش المسلمين قليلا، كما كان الحال في غزوة بدر التي نصر الله فيها المؤمنين رغم قلة العدد والعدة.

ومعنى التركيب: يا أيها المؤمنون إذا لقيتم جمعا كثيرا من الكافرين وأنتم قليلو العدد، وقد دنوا منكم للقتال، فلا تتراجعوا منهزمين، ومن يتراجع فقد استوجب غضب الله[3].

فالنصوص الشرعية تدل على حرمة الفرار حين الزحف، إلا إذا كان لخدعة أو للانضمام إلى صفوف جيش المسلمين[4]، ليتسنى لهم قتال الكافرين والتمكن منهم.

ونظير هذه الجملة قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا﴾[5].

عرف المنادى بالموصولية لما تؤذن به صلة الموصول من الاستعداد لامتثال أمر الله تعالى الذي ورد في الجملة الشرطية (جواب النداء)، وذلك في جواب الشرط في قوله: "فاثبتوا". وفعل الشرط المسند إلى ضمير المخاطبين–الدال على المؤمنين–تعدى إلى مفعول به "فئة"،وهو موصوف، وحذفت الصفة المقدرة بـ"كافرة"، لأن المؤمنين ما كانوا يلقون إلا الكفار. واللقاء–هنا–يدل على القتال والمنازلة.

ومعنى الجملة: إذا حاربتم -أيها المؤمنون–جماعة من الكفار فلا تفروا أمامهم، والزموا الثبات في أماكن الحرب مستظهرين بذكر الله مستنصرين به داعين النصر على عدوكم. يقول ابن عطية: "هذا أمر فيه داعية إلى النصر وسبب العز، وهي وصية من الله متوجهة بسبب التقييد الذي في آية الضعف".[6]

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1)الأنفال، 15.

(2)ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 469/4، وابن عاشور، التحرير والتنوير، 286/9، ومحمد علي الصابوني، تفسير آيات الأحكام من القرآن، دار القلم العربي، حلب، سورية، (د.ت)، 427/1.

(3)ينظر، السمرقندي، بحر العلوم، 10/2، والخازن، لباب التأويل، 299/2.

(4)ينظر، الصابوني، تفسير آيات الأحكام من القرآن، 427/1، وابن عاشور، التحرير والتنوير، 289/9.

(5)الأنفال، 45.

(6) المحرر الوجيز، 327/6. وآية الضعف إشارة إلى قوله تعالى: "الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا". الأنفال، 66.

وورد في معنى الآية عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: "لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاثبتوا".[1]

في هذه الجملة بيان أسباب النصر وعوامله، ووجوب الأخذ بها في كل وقعة عند احتدام القتال بأن يصمدوا في وجه العدو.

ومن هذه الصورة -كذلك- قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾.[2]

النداء خطاب للمومنين. ومضمون النداء جملة شرطية "إذا نودي...". فعل الشرط فيها مبني للمجهول "نودي". والنداء للصلاة هو الآذان لها. و"للصلاة" يعني بذلك الجمعة دون غيرها، لأن النداء الذي يختص بذلك اليوم هو نداء تلك الصلاة.

وأداة الجر "من" في قوله : "من يوم الجمعة" للتبعيض؛ فإن يوم الجمعة زمان تقع فيه أعمال كالصلاة، أو ظرفية بمعنى "في". ويجوز أن تكون لبيان "إذا" الشرطية. ودل على التخصص إضافة "يوم" إلى "الجمعة".

وجواب الشرط "فاسعوا"، وهو فعل أمر ارتبط بالفاء وجوبا لتغاير الجملتين. وقد تعدى بـ"إلى"، ثم أضيف المجرور"ذكر" إلى اسم الجلالة "الله". والمراد بـ "ذكر الله " الخطبة والصلاة.

والمأمورون بالسعي هم المؤمنون. ومعنى "فاسعوا" على قراءة الجمهور: أن يكون في المشي خفة وسرعة دون عدو[3]. أما قراءة عبد الله وبعض الصحابة: "فامضوا" أي: امشوا دون سرعة[4]. فتحمل على التفسير من حيث لا يراد بالسعي -هنا- الإسراع، ففسروه بالمضي، ولا يكون قرآنا لمخالفته ما أجمع عليه المسلمون[5].

ويبدو غموض المعنى في قراءة الجمهور لمخالفته ما جاء عن أبي هريرة، قال رسول الله ﷺ: "إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون، وأتوها تمشون، وعليكم السكينة، فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتموا"[6].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) أخرجه الدارمي في السنن، دار الفكر، القاهرة، 1978، 216/2، (كتاب الجهاد).

(2) الجمعة، 9.

(3)ينظر، الزمخشري، الكشاف،105/4، وابن عطية، المحرر الوجيز، 447/14، والرازي، مفاتيح الغيب،8/30، وأبو حيان، البحر المحيط، 264/8.

(4)ينظر، الفراء، معاني القرآن، 156/3، والطبري، جامع البيان، 95،94/28، وابن جني، المحتسب، 322/2.

(5)ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 265/8.

(6)أخرجه البخاري في الصحيح، 195/1، (كتاب الأذان) ، ومسلم في الصحيح، 101،100/5، (كتاب المساجد ومواضع الصلاة).

ووضحت القراءة الشاذة المقصود من السعي في القراءة المتواترة، وأنه السعي القلبي، لا المشي السريع، بمعنى: انشغلوا بها واقبلوا عليها فلا تفوتكم. فبينت أن (السعي) يقصد به (المضي)، لأن(المضي)ليس مدلول السرعة[1].

وحضور الجمعة واجب عند الجمهور لقول رسول الله ﷺ: "الجمعة حق واجب على كل مسلم في جماعة إلا أربعة، عبد مملوك، أو امرأة أو صبي أو مريض"[2].

ووجوب السعي إلى الجمعة أو الإقبال إلى الصلاة يكون في الظاهر-كما يدل عليه التركيب-عند الآذان. والمراد به الآذان الثاني الذي كان يفعل بين يدي رسول الله إذا خرج فجلس على المنبر، فإنه كان عندئذ يؤذن بين يديه للصلاة[3].

وكذلك الأمر بترك البيع يكون واجبا إذا أذن المؤذن للصلاة[4]. فيقتضي تحريم التجارة في ذلك الوقت إلى حين الفراغ من صلاة الجمعة. والأمر بترك البيع يقتضي ترك الشراء، وهذا بدلالة المقام. ففي الجملة حذف المعطوف، والتقدير: وذروا البيع والشراء. وحذف لوضوحه وسهولة تقديره. ويقاس على ترك البيع والشراء كل ما يشغل عن المشاركة في صلاة الجمعة.

ومما يماثل هذه الصورة-أيضا- قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَ﴾[5].

المنادى "النبي"، وخوطب بهذا اللفظ لتكريمه وتعظيمه. وجملة فعل الشرط"إذا طلقتم..." خطاب له ﷺ مخاطبة الجمع للتعظيم، أو لأمته بقصد تلوين الخطاب، وذلك بإضمار القول، أي: يا أيها النبي قل لأمتك... أو له ولأمته بحذف تقديره: يا أيها النبي وأمة النبي إذا طلقتم... فالخطاب للرسول وللمؤمنين[6]، أو أنه خطاب خص به النبي وعم المؤمنين، لأن النبي إمام أمته وقدوتهم[7].

قرأ الجمهور: "إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن". وقرأ ابن عباس : "فطلقوهن في قُبُل عدتهن". وقرأ ابن عمرو ومجاهد: "فطلقوهن لقبل عدتهن". وهي قراءة عثمان وجابر بن عبد الله وأُبي بن كعب وجعفر بن محمد[8].

جاءت اللام في القراءة المتواترة: "لعدتهن" بمعنى (في)، أي : في عدتهن، وهو الزمان الذي يصلح لعدتهن.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1)ينظر، ابن منظور، لسان العرب،385/14،(سعا).

(2)أخرجه البيهقي، السنن الكبرى،دار المعرفة، بيروت،1992، 172/3.

(3)ينظر، ابن العربي، أحكام القرآن، 1803/4، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 12/7.

(4)ينظر، الفراء، معاني القرآن، 157/3، وابن العربي، أحكام القرآن، 1805/4، وابن الجوزي، زاد المسير، 262/8.

(5)الطلاق، 1.

(6)ينظر، القرطبي، الجامع، 148/18،والخازن، لباب التأويل، 305/4.

(7)ينظر، الزمخشري، الكشاف، 117/4.

(8)ينظر، ابن جني، المحتسب، 323/2، والسيوطي، الدر المنثور، 191/8.

وقال بعض العلماء: إن معنى اللام في الأصل هو الاختصاص، وهو معنى لا يفارقها[1]. ولا يصلح في المعنى-هنا- أن تكون اللام بمعنى (في)، لأن الطلاق لا يكون في نفس العدة، فاللام في معنى التوقيت [2]. أي: فطلقوهن في وقت عدتهن.

أما القراءتان الشاذتان: "في قبل عدتهن"، و"لقبل عدتهن"، أي: الوقت الذي تستقبل فيه العدة، أو الزمان الذي يصلح لعدتهن[3]. فيفسر هذا في حديث ابن عمر: "... فطلقوهن في قبل عدتهن"[4].

وعلى هذا إذا طلقت المرأة في طهرها، فقد طلقت في قبل عدتها، بخلاف إذا طلقت وهي حائض، فإنها لا تعتد بتلك الحيضة، وينتظر انقضاء الطهر الذي يليها، ثم تشرع في العدة.

وحمل هاتين القراءتين ابن حزم على أنهما مما نسخت تلاوته حيث أورد حديث ابن عمر في قراءة النبيﷺ: "يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن في قبل عدتهن". ثم قال: "وهذا مما قرئ ثم رفعت لفظة: "في قبل" وأنزل الله تعالى: "لعدتهن""[5].

وحملها أبو حيان على أنها قراءة تفسيرية، فقال: "وما روي عن جماعة من الصحابة والتابعين ﷺ من أنهم قرأوا "فطلقوهن في قبل عدتهن"، وعن بعضهم "لقبل عدتهن"، وعن عبد الله "لقبل طهرهن" هو على سبيل التفسير، لا على أنه قرآن لخلافه سواد المصحف الذي أجمع عليه المسلمون شرقا وغربا"[6].

والخطاب في "طلقتم" و "فطلقوهن" و"أحصوا" للأزواج. وفي جملة الأمر المعطوفة "وأحصوا" للأزواج والزوجات معا، لأن الزوجات داخلة بالإلحاق بالزوج؛ فالزوج يحصي ليراجع، وليلحق نسبه، أو يقطع الرابطة الزوجية، وهي كلها مشتركة بينه وبين امرأته[7]. فالله تعالى أمر بإحصاء العدة "لما يبنى عليها من الأحكام في الرجعة والسكنى والميراث وغير ذلك"[8].

ومعنى التركيب: يا أيها الرسول والمؤمنون به إذا أردتم تطليق زوجاتكم، فطلقوهن مستقبلات لعدتهن أو قبل وقت عدتهن. والمراد الأمر بالطلاق في طهر لم يقع فيه جماع. والنهي عن إيقاعه في الحيض، كما وردت السنة الصريحة بذلك في حديث ابن عمر المذكور آنفا.

فالتركيب اشتمل على حكم الطلاق السني الذي تستقبل به العدة، وحكم العدة و إحصائها.

(1)ينظر، ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، 630/5، 631.

(2)ينظر، المصدر السابق، 615/5، وأبو حيان، البحر المحيط، 277/8، والألوسي، روح المعاني، 129/28.

(3)ينظر، القرطبي، الجامع، 153/18.

(4)أخرجه مسلم في صحيحه، 59/10، (كتاب الطلاق)، والنسائي في سننه، 102/6، (كتاب الطلاق).

(5)المحلى بالآثار، 381/9.

(6)البحر المحيط، 287/8.

(7)ينظر، ابن العربي، أحكام القرآن، 1827/4، والألوسي، روح المعاني،128/28.

(8)ينظر، الخازن، لباب التأويل، 306/4، والكلبي، التسهيل،455/2.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وترد بقية هذه الصورة فيما يأتي:

آل عمران، (149)، المائدة، (54)، الأنفال، (29)، التوبة،(23،38)، الأحزاب، (49)، محمد، (7)، المجادلة، (9،11،12)، الممتحنة، (10،12)، الجمعة، (6).

النمط الثاني: مضمون النداء+ أداة نداء(محذوفة)+منادى(مركب وصفي وبياني).

ورد هذا النمط في ثلاث جمل، تتقاسمها ثلاث صور:

الصورة الأولى: مضمون النداء(جملة أمر)+أداة نداء(محذوفة)+ منادى+ جملة تعليلية.

وردت في قوله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(1).

أداة النداء محذوفة في البنية السطحية للجملة، وتقدر بالأداة "يا"، حيث لا يقدر غيرها من أدوات النداء(2). ويفصح عنها المنادى"أي" لتضمنه معنى الخطاب. و"ها" زائدة للتنبيه. سقطت ألفها لالتقاء الساكنين.

واختلف القراء في لفظ "أيه"، فقرأ الجمهور بفتح الهاء دون ألف في الوصل. وقرأ ابن عامر بضم الهاء اتباعا لحركة "أيُ"، وهي لغة لبني مالك رهط شقيق بن سلمة. ووقف عليها أبو عمرو والكسائي بالألف في آخرها. ووقف الباقون عليها بسكون الهاء على اعتبار ما رسمت به في المصاحف(3).

ويرجح الوقف بالألف، لأن علة حذفها في الوصل، إنما هي سكونها وسكون اللام، فإذا كان الوقف ذهبت العلة وثبتت الألف(4).

وورد مضمون النداء جملة أمرية: "وتوبوا إلى الله جميعا". وهي معللة بجملة ترج: "لعلكم تفلحون"، أي: لتفلحوا.

ويلحظ توسط جملة المنادى بين جملة الأمر والجملة التعليلية. وأصل التركيب: أيها المؤمنون توبوا إلى الله جميعا لعلكم تفلحون.

وقدمت جملة الأمر"وتوبوا إلى الله جميعا" على جملة المنادى للاهتمام. والتوبة مأمور بها كل المؤمنين والمؤمنات بدلالة الحال في لفظ "جميعا". أما ورود الخطاب بضمير التذكير فعلى أساس التغليب.

وهذه الجملة معطوفة على جملة: "قل للمؤمنين ... وقل للمؤمنات..."-في هذه الآية وسابقتها- وذلك على طريق الالتفات من خطاب النبي ﷺ إلى خطاب الأمة الإسلامية للتذكير بوجوب التوبة المقررة عليهم.

(1)النور، 31.

(2)ينظر، ابن هشام، مغني اللبيب،598/1.

(3)ينظر، القيسي، الكشف، 137/2، والداني، التيسير، ص 131، وابن عطية، المحرر الوجيز، 495/10، وأبو حيان، البحر المحيط، 446/6، وابن الجزري، النشر، 142/2.

(4)ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 495/10.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والمعنى: توبوا إلى الله مما كنتم تفعلونه، أو مما وقع لكم من النظر الممنوع، لعلكم تسعدون في الدارين. أي: راجعوا طاعته فيما أمركم به ونهاكم عنه من غض البصر وحفظ الفرج والالتزام بالعفة والتنزه عن الإثم صغيره وكبيره. يقول رسول الله ﷺ : "يا أيها الناس توبوا إلى الله، فإني أتوب في اليوم إليه مائة مرة"[1].

فأمروا بالتوبة، ليراجعوا أنفسهم على ما يفلت منهم من ذلك اللمم المؤدي إلى ما هو أعظم،وذلك على سبيل الإرشاد.

الصورة الثانية: مضمون النداء (جملة خبرية)+ أداة نداء (محذوفة)+ منادى (مركب وصفي).

وردت في قوله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾[2].

تقدم مضمون النداء: "سنفرغ لكم"-وهو جملة فعلية-على جملة المنادى "أيه الثقلان" للعناية.

والخطاب للإنس والجن بدلالة لفظ "الثقلان". والمعنى: ننظر في أموركم يوم القيامة، لا لأنه تعالى كان له شغل فيفرغ منه[3]. وفي هذا المعنى تهديد منه سبحانه، لأنه لا يشغله شأن عن شأن[4].

وجرى على هذا كلام العرب في أن المعنى سيقصد لحسابكم وجزائكم يوم القيامة. فهو استعارة تمثيلية، حيث شبه محاسبة الخلائق يوم القيامة بالتفرغ للأمر. والله جلت قدرته لا يشغله شيء عن شيء، وإنما ذلك على سبيل المثال، إذ شبه تعالى ذاته في المجازاة بحال من فرغ للأمر. فهو من قول أحدهم لمن يتهدده: سأفرغ لك، أي: سأتجرد للإيقاع والانتقام بك من كل ما شغلني عنه حتى لا يكون لي شغل سواه[5].إلا أن معنى "فرغ" تستعمل عند انقضاء الشغل الذي يشتغل به الإنسان؛ فلذلك كان المعنى في هذه الجملة يحتاج إلى تأويل، على أنه قيل: إن"فرغ" بمعنى: قصد واهتم[6]. واستُدل عليه بما أنشده ابن الأنباري بقول جرير:

الآنَ وَقَدْ فَرَغْتُ إِلَى نُمَيْرٍ   فَهَذَا حِينَ كُنتُ لَهُم عَذَابَا[7]

(1)أخرجه مسلم في صحيحه، 2076/4، (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار).

(2)الرحمن، 31.

(3)ينظر، الخازن، لباب التأويل، 228/4، وأبو حيان، البحر المحيط، 192/8، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 492/6.

(4)ينظر، الفراء، معاني القرآن، 116/3، والخازن، لباب التأويل، 228/4، والألوسي، روح المعاني، 111/27

(5)ينظر، النسفي، مدارك التنزيل، 631/2.

(6)ينظر، القيسي، الكشف، 302/2، وأبو حيان، البحر المحيط، 192/8.

(7)ينظر، ابن خالويه، الحجة، ص339، وأبو حيان، البحر المحيط، 192/8، والقرطبي، الجامع، 168/17، (لم أعثر على البيت في ديوان الشاعر).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وتدل قراءة أُبي: [1] "سَنَفْرُغُ إليكم" على أن الفعل "فرغ" بمعنى قصد، لأن الفعل "قصد" يتعدى بـ"إلى"، ولا يتعدى الفعل "فرغ" بـ"إلى" إذا كان بمعنى الفراغ من الشغل[2]. ولذلك فهو بمعنى: سنقصد أو سنهتم. وقرأ حمزة والكسائي: "سَيَفْرُغُ لكم" بالياء المفتوحة على الغيبة[3]. وهي لغة تهامة[4].

وفاعل "سنفرغ" مضمر تقديره "هو". والمقصود به الله تعالى، لأنه يعود على لفظ "ربك" من قوله: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[5].وحينئذ تكون الضمائر في الجمل قد جرت على نسق واحد، وهو الغيبة.

أما قراءة الجمهور: "سَنَفْرَغُ"بنون التعظيم المفتوحة، مضارع"فَرَغ" بفتح الراء[6]. فلغة تميم [7]. وذلك على الالتفات من الغيبة إلى التكلم والمسند إليه (الفاعل) مضمر تقديره: "نحن"، والمقصود به الله تعالى.

وهاتان القراءتان فصيحتان[8].والأفضل قراءة الجمهور، لأنها أدل على غضب الله ووعيده، ولأن أكثر القراء عليها[9]. يقول الطبري: "والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان معروفتان متقاربتا المعنى، فبأيهما قرأ القارئ فمصيب"[10].

ومعنى الجملة: ستتجرد أيها الثقلان لحسابكم وجزائكم يوم القيامة. وفي هذا المعنى دلالة التهديد؛ إذ لا مهرب ولا مناص من عقابه، فهو آت لا محالة.

الصورة الثالثة: مضمون النداء(جملة شرطية)+ أداة نداء(محذوفة)+ منادى.

وردت في قوله تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ﴾[11].

تقدر أداة النداء المحذوفة بـ"يا"، والظاهر من النداء بـ"يا أيها الناس" أنه خطاب للناس الذين يسمعون الخطاب تنبيها لهم بهذا النداء.

(1)هو أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية، أبو المنذر الأنصاري. عرض القرآن على النبي ﷺ . أخذ عنه القراءة ابن عباس، وأبو هريرة، وعبد الله بن السائب، وعبد الله بن عياش، توفي سنة 19هـ. ينظر، الذهبي، معرفة القراء الكبار، 28/1، وما بعدها.

(2)ينظر، القيسي، الكشف، 302/2، والزمخشري، الكشاف، 47/4، والألوسي، روح المعاني، 112/27.

(3)ينظر،أبو زرعة، حجة القراءات، ص692، والقيسي،الكشف،301/2، ومحمد بن عمر بازمول، القراءات وأثرها في التفسير والأحكام، 884/2.

(4)ينظر، القرطبي، الجامع، 169/17، والألوسي، روح المعاني، 111/27.

(5)الرحمن، 27.

(6)ينظر، أبو زرعة، حجة القراءات، ص692، والقيسي، الكشف، 301/2، وبازمول، القراءات وأثرها في التفسير والأحكام، 884/2.

(7)ينظر، القرطبي، الجامع، 169/17، والألوسي، روح المعاني، 111/27.

(8)ينظر، ابن خالويه، الحجة، ص339.

(9)القيسي، الكشف، 302/2.

(10)جامع البيان، 593/27.

(11)النساء، 133.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وقال الزمخشري: هذا"خطاب لمن كان يعادي رسول الله ﷺ من العرب"[1]. وقال الطبري: الخطاب للذين شفعوا في طعمة بن أبيرق وخاصم وخاصموا عنه في أمر خيانته في الدرع والدقيق[2]. وهذا التأويل بعيد الاحتمال، لأن الخطاب عام؛ يشمل المسلم والكافر والمنافق.

وقدم مضمون النداء: "إن يشأ يذهبكم" عن جملة المنادى: "يا أيها الناس" اهتماما بالجواب. وأصل الجملة: أيها الناس إن يشأ يذهبكم ويأت بآخرين.

ويتضح من مقابلة قوله: " أيها الناس" بقوله: "آخرين" أن المراد بناس آخرين غير كافرين. وهذا ما يدل عليه الوصف في كلمة "آخرين" بعد ذكر مقابل الموصوف.

وأجاز الزمخشري وابن عطية أن يكون المقصود بـ"آخرين"من نوع المخاطبين. قال الزمخشري معناه: "مكانكم أو خلقا آخرين غير الإنس"[3]. وقال ابن عطية: "وتحتمل ألفاظ الآية أن يكون وعيدا لجميع بني آدم، ويكون الآخرون من غير نوعهم"[4].وعقب على هذا الرأي أبو حيان، فقال: "وما جوزوه لا يجوز، لأن مدلول آخر في اللغة هو مدلول غير خاص بجنس ما تقدم، فلو قلت: جاء زيد وآخر معه، أو مررت بامرأة وأخرى معها... لم يكن آخر ولا أخرى مؤنثه ولا تثنيته ولا جمعه إلا من جنس ما يكون قبله، ولو قلت: اشتريت ثوبا وآخر، ويعني به غير ثوب، لم يجز، فعلى هذا تجويزهم أن يكون قوله: "بآخرين" من غير جنس ما تقدم، وهم الناس ليس بصحيح، وهذا هو الفرق بين غير وبين آخر"[5]. ذلك "لأن غير تقع للمغايرة في جنس أو وصف وآخر لا تقع إلا على المغايرة من الجنس"[6].

ومعنى الجملة: أيها الناس إن يرد الله هلاكهم وإيجاد قوم آخرين بدلا عنكم، فهو قادر على ذلك. ويظهر من هذا المعنى غضب الله وسخطه على المخاطبين. ونظير هذا المعنى ورد في قوله تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾[7].

وفي مضمون النداء تهديد.

النمط الثالث : أداة نداء (يا) +منادى (مركب إضافي) +مضمون نداء.

ورد هذا النمط في ثلاثين(30) جملة. يوزع على الصور الآتية:

الصورة الأولى: أداة نداء (يا)+منادى (مركب إضافي)+مضمون نداء (جملة أمر).

وردت هذه الصورة في خمس جمل، منها الجملة الآتية:

---

(1)الكشاف، 570/1.

(2)ينظر، جامع البيان، 318/5.

(3)الكشاف، 570/1.

(4)المحرر الوجيز، 254/4.

(5) البحر المحيط، 383/3.

(6)أبو حيان، النهر الماد، 516/1.

(7)إبراهيم، 19،20.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

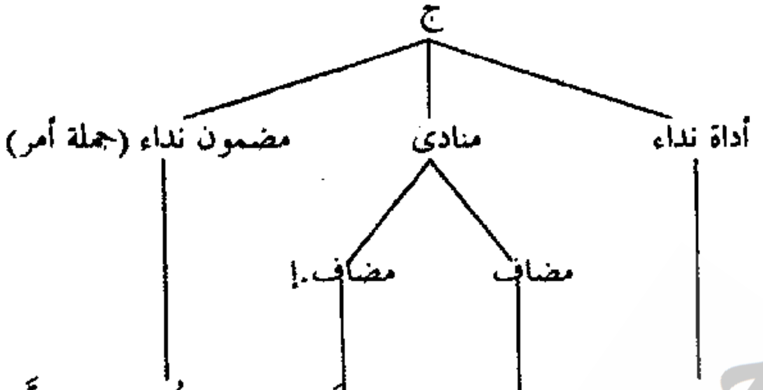

﴿يا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾[1].

المنادى المضاف "بني"، أضيف إلى لفظ "إسرائيل". والمنادى المضاف منصوب، وعلامة نصبه الياء، لأنه ملحق بجمع المذكر السالم. وحذفت منه النون للإضافة. ومضمون النداء جملة أمرية، تتألف بنيتها من فعل أمر "اذكروا"مسند إلى واو الجماعة ، ومفعول به مضاف "نعمتي" وصفة "التي..."

والغرض من نداء بني إسرائيل أن يذكروا نعم الله التي أنعمها على أسلافهم من ذرية يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، لأن النعمة على الأسلاف نعمة على الأنبياء؛ فهي شرف لهم وقدوة يقتدون بها لإصلاح حاضرهم، وهي كثيرة، وتذكرها يتطلب شكر الله، والإقرار بفضله، والإيمان بما جاء به خاتم النبيين.

وتكرر نداء بني إسرائيل في مثل هذه الصورة من قوله تعالى:﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[2].

يُعَدُّ هذا التكرير تكريرا جزئيا للتركيب السابق. وقد تماسك النصان في ضوئه تماسكا قويا، لأن التكرير من أدوات الربط والاتساق. ومن اللافت للانتباه أن علماء التفسير لم يكتفوا بتتبعه كأداة ترتبط بها أجزاء الخطاب بعضها ببعض بل اهتموا إضافة إلى ذلك بدلالته[3]. فعلق الرازي على هذا النص بقوله: "اعلم أنه تعالى إنما أعاد هذا الكلام مرة أخرى توكيدا للحجة عليهم، وتحذيرا من ترك اتباع محمد ﷺ "[4]. فقد أسهم هذا التكرير في تماسك بناء الخطاب، وأدى وظيفة أخرى هي توكيد الحجة على بني إسرائيل وتحذيرهم، وهي وظيفة غير موجودة في النص، ذلك أن ما يستفاد من هذا التركيب هو كونه تذكيرا لهم بنعم الله عليهم[5]. أما وظيفة التحذير فهي مستفادة من السياق.

ولكن ابن عاشور يرى وظيفة التكرير هنا مختلفة عما رآه الرازي، فيقول: "أعيد خطاب بني إسرائيل بطريق النداء مماثلا لما وقع في خطابهم الأول لقصد التكرير للاهتمام بهذا الخطاب وما يترتب عليه ... فلتكرير

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1)البقرة، 40.

(2)البقرة، 47، 122.

(3)ينظر، محمد خطابي، لسانيات النص، ص179.

(4)مفاتيح الغيب، 55/3.

(5)ينظر، محمد خطابي، لسانيات النص، ص179.

هنا نكتة جميع المخاطبين بعد تفريقهما ونكتة التعداد لما فيه إجمال معنى النعمة"[1]. إن في كلامه هذا تنصيصا على الوظيفة المزدوجة التي يقوم بها التكرير، و هي الربط بين عناصر الكلام أولا، و الثانية الوظيفة التداولية المعبر عنها هنا بالاهتمام بالخطاب، أي جذب انتباه المتلقين إلى أهمية الكلام. ويضاف إلى هذا أن افتتاح الخطاب على هذا النحو الإجمالي من ذكر النعم يمنح إمكانية تفصيلها[2].

ويفهم من قوله: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ أنه تعالى فضل بني إسرائيل في أشياء معينة كبعثة الرسل منهم، وإنزال الكتب، وإنزال المن والسلوى، وإنقاذهم من بلاء فرعون وأتباعه، وانفجار الماء من الحجر[3]. وغير ذلك من النعم. وهذه النعم ذكر بعضها في الآيات الموالية، وبعضها ورد في سور أخرى من القرآن. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾[4].

وتفضيلهم بهذه النعم لا يعني أنهم الأفضل مطلقا بل هو فضل في عهد إرسال الرسل إليهم. ويظل التفضيل الأبدي للمسلمين الذين قال الله فيهم: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[5]. وذلك لأن نعمة الإسلام لا تضاهيها أي نعمة.

وترد بقية هذه الصورة في آل عمران،(64)، والمائدة،(72).

الصورة الثانية: أداة نداء(يا)+ منادى(مركب إضافي)+ مضاف إليه(محذوف)+ مضمون النداء (جملة أمر).

وردت في موضعين، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا ...﴾[6].

أداة النداء "يا"، والمنادى "قوم" مضاف منصوب، وعلامة نصبه الفتحة المقدرة على ما قبل ياء المتكلم منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة، وهي ياء المتكلم التي حذفت اختصارا، وبقيت الكسرة دالة عليها. وهذه الياء تدل على المنادي "موسى" بقرينة اللفظ، وهو الآمر قومه.

(1)التحرير والتنوير، 482/1.

(2)ينظر، محمد خطابي لسانيات النص، ص179.

(3)ينظر، الطبري، جامع البيان، 287/1، وابن عطية، المحرر الوجيز، 267/1، وأبو حيان، البحر المحيط، 328/1.

(4)المائدة، 20.

(5)آل عمران، 110.

(6)المائدة، 20.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وقال المبرد: إذا أضفت المنادى إلى نفسك فالأجود حذف الياء[1]. وهذا الرأي يتفق وقراءة الجمهور. والترخص في قرينة البنية بحذف بعض حروفها شائع في تراكيب القرآن الكريم عند أمن اللبس[2]. وقد أمن اللبس هنا بقرينة المقام إذ أن الياء المحذوفة يدل عليها المنادي.

وورد المنادى "قوم" مضموم الميم في قراءة ابن محيصن، وكذا حيث وقع في القرآن[3]. وهذا الضم على معنى الإضافة، وهي إحدى اللغات الخمس الجائزة في المنادى المضاف لياء المتكلم[4].

وفي مضمون النداء جملة أمرية؛ فقد أمر بنو إسرائيل بذكر نعمة الله عليهم، إذ جعل فيهم أنبياء وملوكا وسادة... والغرض من التذكير تهيئة نفوسهم لقبول هذا الأمر، وطمأنتهم بالنصر إن هم قاتلوا أعداءهم الجبارين.

ووردت –كذلك- في قوله: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾[5].

أداة النداء "يا"، والمنادى "قوم" والمنادي "موسى" عليه السلام بقرينة السياق. وكرر النداء لقومه بني إسرائيل لزيادة استحضار أذهانهم بامتثال الأمر بالدخول إلى الأرض المقدسة، وهي المطهرة المباركة. واختلف العلماء في تعيينها، فقال ابن عباس: هي دمشق وفلسطين وبعض الأردن[6]. وتبعه ابن قتيبة[7]. وقال الطبري: ولا يختلف أنها بين الفرات وعريش مصر[8]. وقال بعضهم: هي بيت المقدس[9]. وقيل: إيليا، فقال ابن الجزري: قرأت على أبي منصور اللغوي، قال: إيليا بيت المقدس[10]. قال الفرزدق:

بَيْتَانِ: بَيْتُ اللهِ نَحْنُ وُلاتُهُ ... وَبَيْتٌ بِأَعْلَى إِيلْيَاءُ مُشَرَّفُ[11]

الظاهر ما قاله ابن عاشور –هنا- في أن المراد بالأرض المقدسة أرض فلسطين، وهي الواقعة بين البحر المتوسط، وبين نهر الأردن والبحر الميت، ووصفت بالمقدسة، لأنها قدست بدفن إبراهيم عليه السلام في أول قرية من قراها، وهي حبرون[12]. وفي وصف "الأرض المقدسة" بـ "التي كتب الله" حث لبني إسرائيل على الإقدام لدخولها ومجاهدة الأعداء.

---

(1) ينظر، المقتضب، 245/4.

(2) ينظر، تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ص224،225.

(3) ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 397/4، وابن الجوزي، زاد المسير، 323/2، وأبو حيان، البحر المحيط، 469/3.

(4) ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 469/3.

(5) المائدة، 21.

(6) تنوير المقباس، ص120.

(7) ينظر، غريب القرآن، ص142.

(8) ينظر، جامع البيان، 513/6.

(9) ينظر، النسفي، مدارك التنزيل، 315/1، والكلبي، التسهيل، 231/1.

(10) ينظر، زاد المسير، 323/2.

(11) الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، 1984، 32/2.

(12) ينظر، التحرير والتنوير، 162/6.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الصورة الثالثة: مضمون النداء (جملة أمر)+ أداة نداء(يا)+منادى(مركب إضافي).

وردت في ثلاث جمل. ومنها قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُونِ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[1].

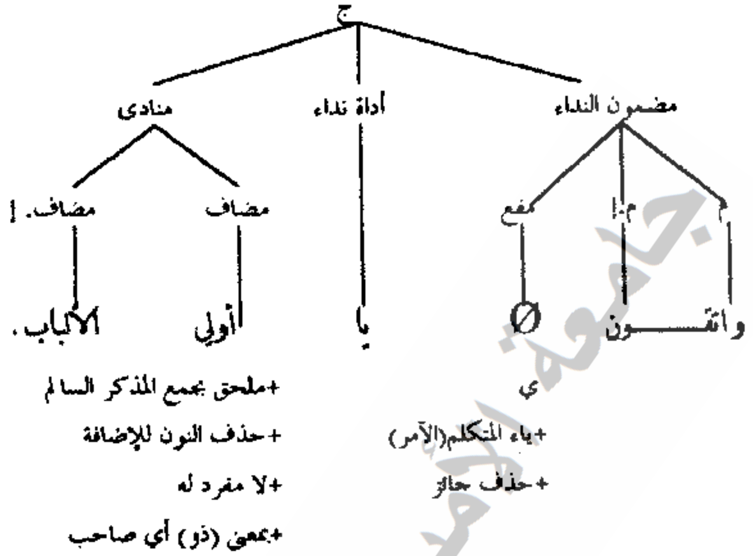

تقدم مضمون النداء وهو جملة أمر للاهتمام، وتتألف من فعل أمر "اتقوا" مسند إلى واو الجماعة وهو متعدٍ، ومفعوله محذوف جوازا، وهو ياء المتكلم الدال على الآمر (الله تعالى). وهذا الحذف يعد ترخيصا في البنية بحذف بعض حروفها[2]. والمنادى لفظ "أولي" مضاف إلى "الألباب". والياء علامة نصبه، لأنه ملحق بجمع المذكر السالم. والمراد بـ"أولي الألباب": أصحاب العقول، وخصهم المولى بالخطاب –وإن كان الأمر لكل متلق–لأنهم الذين قامت عليهم حجة الله، وهم قابلو أوامره، وناهضون بها، ولأنه لا يحذر العواقب إلا من كان ذا لب. والمعنى: اخشوا الله بالمحافظة على امتثال أوامره، والانتهاء عن نواهيه، واحذروا أن تعتدوا في ذلك.

ونظير هذه الصورة قوله تعالى: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَاأُولِي الْأَبْصَارِ﴾[3].

أمر تعالى أولي الأبصار –وهم أصحاب العقول–بالاعتبار. والاعتبار: هو "النظر في الأمور ليعرف بها شيء آخر من غير جنسها"[4]. أي: التدبر في دلالة الأشياء على لوازمها وعواقبها وعللها، وهو من العبرة، وهي الموعظة. والخطاب موجه إلى غير معين. ونودي أولي الأبصار إشارة إلى أن العبرة بحال بني النضير واضحة جلية لكل ذي بصر ممن شاهدوا مواقع ديارهم وهي مخربة، فتكون للمبصر عبرة، فيعلم أن الله له القدرة على إخراجهم وتسليط المؤمنين عليهم من غير قتال[5]. والمعنى: تدبروا ما نزل بهم وهو خروجهم من أوطانهم.

---

(1)البقرة، 197.

(2)ينظر، تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ص225.

(3)الحشر، 2.

(4)الواحدي، الوسيط، 270/4، وابن الجوزي، التبصرة، تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1993، 267/1.

(5)ينظر، الماوردي، النكت والعيون، 500/5، والبغوي، معالم التنزيل، 315/4، والكلبي، التسهيل، 426/2.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وتكررت هذه الصورة -أيضا- في قوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾[1].

في نداء المؤمنين بوصف "أولي الألباب" إشارة إلى أن العقول الراجحة تدعو إلى تقوى الله، لأنها كمال نفساني، ولأن بها يبتعد عن الشرور والضلال.

وقوله: "الذين آمنوا" بدل من "أولي الألباب". والإتيان بصلة الموصول "آمنوا" إشارة إلى أن الإيمان مدعاة للتقوى، وأن المخاطبين قد استقر الإيمان في قلوبهم. وما عليهم إلاّ أن يتقوا عذابه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

وورد هذا التركيب مذيلا بجملة تعليلية في قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2].

تدل الجملة التعليلية "لعلكم تفلحون" على تقريب حصول الفلاح لذوي العقول، إن اتقوا الله فميزوا الخبيث من الطيب، و لم يغتروا بكثرة الخبيث وقلة الطيب في أي مكان كان. وهذا المعنى يدل عليه سياق هذه الآية، والمراد: "تنبيه على لزوم الطيب في المعتقد والعمل"[3].

ومعنى التركيب: فاتقوا الله يا أهل العقول الراجحة، ولا تغتروا بكثرة المال الخبيث، ولا بكثرة أهل الباطل والفساد أو كثرة المال الحرام، فإن العاقل هو الذي يعي ويحذر. وتقوى الله تجعلكم في زمرة الطيبين، فيرجى لكم أن تكونوا من الفائزين بخير الدنيا والآخرة.

الصورة الرابعة: أداة نداء (يا)+منادى(مركب إضافي)+مضمون النداء (جملة نهي).

وردت في موضعين، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾[4].

الخطاب موجه إلى النصارى بقرينة المقام، وقد دل على ذلك اللفظ في آخر الآية، و خوطبوا بلفظ "يا أهل الكتاب" للتشنيع و التعريض بأنهم خالفوا أحكام الكتاب المنزل عليهم.

ومضمون النداء جملة نهي: "لا تغلوا في دينكم". فقد نهوا عن الغلو في الدين. والغلو من الفعل "غلا"، يقال:غلا في الأمر إذا جاوز الحد المعلوم[5]. فالغلو: الزيادة في عمل متعارف عليه شرعا أو عادة. وفعل الغلو مقيد بالجار والمجرور في قوله: "في دينكم". أي: في الدين الذي أنتم مطالبون به. فيكون الغلو في الدين-هنا-، هو إظهار المتدين ما يفوق الإطار المحدد شرعا.و"أهل الكتاب" من النصارى تجاوزوا الحد الذي شرعه لهم دينهم بأن أفرطوا في تعظيم المسيح حتى ادعو ألوهيته، أو ادعو أنه ابن الله، مع عدم الإيمان بما جاء به خاتم المرسلين.

(1)الطلاق، 10.

(2)المائدة، 100.

(3)ابن عطية، المحرر الوجيز، 60/5.

(4)النساء، 171.

(5)ينظر، ابن فارس، مجمل اللغة، 683/3، (غلو).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وأعقب هذا النهي بجملة نهي معطوفة: "ولا تقولوا على الله إلا الحق". وهو عطف خاص على عام. وجيء به للعناية بالنهي عن الكذب الشنيع على الله المتره عن الشريك والولد. ومعنى القول على الله -هنا- أن يقولوا شيئا زورا يزعمون أنه من عند الله، وما هو من عنده؛ فإن الدين الصحيح هو ما يأتي من عند الله، ويمتثل دون تحريف.

والمعنى: يا أهل الكتاب لا تتجاوزوا حدود شرع الله بالزيادة والنقص، ولا تعتقدوا إلاّ بالحق الثابت بنص نقلي أو برهان عقلي قاطع، وإياكم ما زعمتم من دعاوى باطلة كإيمانكم بالتثليث.

وتكرر نداؤهم-في مثل هذه الصورة-في قوله:﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ [1].

الخطاب-هنا- لعامة أهل الكتاب من اليهود والنصارى دون تخصيص بدليل لفظ "يا أهل الكتاب".

وقوله: "غير الحق" منصوب على النيابة عن مفعول مطلق للفعل في:"تغلوا". والتقدير: لا تغلوا غلوا غير الحق. وغير الحق هو الباطل. وعدل عن أن يقال باطلا إلى "غير الحق"، فهو أبلغ لما في وصف "غير الحق" من تشنيع أمر الموصوف. والمقصود أنه مخالف للحق المأمور به، فهو في زمرة المذمومين، لأن الحق محمود فاعله، وغيره مذموم. فالله تعالى نهى أهل الكتاب عن تجاوز الحد في اتباع الحق.

وقد أشار بجملة "لا تغلوا..." إلى غلو كل من اليهود والنصارى في الدين؛ فمن غلو اليهود تجاوزهم الحد في التمسك بشرع التوراة بعد عيسى ومحمد عليهما السلام، ومن غلو النصارى دعوى ألوهية عيسى وتكذيبهم محمدا ﷺ. ويدل هذا المعنى على حرمة الغلو والابتداع في الدين.

الصورة الخامسة: أداة نداء (يا)+منادى (مركب إضافي)+مضمون نداء (جملة شرطية).

وردت في موضعين، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ [2].

أداة النداء "يا"، والمنادى "نساءَ" مضاف إلى لفظ "النبي". وناداهن الله تعالى بوصف "نساء النبي"، ليعلمهن أن ما سيلقى إليهن حدير بالاهتمام. ومضمون النداء جملة شرطية "من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين". والأداة المستخدمة للشرط "مَن" الجازمة لفعلين مضارعين؛ الأول فعل الشرط "يأت"، والثاني جواب الشرط "يضاعف".

واختلف القراء في قوله: "يأت"، فقرأه الجمهور بالياء حملا على لفظ "من" الشرطية التي وضعت للدلالة على ما يعقل [3]. بمعنى: أي أحد، وأصلها عدم التأنيث.

---

(1) المائدة، 77.

(2) الأحزاب، 30.

(3) ينظر، ابن هشام، شرح شذور الذهب، ص 434.

وقرأ يعقوب، وعمرو بن قائد الأسواري، وزيد بن علي، والجحدري[1] : "تأتِ" بتاء التأنيث حملا على معنى "من" [2]. يقول ابن جني : "هذا حمل على المعنى، كأن "من" هنا امرأة في المعنى، فكأنه قال: أية امرأة أتت منكن بفاحشة أو تأت بفاحشة"[3].

واختلف القراء -كذلك- في قوله: "يُضَاعَفْ"، فقرأ الجمهور الفعل بياء الغيبة، وفتح العين، مبنيا للمجهول، ورفع "العذابُ" على أنه نائب فاعل. وقرأه ابن كثير، وابن عامر: "نُضعِّفْ" بنون العظمة وبتشديد العين مكسورة، ونصب "العذابَ" على المفعولية. وقرأه أبو عمرو ويعقوب : "يُضعَّفْ" بياء الغيبة وتشديد العين مفتوحة[4].

والقراء بـ"يُضَاعَفْ" من الفعل "ضَاعَفَ" المزيد بالألف. ومن قرأ: "نُضَعِّفْ" أو "يُضَعَّفْ"، فمن الفعل "ضَعَّفَ" المزيد بالتضعيف. والمضاعفة تدل على تكرير شيء ذي مقدار بمثل مقدار. ومعنى مضاعفة العذاب: أنه يكون ضعف عذاب أمهات المؤمنين أمثال تلك المعصية إذا صدرت من غيرهن، وهو ضعف في المدة والمقدار، وأريد عذاب الآخرة[5].

وعرف "العذاب"، تعريف العهد، بمعنى العذاب الذي جعل للفاحشة أو المعصية. ولا يتوهم أنها الزنا لعصمة أمهات المؤمنين من ذلك، ولأنه وصفها بالتبيين، والزنا مما يستتر به. وينبغي أن يحمل لفظ "فاحشة" -هنا- على العقوق وفساد العشيرة. ولما كان مكانهن مهبط الوحي لزمهن بسبب ذلك، ولكونهن تحت الرسول أكثر مما يلزم غيرهن، فضوعف لهن العذاب[6]. يقول الزمخشري: "إنما ضوعف عذابهن، لأن ما قبح من سائر النساء كان أقبح منهن، لأن زيارة قبح المعصية تتبع زيادة الفضل والمرتبة... وكون الجزاء عقابا يتبع كون الفعل قبحا، فمتى ازداد قبحا ازداد عقابه شدة"[7].

ومعنى الجملة: يا نساء النبي وأمهات المؤمنين من يرتكب منكن معصية كالنشوز وسوء الخلق يكن عقابها مضاعفا لشرف مكانتكن. وكان ضعف العذاب يسيرا على المولى الذي لا يحابي أحدا لأجل أحد.

وفي هذا المعنى تنبيه وتحذير من المخالفة والعصيان.

وكذلك قوله: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا﴾[8].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1)هو عاصم بن أبي الصباح العجاج البصري، أخذ القراءة عرضا عن سليمان بن قتة عن ابن عباس. وقرأ أيضا على نصر بن عاصم والحسن ويحي بن عمر. وقرأ عليه عيسى بن عمر الثقفي. مات سنة 128هـ ، ينظر، ابن الجزري، النشر، 146/1، وما بعدها.

(2)ينظر، ابن جني، المحتسب، 179/2، والقرطبي، الجامع، 176/14، وأبو حيان، البحر المحيط، 220/7.

(3)المحتسب، 179/2.

(4)ينظر، القرطبي، الجامع، 176/14، وأبو حيان، البحر المحيط، 220/7.

(5)ينظر، الواحدي، الوسيط، 468/3.

(6)ينظر، القرطبي، الجامع، 176/14، وأبو حيان، البحر المحيط، 220/7.

(7)الكشاف، 259/3.

(8)الرحمن، 33.

أداة النداء "يا"، والمنادى "معشر" مضاف إلى "الجن" و"الإنس" عن طريق العطف. والمعشر: اسم للجمع الكثير الذي يعد عشرة عشرة دون آحاد[1].

ومضمون النداء جملة شرطية، تتألف بنيتها من جملة شرط "استطعتم"، وهي ماضوية، تتصدرها "إنْ"، وجواب شرط"فا نفذوا"، وهي أمرية، ولذلك وجب ارتباطها بالفاء وجوبا لاختلاف الجملتين بين الخبر والطلب.

و اختلف في قراءة "إن استطعتم"، فقرأ زيد بن علي: "إن استطعتما" على التثنية مراعاة للفظ الجن والإنس. وقرأ الجمهور: "إن استطعتم"، على خطاب الجماعة، لأن كلا من الجن والإنس تحته أفراد كثيرة[2].

وهذا نظير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾[3].

ويحمل معنى الجملة دلالة التعجيز، أي: فهذه السماوات والأرض أمامكم فإن استطعتم الفرار من أي جهة منها فاخرجوا وخلصوا أنفسكم.

وفي معنى "فانفذوا" إشارة إلى طلب خلاصهم، ولا يتخلصون من العذاب إلا بسلطان من الله يجيرهم، وإلا فلا مجير لهم[4]. وهذا بيان للجن والإنس بأنهم في قبضة الله تعالى، ولا يقدرون على النفوذ والخلاص من حكمة الله إلا بقوة وغلبة، ولا قوة لهم على ذلك؛ فلا يمكنهم الفرار.

الصورة السادسة: أداة نداء(يا)+منادى(مركب إضافي)+ مضمون نداء(جملة خبرية).

وردت في تسع جمل، من ذلك قوله تعالى: ﴿يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ﴾[5].

تختلف هذه الصورة عن سابقاتها في أن المنادى مضاف إلى ياء المتكلم، وهي مدغمة في الياء بلفظ"بني". والمنادي (المتكلم) ظهر ما يدل عليه، وهو الضمير المضاف إلى المنادَى العائد على يعقوب أو إبراهيم عليهما السلام، أو إليهما معا في هذه الآية.

وورد مضمون النداء جملة خبرية مؤكدة بـ"إن"، لتأكيد المعنى للمخاطبين بأن الله اختار لهم الدين الكامل من بين الأديان، وأنه فضلهم به. وأراد به الإسلام، فلذلك اتبع الجملة الخبرية بجملة النهي في قوله: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾. أي: فلا تفارقوا الإسلام في جميع حياتكم.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1)ينظر، الرازي، مفاتيح الغيب، 99/29، وابن منظور، لسان العرب، 574/4، (عشر).

(2)ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 193/8.

(3)الحجرات، 9.

(4)ينظر، الرازي، مفاتيح الغيب، 100/29.

(5)البقرة، 132.

وكذلك قوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾[1].

الظاهر من البنية السطحية في قوله: "يا أهل الكتاب" أن الخطاب لليهود والنصارى، وقال الطبري: إن الخطاب لليهود خاصة، ويؤيد ما روى خالد الحذاء عن عكرمة، قال: أتى اليهود الرسول ﷺ يسألونه عن الرجم، واجتمعوا في بيت، فقال: أيكم أعلم؟ فأشاروا إلى ابن صوريا، فناشده بالذي أنزل التوراة على موسى، والذي رفع الطور، وناشده بالمواثيق التي أخذت عليهم، حتى أخذته رعدة من الخوف، فقال: لما كثر فينا جلدنا مائة، وحلقنا الرؤوس. فحكم عليهم بالرجم، فأنزل الله هذه الآية[2]. فقد بين الله تعالى كثيرا مما كانوا يخفون. قال ابن عباس: أخفوا صفة محمد ﷺ وأخفوا أمر الرجم، وعفا عن كثير مما أخفوه، فلم يفضحهم ببيانه[3]. وهذه عادة اليهود فقد أخفوا أمر الرسول ﷺ حسدا من عند أنفسهم، وبدلوا وحرفوا كتاب الله ﷻ.

وتكرر نداؤهم في مثل هذه الصورة في قوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾[4]. وذلك للتأكيد لهم بأن الرسول ﷺ -بوصف مجيئه على فترة من الرسل- جاء ليذكرهم بأن كتبهم مصرحة بمجيئه عقب رسلهم، وليبين لهم أن التبشير به من لدن رسلهم لم يكن بدعة ولا كذبا منهم، إذ كانوا يبعثون على فترة وانقطاع بينهم. وما مجيئه إلا ليعرفهم الحق، ويهديهم إلى دين الله المرتضى.

ومن هذه الصورة -أيضا- قوله: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾[5].

المنادي لم يظهر في البنية السطحية للجملة، وقد دل عليه المقام، إذ هو عيسى عليه السلام وقد نادى قومه "يا بني إسرائيل" دون " يا قوم"، لأن بني إسرائيل بعد موسى اشتهروا بهذا الاسم.

ومضمون النداء "إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة...". إخبار لهم بأنه رسول من عند الله كموسى، وقد جاءهم مصدقا على وجه الجملة بما ورد في التوراة وبكتب الله وأنبيائه جميعا.

1)المائدة، 15.

(2)ينظر، جامع البيان، 502/6.

(3)ينظر، تنوير المقباس، ص119.

(4)المائدة، 19.

(5)الصف، 6.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ويماثل هذه الصورة ما ورد من قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ﴾[1].

المنادى في الجملة"قوم" مضاف إلى"ياء" المتكلم. وهذه الياء محذوفة جوازا، تدل عليها الكسرة في آخر المضاف"قوم"، وهي تدل على المنادي موسى عليه السلام الذي نادى قومه بهذا اللفظ قصد استمالتهم إليه.

وهذا الخطاب هو محاورة موسى لقومه حين عاد من الميقات ووجدهم قد عبدوا العجل[2].

ويلحظ أن النداء بلفظ"يا قوم" جرى على لسان الأنبياء الذين اقتصرت رسالتهم على أقوامهم. أما الرسول محمد ﷺ فلم يجر على لسانه لفظ"يا قوم"، لأن رسالته للبشرية جمعاء.

أما مضمون النداء فورد جملة خبرية مؤكدة بـ"إن". ومفادها أن القوم ظلموا أنفسهم بعبادتهم العجل فاستحقوا عقاب الله تعالى.

وفي تعدية الفعل إلى المفعول به"أنفسكم" المضاف إلى ضمير المخاطبين دلالة على أن ظلم النفس أفحش أنواع الظلم، وأي ظلم أعظم من اتخاذ العجل إلها من غير الله؟!.والمراد من النداء التنبيه على الضلال.

ويلحق بهذه الصورة ما ورد في التركيب الآتي:

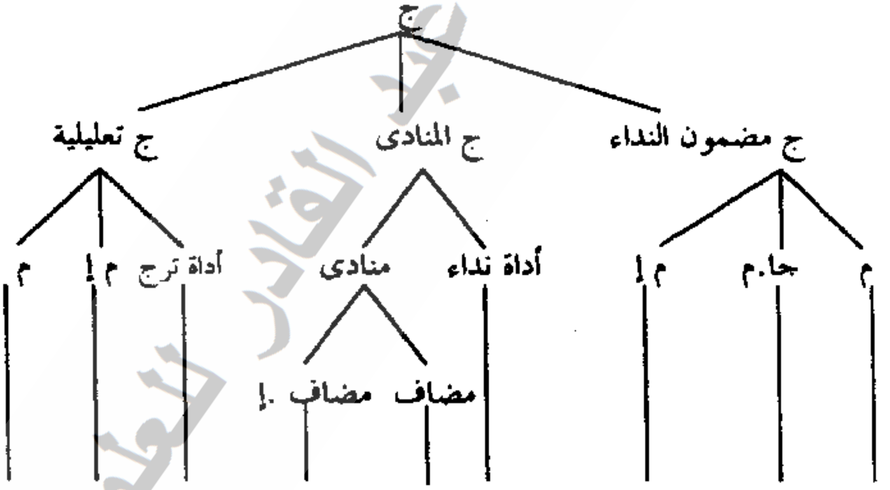

"وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ"[3].

المنادى"أولي الألباب" مضاف-مثل المنادى في الجمل السابقة من هذه الصورة- إلا أن رتبته تغيرت؛ فقد تقدم جزء من مضمون النداء الذي هو جملة خبرية، وتأخر الجزء الثاني المتمثل في الجملة التعليلية.وتقدم مضمون النداء عن جملة المنادى يكون للاهتمام، وهو جائز لغة[4].وفي نداء"أولي الألباب" تنبيه أصحاب العقول على التأمل في مشروعية القصاص، ولذلك عرف المنادى بالإضافة دلالة على أن المنادى يتصف بالعقل.

---

(1)البقرة، 54.

(2) ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 299/1،300.

(3) البقرة، 179.

(4)ينظر، الزركشي، البرهان، 323/2.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وحكمة القصاص لا يدركها إلا أصحاب العقول المبصرة الخالصة عن شوب الهوى، لأنهم هم الذين ينظرون في عواقب الأمور[1].

وفي جملة: "ولكم في القصاص حياة" إيجاز، كقول العرب الفصحاء:"القتل أنفى للقتل"، وهو من جوامع الكلم البديعة[2]. وقد دلت كلمة"القصاص" على إبطال التكايل بالدماء[3]. ذلك لأن الإنسان إذا علم أنه إذا قَتَلَ، قُتِلَ أحجم عن القتل، فكان ذلك بمثابة الحياة له، فالقصاص سبب لحياة حاصلة بالارتداع عن القتل[4]. ولو ترك لأخذ الناس بالثأر، فكان من حكمة الله أن شرعه.

وفي جملة الترجي التي تفيد التعليل:"لعلكم تتقون" بيان للتقوى المراد بها عدم التجاوز في القتل محافظة على الأرواح، واستدامة للحياة، فيكون ذلك سببا للتقوى.

ووردت بقية هذه الصورة في المواضع الآتية: المائدة،(68)، والأحزاب،(13،32).

الصورة السابعة: أداة نداء (يا)+ منادى (مركب إضافي)+ مضمون نداء (جملة استفهامية)+ جملة حالية.

وردت هذه الصورة في سبع جمل. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾[5].

الخطاب لأهل الكتاب الذين يجحدون بما في كتاب الله الذي أنزله إليهم على ألسن رسلهم من أدلة، وهم يعلمون أنه حق من عند الله، أو هم يعلمون أن نعت محمدﷺ عندهم في التوراة والإنجيل، وهم ينكرونه ولا يؤمنون به عنادا وحسدا[6]. فالجملة الحالية"وأنتم تشهدون" بينت حالتهم وهم على الكفر، وهي جملة يتوقف عليها المعنى.

وتكرر هذا الخطاب في قوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ﴾[7].

النداء يخرج إلى الإنكار، فقد أنكر عليهم سبحانه وتعالى كفرهم بآياته، وهم يشهدون أنها من عنده.

(1)ينظر، الألوسي،روح المعاني، 448/1، والشوكاني، فتح القدير،223/1، وابن عاشور، التحرير والتنوير، 145/2.

(2)ينظر، الباقلاني، إعجاز القرآن، علق عليه، أبو عبد الرحمن صلاح، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996، ص55، والسكاكي، مفتاح العلوم، ص277، والرازي، مفاتيح الغيب،49/5.

(3)ينظر، السكاكي، مفتاح العلوم، ص277، وابن عاشور، التحرير والتنوير، 145/2.

(4)ينظر، النيسابوري، غرائب القرآن، 485/2، وأبو حيان، البحر المحيط، 18/2، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 371/1.

(5)آل عمران،70.

(6)ينظر، الطبري، جامع البيان، 307/3، والسمرقندي، بحر العلوم، 276/1، والنسفي، مدارك التنزيل، 182/1.

(7)آل عمران،98.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ونظير هذه الصورة -أيضا-قوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1].

أعيد نداؤهم قصد تسجيل باطلهم عليهم، ذلك أنهم أظهروا بألسنتهم من التصديق بمحمد ﷺ وما جاء به في غير الذي في نفوسهم من اليهودية والنصرانية، وأخلطوا بذلك الديانتين بالإسلام، وهم يعلمون أن الله لا يقبل غير الإسلام دينا[2].

والجملة الحالية:"وأنتم تعلمون" بينت هيئتهم وحالتهم حين كانوا يلبسون الحق بالباطل؛ فقد كانوا مدركين لما يقومون به من مخالفات لشريعة الله تعالى.ويحتمل أن يكون المعنى أنهم أدخلوا في دينهم من الخرافات والأباطيل بأن حرفوا الأحكام وعوضوها بتأويلاتهم وأعمال أحبارهم[3]. وهذا المعنى ورد-أيضا- مخاطبا به بني إسرائيل في قوله: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[4].

أما مضمون النداء فيدل على الإنكار والتوبيخ، وذلك أنه أنكر عليهم لبس الحق بالباطل وكتم الحق، لأن المنكر عليهم هو الكفر بآيات الله.

وتكرر نداؤهم رابعة في قوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ﴾[5].

المعنى: قل لهم يا محمد: لأي سبب تصرفون المؤمنين عن جادة الإيمان وأنتم عارفون معرفة تامة بصدق محمد في نبوته؟ فإنكم بموقفكم هذا تريدون الانحراف عن منهج الحق.فهو توبيخ آخر وإنكار على مجادلتهم لإضلالهم المؤمنين بعد أن أنكر عليهم ضلالهم في نفوسهم.

وتكرار الخطاب في هذه الجمل بقوله: "يا أهل الكتاب" للتوبيخ بلين ولطف، ولحملهم على الانضمام لدعوة الإسلام المتفقة مع أصول كتبهم.

ويماثل هذه الصورة -أيضا-قوله :﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ [6].

---

(1)آل عمران،71.

(2)ينظر، الطبري، جامع البيان، 307/3، والماوردي، النكت والعيون، 401/1، والرازي، مفاتيح الغيب، 82،81/8، وأبو حيان، البحر المحيط، 515،514/2.

(3)ينظر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، 279/3.

(4)البقرة،42.

(5)آل عمران،99.

(6)الصف،5.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تختلف هذه الجملة الندائية عن سابقاتها –من هذه الصورة–في أن المضاف إليه محذوف، وهو ياء المتكلم الدالة على المنادي "موسى"، وحذفت اختصارا، وبقيت الكسرة في آخر المنادى "قوم" دالة عليها. أما مضمون النداء فجملة استفهامية دلت على الإنكار؛ أي: إنكار إلحاق الأذى برسول الله موسى عليه السلام.

ومعنى الجملة: اذكر يا محمد للمؤمنين خبر موسى حين قال لقوله: يا قومي لم تلحقون الأذى بي بمخالفة ما آمركم به من شرائع أو من الانتقاص وأنتم تعلمون صدقي فيما جئتكم به ؟.

يقول الزمخشري:"كانوا يؤذونه بأنواع الأذى من انتقاصه وعيبه من نفسه وجحود آياته وعصيانه فيما تعود إليهم منافعه وعبادتهم البقر وطلبهم رؤية الله جهرة، والتكذيب الذي هو تضييع حق الله وحقه" [1].

ويبدو من خلال سياق هذه الآية وسابقاتها في أن قصة أذى موسى سيقت للمسلمين على سبيل المشابهة بين حالهم وحال بني إسرائيل، إذ أنه بعد أن أنب التاركين للقتال والهاربين منه بقوله: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [2]. ذكر هنا أن حالهم يشبه حال بني إسرائيل مع موسى حين أمرهم بقتال أعدائهم. ولعل وجه المناسبة بين القصتين تتجلى في أن المسلمين عصوا أمر الرسول يوم أحد كما أن قوم موسى -أيضا- جبنوا عن قتال عدوهم[3]. وقالوا لموسى: "فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ" [4].فناسب أن تكون الآية تحذيرا للمسلمين من مخالفة أمر الرسول وعبرة بما يعرض لهم من الهزيمة يوم أحد لما خالفوا أمره من عدم ثبات الرماة في مكانهم، وتسلية لرسول الله فيما أصابه من الكفار من قومه وغيرهم، وأمر له بالصبر[5]. ولهذا قال ﷺ :"رحمة الله على موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر" [6].

وجملة :"وقد تعلمون أني رسول والله" في موضع نصب حال، أي: تؤذونني عالمين أني رسول الله. وعلمهم بذلك يقتضي تعظيمه وتكريمه لا أن يستهينوا به. وفيه إشارة إلى نهاية جهلهم إذ عكسوا الأمر فبدلوا مكان تعظيمه إيذاءه.

ودلت "قد"–هنا–على تكثير علمهم وتحقق تأكيده، كأنه قال: وتعلمون علما يقينيا لا شبهة فيه [7]. وجيء بالمضارع بعدها للدلالة على أن علمهم بذلك يتجدد بتجدد نزول آيات الله، وذلك أنسب، لأنه لو جيء بماض لما دل على أكثر من حصول ذلك العلم فيما مضى، وهذا ليس هو المراد.

ويلحق بهذه الصورة قوله تعالى:﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ [8].

(1)الكشاف، 98/4.

(2)الصف، 2.

(3)ينظر، ابن عاشور، التحرير و التنوير، 178/28.

(4)المائدة،24.

(5)ينظر، الحمصي، قصص الرحمن في ظلال القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1995،384/3، 385.

(6)أخرجه ابن حنبل في مسنده، 380/1.

(7)ينظر، الزمخشري، الكشاف، 98/4.

(8)آل عمران، 65.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المنادى "أهل" مضاف إلى"الكتاب". والمراد بأهل الكتاب: اليهود والنصارى المترل عليهم التوراة والإنجيل.ومضمون النداء جملة استفهامية، تتألف بنيتها من: حرف جر "اللام"، و"ما" الاستفهامية، وفعل مضارع مسند إلى واو الجماعة "تحاجون"، وجار ومجرور"في إبراهيم" متعلق بالفعل.

والمستفهِم (الله تعالى) يسأل أهل الكتاب (المستفهَم) عن خصامهم في إبراهيم الخليل (المستفهَم عنه).

نزلت هذه الآية بسبب ادعاء كل فريق من اليهود والنصارى أن إبراهيم كان على دينه، فأكذبهم الله تعالى وأدحض حججهم بأن التوراة والإنجيل إنما أنزلا من بعده [1].فقال تعالى -في هذه الآية-:"... وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ". ثم أخبر عن حقيقة أمر إبراهيم، فنفى عنه اليهودية والنصرانية والإشراك به، فقال: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[2].

ويستفاد من الجملة أن أهل الكتاب كانوا يجادلون فيما لا علم لهم به، لأنه لا مسند لهم في علمهم بأمور الدين إلا التوراة والإنجيل، وهما قد نزلا من بعد إبراهيم. والمقصود من النداء: التنبيه على الغلط.

وتكرر نداء أهل الكتاب-في مثل هذه الصورة- في قوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ﴾[3].

المراد بـ"أهل الكتاب"-هنا-اليهود؛ فقد ذكر الطبري عن ابن عباس، قال: جاء نفر من اليهود، فسألوا رسول الله ﷺ عمن يؤمن به من الرسل؟ فقال:"قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل، إلى قوله: ونحن له مسلمون"[4]. فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته، وقالوا: لا نؤمن بمن آمن به! فأنزل الله فيهم هذه الآية[5].والمعنى: هل تعيبون علينا أو تنكرون وتعدون ذنبا ما لا ينكر ولا يعاب، وهو الإيمان بالله وبالكتب المترلة كلها؟.

وهذا الحوار لطيف ووجيز، وهو يدل على أن الناقمين اليهود ما نقموا على المسلمين إلا ما لا ينقم ولا يُعد نقيصة ولا عيبا، ونظيره قول النابغة الذبياني:

وَلا عَيْبَ فيهم غَيْرَ أن سيوفَهم   بهن فلولٌ من قِراع الكتائب[6]

والاستفهام إنكاري تعجبي؛ فالإنكار دل عليه الاستثناء في قوله:"إلا أن آمنا بالله...".والتعجب دل عليه أن مفعولات"تنقمون"كلها محاسن لا يحق نقمها، أي: ما وجدتم شيئا تنقمونه إلا ما ذكر!! فأما الإيمان بالله وما أنزل من قبل فقد رضوه لأنفسهم، فلا ينبغي أن ينقموه على المسلمين وهم أهل ديانة مثلهم.

---

(1)ينظر، الطبري، جامع البيان، 303/3، والماوردي، النكت والعيون، 399/1،400، والقرطبي، الجامع، 107/4.

(2)آل عمران،67.

(3)المائدة،59.

(4)أي ما نزل في الآية 163 من سورة البقرة.

(5)ينظر، جامع البيان، 632/6.

(6)الديوان، ص11.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

النمط الرابع: أداة نداء (محذوفة)+ منادى (مركب إضافي)+ مضمون النداء.

ورد هذا النمط في اثنين وأربعين (42) جملة، تتوزعها الصور الآتية:

الصورة الأولى: أداة نداء (محذوفة)+ منادى(مركب إضافي)+ مضمون النداء(جملة أمر).

وردت هذه الصورة في أربع عشرة جملة، منها قوله تعالى: ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا﴾[1].

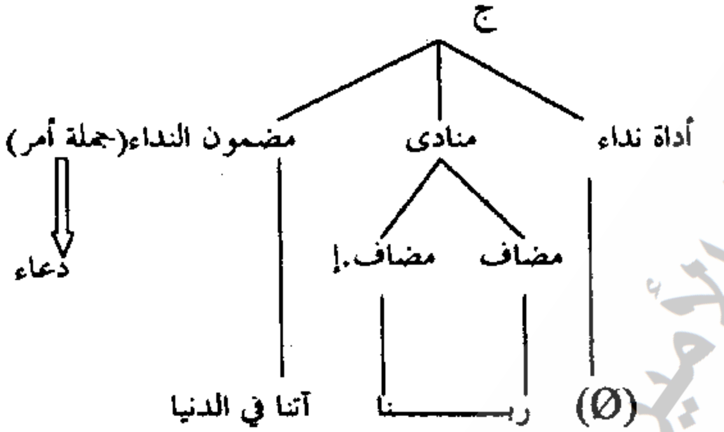

أداة النداء محذوفة في البنية السطحية، تبرزها البنية العميقة، إذ هي الأداة"يا"، والمنادى"ربْ" مضاف إلى ضمير المتكلمين"نا"، الدال على المشركين بدلالة المقام.أما مضمون النداء فورد جملة أمر دلت على الدعاء. والفعل فيها متعد إلى مفعولين، وقد حذف المفعول الثاني، لأنه معلوم، والتقدير:آتنا في الدنيا مطلوبنا أو ما نريد أو ما يماثل هذا.

والدعاء صادر من المشركين بدلالة السياق، فقد كانوا لا يسألون الله تعالى في مناسك الحج ولا متاع الدنيا، ولا يسألونه التوبة والمغفرة، إذ هم لا يؤمنون. وكان الرجل منهم لا يذكر الله وإنما يذكر أباه ويسأل أن يعطى رزقا[2]. فأخبر القرآن عن هذا القسم من الناس –في هذه الآية– بقوله: ﴿وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾. أي: ليس له حظ من النعيم عند الله في الآخرة. وهو وعيد منه تعالى لهذه الفئة من الناس.

وإذا كان هذا دعاء المشركين، فإن دعاء المؤمنين يخبر الله تعالى عنه بقوله: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[3].فالمؤمن يسأل ربه خير الدنيا ونعيم الآخرة.

ويتضح من الجملتين السابقتين أن الذين أمروا بذكر الله في مناسك الحج قسمان:

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1)البقرة،200.

(2)ينظر، الطبري، جامع البيان، 311/2، والبغوي، معالم التنزيل، 176/1، والقرطبي، الجامع، 432/2، والخازن، لباب التأويل، 133/1.

(3)البقرة، 201.

أحدهما: اقتصر في الدعاء على طلب الدنيا، فلا يسأل إلا متاعها، وهم المشركون، لأنهم لا يعتقدون البعث.

وثانيهما: جمع في الدعاء بين طلب الدنيا والآخرة، وهم المؤمنون[1].فسألوا الله في الدنيا المعيشة الحسنة، وفي الآخرة الجنة.

ويكون هذا الخطاب من طرق الالتفات. ولو جاء على الخطاب لقال: فمنكم من يقول، ومنكم من يقول. وغرض هذا الالتفات أنهم ما خوطبوا بهذا الذي لا ينبغي أن ينتهجه العقلاء، وهو الاقتصار على طلب الدنيا، فأظهروا في صورة أنهم غير مخاطبين بذكر الله تعالى بأن جعلوا في صورة الغائبين. وهذا من التقسيم الذي يعد من ضروب الفصاحة والبيان، وهو تقسيم بديع يحصره المقسم إلى هذين الصنفين من الناس.

ويماثل هذه الصورة قوله: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[2].

تختلف هذه الجملة عن سابقتها —من هذه الصورة– في أن مضمون النداء أجيب بثلاث جمل أمرية، ربطت بينها أداة العطف(الواو) وصيغها أمر، ودلالاتها دعاء. والدعاء صادر من جماعة المؤمنين في جيش (طالوت) بدلالة السياق، وذلك حينما برزوا لقتال (جالوت)وجنوده، فتضرعوا لله ﷻ أن يمنحهم قوة الصبر على القتال والثبات أمام العدو والإعانة على دحض قوى الكفر.

وورد نظير هذه الجملة في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[3].

يلحظ أن مضمون النداء اشتمل على ثلاث جمل أمرية أفادت الدعاء. وفي هذا الدعاء إخبار منه سبحانه وتعالى عن الربيين بعد أن قُتِلَ منهم، وقُتِلَ نبيهم، وقد استماتوا في القتال، و لم يفروا، ووطنوا أنفسهم على الموت، واستغفروا لذنوبهم، ليكون موتهم على التوبة، ودعوا الثبات والانتصار على الكافرين[4].

وورد كذلك في قوله:﴿ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾[5].

الدعاء صادر من الكافرين بدلالة سياق هذه الآية وسابقتها. وقد دعوا الله وهم يومئذ في جهنم بأن يعذب رؤساءهم وكبراءهم مثل عذابهم ضعفين على سبيل الانتقام والتشفي.

وفي وصف العذاب بالضعفين واللعن بالكثرة إشارة إلى أن السادة والكبراء، استحقوا مثل عذابهم مرتين؛ عذاب الكفر، وعذاب الإضلال والإغواء، لأنهم ضلوا وأضلوا.

---

(1)ينظر، السمرقندي، بحر العلوم، 194/1، والخازن، لباب التأويل، 134/1، وأبو حيان، البحر المحيط، 112/2.

(2)البقرة،250.

(3)آل عمران،147.

(4)ينظر، القرطبي، الجامع، 231/4.

(5)الأحزاب، 68.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ويدل النداء على الابتهال والضراعة لله لقبول دعائهم حتى إذا قبل طمعوا في التخلص من العـــذاب الذي ألقوه على عاتق سادتهم وكبرائهم. وفي هذا إحالة الذنب على غيرهم كما هي عادة المذنب يقوم بذلـك وهو عالم أنه لا جدوى من فعله.

وترد بقية هذه الصورة وملحقاتها في المواضع الآتية:

البقرة، (127،128،129)، وآل عمران،(193،194)، والنساء،(75)، والحشر،(10)، والممتحنة،(5)، والتحريم،(8).

الصورة الثانية: أداة نداء(محذوفة)+ منادى(مضاف)+ مضاف إليه(محذوف)+ مضمـــون النـداء (جملة أمر).

وردت في خمسة مواضع، منها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾[1].

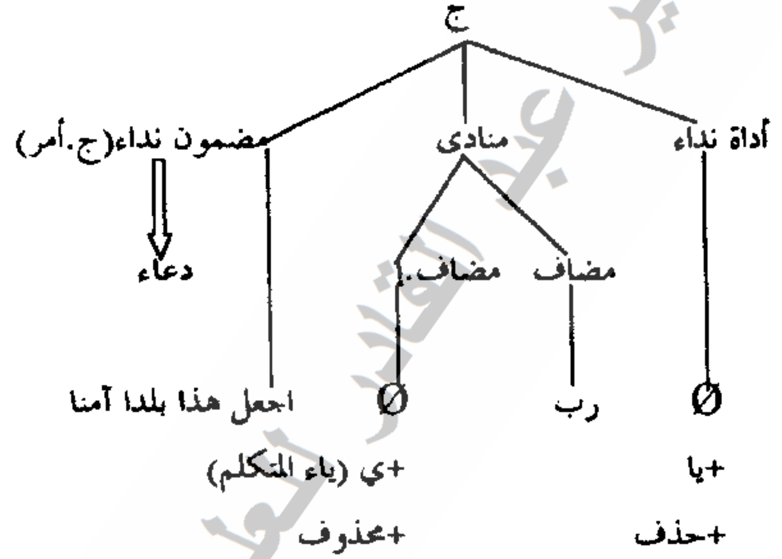

أداة النداء محذوفة، تقدر بـــ"يا". وقد كثر في القرآن الكريم حذف أداة النداء مع المنـــادى"ربِّ"، أو "ربنا"، فهو قريـــب يسـمع دعـوة الداعـــي إذا دعـــاه، ولا يحتـــاج إلى تصويـــت مصداقـــا لقولـــه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾[2].

المنادى"رب"مضاف إلى ياء المتكلم المحذوفة، ويجوز حذفها ويكتفى بالكسرة[3]. وهذه الياء تدل على المنادي، وهو سيدنا إبراهيم الخليل بقرينة اللفظ، وقد دعا ربه ليجعل مكة المكرمة بلدا يسوده الأمن والرخاء.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1)البقرة،126.

(2)البقرة،186.

(3)ينظر، الزجاجي، الجمل في النحو، ص159، وابن هشام، مغني اللبيب، 598/1، والكفوي، الكليات، ص1032، وتمام حســـان، البيـــان في روائع القرآن، ص225.

ومقصده أن تتوفر أسباب الإقامة لأهل مكة فيعمروها ويكونوا دعاة لما بنيت الكعبة الشريفة من أجله[1].

ولعل ما جعل إبراهيم عليه السلام يدعو ربه أنه أسكن ذريته في بلد غير ذي زرع ولا ضرع، فسأل ربه أن يؤمنهم من الجوع، ويمنحهم الأمن والاستقرار. وقد استجاب الله دعاءه، فظلت مكة على مر العصور حرما آمنا.

ومن هذه الصورة قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾[2].

نتبين من مضمون النداء أن إبراهيم الخليل دعا ربه أن يريه كيفية الإحياء. وقد تكون مساءلته ربه من إحياء الموتى لعارض من الشيطان عرض في قلبه، ويود أن يعرف ذلك من الله ليطمئن، أو أنه احتاج إلى معجزة تظهر على يديه، لتكون دليلا آخر على صدق رسالته[3]، فيزول الإنكار عن قلوب أمته فيؤمنون.

وكذلك قوله: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾[4].

المنادى لفظ"رب"مضاف إلى ياء المتكلم المحذوفة، والكسرة في آخر المنادى تدل على المنادي"زكرياء"بقرينة اللفظ –في هذه الآية–في قوله:" هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّاء رَبَّهُ..."،

ومضمون النداء جملة أمرية، استخدم فيها الفعل"هب"المخاطب به الله عز وجل، و تعلق به الجار والمجرور"من لدنك"، بمعنى من عندك. ويحتمل أن يكون الجار والمجرور"من لدنك" متعلقا بصفة محذوفة من "ذرية"، وقدّم عليها فأصبح حالا منها. وتعدى الفعل "هب"إلى مفعول به "ذرية". والذرية: اسم جنس يقع على واحد فصاعدا. وقال الطبري: إنما أراد هنا بالذرية واحدا، ودليله طلب زكرياء وليا واحدا، و لم يطلب أولياء[5]. فقد أخبر الله عنه بقوله: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾[6].

وقال ابن عطية: "وفيما قاله الطبري تعقب، وإنما الذرية والولي اسما جنس يقعان للواحد فيما زاد، وهكذا كان طلب زكرياء عليه السلام"[7].

ووصف لفظ"ذرية"بـ"طيبة". وحملت الصفة على الموصوف في التأنيث.ومعنى "طيبة": مباركة[8]. وقال ابن عطية: معناها"سليمة في الخلق والدين نقية"[9].فقد طلب زكرياء ربه أن يهبه ذرية صالحة.

---

(1)ينظر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، 716/1.

(2)البقرة،260.

(3)ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 418/2،419، والرازي، مفاتيح الغيب، 34/7.

(4)آل عمران،38.

(5)ينظر، جامع البيان، 248/3.

(6)مريم،5.

(7)المحرر الوجيز، 96/3.

(8)ينظر، الطبري، جامع البيان، 247/3.

(9)المحرر الوجيز، 96/3.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

واستعمل الفعل"هب"المفيد للدعاء،"لأن الهبة إحسان محض ليس في مقابلتها شيء يكون عوضا للواهب، ولما كان ذلك يكاد يكون على سبيل ما لا تَسَبُّبَ فيه، لا من الوالد بكبر سنه ولا من الوالدة لكونها عاقرا لا تلد، فكان وجوده كالوجود بغير سبب، أتى هبة محضة منسوبة إلى الله بقوله:"من لدنك"، أي: من جهة محض قدرتك من غير توسط سبب"[1]. وفي مضمون الجملة دلالة على مشروعية طلب الذرية الصالحة. وهي سنة المرسلين والصديقين.

وتكرر دعاء زكرياء -في مثل هذه الصورة- في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً﴾[2].

طلب زكرياء من ربه أن يجعل له آية دالة على حصول ما يبشر به. والآية-هنا- العلامة التي تدله على حمل زوجه استعجالا للابتهاج ولشكر الله على نعمته. وذكر الطبري عن السدي أن زكرياء قال: رب إن كان ذلك الكلام من قبلك والبشارة حق فاجعل لي آية أعرف بها صحة ذلك[3].فأجابه الله عقب دعائه -في هذه الآية-بقوله: ﴿قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾. فجعل الله علامة ذلك ألا يستطيع مكالمة الناس مدة ثلاثة أيام متوالية إلا بالرمز أو الإشارة بالرأس أو اليد أو نحوهما.

يلحظ أن الدعاء بلفظ"رب"ورد في سبع وستين جملة من القرآن الكريم، منها إحدى عشرة جملة في السور المدنية حذفت فيها أداة النداء (يا). ولم تذكر إلا في موضعين[4].

ووردت بقية هذه الصورة في الآية،(11) من سورة التحريم.

الصورة الثالثة: أداة نداء(محذوفة)+منادى(مركب إضافي)+مضمون النداء(جملة نهي).

وردت هذه الصورة في خمس جمل، منها قوله تعالى:﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [5].

مضمون النداء جملة نهي أفادت الدعاء. والدعاء صادر من المؤمنين بدلالة سياق الآية. فقد دعوا الله أن لا يزيغ قلوبهم. ويجوز أن يكون محكيا عن قول الراسخين في العلم في الآية السابقة. أي: يقولون: ربنا لا تزغ قلوبنا، وذلك لما رأوا الناس بين زائغ ومتذكر مؤمن. فدعوا بلفظ الرب ألا يزيغ قلوبهم بعد هدايتهم، فيلحقوا بمن في قلبه زيغ . ويجوز أن يكون تلقينا منه سبحانه إياهم. فيكون التقدير على إضمار القول، أي: قولوا ربنا لا تزغ قلوبنا[6]. والأول أرجح لاتصال الكلام.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1)أبو حيان، البحر المحيط، 463/2.

(2)آل عمران،41.

(3)ينظر، جامع البيان، 258/3.

(4)الموضع الأول: في قوله تعالى:"وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا" الفرقان،30.

الموضع الثاني: في قوله:"وقيله يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون".الزخرف،88. والدعاء في الموضعين جرى على لسان محمد ﷺ مناجيا ربه مستقلا النصر.

(5)آل عمران،8.

(6)ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 402/2.

والفعل المضارع "تزغ" من الإزاغة. والإزاغة-هنا- الضلالة. يقال: زاغ عن الطريق إذا عدل عنه[1]. ويكون معنى الجملة: ربنا لا تمل قلوبنا عن الحق والهداية بابتغاء التأويل الذي لا يليق بنا، كما أزغت قلوب أولئك. وقال الزمخشري: "لا تبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا ... أولا تمنعنا ألطافك بعد إذ لطفت بنا "[2]. أي: لا تكلفنا من العبادات ما لا نأمن معه الزيغ عن الهدى.

وجملة: "بعد إذ هديتنا" تدل على حصول الهداية للمؤمنين، وهم يرجون قبول دعائهم، لتحقق الهداية منه تعالى. وفي هذا المعنى تلطف منهم في الطلب؛ إذ أسندوا الفعل في"هديتنا" إلى المخاطب المراد به الله تعالى، فكانت الهداية تفضلا منه.

ويماثل هذه الصورة قوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾[3].

مضمون النداء جملة: "لا تواخذنا..." والمواخذة مشتقة من الأخذ. وهي بمعنى العقوبة، يقال: آخذه بذنبه إذا عاقبه[4]. فكأنه تعالى يأخذ المذنب بالعقوبة، والمذنب كأنه يأخذ بالمطالبة بالعفو، إذ لا يخلصه من عذاب ربه إلا هو جلت قدرته، فلذلك يتمسك العبد عند الخوف منه به.

ومعنى الجملة: لا تواخذنا بالعقاب على فعل صدر منا نسيانا أو خطأ. ودلالة النداء دعاء وتضرع.

وقد يكون هذا الدعاء محكيا عن قول المؤمنين الذين قالوا "سمعنا وأطعنا"، -في الآية السابقة-ويجوز أن يكون تلقينا منه سبحانه إياهم بأن يقولوا هذا الدعاء. فيكون التقدير على إضمار القول، أي: قولوا في دعائكم: ربنا لا تواخذنا.

وتكرر نظير هذه الجملة في الآية نفسها، وذلك في قوله: ﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ . وقوله: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ .

جاءت جمل النهي الثلاث مقابلة جمل أمرية، فقابل: "لا تواخذنا" بقوله:"واعف عنا"، وقابل قوله: "ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به" بقوله:"وارحمنا"، لأن من نتائج وآثار عدم المواخذة بالنسيان والخطأ العفو، ومن آثار عدم حمل الأصر عليهم المغفرة، ومن آثار عدم تكليف ما لا يطاق الرحمة.

وتكررت هذه الصورة في قوله: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾[5].

الدعاء صادر من المؤمنين، ودل على ذلك سياق هذه الآية وسابقتها، فقد دعوا الله تعالى ألا يعذبهم بأيدي الكفار، وألا يسلطهم عليهم فيفتنوهم عن الدين.

---

(1)ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 432/8،(زيغ).

(2)الكشاف، 413/1.

(3)البقرة،286.

(4)ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 473/3،(أخذ).

(5)الممتحنة، 5.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الصورة الرابعة: أداة نداء (محذوفة)+منادى (مركب إضافي)+مضمون النداء (جملة خبرية).

وردت في أحد عشر موضعا، منها قوله تعالى:﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [1].

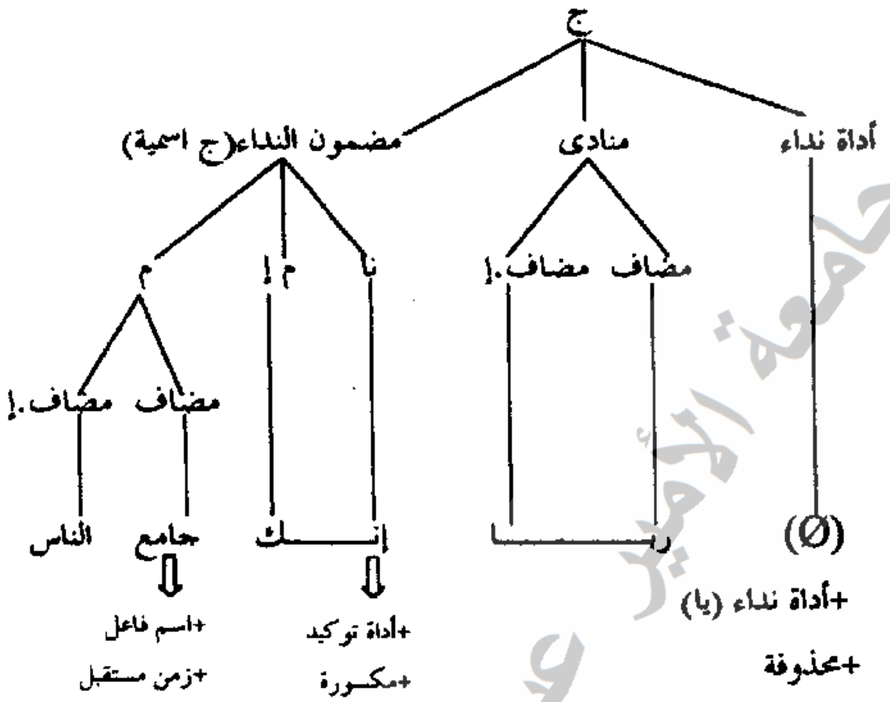

الدعاء صادر من الراسخين في العلم، وذلك بقرينة اللفظ في الآية السابقة. ويدل مضمون النداء على إقرار الراسخين في العلم بالبعث ليوم القيامة؛ فالله باعث الناس ومحييهم بعد تفرقهم. وهو حق وإن وقع فيه شك عند المكذبين الذين اتبعوا ما تشابه عليهم من أمره حتى أنكروه[2].

يقول أبو حيان:"وظاهر هذا الجمع أنه الحشر من القبور للمجازاة، فهو اسم فاعل بمعنى الاستقبال، ويدل على أنه مستقبل قراءة أبي حاتم[3]:"جامعٌ الناسَ" بالتنوين ونصب الناس"[4]. على أنه مفعول به لاسم الفاعل"جامع".

ومعنى الجملة: إنك يا إلهنا جامع الناس للجزاء في يوم القيامة، ووعدك الحق، فهب لنا الهداية والتوفيق، لنفوز بالنعيم. وهذا الدعاء كدعاء إبراهيم عليه السلام:﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾[5]. وذلك على ما في تذكر يوم الجمع من المناسبة.فالغرض من الدعاء ما يتعلق بالآخرة.

(1)آل عمران،9

(2)ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 3/30،31، والقرطبي، الجامع، 4/21.

(3)هو أبو حاتم السجستاني بن محمد بن عثمان البصري. قرأ القرآن على يعقوب الحضرمي وغيره. وأخذ العربية على أبي عبيدة، والأصمعي. توفي سنة255 هـ. ينظر، الذهبي، معرفة القراء الكبار،1/219،220.

(4)البحر المحيط، 2/404.

(5)إبراهيم،41.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ويماثل هذه الصورة قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾[1].

الدعاء صادر من أولي الألباب الذاكرين الله. وقد جاء ذكرهم –في هذه الآية– في قوله: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا...﴾.

ومضمون النداء جملة خبرية منفية بـ"ما". والمعنى: ربنا ما خلقت هذا الخلق عبثا ولا أوجدته باطلا، فأنت منزه عن الباطل، وكل ما خلقت لا يخلو من فائدة وحكمة. والمقصود نفي عقائد الذين يفضي اعتقادهم إلى أن خلق الله باطل، أو لا حكمة فيه.

وتكرر نداؤهم ثانية –في مثل هذه الصورة–عقب هذا النداء، في قوله: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾[2].

جاء مضمون النداء جملة خبرية مؤكدة بـ"إنّ"الناسخة للعناية. والمعنى: يا ربنا إن من أدخلته النار بسبب انحرافه وضلاله فقد أخزيته. ومن أخزاه الله فقد أبعده ومقته وأهانه. يقال: خَزِيَ، يَخْزَى، خِزيًا، إذا وقع في بلية[3]. وقال ابن عطية: "الخزي: الفضيحة المخجلة الهادمة لقدر المرء"[4]. وفي هذا المعنى إشارة إلى أن دخول النار خزي ومهانة؛ فالخزي ترفضه النفوس ولا تطيقه.

وتكرر نداؤهم ثالثة في قوله: ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا﴾[5].

وفي هذا التكرار مبالغة في التضرع والابتهال لله.

ورد مضمون النداء مؤكدا بـ "إنّ" الناسخة. والمسند إليه ضمير المتكلمين"نا" عائد إلى أولي الألباب الذاكرين الله، في الآية السابقة. والمسند في قوله: "سمعنا" يدل على الزمن الماضي، وفيه إشارة إلى أن السماع قد تم، وكانت الاستجابة عن طواعية.

والفعل"سمع" تعدى إلى المفعول به"مناديا". والمنادي اسم فاعل، والمراد به الرسولﷺ ؛ فهو المنادي للإيمان. ولما كان الفعل "ينادي" بمنزلة يدعو حسن وصوله باللام[6].واللام تفيد العلة، أي: لأجل الإيمان.

و"أن" في "أن آمنوا"تفسيرية[7]، لما في الفعل المضارع "ينادي"من دلالة القول. وجيء بفاء التعقيب في "فآمنا" للدلالة على السبق إلى الإيمان. وذلك دليل على سلامة سجيتهم وفطرتهم التي فطرهم الله عليها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1)آل عمران،191.

(2)آل عمران،192.

(3)ينظر، ابن فارس، مجمل اللغة، 288/2، وابن منظور، لسان العرب، 226/14، (خزا).

(4)المحرر الوجيز، 464/3.

(5)آل عمران، 193.

(6)ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 465/3.

(7)ينظر، المصدر السابق، 465/3.

ومن هذه الصورة -أيضا- قوله: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾[1].

في الابتداء بالنداء ووصف الربوبية إظهار للابتهال لله تعالى. والذين دعوا الله، وتضرعوا له هم الكافرون بقرينة السياق، وذلك حينما رأوا العذاب وحشروا مع رؤسائهم وسادتهم في جهنم.

وجملة:"إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا ..."مكونة من أداة نسخ "إن"، ومسند إليه ضمير المتكلمين "نا"،ومسند" أطعنا". وفعل الطاعة عدي إلى المفعول به في:"سادتنا".

واختلف في قراءة"سادتنا"، فقرأ ابن عامر:"ساداتنا" بزيادة ألف بعد الدال وكسر التاء بزنة جمع المؤنث السالم، فهو جمع الجمع، على إرادة التكثير. وقرأ الجمهور:"سادتَنا"بفتح التاء. والسادة جمع سيد على وزن "فَعلة"، وهو يدل على القليل والكثير، لأنه جمع تكسير[2]. والسادة عظماء القوم كالملوك والرؤساء.

وعطف قوله:"كبراءنا" على "سادتنا". والكبراء: جمع كبير،وهو كبير القبيلة. وهم أقل شأنا من السادة.

والمعنى: يا ربنا إننا أطعنا في الضلالة والكفر رؤساءنا وقادتنا، وخالفنا الرسل، واعتقدنا أنهم محقون فيما قالوا، فأبعدونا عن طريق الرشد بما زينوا لنا من حياة الكفر.

وقال القرطبي:"والأظهر العموم في القادة والرؤساء في الشرك والضلالة، أي: أطعناهم في معصيتك وما دعونا إليه"[3].

ويحمل هذا المعنى إقرار منهم بالحقيقة؛ فقد أطاعوا سادتهم وكبراءهم في الضلالة. وهو إقرار يدل على تضجر وشكاية؛ فقد شكوا أمرهم لله متنصلين من تبعة قادتهم الذين غدروا بهم وخدعوهم. والغرض من الإقرار طلب الاعتذار والعفو مما وقعوا فيه. واعتذارهم هذا مرفوض، لأنهم عصوا الله، وقد اعترفوا بذنبهم، حيث أطاعوا المضللين وخالفوا الرسل.

ووردت هذه الصورة -كذلك- في قوله: ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[4].

الظاهر من سياق الآية وسابقتها أن يكون الدعاء من كلام إبراهيم عليه السلام وقومه، مما فيه من أسوة حسنة يقتدى به. ويحتمل أن يكون تعليما من الله سبحانه للمسلمين أن يقولوا هذا القول ليجري عملهم بمقتضاه، فهو على تقدير فعل القول، أي قولوا: "ربنا عليك توكلنا..." ومعناه: اعتمدنا عليك -يا رب- في كل أمور الدنيا، وعدنا إليك بالتوبة والاستغفار من كل ذنب، وإليك المآب والمرجع في الآخرة.

وترد بقية هذه الصورة وملحقاتها في الآتي: البقرة،(285)، وآل عمران،(16،53)، والمائدة،(83)، والحشر،(10).

(1)الأحزاب،67.

(2)ينظر، أبو زرعة، حجة القراءات، ص580، والقيسي، الكشف، 199/2، وابن عطية، المحرر الوجيز، 122/12، وابن الجوزي، زاد المسير، 424/6.

(3)الجامع لأحكام القرآن، 249/14.

(4)الممتحنة،4.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الصورة الخامسة: أداة نداء(محذوفة)+منادى(مركب إضافي)+مضاف إليه(محذوف)+مضمون النداء(جملة خبرية).

وردت هذه الصورة في أربع جمل، منها قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾[1].

أداة النداء محذوفة تقدر بـ"يا"، والمنادى لفظ "ربّ"مضاف إلى ياء المتكلم المحذوفة الدالة على المنادي "امرأة عمران" بقرينة اللفظ، وهي حنة بنت فاقوذ بنت مريم-عليها السلام-والمنادى به جاء جملة خبرية مؤكدة بـ "إن" لتأكيد الخبر في جملة "إني نذرت لك ما في بطني محرراً".

وتقدم الجار والمجرور"لك" عن المفعول به"ما" للفعل "نذر" للدلالة على الاهتمام بالمنادى، واللام فيه لام السبب، والكاف لخطاب المنادى "رب"جل شأنه، وذلك على تقدير محذوف: لخدمة بيتك أو للاحتباس على طاعتك[2].

ويتضح من مضمون النداء أن امرأة عمران نذرت ما في بطنها مخلصا لخدمة بيت المقدس، لا يشوبه شيء من أمور الدنيا. وكان الخادم للكنائس يومئذ عرفا في الذكور خاصة[3].ولم تنص على ذكورته بأن قالت: "إني نذرت لك ما في بطني محررا"، لمكان الإشكال، أو أنها تظنه ذكرا، فصدر منها النذر عن وصف الذكورة مطلقا، أو لرجاء منها أن يكون ذكرا[4]، لأنه ليس كالأنثى في خدمة الكنيسة.

وهذا النذر عجيب، لأنها نذرت أعز ما كانت تنتظره، وهو يدل على عمق إيمانها وإخلاصها لله تعالى.

وتكرر نداء أم مريم عليها السلام -في مثل هذه الصورة-في قوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾[5].

ورد مضمون النداء: "إني وضعتها أنثى"مؤكدا بـ "إن"مراعاة لأصل الخبرية وتحقيقا لكون المولود أنثى، إذ هو بوقوعه على خلاف المنتظر. وأنث الضمير في "وضعتها أنثى"مطابقة للحال اللازمة في لفظ "أنثى"، إذ يتوقف المعنى عليها. فهي تعلم أن الله تعالى عالم بالذي وضعت، ولكنها تتحسر إذا ولدت أنثى، وكانت تود لو كان المولود ذكرا، ليكون محررا لخدمة بيت المقدس[6].فهي لا تعلم من حالها إلا هذا القدر من كونها أنثى لا تصلح للخدمة بسبب كونها عورة.

وجيء بالجملة المعترضة: "والله أعلم بما وضعت"، لإفادة الكلام تقوية وتسديدا.

---

(1)آل عمران،35.

(2)ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 455/2.

(3)ينظر، الطبري، جامع البيان، 234/3، وابن عطية، المحرر الوجيز، 87،86/3، والقرطبي، الجامع، 67،66/4.

(4)ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 87/3، وأبو حيان، البحر المحيط، 455/2، وابن عاشور، التحرير والتنوير، 232/3.

(5)آل عمرن،36.

(6)ينظر، سعيد أبو الرضا، في البنية والدلالة، ص90.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وقرأ الجمهور: "وضعتْ"-بتاء التأنيث الساكنة- فيكون الضمير راجعا إلى امرأة عمران. وهو عندئذ من كلام الله تعالى، وليس من كلامها المحكي. وفي هذه القراءة تقديم وتأخير، والمعنى: قالت: رب إني وضعتها أنثى، وليس الذكر كالأنثى. فقال الله تعالى:"والله أعلم بما وضعت"[1].والمراد: الإخبار من الله بأنه أعلم منها بنفاسة ما وضعت وبحاله، وما يؤول إليه أمر هذه الأنثى.

وقرأ ابن عامر، وأبو بكر[2]: بضم التاء[3]، على أنها ضمير المتكلمة (امرأة عمران). فتكون الجملة من كلامها المحكي، وليس ثمة في الكلام تقديم ولا تأخير[4]. فقد خاطبت نفسها على سبيل التحسر على فوات المأمول.

ووردت بقية الصورة في موضعين: المائدة،(25)، والمنافقون،(10).

الصورة السادسة: أداة نداء(محذوفة)+ منادى(مركب إضافي)+ مضمون النداء(جملة استفهامية).

وردت في موضع واحد، وذلك في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ﴾[5].

المنادى غير ظاهر في بنية الجملة، ويدل عليه المقام في هذه الآية، إذ هم الذين: ﴿قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾.

واختلف في هؤلاء السائلين الله، فقال جمهور المفسرين: إن هذه الآية نزلت في طائفة من المؤمنين، كانوا لقوا بمكة من المشركين أذى كبيرا قبل أن يهاجروا إلى المدينة، فيشكون إلى الرسول، ويقولون: يا رسول الله ائذن لنا في قتال هؤلاء، فإنهم آذونا، فلما هاجر النبيﷺ إلى المدينة، وأمروا بالقتال وبالسير إلى بدر شق على فريق من جملة الذين استأذنوه، ففيهم نزلت الآية[6].

ويروى عن ابن عباس أن من هؤلاء عبد الرحمن بن عوف، والمقداد بن الأسود، وقدامة بن مظعون وسعد بن أبي وقاص[7].

والظاهر من مضمون النداء: "لم كتبتَ علينا القتال"؟ هروب من أمر الجهاد، وقلة خضوع واستسلام لأحكام الله تعالى. وهذا لا يحسن في طائفة من أصحاب رسول الله، وإن كانوا قد طلبوا ذلك،

(1)ينظر، النحاس، معاني القرآن، 487/1، وأبو زرعة، حجة القراءات، ص161.

(2)أبو بكر بن عياش، بن سالم الأسدي الكوفي، كان عالما عاملا. قرأ القرآن على عاصم، وعرض على عطاء بن السائب. توفي سنة 193هـ.ينظر، الذهبي، معرفة القراء الكبار، 134/1، وما بعدها.

(3)ينظر، ابن خالويه، الحجة، ص108، وأبو زرعة، حجة القراءات، ص160، والداني، التيسير، ص73، وأبو حيان، البحر المحيط، 457/2.

(4)ينظر، النحاس، معاني القرآن، 487/1.

(5)النساء،77.

(6)ينظر، الواحدي، الوسيط، 82/2، والطبرسي، مجمع البيان، 101/3، وابن الجوزي، زاد المسير، 134/2، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم 339/2.

(7)ينظر، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ص98.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

"فإنما طلبوا التأخر إلى وقت ظهور الإسلام وكثرة عددهم"[1]. ويحتمل أنهم لم يقولوا ذلك كراهة لأمر الله، ولكن لخوفهم من القتال؛ فالمرء مجبول على كراهية ما فيه من خوف هلاكه غالبا.

وقال بعض المفسرين الآية نزلت في المنافقين[2]. والظاهر من السياق أن الآية كسابقتها نزلت في المنافقين توبيخا لهم. ومن ذلك أن السياق في هذه الآية اشتمل على أمور تدل على أنها مختصة بالمنافقين، لأنه تعالى قال في وصفهم: "يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية". وهذا الوصف لا يكون إلا لمنافق[3].

وعلى هذا الوجه يتعين تأويل الآية بأن المؤمنين الذين استأذنوا في قتال المشركين وهم بمكة، أنهم لما هاجروا إلى المدينة كرروا رغبتهم، وأن المنافقين تظاهروا بالرغبة تمويهًا. ولما فرض القتال على المؤمنين جبن المنافقون وطلبوا تأجيل القتال. فوبخهم الله على ذلك الموقف المتناقض.

الصورة السابعة: أداة نداء (محذوفة)+منادى(مركب إضافي)+مضاف إليه(محذوف)+ مضمون النداء(جملة استفهامية)+ جملة حالية.

وردت في موضعين، من ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾[4].

المنادى"رب"مضاف إلى ياء المتكلم المحذوفة. وهذه الياء تدل على المنادي"زكرياء"؛ فهو القائل هذه المقولة، والضمير في "قال"عائد إليه في الآيات السابقة.

ومضمون النداء استفهام مراد منه التعجب. وأراد منه المنادي (زكرياء) إمكان الولد، لأنه لما سأل الولد فقد تهيأ لحدوث ذلك، فلا يكون استفهامه إلا طلبا لمعرفة الكيفية[5]. وليس شكا في قدرة الله أو في صدق وعده، ولذلك أجيب-عقب السؤال- بقوله: "كذلك الله يفعل ما يشاء"، لرفع تعجبه، أي: مثل ذلك الخلق غير المعتاد يفعل الله ما يشاء في الكون بسبب أو بغير سبب.

وجيء بالجملة الحالية: "وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر". وهي حال من المفعول به في "بلغني". وكانت الجملة الأولى فعلية، والفعلية تتصف بالتجدد، وكذلك الكبر يتجدد شيئا فشيئا؛ فلم يكن وصفا لازما، فناسب أن تكون فعلية. وكانت الثانية (المعطوفة) اسمية، والاسمية تتسم بالثبوت، وكذا المسند "عاقر" فهو أمر لازم لها؛ لم يكن وصفا طارئا فناسب كذلك أن تكون اسمية[6]. وقدمت الجملة الفعلية التي تبين حالة زكرياء على الاسمية التي تبين حال امرأته للاهتمام.

---

(1)ابن عطية، المحرر الوجيز، 137/4.

(2)ينظر، ابن الجوزي، زاد المسير، 134/2، وأبو حيان، البحر المحيط، 310/3.

(3)ينظر، القاسمي، محاسن التأويل، ضبط وتصحيح، محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997، 227/3.

(4)آل عمران، 40.

(5)ينظر، القرطبي، الجامع، 74/4، وأبو حيان، البحر المحيط، 469/2.

(6)ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 470/2.

وجاءت جملة: "وقد بلغني الكبر" على طريق القلب، فقلب الفاعل فصار مفعولا. والأصل: وقد بلغتُ الكبرَ. وهذا كقوله تعالى: ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾[1]. وكقول الأخطل:

عَلى العيارات هَدّاجونَ قد بلغتْ   نجرانَ أو بلغتْ سوءاتهم هجر[2]

والأصل: وبلغت سوءاتهم هجراً. فقُلب الفاعل فصار مفعولا، لأن "السوءات" هي التي تبلغ "هجر"، فنصبها ورفع "هجر"[3].

وفائدة القلب في الآية إظهار تمكن الكبر من المتكلم(زكرياء)، كأنه طالب له وهو المطلوب. والمعنى: أصابني الضعف والوهن فشخت.

وتكررت هذه الصورة في قوله: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾[4].

المنادي-هنا-مريم-عليها السلام-بدلالة سياق هذه الآية وما قبلها. ومضمون النداء: "أنى يكون لي ولد..."؟هو استفهام عن الكيفية كما سأل زكرياء عن الكيفية[5]. أي: كيف يكون لي ولد وليس لي زوج؟ وهو يدل على التعجب من حدوث الولد من غير أب، إذ ذاك من الأمور الداعية للتعجب، ولذلك أجيب-عقب الاستفهام-بقوله: ﴿كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾. وذلك لرفع تعجبها.

والجملة المضارعية المنفية: "و لم يمسسني بشر" حالية. أي: والحال أنه على حالة منافية للمعتاد من كون أن يولد من غير أب. واستعمل الفعل "يمسسني" المسند إلى "بشر" كناية عن الجماع مثل الكناية عنه بالحرث واللباس والمباشرة. وفي الجملة نفي عام أن يكون باشرها أحد بأي نوع من تزوج أو غيره.

النمط الخامس: أداة نداء (يا)+منادى (اسم علم)+مضمون النداء.

ورد هذا النمط في ستة عشر (16) موضعا، يتوزع على الصور الآتية:

الصورة الأولى: أداة نداء(يا)+منادى(علم)+مضمون النداء(جملة أمر) .

وردت في أربع جمل، ومنها قوله تعالى:﴿يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾[6].

أداة النداء "يا"، والمنادى" آدم" ممنوع من الصرف. ونودي آدم باسمه كما هو عادته جل شأنه مع أنبيائه عدا نبينا ﷺ حيث ناداه بقوله: "يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ"[7]. و"يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ"[8].

---

(1)مريم، 8.

(2)ينظر، الديوان، صنعة السكري، تحقيق فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1979، 209/1.

(3)ينظر، الزجاجي، الجمل في النحو، ص203، وابن جني، المحتسب، 118/2.

(4)آل عمران،47.

(5)ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 484/2.

(6)البقرة، 33.

(7)المائدة، 41، 67، وغيرهما.

(8)الأنفال، 64، 65، 70، وغيرها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وورد مضمون النداء جملة أمرية، تكونت بنيتها من المسند في قوله: "أَنۢبِئۡهُم"، ومسند إليه مضمر في البنية السطحية وجوبا، تقديره "أنت"، مخاطب به آدم. والفعل متعد إلى مفعولين؛ أحدهما الضمير المتصل بالفعل"هم" العائد على الملائكة –في الآية السابقة– والثاني: المجرور"بأسمائهم"، فقد تعدى له بحرف الجر"الباء". تقول: نبّت زيدا. قال سيبويه معناه: نبثت عن زيد[1]. أما الضمير المجرور بالإضافة في: "بأسمائهم" فيدل على المسميات. وقد جرى على صيغة ضمائر العقلاء، فيدخل فيه العاقل وغير العاقل. وهو مختلف فيه بحسب الاختلاف في الأسماء التي تعلمها آدم. والظاهر أنها أسماء تدل على المسميات التي يحتاجها الإنسان. للتعبير عن حاجياته كأسماء الملائكة والأشخاص والحيوانات والنباتات والكواكب، وكل ما يقع عليه نظر الإنسان[2].

والقصد من أمره تعالى لنبيه آدم بإعلام الملائكة بذلك أن يظهر عقبه قدرته عليهم في العلم، حيث أقيم مقام المعلم، وأقيموا مقام المتعلمين[3]. وفي هذا إشارة إلى التفاوت بين رتبة آدم والملائكة. والنداء على سبيل الوجوب.

وتكرر نداء آدم بعد هذه الآية في قوله: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا﴾[4].

يختلف هذا التركيب عن سابقه –من نفس الصورة– بتكرار مضمون النداء عن طريق العطف في جملتي: "اسكن أنت وزوجك الجنة"،و"كلا منها رغدا...".

نداء الله لآدم باسمه قبل تخويله سكنى الجنة يدل على التكريم؛ لأن نداءه بين الملأ الأعلى يستدعي الانتباه والتطلع لما سيقع.

ويحمل مضمون النداء خطابا لآدم وحواء بقرينة المقام. وقد أمرا باتخاذ الجنة مأوى ومنزلا،والأكل من ثمارها الطيبة. ولا يدل معنى الفعل "اسكن"على الاستقرار، لأنه فعل أمر، و لم يكن الخطاب بالماضي كأسكنتك مثلا، لأنه ما خلق إلا لعمارة الأرض[5].

والضمير"أنت" تأكيد للضمير المستتر وجوبا في الفعل "اسكن"، المخاطب به آدم. و"زوجك"معطوف عليه. ويكون إذ ذاك من عطف اسم على ضمير. وهذا جائز حسن عند التأكيد[6]. أما ما زعمه البعض من عطف الجمل بتقدير: ولتسكن زوجك .مع حذف لام الطلب، لدلالة فعل الأمر "اسكن" عليه، ففيه تكلف[7].

---

(1)ينظر، الكتاب، 38/1.

(2)ينظر، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 126/1، 127، والبقاعي، نظم الدرر، 90/1.

(3)ينظر، الألوسي، روح المعاني، 229/1.

(4)البقرة، 35.

(5)ينظر، الواحدي، الوسيط،121/1، والخازن، لباب التأويل، 37/1، والزركشي، البرهان، 324/2.

(6)ينظر، سيبويه، الكتاب،247/1، 378/2، وأبو حيان، تذكرة النحاة، ص 726، وينظر له، البحر المحيط، 307/1.

(7)ينظر، أبو حيان ، النهر الماد، 61/1، والبحر المحيط، 307/1.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

واستخدم القرآن لفظ زوج لحواء. ويقال للمرأة زوجة، وزوج، والزوج أفصح [1]. وغرض النداء تنبيه المأمور لما يلقى عليه من الأمر للقيام به، إذ هو من الأمور المهمة؛ وهو الأمر بسكنى الجنة والأكل من ثمارها. وذلك على سبيل الإباحة لا الوجوب. وقد يجاب النداء بثلاث جمل أمريه، كقوله:﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [2].

المنادى "مريم"، والمنادي غير ظاهر في بنية الجملة، ويدل عليه السياق، إذ هو الملائكة. فقد أمرتها بفعل ثلاثة أشياء من هيئات الصلاة. واستخدمت واو العطف لربط تلك الجمل. والواو ليست للترتيب بل لمطلق الجمع والاشتراك. ويجوز أنه قدم السجود على الركوع، لأن السجود أدخل في الشكر، والمقام هنا مقام شكر وتنويه بمقام مريم عليها السلام. ويجوز أن يكون السجود مقدّم في شرع زكرياء [3].

وفي قوله:﴿ارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ إذنٌ وترخيص لها بالصلاة مع الجماعة، أي مع جماعة الذكور. وهذه خصوصية اختصت بها دون نساء بني إسرائيل إبرازا لمقامها الرفيع بين قومها.

وتكررت هذه الصورة -أيضا- في قوله:﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا...﴾ [4].

المنادي غير مذكور في بنية الجملة الندائية، ويدل عليه السياق، إذ هو الله سبحانه. والمنادى"عيسى" يجوز أن يكون مضموما في التقدير، على أنه منادى مفرد، فيكون عندئذ نداءان، والتقدير: يا عيسى يا ابن مريم. أو يكون قد وصف المضموم بمضاف. ومنه قول الشاعر:

يا زِبرقانَ أخا بَني خَلَفٍ ما أنتَ وَيْبَ أبيك! والفخرُ [5]

ويجوز أن يكون"عيسى" مبنيا مع "ابن" على الفتح في التقدير، لوقوع الابن بين علمين. وهذا كما أنشد النحويون من قول الشاعر:

يا حكَمَ بنَ المنذرِ بن الجارود أنتَ الجوادُ بنُ الجوادِ بن الجُودِ [6]

والشاهد فيه اتباع الموصوف، وهو"حكم" للصفة، وهي"ابن"، لأن الصفة والموصوف كاسم مضاف إلى اسمه.

وجملة: "اذكر نعمتي..." أمرية، فقد أمر عيسى بذكر نعمة الله. وذكر نعمة الله شكرها. وأضافها الله إلى نفسه تنبيهًا على عظمها. ونعم الله على عيسى كثيرة كالمعجزات المؤيد بها. وقد ذكر منها هنا: الكلام

---

(1)ينظر، الزبيدي، تاج العروس، 54/2، (زوج).

(2)آل عمران، 43.

(3)ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 115/3، والقرطبي ، الجامع، 85/4.

(4)المائدة، 110.

(5)البيت للمخبل السعدي،ينظر،ابن منظور،لسان العرب،740/11،(ويل)،والسيوطي،همع الهوامع،198/3،والبغدادي،خزانة الأدب، 150/4.

(6)الرجز لرؤبة، ينظر، سيبويه، الكتاب، 203/2، والمبرد، المقتضب، 232/4.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

في المهد، ونعمة الله على أمه براءتها مما نسب إليها، وتكفيلها لزكرياء، وتقبلها بتقبل حسن. وعبر الله تعالى عن كل تلك النعم التي امتن بها على عيسى بصيغة الماضي للدلالة على حدوثها.

والظرف في قوله: "إذ أيدتك بروح القدس" متعلق بـ"نعمتي" لما فيها من معنى المصدر، أي: النعمة التي حصلت للمنادى (عيسى) في ذلك الوقت المؤيد فيه بروح القدس. و"روح القدس": هو حقيقة جبريل عليه السلام الذي يؤيد به الله رسله.

وجملة: "تكلم الناس" في موضع نصب على الحال من الضمير المنصوب في: "أيدتك". وذلك أن الله ألقى الكلام من الملك على لسان عيسى وهو في المهد. وفي ذلك تأييد له لإثبات نزاهة خلقه؛ إذ خلق من أم بلا أب.

والجار والمجرور في قوله: "في المهد" في موضع الحال من فاعل "تكلم "، و"كهلا" عطف على موضع "في المهد". والمعنى: مكلما الناس صغيرا وكبيرا.

والمراد من مضمون النداء الشكر والامتنان، إذ ليس عيسى بناسٍ نعم الله عليه وعلى والدته.

الصورة الثانية: أداة نداء(محذوفة)+ منادى(اسم علم)+ أداة نداء(محذوفة)+ منادى(مركب إضافي)+مضمون النداء(جملة أمر).

وردت هذه الصورة في قوله تعالى: ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ﴾[1].

تختلف هذه الصورة عن سابقاتها في أنها اشتملت على نداءين: "اللهم" و"ربنا". وكُرر النداء مبالغة في التضرع والابتهال. والميم في "اللهم" عوض عن أداة النداء (يا) كما قدر النحاة[2]. و"ربنا" بتقدير أداة النداء(يا) المحذوفة في البنية السطحية، المقدرة في البنية العميقة، وتقدير الكلام: يا الله يا ربنا.

فالنداء ورد باسم الذات"اللهم" الجامع لكل صفات العظمة والجلال، وبوصف الربوبية "ربنا"، وذلك لتأكيد التضرع والاستعطاف والالتماس، لعل الله يستجيب لدعاء الداعي "عيسى" عليه السلام وللحواريين من قومه. ودعاؤهم يتمثل في مضمون الجملة الأمرية: "أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا...".

قرأ الجمهور: "تكون لنا عيدا" برفع المضارع على أن الجملة صفة للمائدة. وقرأ ابن مسعود والأعمش: "تكن" بالجزم على جواب الأمر[3]. والمعنى: يكن يوم نزولها عيدا لنا نحن المؤمنين دون غيرنا.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1)المائدة،114.

(2)ينظر، سيبويه، الكتاب، 25/1، 196/2، والأنباري، أسرار العربية، ص 232، والسيوطي، الأشباه والنظائر في النحو، 356/3، وينظر له، معترك الأقران، 62/2.

(3)ينظر، الزمخشري، الكشاف، 655/1، والقرطبي، الجامع، 368/6.

وقرأ زيد بن ثابت [1] وابن محيصن والجحدري: "لِأولانا وأُخرانا". لقد أنثوا اللفظين على معنى الأمة والجماعة[2].

وقوله: "لأولنا" بدل من الضمير في: "لنا"، وهو بدل بعض من كل. وعطف "آخرنا" عليه ليصير الكل في قوة البدل المطابق لإفادة الحصر والاختصاص. وقد أظهر لام الجر في البدل. وشأن البدل ألا يظهر فيه العامل الذي عمل في المبدل منه، لأن كون البدل تابعا للمبدل منه في الإعراب مناف لذكر العامل الذي عمل في المتبوع. ولهذا قال النحاة: إنّ البدل على نية تكرار العامل[3]. أي: إنّ العامل غير مصرح بـه. والتقدير: تكون لنا عيدا لأول من آمن منّا، وآخر من آمن.

الصورة الثالثة: أداة نداء(يا)+ منادى(اسم علم)+ مضمون النداء(جملة خبرية).

وردت هذه الصورة في ثمانية مواضع، ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾[4].

النداء صادر من بني إسرائيل لنبيهم موسى بدلالة سياق هذه الآية وسابقتها. وفي نداء بني إسرائيل لنبيهم باسمه قلة الأدب وجفاء منهم، إذ لم يقولوا يا رسول الله، أو يا كليم الله، أو غير ذلك من الأساليب التي تدل على التعظيم، وهي طبيعتهم في الحديث مع نبيهم. ومضمون النداء جملة خبرية، الفعل فيها مضارع منفي بـ "لن" الدالة على النفي في المستقبل.

ومجيء بجملة غائية مصدرة بـ "حتى" قيدت النفي. ومفهومها أن حوارا جرى بين موسى عليه السلام وقومه. وقيل: هم السبعون الذين اختارهم، وذلك أنهم لما سمعوا كلام الله أخبروه بنفي إيمانهم مستصحبا إلى غاية رؤية الله علنا، ليصدقوا بما جاء به من التوراة، فإن لم يروه لا يقرون بالإيمان[5].

وتحتمل الجملة المنفية: "لن نؤمن لك" أنهم سيرتدون في المستقبل إن لم يروا الله جهرة. ويحتمل أنهم أرادوا الإيمان الكامل الذي يعتمد على المشاهدة[6]. أي: إن أحد هذين الإيمانين ينتفي إن لم يروا الله جهرة؛ لأن "لن" تنفي المستقبل. قال سيبويه: لن لنفي سيفعل، كقولك: لن أضرب، نفي: سأضرب [7]. وكما أن قولك: سيؤمن لا يقتضي أنه الآن غير آمن. فليس في الجملة ما يدل على أنهم كفروا حين قولهم

(1) هو زيد بن ثابت بن الضحاك بن عمرو بن عبد عوف، كاتب النبي ﷺ وأمينه على الوحي. قرأ عليه أبو هريرة، وابن عباس. توفي سنة 45هـ. ينظر، الذهبي، معرفة القراء الكبار، 37/1، 38.

(2) ينظر، القرطبي، الجامع، 368/6، وأبو حيان، البحر المحيط، 60/4.

(3) ينظر، الزمخشري، الكشاف، 655/1، وأبو حيان، البحر المحيط، 60/4.

(4) البقرة، 55.

(5) ينظر، السمرقندي، بحر العلوم، 120/1، والرازي، مفاتيح الغيب، 78/3، 79، وأبو حيان، البحر المحيط، 370/1، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 163/1.

(6) ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 371/1.

(7) ينظر، الكتاب، 135/1، 136.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

هذا، ولكنها دالة على عدم اكتراثهم بما شاهدوه من معجزات حتى طلبوا أن يروا الله علنا، وإن لم يروه انتابهم الشك في صدق نبيهم. ولذلك عدي الفعل "نؤمن" باللام عوض الباء، لتضمينه معنى الإقرار بالله وعدم الإقرار بصدق موسى. أي: لن نصدقك فيما جئت به من التوراة[1]. وكان قولهم هذا ذنبا عظيما لتكذيبهم رسولهم.

وتكرر نداء بني إسرائيل لموسى في قوله: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾[2].

تختلف هذه الجملة عن سابقتها في أن جواب النداء منفي للاستقبال بلا قيد. حيث أن قوم موسى أخبروه بأنهم لن يصبروا على طعام واحد. ويقصد بالطعام الواحد ما لا يختلف؛ لأن الطعام المنزل على القوم صنفان، هما: المن والسلوى، وكني عنهما بطعام واحد، لأنهما يؤكلان في آن واحد؛ ويؤكل أحدهما بالآخر، كما يتكرر الغذاء بهما كل يوم[3].

والجملة المنفية: "لن نصبر على طعام واحد" لا تدل على عدم رضاهم بطعام واحد، بل اشتهوا صنوفا من الأطعمة. وإذا كان كذلك، لم يكن قولهم ذلك معصية، لأن من أبيح له أنواع من الطعام، له أن يسأل غيرها، إما بنفسه أو على لسان الرسول[4]. ولو أن صيغة طلب بني إسرائيل فيها من الجفاء وسوء الأدب، إلا أنه يفهم أنهم يبتغون الانتقال من نعمة لغيرها بقصد التنويع. وذلك حين ملوا المن والسلوى، وتذكروا معيشتهم الأولى بمصر[5].

وهذا بيان لما دفعهم على سؤال موسى أن يدعو ربه ظنا منهم أن طلبهم سيلقى قبولا عند الله. ولا يُعدُّ ما هو من الطباع البشرية جرما يحاسب عليه المرء إذا لم يسقط ذلك في محظور، إلا أن سياق الآية القبلي والبعدي يدل على أن ما عُدِّدَ من أفعالهم مع توارد نعم الله عليهم كله من خطاياهم.

ونجد هذه الصورة كذلك في قوله: ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾[6]. وقوله: ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا﴾[7]. وقوله: ﴿يَا عِيسَى إِنِّي متوفيك وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾[8].

النداء في التركيبين الأولين لمريم عليها السلام. وهو مؤكد بـ"بأنَّ" الناسخة لتثبيت الخبر. ففي التركيب الأول يبين الله ﷻ مقام مريم بين قومها وبين نساء العالمين؛ فقد اختارها أولا حين تقبلها

(1)ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 370/1.

(2)البقرة، 61.

(3)ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 314/1، والقرطبي، الجامع، 422/1.

(4)ينظر، أبوا حيان، البحر المحيط، 394/1.

(5)ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 314/1، والقرطبي، الجامع، 422/1.

(6)آل عمران، 42.

(7)آل عمران،45.

(8)آل عمران،55.

جمعية الإمام عبد القادر للعلوم الإسلامية

من أمها، واختصها بالرعاية والكرامة، وطهرها من الأدناس. واختارها آخرا بأن وهب لها عيسى من غير أب، ولم يكن ذلك لأحد من النساء[1]. ويبين في التركيب الثاني بأنه تعالى يبشرها بابن موجود بكلمة كن: "اسمه المسيح عيسى بن مريم". فعبر عن العلم واللقب والوصف بالاسم، لأن لثلاثتها أثرا في تمييز المسمى. ونسب إلى أمه مع أن الخطاب لها إشارة إلى أنه ولد من غير أب، وليبقى هذا الوصف ثابتا في الأذهان في كل زمان، وردا على من جعله إلها، وبيانا لمقامها وتكريما لها.

أما في التركيب الثالث، فللمفسرين رأيان في تأويله:

الأول: في الجملة تقديم وتأخير، لأن الواو لا تفيد الترتيب. والتقدير: يا عيسى إني رافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد أن تنزل من السماء. أي: إنه تعالى رفعه إلى السماء حيا، وسينزل في آخر الزمان، فيحكم بشريعة الإسلام ثم يميته. وهذا ما دلت عليه الأحاديث النبوية الصحيحة، فقد ورد عنه ﷺ أنه قال: "والله لينزلنَّ عيسى بن مريم حكما عدلا فليكسرنَّ الصليبَ وليقتلنَّ الخنزيرَ وليضعنَّ الجزيَة، وليتركنَّ القَلاصَ "[2].

الثاني: الجملة على أصلها. ومعنى "إني متوفيك": إني مميتك الإماتة الحقيقة. و"رافعك": رفع الروح والمكانة.

ويؤيد التأويل الأول أكثر العلماء[3]. وقال بعضهم الوفاة -هنا- هي وفاة نوم؛ فقد رفعه الله في منامه[4]. وقال القرطبي: "والصحيح أن الله تعالى رفعه إلى السماء من غير وفاة ولا نوم كما قال الحسن وابن زيد، وهو اختيار الطبري، وهو الصحيح عن ابن عباس"[5].

والأولى أن يحمل قوله: "إني متوفيك" على حقيقته، وأن تؤول الأخبار المستفادة من ظاهر اللفظ أنه حي على معنى حياة كرامة عند الله، بمثل حياة الشهداء وأكثر، وأنه إذا حُمِّلَ نزوله على ظاهره من غير تأويل، فإن ذلك يقوم مقام بعثه في آخر الأزمان.

ووردت بقية الصورة وملحقاتها في المواضع الآتية: آل عمران،(26)، والمائدة، (22،24).

الصورة الرابعة: أداة نداء (يا)+منادى (اسم علم)+مضمون النداء (جملة استفهامية").

وردت هذه الصورة في ثلاث جمل، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ...﴾[6].

(1)ينظر، النسفي، مدارك التنزيل، 176/1، والشوكاني، فتح القدير، 430/1.

(2)أخرجه الهندي في كنز العمال، 332/14،(في ذكر أشراط الساعة الكبرى).

(3)ينظر، الطبري، جامع البيان، 289/3، وابن عطية، المحرر الوجيز، 143/3، والخازن، لباب التأويل، 252/1.

(4)ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 142/3، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 44/2.

(5)الجامع في أحكام القرآن، 100/4.

(6)المائدة،112.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المنادي: "الحواريون" بدلالة المقام، والمنادى "عيسى"، ومضمون النداء جملة استفهامية: "هل يستطيع ربك..."؟.

واختلف القراء في قوله: "هل يستطيع ربك"؟. فقرأ الجمهور: "يستطيعُ" بياء الغيبة. وقرأ الكسائي: "تستطيعُ" بتاء الخطاب[1]، على أن الفعل "يستطيع" —في قراءة الجمهور- مسند إلى"ربك"، والمصدر المؤول "أن ينزل" مفعول للفعل "يستطيع"[2]. والمعنى: هل يقدر ربك أن يفعل؟ أو هل يستجيب لك ربك إن سألته ذلك؟

وعلى قراءة الكسائي يكون لفظ "ربَّك" منصوبا على المفعولية. ويكون المعنى: هل تستطيع —يا عيسى- سؤال ربك؟ على حذف المضاف. ويتضح المعنى من هذه القراءة أن الحواريين كانوا مؤمنين، و لم يشكوا في قدرة الله. وبها قرأت عائشة —رضي الله عنها-، وقالت: كان الحواريون أعرف بربهم من أن يقولوا: "هل يستطيع ربُّك"[3]. وهذا وجه حسن في القراءة[4].

أما قراءة الجمهور فظاهر بنية الجملة تقتضي أن الحواريين شكوا في قدرة الله تعالى على إنزال المائدة. وذلك الذي حمل الزمخشري على أن الحواريين لم يكونوا مؤمنين، فقال: "فإن قلت: كيف قالوا :"هل يستطيع ربك" بعد إيمانهم وإخلاصهم؟ قلت: ما وصفهم الله بالإيمان والإخلاص، وإنما حكى ادعاءهم لهما...وقوله: "هل يستطيع ربك"؟ كلام لا يرد مثله عن مؤمنين معظمين لربهم"[5].

وأما غير الزمخشري من أهل التفسير فاتفقوا على أن الحواريين كانوا مؤمنين، و لم يشكوا في قدرة الله تعالى. وقد أثنى عليهم في مواضع من القرآن، حتى قال ابن عطية: "ولا خلاف أحفظه في أن الحواريين كانوا مؤمنين"[6]. وقال الرازي:"إنهم كانوا مؤمنين إلا أنهم طلبوا هذه الآية ليحصل لهم مزيد الطمأنينة ...فإن مشاهدة هذه الآية لا شك أنها تورث الطمأنينة، ولهذا السبب قالوا وتطمئن قلوبنا"[7].

والظاهر أن تركيب:"هل يستطيعُ ربُّك"؟ —وفق قراءة الجمهور- جرى على طريقة العرض، يقال: هل تستطيع كذا؟ وهل تستطيع أن تسعى معنا في كذا ؟ وهل يستطيع فلان القيام معنا؟ وأنت تعلم أنه يستطيعه، وإنما يستخدم هذا الأسلوب الأدبي للأعلى منه طالبا العذر له إن لم يجبه إلى طلبه[8]. وهذا وجه

---

(1)ينظر، ابن خالويه، الحجة، ص 135، وأبو زرعة، حجة القراءات، ص 240، 241، والواحدي، الوسيط، 245/2، والبغوي، معالم التنزيل، 77/2، وابن عطية، المحرر الوجيز، 103/5، 104.

(2)ينظر، العكبري، التبيان، 473/1.

(3)أخرجه الطبري في جامع البيان، 130/7

(4)ينظر، الفراء، معاني في القرآن، 325/1.

(5)الكشاف، 654/1.

(6) المحرر الوجيز، 105/5، وينظر، الواحدي،الوسيط ، 245/2، والبغوي، معالم التنزيل، 77/2، والكلبي، التسهيل، 257/1، وأبو حيان، البحر المحيط، 57/4.

(7) مفاتيح الغيب، 107/12، وينظر، الخازن، لباب التأويل، 91/2.

(8) ينظر، الواحدي، الوسيط، 245/2، وابن عطية، المحرر الوجيز، 103/5، والبقاعي، نظم الدرر، 570/2.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

حسن في القراءة. ومن هذا الأسلوب ما جاء في حديث يحي المازني: "إن رجلا قال لعبد الله بن زيد: هل تستطيع أن تريني كيف كان رسول الله يتوضأ" ؟[1].فإن المستفهِم يعلم أن المستفهَم (عبد الله) لا يصعب عليه ذلك. وكذلك ليس قول الحواريين المحكي بهذا الأسلوب في التنزيل إلا أسلوبا من لغة العرب يدل على التأدب والتلطف في الطلب كما هو مناسب لأهل الإيمان كهؤلاء القوم. وليس شكا في قدرة الله تعالى، ولكنهم سألوه آية لاطمئنان قلوبهم، وزيادة الإيمان بأن ينتقلوا من الدليل العقلي إلى المحسوس.

ونظير هذه الصورة ورد في قوله:﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ [2].

مضمون النداء: "أأنت قلت للناس..."؟. وهو جملة استفهامية. وقد اتصلت ألف القطع بالضمير "أنت" المخاطب به عيسى عليه السلام. ويجوز في هذه البنية أن تثبت الهمزتان معا، أو أن تهمز الأولى وتمد الثانية، والأولى إثبات الهمزتين لتدل الأولى على همزة الاستفهام [3].ويلي همزة الاستفهام المسند إليه "أنت". وقدم على المسند الفعلي في قوله: "قلت للناس". ويدل على أن الاستفهام متوجه إلى تخصيصه بالخبر دون غيره، مع أن الخبر حصل فعلا. فقول القائلين من ملة عيسى: اتخذوا عيسى وأمه إلهين سوى الله، واقع بدلالة الفعل الماضي "قلت" المسند إلى الضمير"أنت". وهو استفهام الله تعالى مخاطب به المسيح عليه السلام. ويدل على استحالة أن يكون قال لأتباعه هذا القول، والله عليم بذلك، وإنما استفهمه لغرض أن يبرئه مما قاله الأحبار الذين ابتدعوا هذا القول، وهم يعلمون أن عقاب الله سيحل بهم على قولهم الكاذب[4].

واختلف المفسرون حول زمان وقوع هذا القول، فقال بعضهم: خاطب الله به عيسى حين رفعه إليه، وقالت النصارى ما قالت، وزعموا أن عيسى أمرهم بذلك، فسأله الله حينئذ عن قولهم [5].فقال -في هذه الآية- عقب الاستفهام: ﴿ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ﴾ .ونقل ابن عطية رأي ابن عباس، فقال: "قال ابن عباس...هذا القول من الله إنما هو في يوم القيامة، يقوله الله له على رؤوس الخلائق، فيرى

(1) أخرجه أبو داود في السنن، 77/1، (كتاب الطهارة)، وابن ماجة في السنن، 149/1، (كتاب الطهارة وسننها).

(2) المائدة، 116.

(3) ينظر، ابن قتيبة، أدب الكاتب، تحقيق محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت ط 2، 1996، ص 223.

(4) ينظر، الخازن، لباب التأويل، 94/2، وابن عاشور، التحرير والتنوير ، 113/7.

(5) ينظر، ابن الجوزي، زاد المسير، 463/2، والرازي، مفاتيح الغيب، 111/12، والنسفي، مدارك التنزيل، 351/1، والخازن، لباب التأويل، 94/2.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الكفار تبريه منهم، ويعلمون أن ما كانوا فيه باطلا"[1].وروى هذا الرأي أغلب المفسرين،[2] مستدلين بقوله تعالى: ﴿يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب﴾[3].

ويبدو من سياق الآية أن هذا الاستفهام وقع والإنجيل ينزل على عيسى عليه السلام. ويعد من القصص القرآني.ويحمل النداء دلالة الإنكار والتوبيخ لمن ادعى ذلك على نبي الله من النصارى.

وبقية هذه الصورة في آل عمران، (37).

الصورة الخامسة: أداة نداء (محذوفة)+منادى (علم)+مضمون النداء (جملة شرطية).

وردت في قوله تعالى: ﴿قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾[4].

المنادي محذوف في بنية الجملة. واختلف في هذا المنادي أو القائل، فأخرج الطبري عن مجاهد أن القائل هو النضر بن الحارث [5]. وقال أنس بن مالك فيما رواه البخاري: قائله أبو جهل[6]. وأسند القول -هنا- إلى الجمع، لأن كبراء القوم كالنضر أو غيره، إذا قالوا قولا ردده كثير من أتباعهم، شأن الناس أبدا بعلمائهم.

والمنادى"اللهم"حذفت قبله أداة النداء (يا)، وألحقت الميم المشددة عوضا عنها. وجواب النداء جملة شرطية، تتكون من شقين؛ جملة الشرط "إن كان هذا هو الحق ..."، وجملة الجواب "فأمطر علينا حجارة من السماء...". وقد ارتبطت بالفاء وجوبا لتغاير الجملتين بين الخبرية والطلبية (جملة الأمر). والإشارة في قوله: "إن كان هذا " إلى القرآن. وجيء بـ"إنْ" الشرطية دون غيرها من الأدوات، لأن الأصل فيها عدم التعيين بوقوع الشرط؛ فهم غير حازمين بأن القرآن هو حق من عند الله، بل هم موقنون بأنه غير حق.

وقرأ الجمهور: "هو الحقَّ" بالنصب، جعلوا الضمير "هو" ضمير فصل، وقرأ الأعمش وزيد بن علي بالرفع [7]. وقال ابن عطية: "ويجوز في العربية رفع "الحق" على أنه خبر "هو"، والجملة خبر كان"[8].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) المحرر الوجيز، 111/5، وينظر، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ص 137.

(2) ينظر، البغوي، معالم التنزيل، 328/2، وابن الجوزي، زاد المسير، 463/2، والرازي، مفاتيح الغيب، 111/12، والنسفي، مدارك التنزيل، 351/1، والخازن، لباب التأويل، 94/2.

(3) المائدة، 109.

(4) الأنفال، 32.

(5) ينظر، جامع البيان،230/9.

(6) ينظر، صحيح البخاري، 241/5، (كتاب تفسير القرآن).

(7)ينظر، الزمخشري، الكشاف، 155/2، وأبو حيان، البحر المحيط، 482/4.

(8)المحرر الوجيز، 280/6.

وقال أبو حيان: هي قراءة "جائزة في العربية. فالجملة خبر "كان" وهي لغة تميم يرفعون بعد (هو) التي هي فصل في لغة غيرهم"[1].

وفي مضمون النداء (الجملة الشرطية) مبالغة عظيمة في إنكار الحق، أي: إن كان القرآن حقا، فعاقبنا على إنكاره بإمطار الحجارة علينا أو بعذاب آخر. قال الزمخشري: "ومراده نفي كونه حقا، وإذا انتفى كونه حقا لم يستوجب منكره عذابا، فكان تعليق العذاب بكونه حقا مع اعتقاد أنه ليس بحق كتعليقه بالمحال في قولك: إن كان الباطل حقا فأمطر علينا حجارة. وقوله: "هو الحق" تهكم بمن يقول على سبيل التخصيص والتعيين هذا هو الحق... ويقال:أمطرت السماء كقولك: أنجمت وأسبلت... وقد كثر الإمطار في معنى العذاب. فإن قلت: ما فائدة قوله: "من السماء" والأمطار لا تكون إلا منها؟ قلت: كأنه أريد أن يقال: فأمطر علينا السجيل"[2]. وقال أبو حيان: "والذي يظهر لي أن حكمة قولهم (من السماء) هي مقابلتهم مجيء الأمطار من الجهة التي ذكر ﷺ أنه يأتيه الوحي من جهتها، أي: إنك تذكر أنه يأتيك الوحي من السماء فأتنا بعذاب من الجهة التي يأتيك منها الوحي"[3].

ومعنى الجملة: واذكر يا محمد حين قالت قريش: اللهم إن كان هذا القرآن هو الحق المترل من عندك، فعاقبنا بإنزال حجارة ترجمنا بها من السماء، أو آتنا بعذاب آخر. والمراد إنكار كونه حقا مترلا، وأنهم لا يتبعونه، وإن كان هو الحق المترل، بل يفضلون العذاب، وأنهم يسخرون بمن يقول: القرآن حق. وهو غاية الإنكار والجحود.

<u>النمط السادس:</u> أداة نداء (يا)+منادى(مستغاث)+مضمون النداء.

تمثل هذا النمط في صورة واحدة، جاءت على النظام الآتي:

أداة نداء(يا)+منادى (مستغاث)+مضمون النداء (جملة استفهامية معللة).

وردت في قوله تعالى:﴿يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِي﴾[4].

المنادي غير ظاهر في بنية الجملة، ويدل عليه سياق هذه الآية وسابقاتها، إذا هو أحد أبناء آدم عليه السلام، وقد قتل أخاه بسبب شجار وقع بينهما.

وأداة النداء "يا"، وهي الأداة الوحيدة التي تستعمل للمستغاث [5]. ولا يجوز حذفها مع المنادى المستغاث[6]، "لأن الغرض من ذكرها إطالة الصوت، والحذف مناف لذلك"[7].

---

(1)البحر المحيط، 482/4، و النهر الماد، 923/1.

(2)الكشاف، 155/2.

(3)البحر المحيط، 482/4، و النهر الماد، 924/1.

(4) المائدة،31.

(5) ينظر، عبد السلام هارون، الأساليب الإنشائية، ص 144، وعباس حسن، النحو الوافي، 78/4.

(6) ينظر، ابن مالك، شرح التسهيل، 386/3.

(7) فتح الله صالح المصري، الأدوات المفيدة للتنبيه، ص 27.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والمنادى "ويلتى" منصوب مضاف. وهذه الكلمة من صيغ الاستغاثة المستخدمة في معنى التعجب. وعوضت الألف عن لام الاستغاثة. والتقدير: ياويلتي احضري. ويجوز أن تجعل الألف عوضا عن ياء المتكلم. ويكون النداء مجازا؛ نزلت الويلة فيه منزلة ما ينادى، كقوله تعالى: ﴿يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ [1].

ومضمون النداء جملة استفهامية معللة: "أعجزت... فأواري سوءة أخي"؟. وهي تفيد الإنكار. والمعنى: وافضيحتي اقبلي آن الأوان لحضورك، أبلغ بي ضعفي وقلة معرفتي أن أكون دون الغراب علما وحيلة، فأدفن أخي وأواري جثته؟!

وفي هذا المعنى تحسر، وفيه دلالة على ندم الجاني. والندم الذي أظهره من الأمور التي تعرض لكل من يقوم بشيء، ثم يتبين له خطأ فعله وسوء عاقبته.

(1) الزمر، 56.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خصائص جملة النداء

على ضوء الدراسة التطبيقية لجملة النداء يستنتج ما يأتي:

1- تبين أن المنادى ليس مفعولا به لفعل محذوف وجوبا تقديره "أنادي" أو "أدعو"، كما ذهب صاحب الكتاب وسائر البصريين[1]، لأنه لو أظهر الفعل المقدر لتحول النداء إلى أسلوب خبري، واختلف المعنى. كما يلحظ الفرق جليا بين المفعول به الذي هو عنصر متمم لبناء الجملة، وبين المنادى الذي هو ركن أساسي في بنائها. وتقدير الفعل الذي ادّعوه لم يدفع إليه تصور لفظي ولا معنوي، وإنما دعت إليه الصنعة والتكلف النحوي في تفسير حركة المنادى وفق نظرية العامل. ولو أن النحاة سلكوا مسلك الخليل بن أحمد الفراهيدي [2]، أو ابن مضاء القرطبي[3] في تفسير حركة المناديات لاستغنوا عن التكلف والتمحل الذي انتشر في مؤلفات المتأخرين. وقد يكون أقرب إلى منطق اللغة وطبيعتها أن نقول: إن المنادى منصوب بأداة النداء. ويظهر ذلك في المنادى المضاف والشبيه بالمضاف والنكرة غير المقصورة، أما المنادى المفرد و النكرة المقصودة فيبنيان على الضم.

2- استخدمت أداة النداء (يا) دون غيرها من الأدوات. وقد جاءت مذكورة ومحذوفة. وحذفت في مواضع لسهولة تقديرها، ولشعور المنادي بقربه من المنادى. وهذا غالب في نداء لفظ "ربنا" و"رب"، ومبعثه شعور المنادي (الداعي) أنه قريب من ربه.

3- تنوع النداء إلى ما يأتي:

أ- نداء الله ﷻ رسله ومخلوقاته لامتثال أوامره ونواهيه، كما في قوله: ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾[4]. ينادي الله ﷻ نبيه عيسى بن مريم، ويأمره بأن يذكر نعمته عليه وعلى والدته. وكقوله: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾[5]. ينادي الله ﷻ بعض عباده، وهم أصحاب العقول، ويأمرهم بالاعتبار، وذلك بالتدبر في دلائل الأشياء على لوازمها وعواقبها وعللها.

ب- دعاء الرسل والبشر ربهم، كقوله: ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾[6].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) ينظر، سيبويه، الكتاب، 182/2، والأنباري، مسائل الخلاف، 301/1.

(2) ذكر سيبويه رأي الخليل في الكتاب، 182/2، 183.

(3) ينظر رأيه في الرد على النحاة، ص 59.

(4) المائدة، 110.

(5) الحشر، 2.

(6) آل عمران، 38.

فقد سأل زكرياء ربه أن يهبه أبنـــاء صـــالحين. وكقولـــه:﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾[1]. دعا المؤمنون ربهم ألا يميل قلوبهم عن الحق.

ج- نداء العباد بعضهم بعضا، كقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ [2]. فقد أمر موسى بني إسرائيل بذكر نعمة الله عليهم، إذ جعـــل فيهم أنبياء وسادة وملوكا. وكقوله: ﴿وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا﴾[3]. دعـــت طائفة بن المنافقين أهل يثرب (المدينة المنورة) للرجوع إلى مدينتهم، ليسلموا من قتال الكفار. فلا يوجد مسوغ في رأيهم للإقامة في معسكر المسلمين.

4- تنوع المنادى؛ فقد جاء معرفا بـ"ال" ومضافا، وعلما، ومستغاثا. ويلحظ أن أغلب النداء وجـه للمؤمنين، وقد نودي المؤمنون بوصفهم في السور المدينة ثمانية وثمانين(88)مرة. ونداؤهم بهذا الوصف تكـــريم لهم؛ فهم الذين يستجيبون لأوامر الله ونواهيه، ويسارعون إلى امتثالها بسبب صفة الإيمان.

وقد أثبت الوصف كمية استخدام تلك الأنواع. والجدول الآتي يوضح ذلك:

نوع المنادى	عدد الاستخدام
المعرف بـ"ال"	119
المضاف	72
العلم	16
المستغاث	1
المجموع	208

5- تبين أن الجملة الندائية مركبة؛ فهي تتألف من ثلاثة عناصر: الأداة، والمنادى، ومضمون النـــداء. وليس كما تصور بعض القدامى الذين وقفوا عند لفظ المنادى، وراحوا يجهدون أنفسهم في تقديـــر عاملـــه، وبذلك ابتعدوا عن جوهر اللغة، وعن وظيفتها التواصلية. ويبدو أن سيبويه قد تفطن لهـــذه المســـألة، فقـــال "المنادي مختص من بين أمته لأمرك ونهيك وخبرك"[4]. و لم يوفق الكوفيون في قولهم: "إن النداء لا يكاد ينفـك عن الأمر وما جرى مجراه من الطلب والنهي، ولذلك لا يكاد يوجد في كتاب الله تعالى نداء ينفك عن أمـــر أو نهي"[5]. والصحيح ما رآه البصريون في أن النداء يأتي بعده الخبر.

(1) آل عمران، 8.

(2) المائدة، 20.

(3) الأحزاب، 13.

(4)الكتاب،231/2، 232.

(5)الأنباري، الإنصاف، 104/1.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

6- ورود مضمون النداء جملة أمر في أكثر الأحيان للدلالة على الأهمية والوجوب، كما تنوع من جملة أمرية إلى خبرية إلى استفهامية إلى شرطية، إلى جملة نهي.

7- طول الجملة الندائية في الغالب بسبب طبيعة الجواب، وما يتبعه من جمل معطوفة. فالجملة الندائية قد لا تكتفي بمكوناتها الأساسية من أداة نداء، ومنادى، ومضمون نداء، بل قد تمتد فتتبع بجمل أخرى عطفية أو غائية أو تعليلية، أو غيرها، كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[1]. وكقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾[2]. وكقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[3].

وهذا الطول ينسجم مع طبيعة المنادى والموضوع، لأن الله تعالى كان في أغلب النصوص مفصلا أحكامه.

8- تواترت التراكيب الندائية، وتنوعت مبنى ومعنى، لتسمح للحمل بالامتداد، لتحقيق الفاصلة، والتآلف بين البنى النحوية والدلالية.

9- خروج النداء عن معناه الأصلي إلى معان أخر تفهم من السياق، ومنها:

- الندب، كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾[4].

- التوبيخ، كقوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ﴾[5].

-الدعاء، كقوله: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[6].

-التحريم، كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾[7].

-النصح، كقوله: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[8].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) النساء، 59.
(2) النور، 27.
(3) الحج، 77.
(4) البقرة، 254.
(5) آل عمران، 98.
(6) آل عمران، 147.
(7) المائدة، 95.
(8) النور، 21.

-التأنيس والتكريم، كقوله: ﴿ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ﴾[1].

-الوجوب، كقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا ﴾[2].

-التأديب، كقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ﴾[3].

-التهديد، كقوله: ﴿ سنفرغ لكم أيها الثقلان ﴾[4].

-التعجيز، كقوله: ﴿يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا ﴾[5].

-التشويق، كقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ﴾[6].

-اللوم والعتاب، كقوله: ﴿يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك ﴾[7].

-اليأس، كقوله: ﴿ يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم ﴾[8].

---

(1) الأحزاب، 45.

(2) الحجرات، 6.

(3) الحجرات، 11.

(4) الرحمن، 31.

(5) الرحمن، 33.

(6) الصف، 10، 11.

(7) التحريم، 1.

(8) التحريم، 7.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الرابع

جملة الاستفهام

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جملة الاستفهام

الاستفهام معناه طلب حصول صورة الشيء في ذهن السامع[1]. أو "طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل بأداة خاصة"[2]. أي: هو إرادة الفهم من المتلقي (المخاطب) بصيغة يفهم منها السؤال أو الاستفهام. ويتعلق الاستفهام إما بالمسند، وإما بالمسند إليه، وسواء تعلق بهذا أم بذاك، فإنه يكون دوما بإحدى أدوات الاستفهام، وهي: الهمزة، وهل، وكيف،وكم، ومن، ومتى، وأين، أيان، وماذا، وأنى، وما.

والاستفهام حقيقي وغير حقيقي، لأنه يمكن أن تستعمل صيغة الاستفهام في غيره مجازا، وعند ذلك يخرج إلى دلالات تفهم من السياق.

أما عناصر الجملة الاستفهامية فهي: المستفهِم، والمستفهَم، وأداة الاستفهام، والمستفهم عنه.

والجملة الاستفهامية وردت في اثنتين وثلاثين ومائتي (232)جملة. يمكن توزيعها على الأنماط الآتية:

النمط الأول: جملة استفهامية تعتمد أداة(الهمزة).

الهمزة إما أن تكون حرفا ينادى به، أو تكون للاستفهام، وهي أصل أدوات الاستفهام [3]، إذ "ليس للاستفهام في الأصل غيره"[4]. ويطلب بها التصور تارة والتصديق تارة أخرى، فهي أعم من الجميع، لأنها مشتركة بين الطلبين[5].

ورد هذا النمط في خمس وتسعين(95) جملة. تتقاسمه الجملتان المثبتة والمنفية.

أولا: جملة استفهامية مثبتة مصدرة بالهمزة.

وردت في تسع وأربعين (49) جملة. يتوزع أغلبها على الصور الآتية:

الصورة الأولى: الهمزة+ جملة فعلية ماضوية (مسند + مسند إليه).

نجد هذه الصورة في قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ﴾.[6]

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1)ينظر، علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، ص35.

(2)عبد العزيز عتيق، علم المعاني، ص96.

(3)ينظر، السيوطي، الأشباه والنظائر، 141/2.

(4)سيبويه، الكتاب، 99/1.

(5)ينظر، السيوطي، الأشباه والنظائر، 141/2، وزين الدين الخويسكي، الجملة الفعلية في شعر المتنبي، دار بورسعيد للطباعة، مصر، 1985، ص170.

(6)آل عمران، 20.

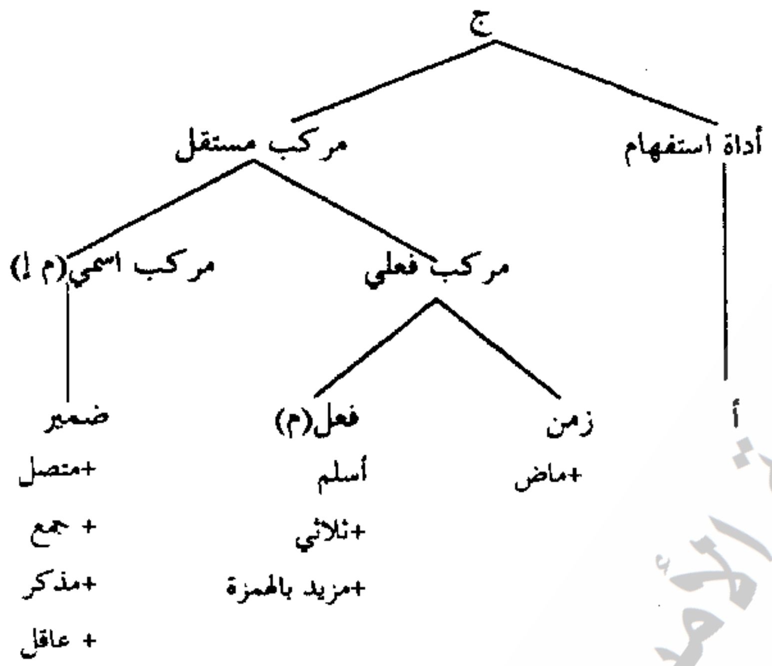

دخلت الهمزة على جملة فعلية ماضوية، وحروف الاستفهام تدخل على كل من الفعل والاسم والحرف، وهي بالفعل أولى[1]. وقد حذف المفعول به في الجملة اختصارا، والتقدير: أأسلمتم وجوهكم لله؟

والمعنى: هل أفردتم التوحيد لله، وأخلصتم العبادة له دون سائر الأنداد التي تشركونها معه في عبادتكم؟ أم أنتم بعد على كفركم بآيات الله تعالى وإصراركم على العناد؟. والخطاب لأهل الكتاب من اليهود والنصارى بقرينة اللفظ –في الآية– في قوله: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾.

والاستفهام تقريري يتضمن الأمر، أي: اسلموا. كذا قاله الطبري وغيره[2]. وقال الزمخشري: "يعني أنه أتاكم من البينات ما يوجب الإسلام ويقتضي حصوله لا محالة، فهل أسلمتم أم أنتم بعد على كفركم، وهذا كقولك لمن لخصت له المسألة و لم تبق من طرق البيان والكشف طريقا إلا سلكته: هل فهمتها لك أم لا؟... وكذلك في هل فهمتها؟ توبيخ بالبلادة وكلة القريحة"[3].

والظاهر من السياق أن الاستفهام في معنى الأمر الدال على الاستبطاء والحث، كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[4]. أي: انتهوا.

وجيء بصيغة الماضي في قوله: "أأسلمتم"؟ وعدل عن صيغة المضارع"أتسلمون"؟ على خلاف مقتضى الظاهر للدلالة على أنه يرجو تعالى تحقق إسلامهم حتى يكون كالذي وقع في الماضي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1)ينظر، سيبويه، الكتاب، 137/1.

(2)ينظر، جامع البيان، 214/3، والبغوي، معالم التنزيل، 287/1، وابن عطية، المحرر الوجيز، 58/3، والسيوطي، الإتقان، 173/2.

(3)الكشاف، 419/1،420.

(4)المائدة، 91.

الصورة الثانية: الهمزة+ جملة فعلية مضارعية(مسند+ مسند إليه+ مفعول به).

تبرز هذه الصورة في قوله تعالى:﴿ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ ﴾[1].

الخطاب للمؤمنين بقرينة سياق هذه الآية. ومعنى الجملة: أتخافون المشركين على أنفسكم من أن ينالكم منهم مكروه، فتتركون قتالهم خوفا منهم؟ وقال الطبري: "يعني فعلهم ذلك يوم بدر"[2].

والفعل المضارع في تركيب الاستفهام يدل على الحال والماضي بقرينة السياق، لأن التركيب في معنى التوبيخ. والتوبيخ يكون فيما صدر من الأفعال، أو أن الاستفهام تقريري بسبب التردد في قتال المشركين، والتقدير: أينتفي قتالكم لخوفكم أياهم؟ وفي هذا المعنى زيادة في الحث على قتالهم.

الصورة الثالثة: الهمزة+ أداة عطف+ مفعول به+ مضاف إليه+ مسند+ مسند إليه.

من هذه الصورة الجملة الآتية:

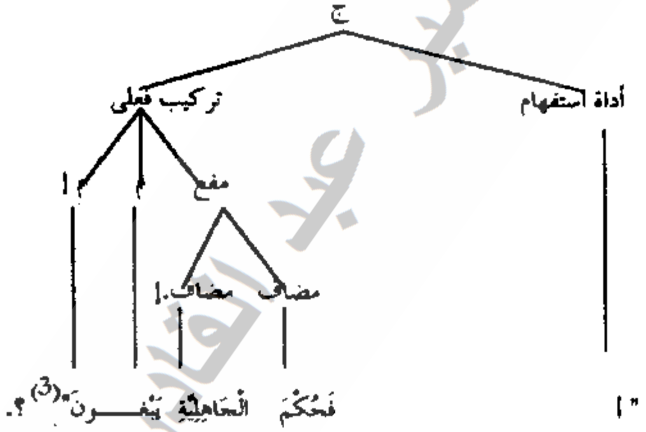

لقد اختلف القراء في قوله: "أفحُكْمَ"؟ فقرأه الجمهور بضم الحاء، وسكون الكاف، وفتح الميم. وقرأ ابن وثاب[4] والنخعي[5] بالرفع[6]. على معنى: أفحكمُ الجاهلية حكمٌ يبغون؟ فحذف الموصوف، وهو الخبر."والبصريون يجيزون ذلك في الاختيار، ويرونه ضعيفا"[7]. ويجوز أن يكون على معنى: أفحكم الجاهلية يبغونه؟ فحذف الهاء كما حذفها أبو النجم في قوله:

(1)التوبة، 13.

(2)جامع البيان، 331/10.

(3)المائدة، 50 .

(4)هو يحي بن وثاب الأسدي الكوفي، مولى بني أسد. روى عن ابن عباس، وابن عمر رضي الله عنهم، وعن مسروق وعبيدة السلماني، وأبي عبد الرحمن السلمي. وقرأ على بعضهم. توفي سنة 103هـ. ينظر، الذهبي، معرفة القراء الكبار، 62/1 وما بعدها.

(5)هو الأسود بن يزيد أبو عمرو. أخذ القراءة عرضا عن ابن مسعود. قرأ عليه يحي بن وثاب وإبراهيم النخعي. توفي سنة 75هـ . ينظر، الذهبي، معرفة القراء الكبار،50/1.

(6)ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 474/4، والزمخشري، الكشاف، 619/1، والرازي، مفاتيح الغيب، 14/11، والقرطبي، الجامع، 215/6، وأبو حيان، البحر المحيط، 516/3.

(7)ابن مالك، شرح التسهيل، 312/1.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قَدْ أَصْبَحَتْ أُم الخِيَار تَدَّعي   عَلَيَّ ذَنْبًا كُلُه لَمْ أَصْنَع[1]

فإن الرفع في لفظ "كُلُّهُ" وجه من الكلام العربي، ولكن النصب أقوى منه. يقول ابن جني: "... ألا تراهم كيف يدخلون تحت قبح الضرورة مع قدرهم على تركها، ليعدوها لوقت الحاجة إليها؟... أفلا تراه كيف دخل تحت ضروة الرفع؟. ولو نصب لحفظ الوزن وحمى جانب الإعراب من الضعف"[2].

وهذه الجملة نظير قول العرب: أزيدا ضربته؟ فلما دخلت همزة الاستفهام على الاسم يختار النصب[3].

ولذلك نرجح في لفظ "أفحكمَ" القراءة بالنصب على المفعولية. وقدم المفعول به "حكم"- المضاف إلى اسم معرف بـال"الجاهلية"- عن المسند والمسند إليه "يبغون"، لأجل الفاصلة، وأصل الجملة: أفيبغون حكم الجاهلية؟

وقرأ الحسن وقتادة والأعرج والأعمش: "أفحَكَمَ" بنصب الحاء والكاف والميم[4]. وهي في معنى قراءة الجمهور، إذ ليس المراد الحَكَمَ، وإنما المراد الحُكْمُ؛ فكأنه قال: أفحكمٌ حَكَمَ الجاهلية يبغون؟ وفي هذا المعنى إشارة إلى الكهان الذين كانوا يحكمون بحسب أهوائهم. ويكون معنى: "حُكْمَ"في قراءة الجمهور مفردا جمعه أحكام. والمقصود: استنكار أحكام وشرائع الجاهلية التي ابتدعها اليهود افتراء على حكم الله تعالى.

أما معنى القراءة الشاذة فـ"حَكَمَ" مفرد جمعه حُكّام. والمراد: الاستنكار والتشنيع على حُكام الجاهلية الذين يحكمون بين الناس بشرائع الجاهلية[5]. وتلتقي هذه القراءة-الشاذة-بقراءة الجمهور في التشنيع على أحكام الجاهلية، وتزيد عليها في بيان أن هذا الوصف ينسحب على الحكام، وليس مقصورا على الأحكام[6].

فالاستفهام توبيخ لليهود الذين أبوْا قبول حكم الإسلام عليهم، وارتضوا أن يكون خاتم النبيين حَكَمًا كحكام الجاهلية.

واختلف القراء-أيضا- في قوله: "يبغون". فقرأ الجمهور بياء الغيبة، والضمير (المسند إليه) عائد على اسم الموصول"من"-في الآية السابقة-في قوله:﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾. والمعنى: أيطلب هؤلاء اليهود حكم عبدة الأوثان؟ وقرأ ابن عامر بتاء الخطاب[7]، على أنه خطاب لليهود على طريقة الالتفات، وهو أدل على الغضب. والمعنى: قل لهم-يا محمد-أفحكم الجاهلية يبغون؟.فاليهود لم يرضوا بحكم الله تعالى، وكانوا

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1)ذكره البغدادي في خزانة الأدب، 359/1.

(2)الخصائص، 61/3، وينظر له، المحتسب، 211/1.

(3)ينظر، ابن جني، المحتسب، 211/1.

(4)ينظر، المصدر السابق، 211/1، وابن عطية، المحرر الوجيز، 475/4، والقرطبي، الجامع، 215/6.

(5)ينظر، بازمول، القراءات وأثرها في التفسير والأحكام، 536/2.

(6)ينظر، المرجع السابق، 536/2.

(7)ينظر، ابن مجاهد، كتاب السبعة في القراءات، ص245، وأبو زرعة، حجة القراءات، ص228، والداني، التيسير، ص82، وابن عطية، المحرر الوجيز، 475/4،476.

يجعلون حكم الشريف خلاف حكم الوضيع؛ فأقاموا الحدود على الضعفاء وتركوا الأقوياء، وبذلك ضارعوا حكام الجاهلية في هذا الفعل[1].

والاستفهام إنكاري توبيخي؛ فالله تعالى ينكر على من خرج عن حكمه المحكم المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر إلى ما سواه من الأحكام الموضوعة بلا مستند من شريعته.

ومن هذه الصورة -أيضا- قوله: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾[2].

دخلت الهمزة على جملة معطوفة بالفاء لعطف هذه الجملة على ما قبلها. وجوز الزمخشري ومن تبعه هذا الوجه[3]. وهو قول جميع النحاة القدامى[4]. والتقدير: أيتولون فغير دين الله يبغون؟

وقدم المفعول به "غير" على فعله، لأنه أهم من حيث إن الإنكار متوجه إلى المعبود بالباطل. وهو قول الزمخشري ومن نهج نهجه[5]، إلا أن الإنكار لا يتوجه للذوات، إنما يتوجه إلى الأفعال التي تتعلق بالذوات؛ فالذي أُنكر هو الفعل "يبغون" الذي تعلق بالمفعول به "غير". وإنما جاز تقديم المفعول به من باب الاتساع، وأخر المسند والمسند إليه"يبغون" لأجل الفاصلة[6].

وقرأ أبو عمرو[7]، وحفص[8] "يبغون" بياء الغيبة. وقرأ الجمهور بالتاء خطابا لأهل الكتاب[9]. فالقراءة بالياء على الغيبة يكون الضمير عائدا على"هم الفاسقون"-في الآية السابقة-وذلك بالإعراض عن مخاطبة أهل الكتاب إلى مخاطبة المسلمين بالتعجب من حالهم. والقراءة بتاء الخطاب على سبيل الالتفات من الغيبة إلى الخطاب توبيخا لهم.

<u>الصورة الرابعة:</u> الهمزة+ جملة فعلية مضارعية(مسند+ مسند إليه+ جار ومجرور+ صفة+جار ومجرور).

وردت في قوله تعالى: ﴿أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾[10].

---

(1)ينظر، الطبري، جامع البيان، 614/6، والقرطبي، الجامع، 214/6.

(2)آل عمران، 83

(3)ينظر، الكشاف، 441/1، والقنوجي، فتح البيان، 276/2.

(4)ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 538/2.

(5)ينظر، الكشاف، 441/1،442، والقنوجي، فتح البيان، 276/2.

(6)ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 538/2.

(7)هو أبو عمرو بن العلاء المازني، المقرئ النحوي البصري، قرأ على أبي العالية، وقرأ عليه خلق كثير. وأخذ عنه القراءة أبو عبيدة والأصمعي وغيرهما. توفي سنة 154هـ. ينظر، الذهبي، معرفة القراء الكبار، 100/1 وما بعدها.

(8)هو أبو عمر بن سليمان بن المغيرة البزاز الاسدي. كان أعلم زمانه، وهو في القراءة ثقة ضابط. توفي سنة 180 هـ. ينظر، عبد العال سالم مكرم، وأحمد مختار عمر، معجم القراءات، 90/1.

(9)ينظر، أبو زرعة، حجة القراءات، ص170، وابن الجوزي، زاد المسير، 416/1، والقرطبي، الجامع، 127/4، وأبو حيان، البحر المحيط، 537/2.

(10)التوبة، 38.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخطاب للمؤمنين بقرينة سياق الآية. وجاء في سبب نزول الآية أنها في شأن المؤمنين الذين حصل منهم التخلف أو التثاقل عن القتال يوم غزوة تبوك[1].

والفعل في قوله: "أرضيتم"؟ مسند إلى الضمير المتصل ببنيته، وهو دال على جماعة المخاطبين، وتعدى بحرف الجر (الباء). وجيء بالفعل في: "رضيتم"-المخاطب به جماعة المؤمنين الراضين عن الحالة التي كانوا عليها يوم ذاك-دون "فضلتم" أو "آثرتم" أو نحو ذلك للدلالة على أن الإنكار تم منهم عن طيب نفس وانشراح صدر.

وفي حرف الجر"من" معنى البدلية[2]. أي: أرضيتم بحظ الدنيا الزائل بدلا من نعيم الآخرة الدائم؟. ويفهم منه مجازا أن متاع الحياة الدنيا إذا قيس بخيرات الآخرة كان قليلا.

والاستفهام إنكاري توبيخي؛ إذ لا يليق ذلك الفعل بالمؤمنين.

الصورة الخامسة: الهمزة+ جار ومجرو+ أداة عطف(الواو)+معطوف(مكرر)+جملة منسوخة بـ(كان).

وردت في قوله تعالى:﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾[3].

الخطاب لجماعة من المنافقين، كانوا يسيرون بين يدي رسول الله ﷺ، وهو منطلق إلى تبوك[4]، فقال بعضهم لبعض: "انظروا إلى هذا الرجل يريد أن يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات! فأطلع الله نبيه عليه السلام على ذلك، فقال: احبسوا على الركب، فأتاهم، فقال: قلتم كذا وكذا، فقالوا: يا نبي الله لا والله ما كنا في شيء من أمرك ولا من أمر أصحابك، ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر"[5].إلا أن الله ﷻ " لم يعبأ باعتذارهم، لأنهم كانوا كاذبين فيه، فجعلوا كأنهم معترفون باستهزائهم وبأنه موجود منهم حتى وبخوا بأخطائهم موقع الاستهزاء، حيث جعل المستهزأ به يلي حرف التقرير، وذلك إنما يستفهم بعد وقوع الاستهزاء وثبوته"[6]. والمراد بالاستهزاء بالله تعالى: هو الاستهزاء بذكره وبتكاليفه [7]. ولكون الاستهزاء بالله وبآياته إلزام للمنافقين لزمهم الاستهزاء بالذي أرسله بآيات صدقه.

---

(1)ينظر، الطبري، جامع البيان، 372/10، والواحدي، أسباب النزول، ص207، وابن عطية، المحرر الوجيز، 493/6، والنسفي، مدارك التنزيل، 497/1.

(2)ينظر، العكبري، اللباب في علل البناء والإعراب، 354/1، وابن هشام، أوضح المسالك، 343/1، وابن عقيل، شرح ألفية ابن مالك، 25/2.

(3)التوبة، 65.

(4)ينظر، البغوي، معالم التنزيل، 308/2، وابن الجوزي، زاد المسير، 464/3.

(5)الزمخشري، الكشاف، 200/2، وينظر الطبري، جامع البيان، 408/10، والسمرقندي، بحر العلوم، 59/2، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 417/3.

(6)الزمخشري، الكشاف، 200/2، وينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 67/5، 68.

(7)ينظر، الرازي، مفاتيح الغيب، 98/16.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وفي الجملة تقديم وتأخير، فقد قدم المعمول "بالله" على فعله العامل فيه أو المتعلق به قصد قصر التعيين لإبطال مغالطتهم في الجواب. فأعلمهم بأن لعبهم الذي اعترفوا به ما كان إلا استهزاء بالله وآياته ورسوله لا بغير ذلك. فَقَصْرُ الاستهزاء على تعلقه بما ذكر اقتضى أن الاستهزاء واقع لا محالة، لأن القصر قيد في الخبر الواقع جملة فعلية، فيقتضي وقوع الفعل على ما قرره السكاكي في معنى القصر الواقع في قول القائل: أنا كفيت مهمك، وأنه يؤكد بنحو: وحدي، أو لا غيري، ولايقال: أنا كفيت مهمك وغيري[1]. وكذلك-هنا-لا يصح أن يفهم: أبالله... كنتم تستهزئون أم لم تكونوا مستهزئين؟ وكان أن اقتضى هذا المعنى تقديم معمول خبر كان عليها، وهو جائز[2]. والاستفهام إنكاري توبيخي.

الصورة السادسة: الهمزة+جملة فعلية مضارعية (مسند+مسند إليه (مضمر)+مفعول به أول+مفعول به ثان).

تتجلى هذه الصورة في قوله تعالى:﴿ قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ﴾[3].

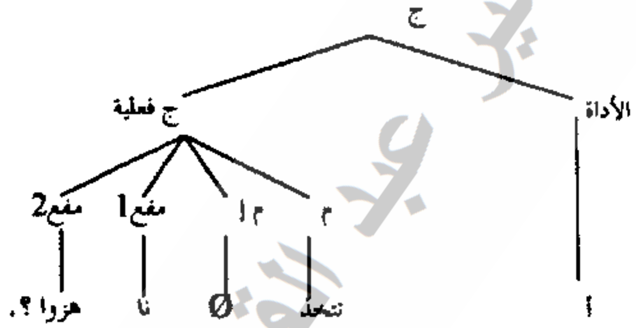

دخلت أداة الاستفهام "الهمزة" على جملة فعلية، فعلها مضارع "تتخذ"، وقد أسند إلى المخاطب المفرد "أنت" –المخاطب به موسى عليه السلام بقرينة المقام– وتعدى الفعل إلى مفعولين أصلهما المبتدأ والخبر، لأنه من أفعال التصيير؛ فهو بمعنى "تجعل". والمفعول الأول: ضمير جماعة المتكلمين "نا" الدال على قوم موسى عليه السلام، والمفعول به الثاني: "هزوا"، وهو مصدر. ويجوز أن يكون التقدير على حذف مضاف، وإبقاء المضاف إليه "هزوا"، والتقدير:أتتخذنا أهل هزؤ، أو مكان الهزؤ؟. والهزء نفسه لفرط الاستهزاء[4].

قرأ الجمهور: "أتتخذنا"؟ بالتاء على أن الضمير لموسى عليه السلام حين أخبرهم عن أمر الله بأن يذبحوا بقرة[5]. وقرأ عاصم الجحدري، وابن محيصن بالياء على أن الضمير لله تعالى[6]. وذلك على معنى: أيتخذنا الله

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1)ينظر، مفتاح العلوم، ص 292.

(2)ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 68/5.

(3)البقرة، 67.

(4)ينظر، أبو حيان، البحر المحيط،415/1.

(5)ينظر، المصدر السابق، 414/1.

(6) ينظر، أبو زرعة، حجة القراءات، ص100، والداني، التيسير، ص63، وابن الجزري، النشر، 215/2.

هزؤا؟.وهو استفهام على سبيل الإنكار. وهو ينبئ عن غلظ الطبع والجفاء والجهل والتكذيب[1]. وهي من صفات بني إسرائيل.

وقرأ الجمهور: "هزؤا" بضمتين وهمز بعد الزاي وصلا ووقفا، وقرأ حمزة وخلف[2] والقزاز[3] بإسكان الزاي وبالهمز وصلا، ووقفوا عليه بتخفيف الهمز واوا. وقرأ حفص بضم الزاي وتخفيف الهمز واوا في الوصل والوقف[4]. وكلها لغات أساسها التثقيل والتخفيف؛ "فالتخفيف لغة تميم والتثقيل لغة أهل الحجاز"[5].

وتدل قراءة الجمهور: "أتتخذنا هزؤا"؟ على أن حوارا جرى بين موسى عليه السلام وقومه؛ فهم يسألونه عن أمر القتيل، وهو يأمرهم بذبح البقرة، وإنما سألوا ذلك، لأنهم لم يدروا ما الحكمة من ذبح البقرة.

والاستفهام حقيقي لظنهم أن الأمر بذبح بقرة للاستبراء من دم القتيل كالاستهزاء واللعب، فهو استفهام استرشاد لا استفهام إنكار.

الصورة السابعة: الهمزة+جملة فعلية مضارعية(مسند+مسند إليه+مفعول به أول+جار ومجرور(مفعول به ثان)+جار ومجرور.

وردت في موضعين، وذلك في قوله تعالى:﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ﴾[6].

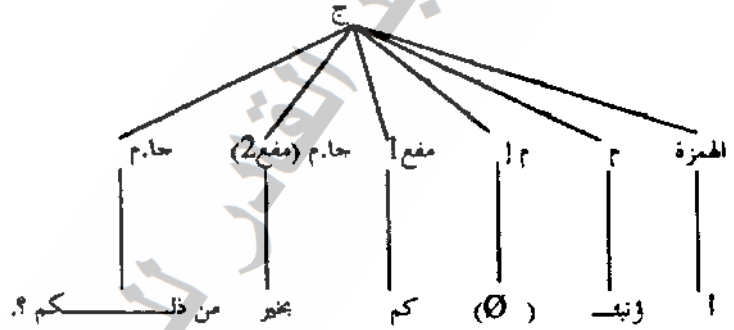

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) ينظر، القرطبي، الجامع، 447/1.

(2)هو أبو محمد خلف بن هشام البزاز، وقراءته لم تخرج عن قراءة الكوفيين. توفي سنة 229هـ. ينظر، الذهبي، معرفة القراء الكبار، 208/1، وما بعدها.

(3)هو أبو الحسن بن ذؤابة البغدادي المقرئ، كان من جلة أهل الأداء، قرأ على الخزاعي واللهبي، وتصدر الإقراء مدة. قرأ عليه الدار قطني، وصالح بن إدريس، توفي قبل الأربعين وثلاث مائة. ينظر، الذهبي، معرفة القراء الكبار، 299/1، 300.

(4)ينظر، الداني، التيسير، ص63، وابن الجزري، النشر، 215/2.

(5)ينظر، أبو زرعة، حجة القراءات، ص101.

(6)آل عمران، 15.

الهمزة في: "أَؤُنَبِّئُكُم" الأولى همزة استفهام دخلت على همزة المضارعة. وقرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر: "أَؤُنَبِّئُكُم" بتسهيل الهمزة الثانية واوا. وقرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف: بتخفيف الهمزتين [1].

والفعل "أُنبئُ" من "نبأ"، أو "أنبأ" تعدى إلى مفعولين: الأول الضمير المتصل "كم"، والثاني تعدى له بحرف الجر "بخير". و"خير" اسم تفضيل، أصله: "أخير". وقال أبو حيان: "لا يجوز أن يراد به خير من الخيور، ويكون من ذلكم صفة لما يلزم في ذلك من أن يكون ما رغبوا فيه بعضا مما زهدوا فيه" [2]. والإشارة بـ"ذلكم" إلى ما ذكر -في الآية السابقة- مما زين للناس من حب الشهوات من النساء والبنين والقناطر المقنطرة من الذهب والفضة وأنواع الأموال التي هي متاع الدنيا.

الخطاب في الجملة للمؤمنين بدلالة السياق. أراد أن يشوقهم الله إلى الآخرة. وأخرج الطبري عن عمر ابن الخطاب، لما نزلت: "زين للناس حب الشهوات". قال: الآن يا رب حين زينتها لنا! فنزلت هذه الآية [3].

ومعنى الجملة: أأخبركم بأفضل من ذلكم الذي ذكر من متاع الدنيا؟ فالآخرة أطيب وأفسح من الدنيا لما فيها من نعيم لا يزول. يقول ابن عطية: "في هذه الآية تسلية عن الدنيا وتقوية لنفوس تاركيها، وذكر تعالى حال الدنيا وكيف استقر تزيين شهواتها، ثم جاء الإنباء بخير من ذلك هازا للنفوس وجامعا لها، لتسمع هذا النبأ المستغرب النافع لمن عقل" [4].

والاستفهام للعرض تشويقا للمخاطبين إلى تلقي ما يخبرهم به ربهم.

وردت هذه الصورة -كذلك- في قوله: ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [5]. الخطاب للكافرين بدلالة سياق الآية. والإشارة بـ"ذلكم" إلى ما ذكر قبل هذه الجملة -في هذه الآية- من غيظ الكفار على التالين وسطوهم عليهم أو إلى ما أصابهم من الكراهة والضجر بسبب ما تُلي عليهم [6].

وذكر في هذا التركيب جواب الاستفهام، وهو قوله: "النار وعدها الله الذين كفروا". فقد وعد الله هؤلاء الكافرين الحاقدين على المؤمنين بالنار.

والمعنى: قل يا محمد لهؤلاء الكافرين مقابلة لوعيدهم: ألا أخبركم بشر من غيظكم الذي ملأ قلوبكم؟ النار وعدها الله لكم.

---

(1) ينظر، أبوزرعة، حجة القراءات، ص 156، 157.

(2) البحر المحيط، 417/2.

(3) ينظر، جامع البيان، 198/3.

(4) المحرر الوجيز، 48/3، وينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 417/2.

(5) الحج، 72.

(6) ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 358/6.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والاستفهام مستخدم في الاستئذان، وهو استئذان تهكمي، لأن الله تعالى قد أنبأهم بذلك دون أن ينتظر جوابهم.

الصورة الثامنة: الهمزة+جملة فعلية ماضوية(مسند+مسند إليه+ ظرف زمان+ مضاف إليه-مكرر-).

وردت في قوله تعالى:﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾[1].

اتسمت هذه الجملة بإيجاز الحذف، والتقدير مثلا: أكفرتم بالله؟ فحذف الجار والمجرور، لأنه معلوم لدى المتلقي.

وقوله: "أكفرتم"؟ مقول قول محذوف. وذلك القول هو جواب"أما"، ولذلك لم تدخل (الفاء) الرابطة للجواب في: "أكفرتم"؟ ليدل على أنه ليس بجواب، وأن الجواب محذوف، والتقدير: فأما الذين اسودت وجوههم فيقولون " أكفرتم...؟ والمعنى: أجحدتم توحيد الله وميثاقه الذي وائتمنوه عليه بأن تخلصوا له العبادة؟

والظاهر من سياق هذه الآية وسابقتها أن الخطاب لأهل الكتاب من يهود ونصارى. وكفرهم بعد الإيمان يعني تكذيبهم برسول الله ﷺ بعد اعترافهم به قبل أن يبعث[2]. وقال أغلب المفسرين: الخطاب للمرتدين وأهل البدع والمنافقين[3]. يقول أبو حيان: "الخطاب في: "أكفرتم"؟ إلى آخره يتفرع على الاختلاف في الذين اسودت وجوههم، فإن كانوا الكفار، فالتقدير بعد أن آمنتم حين أخذ عليكم الميثاق... وإن كانوا أهل البدع، فتكون البدعة المخرجة عن الإيمان، وإن كانوا قريظة والنضير فيكون إيمانهم به قبل بعثه، وكفرهم به بعده... وإن كانوا المنافقين فالمراد بالكفر كفرهم بقلوبهم، وبالإيمان الإيمان بألسنتهم"[4].

وفي معنى الاستفهام توبيخ ووعيد لأولئك الذين كفروا بعد الإيمان، فلهم سوء العذاب بسبب كفرهم.

الصورة التاسعة: الهمزة+جملة فعلية مضارعية (مسند+ مسند إليه (مضمر) +مفعول به+جار ومجرور+ظرف زمان+مضاف إليه (ظرف)+مضاف إليه (جملة اسمية).

وردت في قوله تعالى:﴿أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[5].

مدخول الهمزة جملة مضارعية، استخدم فيها الفعل "يأمر" المتعدي إلى المفعول به الضمير"كم".

(1)آل عمران، 106.

(2)ينظر، الطبري، جامع البيان، 386/4،387، والماوردي، النكت والعيون، 415/1، والبغوي، معالم التنزيل، 340/1، والنسفي، مدارك التنزيل، 195/1.

(3)ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 260/3، والرازي، مفاتيح الغيب، 151/8، والنسفي، مدارك التنزيل، 195/1، والثعالبي، الجواهر الحسان، 283/1.

(4)البحر المحيط، 27/3، وينظر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، 45/3،46.

(5)آل عمران، 80.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وظرف الزمان "بعدَ" متعلق بالفعل منتصب به، و"إذْ" مضاف إليه، ولا يضاف لها إلا ظرف زمان[1]. وهي -هنا- مضافة للجملة الاسمية "أنتم مسلمون". وقد ذكر النحاة أنها تضاف لكل من الجملتين الاسمية والفعلية[2].

ومعنى الجملة: لا يأمركم أنبياؤكم بالكفر بعد إذ خرجتم منه، ومنَّ الله عليكم بالإسلام.

وقال بعض المفسرين: إن الخطاب للمسلمين من أمة محمدﷺ وهم الذين استأذنوه أن يسجدوا له[3]، لأن اليهود والنصارى لم يوصفوا بأنهم مسلمون في القرآن. وهو تفسير يحمله ظاهر جملة "أنتم مسلمون"، إلا أن سياق الآية ورد حين الحديث عن الأنبياء السابقين للرسالة المحمدية، فيجوز أن يراد بالإسلام الإيمان تفريقا بينهم وبين الكافرين بقرينة الجار والمجرور "بالكفر"، لأن الكفر ملة واحدة.

والاستفهام إنكاري على ارتكابهم هذه الحالة. وقد يكون إنكارهم لإرضاء أنبيائهم، وهو كفر؛ فهم لا يرضون بالكفر، فما كان من حقهم التلبس بالكفر بعد إذ تركوه وصاروا مسلمين، فهو أفحش في هذه الحالة وأشنع.

الصورة العاشرة: الهمزة+جملة فعلية مضارعية (مسند+ مسند إليه+مفعول به+حال+أداة عطف (الواو)+معطوف(حال)+صفة.

وردت هذه الصورة في قوله تعالى:﴿أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾[4].

المسند (الفعل المضارع) في: "تأخذونه" متعد؛ وقد تعدى إلى المفعول به الضمير"الهاء" العائد على قوله: "قنطارا" في هذه الآية. واتصل به المسند إليه "واو الجماعة"، وانتصب"بهتانا" على الحال من الفاعل في "تأخذونه" بتأويله باسم الفاعل، أي: مباهتين، أو باهتين. وإنما جعل هذا الاتخاذ بهتانا، لأنهم كانوا إذا كرهوا المرأة، وأرادوا تطليقها رموها بسوء المعاشرة، واختلقوا عليها ما ليس فيها، لكي تخشى سوء السمعة، فتعطي للزوج مالا فداء لذلك ليطلقها[5].

والاستفهام إنكاري، أي: أتقومون بهذا الفعل فتأخذون ما قدمتموه مهرا لزوجاتكم مع ظهور قبحه لكم؟

الصورة الحادية عشرة: الهمزة+ أداة عطف(الفاء)+جملة مضارعية(مسند+ مسند إليه+ جملة مصدرية(في محل جر)+جار ومجرور).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1)ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 531/2.

(2)ينظر، سيبويه، الكتاب، 119/3، والمبرد، المقتضب، 177/3.

(3)ينظر، الزمخشري، الكشاف، 440/1، والرازي، مفاتيح الغيب، 100/8، وأبو حيان، البحر المحيط،531/2.

(4)النساء، 20.

(5)ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 215/3، 216، وينظر، له النهر الماد، 444/1.

وردت في قوله تعالى:﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾[1].

الفعل في "تطمعون" متعد بـ"في"، وحذفت قبل "أن". وزمن الفعل الاستقبال، لأن الطمع إنما يكون في المستقبل. واللام في "لكم" لتضمين "يؤمنوا" معنى يقروا، وقد يفيد التعليل، أي: أفتطمعون أن يعترفوا به لأجلكم؟ والضمير المجرور "كم" يدل على اليهود بقرينة السياق.

والفاء –المتصلة بالفعل– لعطف الاستفهام الإنكاري على جملة: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ –في الآية السابقة– لأن في دلالتها مما يقتضي اليأس من إيمان اليهود بما جاء به الرسولﷺ، فهو في معنى: فلا تطمعوا في إيمانهم لكم، لأنهم كانوا يسمعون كلام الله ويحرفونه بعد الفهم. والمطموع في إيمانهم هم اليهود المعاصرون لرسول اللهﷺ: يقول أبو حيان: إن "المعنى استبعاد إيمان اليهود، إذ تقدم لأسلافهم أفاعيل، وجرى أبناؤهم عليها، فبعيد صدور الإيمان من هؤلاء"[2].

ونهي المؤمنين إنما هو نهي عن الطمع في إيمانهم لا عن دعوتهم للإيمان، لأن الدعوة تكون واجبة لإقامة الحجة عليهم، ولو كان المؤمنون آيسين منهم.

وفي الجملة التفات دلالي، حيث ورد الضمير على صورة واحدة في "أفتطمعون"؟ و"يؤمنوا"، واختلف المخاطبون به؛ فهو في الأول للمؤمنين، أو للرسول أو للمؤمنين، وفي الثاني لليهود.

<u>الصورة الثانية عشرة</u>: الهمزة+أداة عطف+جملة فعلية مضارعية(مسند+مسند إليه+جار ومجرور+مضاف إليه)+أداة عطف+جملة فعلية مضارعية(مسند+مسند إليه+جار ومجرور).

وردت في قوله تعالى:﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾[3].

تصدرت أداة الاستفهام التركيب، ويتكون مدخولها من جملتين فعليتين، فعلهما مضارع، تربط بينهما الواو ربطا يوضح المفارقة بين الإيمان والكفر. فالمخاطبون وهم اليهود يؤمنون بجزء من التوراة، ويكفرون بجزء. وقد حذف المضاف إليه "الكتاب" من الجملة المعطوفة للاختصار، وبحذفه نونت كلمة "بعض"، لأنها نكرة انقطعت عن الإضافة، وذلك لأن حذف التنوين يدل على الانفصال، والإضافة تدل على الاتصال [4].

والاستفهام إنكاري توبيخي، أي: كيف تعمدتم مخالفة التوراة في قتال بعضكم واتبعتموها في فداء أسراهم؟ فالله تعالى لم يوبخهم على فداء الأسرى، بل على المناقضة، إذا أتوا ببعض الواجب وتركوا بعضا. ويكون عاما ما آمنوا به، وفداء الأسير من جملته، والبعض الذي كفروا به هو قتل بعضهم بعضا، وإخراج بعضهم بعضا من ديارهم بالإثم والعدوان من جملة ما كفروا به من التوراة [5]. وسمي الإتباع إيمانا، والإعراض

(1)البقرة، 75.

(2)البحر المحيط، 438/1، وينظر، الزمخشري، الكشاف، 291/1.

(3)البقرة، 85.

(4)ينظر، الأنباري، أسرار العربية، ص 279.

(5)ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 382/1، وأبو حيان، البحر المحيط، 461/1، و الثعالبي، الجواهر الحسان، 94/1.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

كفرا، وهذا من قبيل التضاد، لتجسيد الصورة الذهنية للمتلقي، لأن التضاد ينبئ عن قضية نفسية كبـــيرة [1]. وذلك أنَّ تعمد المخالفة لكتاب الله (التوراة) قد يفضي بصاحبها إلى الكفر بـــــه. وإنمـــا اســتعمل القــرآن "تؤمنون"في حيز الإنكار تنبيها على أن الجمع بين الأمرين المتناقضين عجيب.

<u>الصورة الثالثة عشرة</u>: الهمزة (مقدرة)+مسند (مقدر)+مسند إليـــه(مقــدر)+أداة عطـف+جــار ومجرور+مضاف إليه.

وردت هذه الصورة في قوله تعالى:﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ <u>وَمِن ذُرِّيَّتِي</u> ﴾[2].

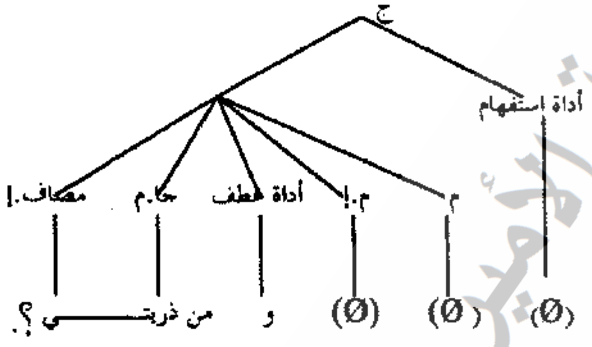

أداة الاستفهام غير ظاهرة في البنية السطحية للجملة، وتقدر بالهمزة، إذ لا يقدر غيرهـــا مـــن أدوات الاستفهام [3]. وقد أغنى التنغيم الاستفهامي في قوله: "ومن ذريتي"؟ عن أداة الاستفهام (الهمـــزة)، فحذفـــت الأداة، وبقي الاستفهام مفهوما من السياق العام للخطاب [4]. فالتنغيم إذن، يؤدي الوظيفة نفسها التي تؤديـها أداة الاستفهام، إذ أنه في هذه الحال له مدلول، وهو الاستفهام، ودال وهو الضغط على العنصر الأخير مـــن الكلمة ضغطا يؤكد ذلك الاستفهام، إلا أن الدال (التنغيم) لا يظهر في سلسلة الأصوات المنطوقة [5].

وقد اتضح لآمنه بن مالك "أن التنغيم من الفونيمات الصوتية التي تنتمي إلى ما فوق الـــتركيب تمييـــزا له عن الفونيمات المكونة لبنية الكلمة ويتحكم فيه الأداء وهو لذلك لا معنى له في ذاته، وإنما يكتسب مع غيره من الفونيمات دلالة رمزية اعتباطية". [6]

ويلحظ في الجملة -كذلك- حذف المسند والمسند إليه من البنية السطحية، ويقدران في البنية العميقـــة، وذلك ما تدل عليه الجملة السابقة، ويمكن التقدير: أو تجعل من ذريتي إماما؟

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1)ينظر، محمد بركات، البلاغة عرض وتوجيه وتفسير، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1983، ص 145.

(2)البقرة، 124.

(3)ينظر، المبرد، المقتضب، 295/3، وابن هشام، مغني اللبيب ، 22/1.

(4)ينظر، تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 227، وخليل أحمد عمايرة، المعنى الدلالي والقاعدة النحويـــة، مجلـــة الآداب، جامعـــة قسنطينة، العدد 4، 1997، ص154.

(5)ينظر، ANDRE MARTINET. ELEMENTS DE LINGUISTIQUE GENERALE. LIBRAIRIE ARAMAND COLIN; Paris 1980; P 22

(6)ظاهرة التنغيم في البحث الصوتي بين القديم والحديث، مجلة الآداب، جامعة قسنطينة، العدد 2، 1995، ص41.

والمستفهِم هو إبراهيم الخليل، والمستفهَم هو الله سبحانه، والمستفهم عنه هو الإمامة من ذرية إبراهيم.
والمعنى: أو تجعل -يا رب- الإمامة لبعض ذريتي؟. والمراد بالإمام هنا الرسول؛ فهو إمام للأمة المبعوث إليها، وقد عدل القرآن الكريم عن التعبير بـ"رسولا"، ليكون ذلك دالا على أن رسالته تنفع الأمة المرسل إليها بطريق التبليغ، وتفيد غيرهم من الأمم بطريق الاقتداء. وإنما جيء بـ"من" الدالة على البعضية -هنا- فقال:"ومن ذريتي"؟. و لم يقل: "وذريتي"، لأنه يعلم أن حكمة الله ﷻ من هذا العالم لم تجر بأن يكون جميع ذرية أونسل أحد ممن يصلحون لأن يقتدى بهم؛ فلم يسأل ما هو من المستحيل في العادة، لأن سؤال ذلك ليس من آداب الدعاء.

الصورة الرابعة عشرة: الهمزة+جملة فعلية مضارعية(مسند+مسند إليه+ظرف مكان+مضاف إليه+مفعول به).

نجد هذه الصورة في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ﴾[1].

دخلت الهمزة على جملة فعلية مضارعية، أسند فيها الفعل إلى واو الجماعة، وتعدى إلى المفعول به "العزة". و جملة: "يبتغون" في محل نصب حال، أي: اتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين مبتغين العزة. أي: الغلبة والمنعة بموالاتهم.

الاستفهام في الجملة للمنافقين بدلالة السياق -في هذه الآية- وهم "الذين يتخذون الكافرون أولياء من دون المؤمنين". والمراد بالكافرين: اليهود والنصارى ومشركو العرب[2]. ومعنى الجملة: أيطلبون عندهم الغلبة والنصرة على الرسول والمؤمنين بموالاتهم؟. وفي الجملة "إيماء إلى أن المنافقين لم تكن موالاتهم للمشركين لأجل المماثلة في الدين والعقيدة، لأن معظم المنافقين من اليهود، بل اتخذوهم ليعتزوا بهم على المؤمنين، وإيماء إلى أن المنافقين شعروا بالضعف فطلبوا الاعتزاز، وفي ذلك نهاية التجهيل والذم"[3].

ودل الاستفهام على إنكار الفعل وتوبيخ فاعليه، ولذلك جاز التفريع عنه في الجملة الموالية بقوله:﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾. أي: لا عزة إلا به؛ فالعزة لله في الدنيا والآخرة، وهو يؤتيها من يشاء. والمراد أن العزة تكون في النهاية لأولياء الله الذين كتب لهم العزة والغلبة على الكافرين والمنافقين.

الصورة الخامسة عشرة: الهمزة+ جملة فعلية مضارعية(مسند+ مسند إليه+ مضاف إليه+ مفعول به(جملة مصدرية)+ جملة حالية+جملة معطوفة+ جملة تعليلية.

(1)النساء، 139.

(2) ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 389/3.

(3)ابن عاشور، التحرير والتنوير، 234/5.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وردت في قوله تعالى: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ ﴾ (1).

الفعل "يود" أسند إلى "أحد" المضاف إلى الضمير "كم" المخاطب به المرائين والمنافقين بدلالة السياق. وقد تعدى هذا الفعل إلى المفعول به المؤول من "أن" وما بعدها، وأنعت القرآن هذه الجنة التي تحتوي على نخيل وأعناب، ثم أردفها بما ذكر من الثمرات، ثم جيء بجملة حالية "أصابه الكبر"، وعطف عليها جملة "وله ذرية ضعفاء"، ثم جيء بجملة تعليلية "فأصابها إعصار فاحترقت".

وقد تشابكت الجمل في هذا التركيب، وارتبطت ببعض لتجسيد صورة هذا الرجل الذي أذهب حسناته باقترافه السيئات آخر عمره. وتعود كثرة البنى النحوية لاحتواء التركيب على معنى كثير، لا تسعه جملة قصيرة. وهي سمة غالبة على جمل وتراكيب السور المدنية.

وفي التركيب استعارة تمثيلية، وهي تشبيه حال المرائين أو حال كل منافق أو كافر عمل عملا وهو يحسب أنه يحسن صنعا، فلما جاء إلى وقت الحاجة لم يجد شيئا مما فعل(2). و لم يذكر في الجملة المشبه، ولا أداة التشبيه، وإنما ذكر المشبه به فقط. ودلت القرائن على إرادة التشبيه. يقول ابن قتيبة: "هذا مثل ضربه الله ﷺ للمنافقين والمرائين بأعمالهم لا يريدونه بشيء منها"(3). وذكر الزمخشري أن الحسن البصري قال: "هذا مثل، قلّ والله من يعقله من الناس: شيخ كبير، ضعف جسمه، وكثر صبيانه، أفقر ما كان إلى جنته، وإن أحدكم والله أفقر ما يكون إلى عمله، إذا انقطعت عنه الدنيا"(4).

وروى البخاري أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل يوما أصحاب رسول الله ﷺ فيما ترون هذه الآية نزلت؟ "أيود أحدكم أن تكون له جنة..."؟. "فقالوا: الله أعلم، فغضب، فقال: قولوا: نعلم أو لا نعلم، فقال ابن عباس: في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين، فقال عمر: يا ابن أخي قل ولا تحقر نفسك، فقال: ضربت مثلا لعمل، قال عمر: أي عمل؟ فقال: لعمل، فقال عمر: رجل غني يعمل الحسنات، ثم بعث الله له الشياطين، فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله كلها"(5).

ومعنى التركيب: أتحب أيها المنفق لغير وجه الله أن تكون لك جنة فيها نخيل وأعناب وثمار مختلفة، تسقى بأنهار، وقد علقت عليها الآمال، ورجوت أن تنتفع بها مع صغارك الضعفاء، وأنت في حال الكبر، ولا مورد لك غير هذه الجنة، ثم أصابتها رياح لافحة، فأحرقت بحرها؟!. وهذا المثل يبين حال من أنفق ماله رياء الناس أو أتبعه بالمن والأذى، فلن يجد له منفعة يوم الحساب. وفي معنى الاستفهام إنكار وتحذير.

(1)البقرة، 266.

(2)ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 443/2.

(3)تأويل مشكل القرآن، ص 324.

(4)الكشاف، 395/1.

(5)أخرجه الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت)، 283/2، (كتاب التفسير).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ونظير هذه الصورة ورد في قوله: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ [1].

مدخول الهمزة جملة فعلية مضارعية. وقد أسند فيها الفعل "يحب" إلى "أحد" المضاف إلى "كم" الدال على المخاطبين المغتابين-في الآية-وقد ورد المفعول به جملة مصدرية "أن يأكل لحم أخيه". أما لفظ "ميتا" فنصب على الحال من "أخيه"، أو من "لحم".

وقرأ الجمهور هذه اللفظة "ميْتاً" بسكون الياء للتخفيف. وقرأ نافع بكسرها مشددة، وهما لغتان، والأصل التشديد[2].

الخطاب في الجملة للمؤمنين بقرينة المقام، لأن النداء لهم-في هذه الآية- في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا...﴾. والمعنى: أيحب أحدكم-أيها المؤمنون-أن يأكل لحم أخيه بعد مماته؟ والجواب عن هذا الاستفهام يكون بـ(لا). أي: فإن لم تحبوا ذلك فلا تحبوا أن تغتابوه في حياته؛ فإن الله حرم غيبته حيا، كما حرم أكل لحمه ميتا. وفي كراهية أكل الإنسان لحم أخيه ميتا مما يدعو إليه الطبع. وكراهية الغيبة يدعو لها العقل، ولذلك خاطب القرآن المؤمن بهذا القول لتتضح له الصورة، فيستجيب ممتثلا. فالميت لا يحس، وكذلك الغائب لا يسمع ما يقوله له المغتاب. ثم هو في التحريم كأكل لحم الميت[3].

وقال صاحب التسهيل: "شبه الله الغيبة بأكل لحم ابن آدم ميتا، والعرب تشبه الغيبة بأكل اللحم، ثم زاد في تقبيحه أن جعله ميتا، لأن الجيفة مستقذرة"[4]. وفي معنى الاستفهام "تصوير لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على أفضع وجه وأفحشه"[5]. ويضيف الزمخشري استزادة في فهم المقصود بهذا القول الكريم، فيقول: "وفيه مبالغات شتى: منها الاستفهام الذي معناه التقرير، ومنها جعل ما هو في الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة، ومنها إسناد الفعل إلى أحدكم والإشعار بأن أحدا من الأحدين لا يحب ذلك، ومنها إن لم يقتصر على تمثيل الاغتياب بأكل لحم الإنسان حتى جعل الإنسان أخا، ومنها إن لم يقتصر على أكل لحم الأخ حتى جعل ميتا"[6]. وفي الحديث الشريف: "ما صام من ظل يأكل لحوم الناس"[7]. أي: اغتابهم في عرضهم، فمن اغتاب أخاه؛ فهو كالآكل لحمه ميتا.

والاستفهام تقريري توبيخي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1)الحجرات، 12.

(2)ينظر، أبو زرعة، حجة القراءات، ص677، والداني، التيسير، ص88، وابن عطية، المحرر الوجيز، 511/13، وابن الجزري، النشر، 224/2.

(3)ينظر، الزمخشري، الكشاف، 568/3.

(4)الكلبي، التسهيل، 359/2.

(5)ينظر، الزمخشري، الكشاف، 568/3.

(6)المصدر السابق، 568/3.

(7)ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن، 336/16، والسيوطي في الدر المنثور، 201/1.

<u>الصورة السادسة عشرة</u>: الهمزة+ جملة فعلية مضارعية(مسند+ مسند إليه+ مفعول به(مصدر مؤول)+ جملة فعلية ماضوية(مفعول به+ مسند+ مسند إليه).

وردت هذه الصورة في قوله تعالى: ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾[1].

دخلت الهمزة على جملة مضارعية، زمن الفعل فيها للحال، وهو متعد، مفعوله "أن تهدوا" بتأويل مصدر في محل نصب. وجملة "أن تهدوا" صلة "أن" المصدرية لا محل لها.

الخطاب في الجملة للمؤمنين بدلالة السياق. والمعنى: أتريدون أن تهدوا هؤلاء المنافقين الذين أضلهم الله؟ وقال الزمخشري المعنى: "أتريدون أن تجعلوا من جملة المهتدين "من أضل الله" من جعله من جملة الضلال، وحكم عليه بذلك، أو خذله حتى ضل"؟.[2]

وقال ابن عطية: "أتريدون أيها المؤمنون القائلون بأن أولئك المنافقين مؤمنون أن يسمّوا بالهدى مَنْ قَدْ يسره الله للضلالة"؟.[3] ويتضح من خلال معنى الجملة أن من أراد الله تعالى ضلاله لا يستطيع أحد هدايته، حتى لا تقع إرادته مخالفة لإرادة الله، ومن حكم الله عليه بالضلال لا يمكن إرشاده.

والاستفهام إنكاري مشوب باللوم. وفيه دليل على أنّ من أضله الله لا تنجح فيه هداية البشر.

ويلحق بهذه الصورة قوله: ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾[4].

تتفق هذه الجملة مع سابقتها -من هذه الصورة- في أن الفعل "تريد" اتصل به المسند إليه (واو الجماعة)، والمفعول به مؤول من "أن"وما بعدها. والفعل المضارع "تجعلوا" المسند إلى واو الجماعة تعدى إلى مفعولين: الأول لفظ الجلالة "الله"، والثاني "سلطانا".

ويتضح من سياق الآية أن الخطاب للمنافقين الذين نهاهم الله عن اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين؛ فإن موالاة الكافرين أوضح أدلة النفاق. وقال ابن عطية: "خطابه تعالى للمؤمنين يدخل فيه بحكم الظاهر المنافقون المظهرون للإيمان"[5]. والمعنى: أنكم إن بقيتم على موالاة الكافرين جعلتم الله عليكم حجة واضحة في استحقاق العقاب[6]. وفي هذا المعنى دلالة على أن الله ﷻ لا يعاقب أحدا بمقتضى حكمته إلا بعد قيام الحجة عليه. وهو تعريض بالمنافقين الذين تظاهروا بالإيمان ووالوا الكافرين، لئلا يقولوا كنا نعلم أن الله لا يحب موالاة الكافرين[7]. والاستفهام إنكاري. والمراد منه الإنذار والتحذير.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1)النساء، 88.

(2)الكشاف، 551/1، وينظر، النسفي، مدارك التنزيل، 271/1.

(3)المحرر الوجيز، 161/4.

(4)النساء، 144.

(5)المحرر الوجيز ، 269/4.

(6)ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 395/3، وابن عاشور، التحرير والتنوير، 243/5، والزحيلي، التفسير المنير، 330/5، والمراغي، التفسير، 189/5.

(7)ينظر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، 243/5.

ويلحق بهذه الصورة- كذلك-قوله:﴿ أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ ﴾[1].

الفعل في قوله: "أأشفقتم"؟ مسند إلى ضمير المخاطبين "أنتم"، ومفعوله هو الجملة المصدرية "أن تقدموا"، والتقدير: أأشفقتم عاقبة ذلك وهو الفقر؟ والإشفاق توقع حصول ما لا يبتغيه المرء، أو الخوف من العجز عن الشيء المتصدق به للفقراء، أو من ذهاب المال في الصدقة[2].والمعنى: "أخفتم تقديم الصدقات لما فيه من الإنفاق المنقص للمال الذي هو أحب الأشياء إليكم"؟[3]

ويتضح من سياق هذه الآية وسابقتها أن الخطاب لفئة من المؤمنين القادرين على تقديم الصدقة قبل المناجاة، وثقل عليهم ذلك.

والاستفهام مستخدم في العتاب على تركهم تلك الصدقات مع ما فيها من فوائد للفقراء.

الصورة السابعة عشرة: الهمزة+ جملة فعلية ماضوية(مسند+ مسند إليه)+أداة عطف+جملة معطوفة(مسند+ مسند إليه+ جار ومجرور+ مضاف إليه +مفعول به +مضاف إليه).

نجد هذه الصورة في قوله تعالى:﴿ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي ﴾[4].

تتسم البنية الاستفهامية في: "أأقررتم"؟ بحذف إيجاز بديع تدل عليه القرينة، والتقدير: أأقررتم بالإيمان وبنصرته؟.والمفعول به في: "إصري"-للفعل "أخذ"- بكسر الهمزة قراءة الجمهور، وبضمها قراءة عاصم[5]. والإِصْرُ والأُصْرُ لغتان، وهو العهد[6]. "وسمي إصراً، لأنه مما يؤصر، أي: يشد ويعقد، ومنه الإصار الذي يعقد به"[7]. وهو تعبير مجازي، لأن "أخذ المواثيق والعهود من مجاز الملازمة، وهو عبارة عن الإلزام أو القبول، لما كان آخذ الشيء قابلا له، عبر به عن إلزام المواثيق وأخذ العهود"[8].

والخطاب موجه للأمم السابقة بقرينة السياق، ذلك أنهم أعطوا عهدا لله من أنبيائهم، فخوطبوا بهذا الاستفهام، وكانت إجابتهم عقب الاستفهام:﴿ قَالُوا أَقْرَرْنَا ﴾. وهو من الإقرار، واستعمل هنا في معنى التحقيق بالوفاء مما أخذ من العهد. وهذا العهد أخذه الله على أنبيائه يؤذنهم فيه بتبليغ أممهم بذلك، ليكون محفوظا لدى الأجيال المتعاقبة، ولذلك أضاف تعالى الإصر إلى نفسه، وإن كان الأنبياء أخذوه على الأمم.

---

(1)المجادلة، 13.

(2)ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 235/8.

(3)النيسابوري، غرائب القرآن، 276/28.

(4)آل عمران، 81.

(5)ينظر، ابن مجاهد، كتاب السبعة في القراءات، ص214، الزمخشري، الكشاف، 441/1، والعكبري، التبيان في إعراب القرآن، 277/1، وأبو حيان، البحر المحيط، 535/2، 536.

(6)ينظر، القرطبي، الجامع، 126/4، وابن منظور، لسان العرب، 22/4، (أصر).

(7)الزمخشري، الكشاف، 441/1، وينظر، القرطبي، الجامع، 126/4، وأبو حيان، البحر المحيط، 535/2.

(8)ابن عبد السلام، مجاز القرآن، ص396.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الصورة الثامنة عشرة: الهمزة+ جملة فعلية مضارعية(مسند+ مسند إليه+ جار ومجرور+ مضاف إليه+ مفعول به- اسم موصول-)+جملة فعلية مضارعية منفية(صلة الموصول).

نجد هذه الصورة في قوله تعالى: ﴿أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾[1].

الواضح من البنية السطحية للجملة أن الخطاب لجميع من يعبد شيئا من غير الله من المشركين والنصارى. وليس المعنى: أتعبدون معبودا وتتركون عبادة الله؟. فالمخاطبون كلهم كانوا يعبدون الله ويشركون معه غيره في العبادة حتى الذين قالوا: إن الله هو المسيح بن مريم؛ فهم ما عبدوا المسيح إلا لزعمهم أن الله حل فيه؛ فقد عبدوا الله فيه. فيشمل الخطاب المشركين من العرب والنصارى، ولذلك جيء بـ"ما" الموصولة دون "من"، لأن معظم ما عبد من دون الله أشياء لا تعقل. وقد غلب استعمال"ما" لما لا يعقل[2].

ولو أريد بـ "ما" العاقل، أي: عيسى وأمه عليهما السلام، وجعل الخطاب خاصا بالنصارى لكان ذلك صحيحا، لأنها تستعمل قليلا استعمال "من" التي تكون للعاقل[3]. والمعنى: أتعبدون ما لا يملك لكم إيصال خير ولا نفع؟

ودلالة الاستفهام إنكاري توبيخي تعجبي، فقد أنكر الله تعالى عليهم ذلك، حيث عبدوا من دونه من هو متصف بالعجز عن دفع ضرر، أو جلب نفع. وهو فعل لا يصدر عن عاقل متدبر أمر الكون، ومما أنزل على الرسل، ولذلك استحقوا التوبيخ على فعلهم الشنيع.

الصورة التاسعة عشرة: الهمزة+ جملة فعلية مضارعية(مسند+مسند إليه(واو الجماعة)+ مفعول به+ جار ومجرور)+ أداة عطف(الواو)+جملة مضارعية(معطوفة)+حال(جملة).

وردت في قوله تعالى:﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾[4].

مدخول الهمزة جملة مضارعية مثبتة، تتألف من مسند "تأمرون "اتصل به المسند إليه"واو الجماعة"، ومفعول به "الناس"، وجار مجرور "بالبر"، وجملة معطوفة "وتنسون أنفسكم"، وجملة حالية "وأنتم تتلون الكتاب"، رابطها واو الحال والضمير.

الخطاب موجه إلى بني إسرائيل بدلالة السياق، فيقتضي أن الصفة ثابتة لجميعهم، أي: أن كل واحد منهم يصرح بأوامر دينهم ولا يتمثلها. وقد يكون موجها إلى فريق منهم، وهم أحبارهم وعلماؤهم، وهم أخص بالأمر بالبر[5]. إلا أن حال هؤلاء كالمتناقض؛ فقد أمروا الناس بالبر ونسوا أنفسهم.

(1)المائدة، 76.

(2)ينظر، المبرد، المقتضب، 41/1، 48.

(3)ينظر، المصدر السابق، 41/1، 42، 48.

(4)البقرة، 44.

(5)ينظر، البغوي، معالم التنزيل، 67/1، وابن عطية، المحرر الوجيز، 276/1، والقرطبي، الجامع، 365/1، والخازن، لباب التأويل، 41/1.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ويكون المراد بـ :"الناس" على الوجه الأول المشركين من العرب، وعلى الوجه الثاني العامة من اليهود.

والمضارع "تأمرون" يدل على الحال والماضي بقرينة السياق، لأنه توبيخ، والتوبيخ يكون فيما وقع من الأفعال، فهم أمروا الناس بالبر ومازالوا على ذلك. ويشوب هذا التوبيخ معنى التعجب من حال الموبخين، لأن الحالة التي وبخوا عليها عجيبة فعلا، لما فيها من إرادة الخير للغير وترك النفس؛ فهو أمر غريب حدوثه. ويبلغ التوبيخ أشده في الجملة الحالية: "وأنتم تتلون الكتاب"، لأنه صادر من أهل العلم العارفين بقبح هذا الفعل وشدة الوعيد عليه. فهم قد اطلعوا عليه في الكتاب الذي يتلونه، ولذلك كانت المعصية مع العلم أفحش منها مع الجهل[1].

والمعنى: كيف تأمرون الناس بعمل الخير، وتنسون أنفسكم، وأنتم تدرسون التوراة وتعلمون ما فيها من الحث على أفعال البر والإعراض عن أفعال الإثم؟.

الصورة العشرون: الهمزة+ أداة عطف(الفاء)+جملة شرطية(أداة شرط(كلما)+جملة فعل الشرط+ جملة جواب الشرط).

وردت هذه الصورة في موضعين في سورة البقرة، وذلك في قوله تعالى:﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ﴾[2].

دخلت همزة الاستفهام على جملة شرطية معطوفة. وقدمت أداة العطف"الفاء"، لأن لها الصدارة في الجملة. وهو استخدام متبع في لغة العرب[3]. وأداة الشرط المستخدمة "كلما". وقد وردت بعدها جملتان فعليتان ترتبت إحداهما على الأخرى؛ فهي لا تدخل إلا على جملة شرطية، ويشترط في شرطها وجوابها أن يكونا ماضيين، وهما بمعنى المستقبل[4]. وورد في الشعر دخولها على المضارع. ومن هذا قول المسجاع بن سباع بن خالد:

وَأَفْنَانِي-وَمَا يَفْنِي- نَهَارٌ ... وَلَيْلٌ كُلَّمَا يَمْضِي يَعُودُ[5]

الأداة "كلما" تفيد الكلية[6]، وتشبه أدوات الشرط لما فيها من العموم والاستغراق، وهي ظرف زمان، واكتسبت هذا المعنى من "ما" المصدرية الظرفية المقترنة بها، لأن "ما" المصدرية الظرفية شرط

(1)ينظر، السيوطي، الإتقان، 104/2، 105.

(2)البقرة، 87.

(3)ينظر، سيبويه، الكتاب، 187/3، 188، والقيسي، مشكل إعراب القرآن، 105/1، والمرادي، الجنى الداني، ص 31، وأبو حيان، البحر المحيط، 468/1.

(4)ينظر، الاستراباذي، شرح الكافية لابن الحاجب، 114/2.

(5)المرزباني، معجم الشعراء، تحقيق عبد السلام فراج، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1960، ص469.

(6)ينظر، الكفوي، الكليات، ص839.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

من حيث المعنى[1]. ونصبت "كلما" على الظرف، والعامل فيها الفعل"استكبر"[2]. ودلت"كلما" على التكرار بسبب أدائها معنى العموم والتأكيد. واعتبارا لهذا المعنى قال عنها النحاة: إنما تفيد التكرار. وليس المقصود أن "كلما" وضعت للتكرار كما يوحي كلام النحاة بذلك[3]. أما معناها الوظيفي فهو الربط والتعليق بين حدثين من حيث ارتباط الجزاء وتوقعه على الشرط[4]، و كذلك سائر أدوات الشرط. وهي ليست جازمة؛ فلا تأثير لها فيما بعدها من حيث الشكل الإعرابي.

الاستفهام لبني إسرائيل بدلالة السياق. وهو استفهام تعجبي إنكاري على ما تقرر من تقفية موسى بالرسل. أي: قفينا موسى بالرسل، فمن عجيب أمركم أن كل رسول جاءكم استكبرتم. وذلك أشنع ضروب الاستكبار، لأنه يحدث والرسول حاضر بينهم يدعوهم إلى الإيمان. وجوز الزمخشري كون العطف على مقدر، أي: "آتينا موسى الكتاب". –الآية–الخ ففعلتم. ثم وبخهم على استكبارهم على الإيمان بقوله: "أفكلما..."؟. فالاستفهام للتوبيخ على الاستكبار، والفاء حينئذ عاطفة[5].

وسلوك الاستكبار عرف به بنو إسرائيل، فقد كانوا يقابلون جميع الرسل في كل الأزمان–كما حكى عنهم القرآن–بمقابلة واحدة ساوى فيها الخلف السلف مما دل على أن ذلك سجية في الكل.

ووردت –كذلك– في قوله:﴿ أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم ﴾[6].

هذه الجملة تشبه سابقتها من هذه الصورة في أن ما بعد أداة الشرط "كلما"، وهو عقد العهد سبب في نبذه. والمراد بالنبذ: إلقاء الشيء من اليد أو ترك العمل به، وهو–هنا–استعارة لنقض العهد وعدم الوفاء به برمي أو طرح شيء كان ملموسا باليد. وقد تكرر من بني إسرائيل نقض العهد مع رسلهم. ومن جملة هذا العهد إيمانهم بالرسول المصدق بالتوراة[7].

قرأ عبد الله بن مسعود: "أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نقضه فريق منهم". وهي قراءة تحمل التفسير، لأنها تخالف سواد المصحف[8]. وأسند الفعل"نبذ" إلى "فريق" إما باعتبار العصور التي نقضوا فيها العهود، كما تدل عليه "كلما" الدالة على التكرار، أو احتراسا من عموم الذم للمؤمنين منهم[9]. فلما لم يكن ذلك صفة في جميعهم خص القرآن الفريق بالذكر. ثم لما كان يجوز أن ذلك الفريق هم الأقلون منهم بيّن أنهم الأكثرون، فقال–عقب الاستفهام–في هذه الآية: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

---

(1)ينظر، الاستراباذي، شرح الكافية لابن الحاجب، 114/2.

(2)ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 386/1، وأبو حيان، البحر المحيط، 468/1.

(3)ينظر، العكبري، التبيان في إعراب القرآن، 13/1، وأبو حيان، البحر المحيط، 90/1.

(4)ينظر، الاستراباذي، شرح الكافية، 114/2، وابن هشام، مغني اللبيب، 338/1، والسيوطي، همع الهوامع، 383/4، 384.

(5)ينظر، الكشاف، 294/1.

(6)البقرة، 100.

(7)ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 493/1، وابن عاشور، التحرير والتنوير، 625/1.

(8)ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 412/1، وأبو حيان، البحر المحيط، 493/1.

(9)ينظر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، 625/1.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والمراد هذا الاستفهام إنكار ما يقدمون عليه من تكرر عهودهم ونقضها، فصار ذلك عبادة وسجية لهم.

<u>الصورة الحادية والعشرون:</u> أداة استفهام(الهمزة)+ أداة عطف(الواو)+جملة شرطية(أداة شرط(لـو)+ جملة فعل الشرط+ جملة جواب شرط مقدر).

وردت هذه الصورة في موضعين، من ذلك قوله تعالى: ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾[1].

دخلت الهمزة على جملة شرطية، ارتبطت بواو العطف. وتتألف بنيتها من الأداة "لو" المفيدة امتناع شرطها كونه مستلزما لجوابها[2]. وجملة شرط منسوخة بـ"كان" الدالة على الزمن الماضي، لأنها تختص بالماضي غالبا[3]. أما جواب الشرط فمحذوف دل عليه الكلام السابق-في هذه الآية- وتقديره: لاتبعوهم. والمستفهم عنه هو الارتباط الذي بين الشرط وجوابه.

والاستفهام موجه إلى الكفار والمشركين بدلالة السياق. ودل على الإنكار كناية والتعجب من حالهم إيماء. والمراد بالإنكار: الرد والتخطئة، لا إنكار النفي. وهو إنكار اتباع آبائهم في الحالة التي لا ينبغي أن يُتبعوا فيها، وهي تلبسهم بعدم العقل والهداية.

أما الواو بعد الهمزة فقال الزمخشري: إنها "للحال والهمزة بمعنى الرد والتعجيب، معناه: أيتبعونهم ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا من الدين ولا يهتدون للصواب"[4]؟. والظاهر من السياق أن موقع الواو في الجملة للعطف[5]، لأن جملة الاستفهام جيء بها ردا- في هذه الآية نفسها-على قولهم:﴿قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾. فهم قرروا السير على منهج آبائهم الذي ما كان ينبغي لهم أن ينتهجوه.

ووردت-كذلك-في قوله: ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾[6].

هذه الجملة تشبه الجملة السابقة من هذه الصورة في أن "الواو" عاطفة، و"لـو" شرطية. ووردت لاستقصاء ما قبلها والتنبيه على حالة سبق ذكرها[7]. والمعنى: أيتبعون آباءهم محتجين بباطلهم، وإن كان

(1)البقرة، 170.

(2)ينظر، المرادي، الجنى الداني، ص276، 277، وابن فارس، الصاحبي، ص119، وأبو حيان، تذكرة النحاة، ص39، وابن هشام، مغني اللبيب، 425/1.

(3)ينظر، أبو حيان، تذكرة النحاة، ص39، وابن هشام، مغني اللبيب، 422/1.

(4) الكشاف، 338/1.

(5)ينظر، الفراء، معاني القرآن، 98/1، ابن عطية، المحرر الوجيز ، 63/2، و أبو حيان، البحر المحيط، 492/1.

(6)المائدة، 104.

(7)ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 44.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

آباؤهم جهلة لا يعقلون شيئا من الحق، ولا يهتدون إلى خير؟.والمراد: الإنكار عليهم تقليد أسلافهم الجـــهال واتباعهم في الأباطيل.

الصورة الثانية والعشرون: الهمزة+ أداة عطف(الفاء)+ جملة شرطية(أداة شرط(إن)+ جملـــة فعـــل الشرط+ جملة جواب الشرط).

وردت في قوله تعالى:﴿أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾[1].

دخلت همزة الاستفهام على جملة شرطية، ارتبطت بفاء العطف، تتكون من جملة فعل الشـــــرط،"إن مات أو قتل". والفعل"مات"مسند إلى ضمير مستتر تقديره "هو" يعود على الرسول-في هذه الآيـــــــــة — في قولـــه: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾.وجملة جواب الشرط: "انقلبتم على أعقابكم". وهي ماضوية تتفق مـــــع شقها الأول.

ومعنى الجملة: أإذا مات الرسول رجعتم إلى الوراء ؟ والمراد: رجعتم كفارا بعد إيمانكم. وهذا استفهام إنكاري ، أي: ما كان محمد معبودا فترجعوا إلى الكفر. وهو خطاب للمسلمين بقرينة السياق.فـــالله تعـــالى أنكر على المسلمين جعلهم خلو الرسل قبل رسولهم سببا لارتدادهم عند الإخبار بموته أو قتله.يقول الزمخشري: "والهمزة لإنكار أن يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على أعقابهم بعد هلاكه بموت أو قتل، مع علمهم أن خلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به يجب أن يجعل سببا للتمسك بدين محمدﷺ ، لا للانقلاب عنه"[2].

والمراد بالإنكار: عتاب المسلمين يوم أحد على ما وقع منهم من ارتباك واضطراب بعدما صرح بـــأن الرسول قتل، والثناء على الذين ثبتوا وأرشدوا المسلمين، ومنهم أنس بن النضـــر الأنصـــاري[3].والتحذيـــر من وقوع الارتداد عند موت الرسولﷺ، وقد حدث ما حذرهم الله منه بعد وفاتـــهﷺ، إذ تراجـــع بعـــض المسلمين عن دينهم.

الصورة الثالثة والعشرون: الهمزة+ جملة اسمية+أم(المتصلة)+جملة اسمية.

وردت في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾[4].

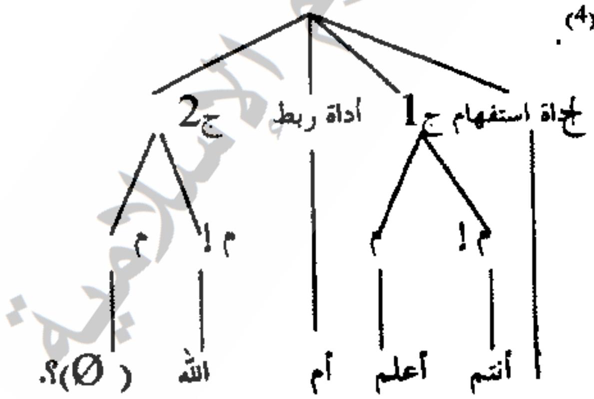

(1)آل عمران، 144.

(2)الكشاف، 468/1.

(3)ينظر، الطبري، جامع البيان، 456/4، وأبو حيان، البحر المحيط، 74/3.

(4)البقرة، 140.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أداة الاستفهام الهمزة، والمسند إليه الضمير"أنتم"، والمسند"أعلم". وجملة "أنتم أعلم" وما بعدها في محل نصب (مقول القول). وعطفت على هذه الجملة جملة اسمية أخرى، ربطت بينهما"أم". ولفظ الجلالة "الله" معطوف على "أنتم"؛ فهو مسند إليه. أما المسند فمحذوف يفسره ما قبله، لأن الهمزة يطلب بها و بـ"أم" التعيين، والتقدير: أأنتم أعلم أم الله أعلم؟.وقد توسط هنا المسؤول عنه، وهو "أعلم"، وذلك أحسن من تقدمه أو تأخره، إذ يجوز أن يقال: أأعلم أنتم أم الله سبحانه؟ ويجوز: أأنتم أم الله أعلم؟[1] .

والخطاب لبني إسرائيل بدلالة السياق.ولا مفاضلة بين المستفهِم -وهو الله تعالى- والمستفهَم -وهم المخاطبون من بني إسرائيل-في العلم حتى يُستفهم أهم أكثر علما أم الله؟ وتبعا لهذا المعنى فالاستفهام يخرج إلى التهكم. ويحتمل أن يراد بالاستفهام التقرير، أي: "تقرير على فساد دعواهم، إذ لا جواب لمفطور إلا أن الله تعالى أعلم"[2]. ويستفاد من هذا التقرير أنه أعلمهم بأمر جهلته عامتهم وكتمته خاصتهم، ولذلك قال عقب الجملة الاستفهامية في هذه الآية:﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾. فهو يومئ إلى خاصة الرهبان والأحبار الذين تركوا عامة أمتهم مسترسلين في جهالة جهّلاء، وهم ساكتون استحلالا لمحبتهم وإرضاء لأهوائهم. وقد طال أمرهم على ذلك حتى تعودت الأمة، وظنت أن جهلها علما.

الصورة الرابعة والعشرون: الهمزة+ أداة عطف+ جملة فعلية ماضوية+ أم(المتصلة)+ جملة فعلية ماضوية.

وردت في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾[3] .

الهمزة أمّ الباب، وقد وردت مرتبطة بـ"أم" المتصلة، ويسميها المالقي العاطفة[4]. وجاءت بين جملتين، وكان الكلام بها معادلا. وتقدر مع أداة الاستفهام بـ"أيهما وأيهم"، وجوابها يكون بتعيين أحد هذين الشيئين المستفهم عنهما[5].وأخرت الفاء عن همزة الاستفهام، لأن أدوات الاستفهام لها الصدارة في الكلام.

واختلف في قراءة قوله: "أسس بنيانَه". فقرأ نافع وابن عامر فعل"أسس" في الموضعين بصيغة البناء للمفعول، ورفع "بنيانه" في الموضعين على أنه نائب فاعل. وحجتهما أن الفاعل لم يكن مذكورا في الكلام السابق. وقرأ الباقون الفعل بالبناء للفاعل ونصب"بنيانَه" في الموضعين على المفعولية[6]. وحجتهم أن الذي قام

(1)ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 587/1.

(2)ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 508/1.

(3)التوبة، 109.

(4)ينظر، رصف المباني، ص93.

(5)ينظر، المبرد، المقتضب، 286/3.

(6)ينظر، ابن خالويه، الحجة، ص178،وأبو زرعة، حجة القراءات، ص324 ،والداني، التيسير، ص98، وأبو حيان، البحر المحيط، 103/5، وابن الجزري، النشر، 281/2.

بفعل التأسيس ذكر في مصدر القصة.وقال الطبري: "وهما قراءتان متفقتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب غير أن قراءته بتوجيه الفعل إلى "من" إذا كان هو المؤسس، أعجب إلي"[1].

والفعل"أسس" من الأساس أو التأسيس، وهو وضع الأساس الأول الذي يقوم عليه البناء، أي قاعدة الجدار الذي يبنى من حجارة وطين.والبنيان: اسم لإقامة بيت ووضعه. ويطلق البنيان غالبا على ما بني من الحجر والطين.

ولما كان من شأن الأساس أن تراد له صلابة البنيان لدوامه، جعلت التقوى في المقصد الذي بنى له أحد المسجدين، فشبهت التقوى بما يثبت الأساس، وأشير إلى المشبه به المحذوف بشيء من مقارباته الدلالية، وهو حرف الاستعلاء "على".ويفهم من هذا أن المشبه شيء ثابت بطريق المقابلة في تشبيه المضاد بمن أسس على "شفا جرف هار". وذلك بأن شبه الغرض الدنيء ببناء جرف منهار.والجرف: هو جانب الهوة[2]. و"هار": اسم مشتق من هار البناء إذا تصدع. وأصله: هور[3].

وجيء بـ"أم" المتصلة لتعيين أحد المستفهم عنهما، وهما البنيان الأول الذي أسس على التقوى. والمراد به مسجد قباء أو مسجد رسول الله ﷺ. والبناء الثاني الذي أسس على شفا جرف فالهار، والمراد به مسجد الضرار الذي بناه المنافقون[4]. ولم يكن غرض بانيه إلا إلحاق الضرر بالمؤمنين. وكان عدم رسوخه مؤديا بمؤسسيه إلى نار جهنم، كما يفضي البناء المنهار بساكنيه إلى الفناء.

الصورة الخامسة والعشرون: الهمزة+ جملة اسمية (مسند +مسند إليه)+ أم (المنقطعة)+جملة فعلية ماضوية+ أم (المنقطعة)+جملة فعلية مضارعية.

وردت في قوله تعالى: ﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ﴾[5].

دخلت الهمزة على جملة اسمية، تقدم فيها المسند "في قلوبهم"، وتأخر فيها المسند إليه"مرض"وجوبا، لأنه نكرة، بمعنى: أفي قلوبهم مرض من النفاق ؟ وهذا بدلالة السياق.وجيء بـ"أم" المنقطعة العاطفة التي وردت بعدها جملة فعلية ماضوية "ارتابوا". أي: شكوا في الدين. بحذف الجار والمجرور اختصارا.وتكررت "أم"المنقطعة، إلا أنها -هنا- دخلت على جملة مضارعية"يخافون أن يحيف الله...". أي: يخافون ظلم الله ورسوله. فـ"أم" منقطعة، لأنها دخلت عليها همزة الاستفهام[6]، وتضمنت معناها[7]. وهي للإضراب كشأنها

(1)جامع البيان، 478/11.

(2)ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 25/9،(جرف).

(3)ينظر، المصدر السابق، 267/5،268،(هور).

(4)ينظر، الطبري، جامع البيان، 479/11، وأبو حيان، البحر المحيط، 104/5.

(5)النور، 50.

(6)ينظر، سيبويه، الكتاب، 169/2، والمبرد، المقتضب، 290/3،291.

(7)ينظر، ابن هشام، شرح شذور الذهب، ص580.

إذا عطفت الجمل الاستفهامية، فإنما لا تكون لطلب التعيين، كما هي في عطف المفردات، لأن المتعاطفـــات هنا ليست مما يطلب تعيين بعضه دون بعض.

واستخدمت الجملة الاسمية للدلالة على ثبوت المرض في قلوب المنافقين، وتأصله فيها، بحيث لم يتغلغل الإيمان في قلوبهم. وفي هذا المعنى إشارة إلى نفاقهم وكفرهم الثابت.وجيء -في التركيب- بعد الجملة الاسميـة بالفعلية للدلالة على الحدوث والتجدد. أي: حدث لهم شك بعـــد أن اعتقدوا الإيمان اعتقادا مذبذبا. ففـــي جمـــلة "أم ارتابوا" إيماء إلى أنهم بلغوا في حب الدنيا شأوا بعيدا، حيث تركوا الإسلام لغلوهم في هذا الأمر.

وهذه الصفات المذكورة مجتمعة هي صفات ثبتت للمنافقين. وقد ذمهم المولى -جلت قدرته- على كل واحدة منها، لأن النفاق والشك في الدين، وخوف الجور من الله ورسوله كل واحدة منها كفر ونفاق.

ويتضح من البنية العميقة للتركيب أن المنافقين فريقان: فريق أظهروا الإيمان وأخفوا الكفر. وفريق آمنوا إيمانا ضعيفا، ثم ارتدوا، فاتضح كفرهم بالإعراض عن أحكام الإسلام.

وأسند الفعل "يحيف" إلى الله ورسوله، بمعنى: أن يكون ما شرعه الإسلام حيفا وجورا. وهذا كناية عن كونهم يعتقدون أنه غير منزل من الله، وإنما هو حكم الرسول. فهم يطعنون في الحكم وفي الحاكم معا.

والاستفهام توبيخي إنكاري.

ثانيا: جملة استفهامية منفية مصدرة بالهمزة.

وردت هذه الجملة في ست وأربعين (46) جملة، توزع على الصور الآتية:

__الصورة الأولى:__ الهمزة+ أداة عطف(الفاء)+ أداة نفي(لا)+ جملة فعلية مضارعية (مسند+ مسند إليه).

تبرز هذه الصورة في الجملة الآتية:

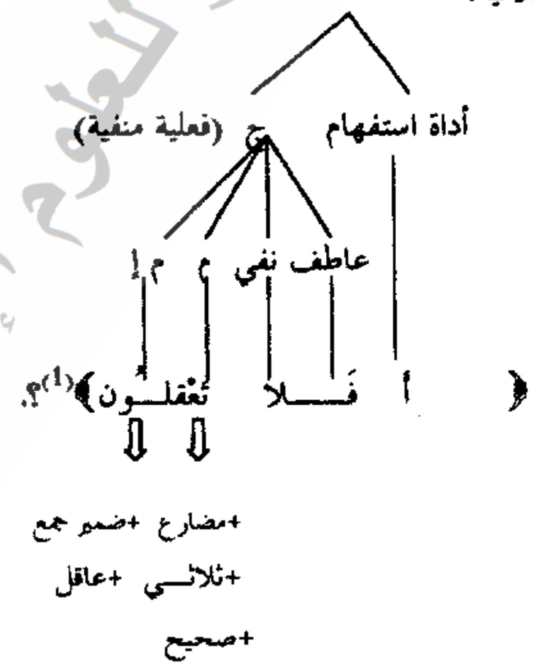

(1) البقرة، 44.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تتركب بنية"أفلا" من همزة استفهام، وأداة عطف "الفاء"، وأداة نفي"لا" التي تفيد النفي في الحال وفي الماضي كذلك، لأن المخاطبين لم يعقلوا لا في حاضرهم ولا في ماضيهم؛ فالتعقل متروك من المخاطبين إلى وقت التكلم. والمخاطبون بهذا الاستفهام هم أحبار اليهود[1]. ووجه الخطاب لهم بهذه الصيغة تنبيها على أن ما صدر منهم يكون خارجا عن أفعال العقلاء.

والفعل"تعقلون" متعد إلى مفعول به واحد، وقد حذف إيجازا ومراعاة للفاصلة. والمعنى:"أفلا تمنعون أنفسكم من مواقعة هذه الحال المردية لكم"[2]؟. أو أفلا تعقلون قبح صنيعكم لمخالفته ما هو موجود في التوراة[3] ؟.

وقد يترل هذا الفعل مترلة اللازم، بمعنى: أفلا تتصفون بصفة العقل المميز بين الخير والشر؟. والاستفهام خرج إلى إنكار ترك الفعل والتوبيخ عليه.وهو استفهام عن انتفاء تعقل المخاطبين. ووجه المشابهة بين حالهم وحال من لا يعقلون أن من يستمر به التغفل عن نفسه وإهمال إصلاحها فقد أوشك أن ينفى عنه التعقل[4]، ولذلك أمروا أن يتصفوا بالعقل، لأن العقل ينهى عن القبيح، ويراد إلى الأحسن، إذ ليس من المعقول أن يأمروا الناس بالمعروف ولا يأتونه[5]. وكأنهم في ذلك مسلوبو العقل؛ لأن العقل يدفع صاحبه إلى فعل الخير، ويبعده عن صنع القبيح.

ويلحظ ورود جملة"أفلا تعقلون"[6]؟-في السور المدنية-ثلاث مرات. والاستفهام فيها إنكاري توبيخي.

ويلحظ-كذلك-أن هذه الصورة جاءت فواصل، لأن صيغة المضارع"تعقلون" تساعد على مد الصوت الذي يمهد للوقف ويحقق النغم الذي يطرب له السامع. وقد"كثر في القرآن ختم الفواصل بحروف المد واللين وإلحاق النون. وحكمته وجود التمكن مع التطريب بذلك"[7]. يقول سيبويه:"أما إذا ترنموا فإنهم يلحقون الألف والياء والواو ما ينون وما لا ينون، لأنهم أرادوا مد الصوت"[8]. فجاء القرآن بتلك الفواصل على أسهل موقف وأعظم مقطع.

ونلحق بهذه الصورة قوله: ﴿ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾[9].

تختلف هذه الجملة عن سابقتها من هذه الصورة في أن الفعل تعدى مباشرة للمفعول به المؤول من "أنّ" وما بعدها، ذلك لأنه مقصود في المعنى.

---

(1)ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 276/1.

(2)المصدر السابق، 276/1، وينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 340/1.

(3)ينظر، الألوسي، روح المعاني، 250/1.

(4)ينظر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، 477/1.

(5)ينظر، أبو حيان، البحر المحيط،340/1.

(6)البقرة، 44،76، وآل عمران، 65.

(7)السيوطي، معترك الأقران، 42/1.

(8)الكتاب، 204/4.

(9)البقرة، 77.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قرأ الجمهور: "أو لا يعلمون" بياء الغيبة. وقرأ ابن محيصن:"أو لا تعلمون"بالتاء للخطاب للمؤمنين[1]. ودلالة الاستفهام في هذه القراءة تنبيه للمؤمنين على جهلهم بعا لم السر والعلانية. أما في قراءة الجمهور فقد اتجه الاستفهام لعامة اليهود، والذي أسروه كفرهم، والذي أعلنوه إيمانهم بما جاء به خاتم النبيين. وهذا في سائر اليهود، أما أحبارهم فقد أسروا صفة محمدﷺ، والذي أعلنوه الجحد به[2].

وفي معنى الاستفهام توبيخ لهم، أي: إذا كان الله عليما بجميع أفعالهم، وهم عالمون بذلك، فكيف يسوغ لهم أن يتظاهروا للمؤمنين بما يعلم الله منهم خلافه؟.

الصورة الثانية: الهمزة+ أداة عطف (الواو)+أداة نفي(لم)+ جملة مضارعية(مسند+ مسند إليه).

وردت هذه الصورة في قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾[3].

المستفهِم هو الله سبحانه، والمستفهَم هو إبراهيم عليه السلام بقرينة قوله في هذه الآية ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي...﴾، والمستفهم عنه هو الإيمان، وجواب الاستفهام قوله: "بلى". والواو في هذه الجملة واو العطف أخرت عن الهمزة[4]، وليست واو الحال كما ذهب ابن عطية وغيره[5].

وتتصف هذه الجملة بالإيجاز، حيث حذف الجار والمجرور، والتقدير: أو لم تؤمن بالله وبما أنزل إليك؟. والمعنى: ألم تصدق-يا إبراهيم-بأني على ذلك قدير؟ ولذلك كان الجواب بـ"بلى" حين التصديق، لأنه إيجاب لما بعد النفي، ومعناه: نعم آمنت.والاستفهام تقريري مجازي، يراد به جذب الانتباه واستعمال العقل لدفع هواجس الظن.ونشأ هذا الاستفهام عن استفهام إبراهيم لربه عن كيفية إحياء الموتى لا عن القدرة الإلهية في الإحياء، وذلك ليزداد قلبه سكونا وطمأنينة[6]. فلا يبقى مجالا للشك عنده البتة.

الصورة الثالثة: الهمزة+ أداة نفي (لم) +جملة منسوخة (فعل ناقص+ مسند إليه (مضمر) + مسند(ظرف مكان+ مضاف إليه).

وردت هذه الصورة في قوله تعالى: ﴿ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ﴾[7].

مدخول الهمزة جملة اسمية منسوخة منفية بـ" لم". وقد أفادت " لم"نفي الحكم عن الموضوع، وهو معنى النفي العام. ثم نجد الزمن بعدها؛ صيغة المضارع"نكن"وقع على فعل الكينونة، ونقل إلى الزمن الماضي،

---

(1)ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 362/1، والقرطبي، الجامع، 4/2، وأبو حيان، البحر المحيط، 441/1.

(2)ينظر، الطبري، جامع البيان، 416/1، وابن عطية، المحرر الوجيز، 362/1، والقرطبي، الجامع، 4/2.

(3)البقرة، 260.

(4)ينظر، أبو حيان، البحر المحيط،309/2، والنهر الماد، 260/1.

(5)ينظر، المحرر الوجيز، 419/2، وابن عاشور، التحرير والتنوير، 38/3.

(6)ينظر، القرطبي، الجامع، 299/2،300.

(7)الحديد، 14.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فصـــار نظيرا لـــ"كان"، لأن دخول" لم" على المضارع قد نقل صيغة الزمن من الحال إلى الماضي[1].

وقد اكتملت البنى النحوية للجملة؛ فالمسند إليه مضمر مقدر بالضمير"نحن"، وقد دلت عليـــه صيغـــة المضارع"نكن"، والمسند-شبه جملة-"معكم" متعلق بمحذوف، والتقدير: ألم نكن موجودين معكم؟

وظرف المكان"مع" الدال على المعية ، أطلق على المشاركة في العمل الإسلامي؛ فتصـــــور المنـــافقون أن المعاملة في الآخرة تجري كما تجري المعاملة في الدنيا على حسب صور الأعمال، وما دروا أن الإسلام قوامه الإيمان الخالص.

ويلحظ اكتمال عناصر الجملة الاستفهامية من أداة (الهمزة)، ومستفهِم لم يظهر في البنية السطحية، وقد دل عليه الضمير في "ينادونهم" العائد على المنافقين في الآية السابقة، ومستفهَم يراد به المؤمنون بدلالة السـياق، ومستفهم عنه -وهو الحضــــور معـــهم-والجـــواب كـــان بـــــ"بلـــى"، وذلـــك للإثبـــات في قولـــه: ﴿قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾. أي: ينادي المنافقون المؤمنين قائلين لهم: ألم نكـــن معكـــم في الدنيا مسلمين؟والاستفهام تقريري. استخدم كناية على طلب اللحاق بهم في نعيم الجنة، كما كانوا معـــهم في الدنيا يقومون بعمل الإسلام.

وورد نظير هذه الصورة في الآية، (141)من سورة النساء.

<u>الصورة الرابعة:</u> الهمزة+ أداة نفي(لم)+ جملة فعلية مضارعية منسوخة(فعل ناقص+ مســـند إليـــه+ مضاف إليه+ مسند)+أداة عطف(الفاء)+ جملة مضارعية(مسند+ مسند إليه+ جار ومجرور).

وردت هذه الصورة في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾[2].

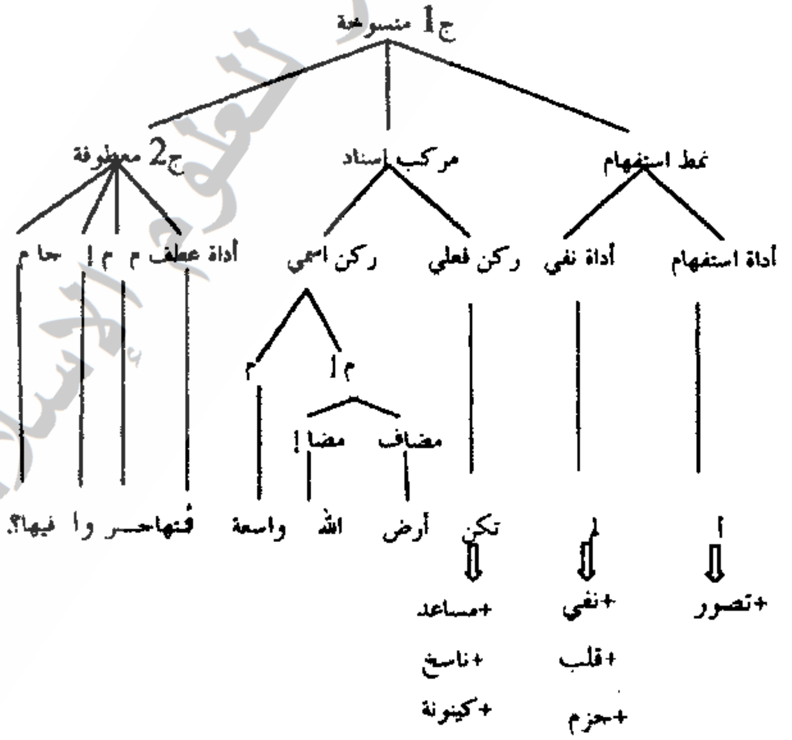

(1)ينظر، ابن يعيش، شرح المفصل، 110/8.

(2)النساء، 97.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تتكون بنية الجملة من (لم+ تكن+...+تفعل). وقد أفادت" لم" نفي الحكم، ثم نجد الزمن بعدها مركبا من (تكن+ تفعل)، فوقع النفي على فعل الكينونة، ونقل إلى الماضي، فصار نظيرا لـ(كان+ تفعل). وقد عبر عن تلك الدلالة التركيبية بالماضي المتجدد[1]، أي: أن الماضي قد اكتسب من " لم تكن" ، والتجدد اكتسب من دلالة صيغة "تفعل".

وقد جمع النحاة خصائص" لم" في النفي والجزم والقلب. أي: أن الخاصية العامة للأداة هي الدلالة على النفي، وهو أثر في المعنى الكلي. والثانية: الأثر الإعرابي، أي تأخذ صيغة الفعل علامة الجزم. والثالثة: هي قلب زمن الصيغة، إذ تنتقل من الدلالة على الحال إلى الدلالة على الماضي نقلا تاما. وقد فسر ابن يعيش خاصية "لم" بدقة حين قال: "... دخلت على لفظ المضارع، ونقلت معناه إلى الماضي وهو الأظهر، لأن الغالب في الحروف تغيير المعاني، لا الألفاظ نفسها، فقالوا: قلب معناه إلى الماضي منفيا، ولذلك يصح اقتران الزمان الماضي به"[2].

والاستفهام لجماعة من أهل مكة كانوا قد أسلموا، وأظهروا الإيمان، فلما هاجر الرسولﷺ إلى المدينة لم يهاجروا معه، وفتن منهم جماعة، وحاربوا المسلمين يوم بدر[3]. والظاهر من البنية السطحية للجملة أن الخروج إلى كل بلد غير بلد الفتنة يُعَدُّ هجرة، إلا أن الهجرة عند الله كما يظهر من التراكيب القرآنية تكون في سبيل الله، ولذلك فالمقصود بالهجرة -آنذاك-هي الهجرة إلى المدينة المنورة. فقد كانت واجبة؛ فإن الله تعالى لم يرض بإسلام أهل مكة حتى يهاجروا، فيلحقوا بإخوانهم[4].

يقول الشافعي رحمه الله: "فعذر الله ﷻ من لم يقدر على الهجرة من المفتونين...وفرض على من قدر على الهجرة الخروج: إذا كان ممن يفتن عن دينه، ولا يمنع "[5]. وقال أبو حيان: "هذا تبكيت من الملائكة لهم، ورد لما اعتذروا به، أي: لستم مستضعفين، بل كانت لكم القدرة على الخروج إلى بعض الأقطار، فتهاجروا حتى تلحقوا بالمهاجرين، كما فعل الذين هاجروا إلى الحبشة، ثم لحقوا بالمومنين بالمدينة"[6]. فأمروا بالهجرة إلى المدينة لإظهار التوحيد دون خوف.

والتركيب يدل على أن من لم يتمكن من إقامة دينه في بلد يعمل فيه بغير الحق كما يجب، وعلم أنه يتمكن من إقامته في غيره، وجبت عليه الهجرة. وفي الحديث الشريف: "من فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبرا من الأرض استوجب الجنة"[7].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1)ينظر، تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص247.

(2)شرح المفصل، 110/8.

(3) ينظر، القرطبي، الجامع، 345/5.

(4)ينظر، الواحدي، الوسيط، 105/2، وأسباب النزول، ص 150.

(5) أحكام القرآن، جمعه أبو بكر النيسابوري، وكتب هوامشه عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلمية، بيروت، 1991، 16/2.

(6) البحر المحيط، 348/3.

(7) القرطبي، الجامع، 347/5، والسيوطي، الدر المنثور، 176/6.

وخطاب الملائكة للمسلمين يدل على توبيخهم لهم، لأنهم تركوا فعلا كان ينبغي أن يقع، أي: أنكم كنتم قادرين على الخروج من مكة إلى المدينة، فلا تمنعون فيها من إظهار دينكم، ومن الهجرة إلى رسول الله ﷺ لكنكم أبيتم وفضلتم البقاء. ولهذا استحقوا العقاب. وقد بين الله مصيرهم عقب الاستفهام —في هذه الآية– بقوله: ﴿ فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾.

الصورة الخامسة: الهمزة+ أداة نفي (لم)+ جملة فعلية مضارعية(مسند+ مسند إليه(مضمر)+مفعول به(جملة مصدرية).

من هذه الصورة قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1].

دخلت أداة الاستفهام على جملة مضارعية منفية بـ"لم". والجملة المنسوخة بـ"أن"سدت مسد مفعولي الفعل "تعلم". و الخطاب في "ألم تعلم"؟ ليس مرادا منه المفرد كما هو في الظاهر، وهو النبي ﷺ ، بل هو خطاب لغير معين، فيعم المخاطب السامع، وهو كل من يتوهم أنه تعالى لم يكن على كل شيء قدير[2]. وأما إذا كان المقصود به الظاهر، وهو المفرد المخاطب فيكون المخاطب هو الرسول ﷺ، لكن المراد منه المسلمون، فينتقل من خطاب الرسول إلى مخاطبة أمته انتقالا كنائيا، لأن علم الأمة من لوازم علم الرسول من حيث هو رسول؛ فكل حكم تعلق به بخصوص الرسالة فالمقصود منه أمته، وقد يكون في بعض المواضع له ولأمته. يقول أبو حيان المعنى: "قد علمت أيها المخاطب أن الله على كل شيء قدير، فله التصرف في تكاليف عباده بمحو، وإثبات، وإبدال حكم بحكم وبأن يأتي بالأخير لكم وبالمماثل"[3]. فإنه تعالى يفعل ما يريد، لا راد لأمره، ولا معقب لحكمه.

ودلالة الاستفهام تقرير، لأن التقرير معناه الإيجاب، أي: قد علمت –أيها المخاطب– أن الله له المقدرة على كل الأمور.

ومثل هذه الجملة دلالة قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾[4].

فالمعنى: قد علمت –أيها المخاطب– أن الله له سلطان السماوات والأرض؛ فهو يملك أمور المخلوقات ويدبرها كما يشاء. وخص السماوات والأرض بالملك، لأنهما من أعظم ما خلق.

ومن هذه الصورة –أيضا– قوله: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ﴾[5].

الاستفهام في: "ألم يعلموا"؟ –بياء الغائب– للمنافقين بدلالة السياق. وقد تضمن التوبيخ لهم على ما كانوا عليه من التحدث في نفوسهم من حقد للإسلام والمسلمين.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) البقرة، 106.

(2) ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 515/1.

(3) البحر المحيط، 515/1، وينظر له، النهر الماد، 122/1.

(4) البقرة، 107، والمائدة، 40.

(5) التوبة، 78.

وقرأ علي وأبو عبد الرحمن والحسن: "تعلموا" بتاء الخطاب[1]. وهو خطاب للمؤمنين على سبيل التقرير، وأنه تعالى فاضح المنافقين، ومخبر المؤمنين بأحوالهم. وفي قراءة الجمهور يكون الخطاب –عند أغلب المفسرين–لجميع المنافقين من عاهد وأخلف وغيرهم[2]. وذهب بعضهم إلى أن الخطاب يختص بالفرقة التي عاهدت وأخلفت، فقال الزمخشري: "ما أسروه من النفاق والعزم على إخلاف ما وعدوه وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن في الدين"[3].

وعطف"نجواهم" على"سرهم" مع أن السر أشمل وأعم من "النجوى"، ليخبرهم بإحاطته الواسعة بما يضمرونه من حقد وكراهية. ورمز بـ"سرهم" إلى ما تنطوي عليه صدورهم من النفاق. وبـ"نجواهم" إلى ما يفاوض فيه بعضهم بعضا خفية لإلحاق الضرر بالمؤمنين.

ونظير هذه الصورة قوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾[4].

الضمير في: "يعلموا" عائد إلى الذين ﴿اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾ في الآية السابقة. فقد عرضوا أموالهم للصدقات، وخافوا أن لا تكون توبتهم مقبولة عند الله، وأن لا يكون الرسول ﷺ قد رضي عنهم. ويشير إلى هذا قوله: ﴿إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ في الآية السابقة، وذلك بإشعار قبول التوبة وقبول الصدقات. ويكون الاستفهام تقريريا مشوبا بالتعجب من ترددهم في قبول توبتهم.

وقرأ الحسن بن أبي الحسن، وأبي بن كعب: "ألم تعلموا"؟ بالتاء على الخطاب[5]. وهو إما خطاب للذين لم يتوبوا من المتخلفين كقراءة الجمهور بياء الغيبة، أو خطاب لجماعة من المؤمنين، أو لرسول الله ﷺ على معنى: قل لهم –يا رسولنا– ألم تعلموا؟ كما أن التأكيد والتخصيص تم بضمير الفصل (هو). فالتوبة وأخذ الصدقات إنما يقبلها الله دون سواه.

ونلحق بهذه الصورة قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾[6].

الفعل في قوله: "ألم تر"؟ من الرؤية العلمية، لأن علم الله لا يرى. و"أن"وما في حيزها من اسمها وخبرها في تأويل مصدر سد مسد مفعولي"ترى"، والتقدير: ألم تر الله عالما؟. وعلم الله في السماوات والأرض يعم كل المبصرات والمسموعات.

(1) ينظر، الزمخشري، الكشاف، 204/2، وابن عطية، المحرر الوجيز، 574/6، وأبو حيان، البحر المحيط، 75/5.

(2) ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 577/6، وابن الجوزي، زاد المسير، 475/3، والنسفي، مدارك التنزيل، 510/1، وأبو حيان، البحر المحيط،76/5.

(3) الكشاف، 204/2.

(4) التوبة، 104.

(5) ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 24/7، وأبو حيان، البحر المحيط،100/5.

(6) المجادلة، 7.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وقد اختلف المفسرون حول سبب نزول الآية، فقال الزمخشري: "فقد روي عن ابن عباس -رضي الله عنه- أنها نزلت في ربعة وحبيب ابني عمر، وصفوان بن أمية كانوا يتحدثون فقال أحدهم: أترى أن الله يعلم ما تقول؟ فقال الآخر: يعلم بعضا ولا يعلم بعضا، وقال الثالث: إن كان يعلم بعضا فهو يعلم كله"[1]. إلاّ أن أغلب المفسرين يقولون: إنها نزلت لإشعار اليهود والمنافقين بعلم الله بما يتناجون، وأنه مطلع رسوله ﷺ على ما في سرهم ونجواهم[2].

وهذه الآية تمهيد للآية بعدها في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى﴾. يقول ابن عاشور ردا على الزمخشري: "فإن أولئك الثلاثة كانوا مسلمين وعدوا في الصحابة وكان هذا تخليط من الراوي بين سبب نزول آية: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ﴾ في سورة فصلت، الآية: (22)... وبين هذه الآية. وركبت أسماء ثلاثة آخرين كانوا بالمدينة، لأن الآية مدنية، فآية النجوى فإنما هي في تناجي المنافقين أو فيهم وفي اليهود"[3].

والمعنى: "ألم تعلم"-أيها المخاطب-أن علم الله واسع محيط بكل شيء في الأرض وفي السماء؟ حيث لا يخفى عليه شيء مما فيهما، فما يوجد من تناجي أشخاص ثلاثة أو خمسة أو غير ذلك مما قل أو كثر إلا وهو معهم. وفي هذا المعنى إنذار ووعيد للمنافقين.

ووردت بقية هذه الصورة وملحقاتها في المواضع الآتية: التوبة،(63)، والحج،(18، 63،65،70)، والنور،(41،43).

<u>الصورة السادسة:</u> الهمزة+ أداة نفي(لم)+ جملة فعلية مضارعية (مسند+ مسند إليه(مضمر)+جار ومجرور)+جملة موصولية+ حال (جملة اسمية)+ مفعول لأجله.

نجد هذه الصورة في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾[4].

دخلت همزة الاستفهام على جملة فعلية مضارعية منفية بـ" لم"، وقد ارتبطت بها جملة اسمية حالية "وهم ألوف". ثم جيء بالمفعول لأجله المبين للنوع "حذر الموت".

والأصل في الفعل "ترى" أن يتعدى بنفسه. وتعدى-هنا-بـ"إلى" لتضمنه معنى: ألم ينته علمك إلى كذا؟ لأن الرؤية في هذه الجملة علمية وليست بصرية؛ فهي بمعنى: ألم تعلم؟.[5]

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) الكشاف، 74،73/4، وينظر، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ص461، وأبو حيان، البحر المحيط، 233/8.

(2) ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 341/14، وأبو حيان، البحر المحيط، 233/8، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 580/6.

(3) التحرير والتنوير، 27/28.

(4) البقرة، 243.

(5) ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 344/2، وأبو حيان، البحر المحيط، 258/2، والزركشي، البرهان، 149/4.

ويلحظ-في هذا التركيب-تعلق جملة اسمية بفعلية، والرابط بينهما واو الحال والضمير. وقد قدر القدامى معنى هذه الواو بـ"إذ"[1]، ولا يريدون معناها، فيكون وقوعها على جهة التعلق، وليس التعاقب الذي ينشأ معه معنى الفصل، وهو يخالف ما ذهب إليه الجرجاني حين علل دخول الواو على الجملة الحالية بأنه يستأنف بها خبرا، ولا يقصد ضمها إلى الجملة الفعلية[2].

ونجد أغلب النحاة يوجبون تصدر الجملة الاسمية الحالية بالواو، وسواء وجد الضمير العائد مع صاحب الحال أم لم يوجد. وهناك من ضعف عندهم تجرد الجملة من الواو كالمبرد والزمخشري وابن هشام[3]. أما الجرجاني فقد غلب اقتران جملة الحال الاسمية بالواو مؤيدا الكسائي في جواز وقوع الجملة الاسمية حالية غير مقرونة بالواو[4]. وهو ما يفهم من كلام ابن يعيش -أيضا- حين رد على الإلزام لدى الزمخشري، فقال: "وليس الأمر كذلك إنما يلزم أن تأتي بما يعلق الجملة الثانية بالأولى، لأن الجملة كلام مستقل...فإذا وقعت الجملة حالا فلا بد فيها مما يعلقها بما قبلها، ويربطها به، لئلا يتوهم أنها مستأنفة، وذلك يكون بأحد أمرين: إما الواو، وإما ضمير يعود منها إلى ما قبلها"[5].

ويفهم من ذلك أن الواو لا تكون جملة مستأنفة، بل يظل التعليق والارتباط قائما بوجودها أو عدم وجودها. فالجملة الحالية تتعلق بالجملة قبلها فترتبط بها تركيبيا ودلاليا.

والاستفهام يدل على التعجب؛ فيكون الخطاب لمن يرى و لم يسمع، فجرى الكلام مجرى المثل في هذا المعنى[6]. وقد يكون الاستفهام دالا على التقرير، وذلك "لمن سمع بقصتهم من أهل الكتاب وأخبار الأولين وتعجب من شأنهم"[7]. وقيل: إن هؤلاء "قوم من بني إسرائيل أمروا بالجهاد فخافوا الموت بالقتل في الجهاد، فخرجوا من ديارهم فرارا من ذلك، فأماتهم الله ... ثم أحياهم وأمرهم بالجهاد"[8]. وفي هذا المعنى تنبيه للمتلقين بأن الحذر لا يؤخر الأجل، وأن الجبان قد يلقى حتفه في مظنة فراره منه.

ونظير هذه الجملة دلالة قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾[9].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1)ينظر، سيبويه، الكتاب، 90/1، والمبرد، المقتضب، 66/2، 263/3، 125/4.

(2)ينظر، دلائل الإعجاز، ص157،158.

(3)ينظر، المقتضب، 125/4، والمفصل، ص64، ومغني اللبيب، 186/2.

(4)ينظر، الإستراباذي، شرح الكافية، 105/1.

(5)شرح المفصل، 66/2.

(6)ينظر، الزمخشري، الكشاف، 377/1.

(7)المصدر السابق، 377/1.

(8)ابن عطية، المحرر الوجيز، 344/2، وينظر، الزمخشري، الكشاف، 371/1، وأبو حيان، البحر المحيط، 258/2.

(9)البقرة، 258.

قال الفراء: "ألم تر"؟ بمعنى: هل رأيت[1]؟ أي: هل رأيت الذي حاج إبراهيم؟ والذي حاج إبراهيم عليه السلام هو النمرود بن كنعان بن سام بن نوح ملك زمانه[2]، وهو كافر لا محالة، لقوله تعالى في هذه الآية: ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ﴾. والمعنى: سكت وانقطع عن الإجابة متحيرا ذلك الطاغية الكافر.

ومعنى الجملة: ألم ينته إلى علمك-يا رسولنا-الذي جادل إبراهيم في شأن ربه من وجوده تعالى وألوهيته للخلق كلهم؟ فالاستفهام يفيد التعجب من الطاغية المحاج لإبراهيم عليه السلام.

أما الاستفهام في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ...﴾[3]. فإنه يدل على التعجب، والمراد به التوبيخ. وهو تعجب من حال اليهود والمنافقين وتوبيخ لهم على فعلهم، حيث كانوا يتناجون دون المؤمنين، وينظرون إليهم ويتغامزون موهمين المؤمنين من أقربائهم أنهم أصابهم شر، فنهاهم رسول الله ﷺ عن التناجي بحضرة المؤمنين فلم ينتهوا[4]. وهذا يدل على استمرارهم في النجوى التي تحزن المؤمنين.

ووردت بقية هذه الصورة وملحقاتها في المواضع الآتية: البقرة، (246)، وآل عمران، (23)، والنساء، (44، 49، 51، 60، 77)، والمجادلة، (14)،والحشر، (11).

الصورة السابعة: الهمزة+ أداة نفي(لم)+ جملة مضارعية(مسند+ جار و مجرور(اسم موصول)+ جملة ماضوية(صلة الموصول)+مسند إليه(جملة مصدرية)+ أداة عطف+جملة ماضوية(معطوفة).

وردت في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾[5].

الاستفهام موجه للمؤمنين بقرينة صلة الموصول في قوله: "للذين آمنوا". ومدخل الاستفهام جملة منفية بـ " لم"، استخدم فيها المضارع"يأن" المجزوم، هكذا قرأه جمهور القراء، وهو مضارع "أنى"، بمعنى حان. "يقال: أنى الأمر إذا حان وقته"[6]. وقرأ الحسن: "يئن"، مضارع"آن" بمعنى حان أيضا. والمعنى: قرب وقت الشيء[7]. وفاعل "يأن" جملة مصدرية: "أن تخشع قلوبهم". أي: ألم يقرب خشوع قلوبهم؟ اللام في "لذكر الله" لام العلة، أي: لأجل ذكر الله. وذكر الله ما نزل من القرآن، أو ما يذكرهم به الرسول من أمر عبادة الله تعالى.

و جملة: "وما نزل من الحق" معطوفة. والجار والمجرور متعلقان بحال محذوفة لاسم الموصول "ما"، والتقدير: حال كونه من الحق.

---

(1)ينظر، معاني القرآن، 170/1.

(2)ينظر، السمرقندي، بحر العلوم، 225/1، وأبو حيان، البحر المحيط، 297/2، والسيوطي، مفحمات الأقران، ص57.

(3)المجادلة، 8.

(4)ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 344/14، وأبو حيان، البحر المحيط، 234/8، وابن عاشور، التحرير والتنوير، 28/27.

(5)الحديد، 16.

(6)الكلبي، التسهيل، 413/2.

(7)ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 222/8، والسمين الحلبي، الدار المصون، 277/6.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ومعنى الجملة: ألم يحن الوقت لكي تلين قلوب المؤمنين، وترق عند سماع ذكر الله وقرآنه، فتعيه وتنقاد لأوامره وتتجنب نواهيه؟

وفي هذا المعنى عتاب للمؤمنين على تقصيرهم. ويبدو أن الإيمان لم يتغلغل في قلوبهم بعد لحداثتهم في الإسلام. ويظهر هذا من حديث ابن مسعود رضي الله عنه،"قال: ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية: "ألم يأن..."إلا أربع سنين"[1].

الصورة الثامنة: الهمزة+ أداة نفي(لم)+ جملة فعلية مضارعية(مسند+ مسند إليه (مضمر)+ جار ومجرور+ مفعول به(مقول القول)+ أداة عطف+ جملة معطوفة.

وردت في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾[2].

دخلت الهمزة على مضارع "أقل" المنفي بـ"لم" التي تختص بالمضارع فتجزمه، و قد أفادت الزمن الماضي الاستمراري. ورد هذا المعنى في كلام النحاة إلى جانب الاتصال بالحال والانقطاع. غير أن التنظير بينهما وبين صيغة (فعل) جعل جمهور النحاة يذهب إلى أنها تخلص معنى المضارع إلى الماضي[3].

وقد حدد تمام حسان زمن الفعل المنفي بـ(لم) بزمنين؛ هما الماضي المستمر، والماضي البسيط، غير أنه يميل إلى الماضي المستمر، حيث يرى أن دلالة النفي تكتسب من أداة النفي(لم)، وأما الاستمرارية فتكتسب من صيغة المضارع[4]. ويذهب خليل أحمد عمايرة إلى أن (لم) أداة لنفي الحكم المثبت وقلبه إلى معنى الزمن الماضي تبعا لما قاله السلف من النحاة القدامى، وغالبا ما تكون للنفي المطلق في الماضي، إلا إذا دخل في الجملة قيد يصرفها إليه[5]. وتتعين الدلالة الزمنية في الجملة بالماضي المستمر.

والمستفهِم هو الله تعالى؛ فهو القائل، وعادت إليه الضمائر في"أقل" و"إني"، و"أعلم". و الذين استفهموا هم الملائكة بدلالة السياق. والمستفهم عنه هو علم الله للغيب.

والمعنى: ألم أخبركم –يا ملائكتي- إني أعلم الغيب ولا يعلمه غيري؟ وفصل الله هذا الغيب في علمه واطلاعه لكل ما هو موجود في السماوات والأرض، وما ظهر عند الإنسان وما خفي عنه.

والاستفهام تقريري، لأن ذلك القول واقع، والملائكة يعلمون وقوعه ولا ينكرونه. ومعنى التقرير: "هو حملك المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده"[6]. وقد وقع الاستفهام على نفي القول،

(1)رواه مسلم في صحيحه، 2319/4، (كتاب التفسير).

(2)البقرة، 33.

(3)ينظر، المالقي، رصف المباني، ص280، والمرادي، الجنى الداني، ص267، وابن فارس، الصاحبي، ص120.

(4)ينظر، اللغة العربية معناها ومبناها، ص247.

(5)ينظر، أسلوب النفي والاستفهام، ص89.

(6)الزركشي، البرهان، 331/2، والسيوطي، الإتقان، 102/2.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وهذا أغلب سمات الاستفهام التقريري. "وحقيقة استفهام التقرير أنه استفهام إنكار، والإنكار نفي وقد دخل على النفي، ونفي النفي إثبات"(1).

فهذا قانون الاستفهام التقريري الغالب عليه، وهو الذي تكرر في التنزيل، ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(2). وقد يقع التقرير بالإثبات على الأصل، كقوله: ﴿أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾(3). وهو تقرير يراد به إنكار إبطال دعوى النصارى الفاسدة.

الصورة التاسعة: الهمزة+ أداة عطف(الفاء)+ أداة نفي(لا)+ جملة مضارعية(مسند+ مسند إليه+ جار ومجرور)+ أداة عطف(الواو)+جملة مضارعية(مسند+ مسند إليه+ مفعول به).

وردت في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ﴾(4).

الخطاب للنصارى بدلالة سياق هذه الآية وسابقتها. والفاء في: "أفلا" للعطف، توسطت بين همزة الاستفهام، ولا النافية(5).وعلى طريقة الزمخشري تكون قد عطفت فعلا على فعل، كأن التقدير: أيثبتون على الكفر، فلا يتوبون إلى الله بعد هذه الشهادة المكررة عليهم؟(6). والمعنى على التعجب من انتفاء توبتهم وعدم استغفارهم، لأن كفرهم أقبح الكفر، وأفضح في سوء الاعتقاد، فتعجب من كونهم لا يقلعون عن هذا الجرم العظيم، وهو إيمانهم بالتثليث، وهؤلاء هم الملكية من النصارى(7).

وقال ابن عطية: "رفق جل وعلا بهم بتحضيضه إياهم على التوبة، وطلب المغفرة "(8). وقال القرطبي: هو استفهام معناه الأمر، أي: "فليتوبوا إلى الله وليستأذنوه ستر ذنوبهم"(9). أما أبو حيان الأندلسي يرى خلاف ما رآه غيره، فيقول: "وما ذكروه من الحث والتحضيض على التوبة من حيث المعنى، لا من حيث مدلول اللفظ، لأن (أفلا) غير مدلول (ألا) التي للحض والحث"(10).

ففي هذه الجملة دعوة إلى التوبة، ليتوب الله عليهم ويغفر لهم. وذلك بترك الكفر والباطل وطلب الاستغفار من الله تعالى. وفي هذا الأسلوب لطف بهم، واستدعاء إلى التنصل مما كانوا عليه من اعتقادات فاسدة، وفتح باب التوبة أمامهم لو أنهم يتوبون.

(1) السيوطي، الإتقان، 102/2.

(2) البقرة، 106.

(3) المائدة، 116.

(4) المائدة، 74.

(5) ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 544/3، والنهر الماد، 611/1.

(6) ينظر، الكشاف، 294/1، 295.

(7) ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 544/3.

(8) المحرر الوجيز، 530/4.

(9) الجامع في أحكام القرآن، 250/6.

(10) البحر المحيط، 545/3، وينظر له، النهر الماد، 611/1، و محمد عبد الخالق عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن، 130/1.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الصورة العاشرة: الهمزة+ أداة عطف(الواو)+أداة نفي(لا)+ جملة مضارعية(مسند+ مسند إليه+ مفعول به(مصدر مؤول)+ جملة معطوفة(مكررة).

وردت في قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾[1].

دخلت الهمزة على جملة مضارعية منفية بـ "لا"، الفعل فيها متعد إلى مفعولين؛ فـ "إن"وما بعدها بتأويل مصدر سد مسد مفعولي"يرون". ثم عطف بـ"ثم" الدالة على الترتيب لا التراخي، لأن المعطوف بها زائد -في رتبة التعجب من شأنه-على المعطوف عليه، فإن حصول الفتنة ذاته عجيب. وعدم اهتدائهم للصواب بالتوبة النصوح أعجب. ثم جيء بجملة ثانية معطوفة: "ولا هم يذكرون" للدلالة على أن انتفاء تذكرهم محقق.

قرأ الجمهور: "أو لا يرون"؟ بياء الغيبة، على أن الإخبار للمنافقين لتقدم ذكرهم في الآية السابقة في قوله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ...﴾. أي: أولا يرى المنافقون أنهم يختبرون بالمرض والجوع والفضائح في كل عام مرة أو مرتين؟. وفي هذا المعنى توبيخ لهم على تماديهم في النفاق مع ما يرون من الفتن في أنفسهم، فلا يتوبون من نفاقهم ولا يتعظون.

وقرأ حمزة: "أولا ترون"؟ بتاء الخطاب[2]، على أن الخطاب للمؤمنين، والتنبيه لهم على ما يعرض للمنافقين من الفتن. وما يفتنون به قد يكون بالمرض والقحط أو غيرهما من بلاء الله تعالى[3]، أو بكشف الله أسرارهم و إفشائه عقائدهم[4]. وقد تكون الفتنة عامة تشمل كل ما يحل بأولئك المنافقين من أمراض أو جوائح تنال ثمارهم، أو نقص في الأموال والأولاد. فإذا حصل من ذلك شيآن في العام كانت الفتنة مرتين.

ويحتمل أن يكون فعل"يرى" من الرؤية البصرية، أو من الرؤية العلمية[5]. فتسد "أن" وما بعدها مسد المفعولين. وكونه من رؤية البصر أحسن وأدل؛ فذلك أقوى على المنافقين في الحجة والدليل. ولهذا الاعتبار تكون القراءة بياء الغيبة الاختيار، لأن جمهور القراء عليه، ولأن رؤية المنافقين لما يحل بهم أنفسهم أشد في الحجة عليهم من رؤية المؤمنين لما يحدث لهم.

ويلحق بهذه الصورة قوله:﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾[6].

---

(1)التوبة، 126.

(2)ينظر، أبو زرعة، حجة القراءات، ص326، والقيسي، الكشف، 509/1، والداني، التيسير، ص98، وابن عطية، المحرر الوجيز، 86/7، وابن الجزري، النشر، 281/2.

(3)ينظر، الزمخشري، الكشاف، 222/2، والنسفي، مدارك التنزيل، 526/1.

(4)ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 86/7.

(5)ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 119/5.

(6)الرعد، 41.

الفعل"يرى" -هنا- قد يكون رؤية بصرية. والمراد بها: رؤية آثار ذلك النقص.وقد تكون علمية، بمعنى: أو لم يعلموا ما حل بأرض الأمم الماضية من نقص؟ فيتعدى إلى مفعولين؛ فـ"أن" ومعمولاها بتأويل مصدر سد مسد مفعولي "يروا". والمسند إليه الضمير المتصل بالفعل(واو الجماعة) يدل على المكذبين العائد عليهم ضمير"نَعِدُهُمْ" في الآية السابقة.

وتعريف "الأرض" يكون تعريف الجنس، إن كانت الرؤية علمية، أي: أو لم يروا آثار أي أرض؟ وقد حذف المضاف، وذكر المضاف إليه "الأرض" مشيرا إلى موضع الحذف، وذلك بقرينة فعل النقص بها، لأن النقص المتحدث عنه لا يكون في الأرض ذاتها، ولكنه يكون فيمن عليها من إنسان وغيره. وذهب جل المفسرين إلى أن المراد بالأرض: أرض الكافرين من أهل مكة[1]. فيكون تعريف"الأرض" للعهد، وتكون الرؤية بصرية، ويكون الاستفهام تنبيها لهم لما حازه المسلمون من أرض العدو. وبنى المفسرون على ذلك أن هذه الآية نزلت بالمدينة، وهو الذي حمل المفسرين على أن أطراف الأرض أشرافها، وهما: مكة والمدينة؛ فإن مكة المكرمة طرف بلاد العرب من ناحية بلاد اليمن، والمدينة المنورة طرفها من ناحية بلاد الشام. يقول ابن عطية: "معناه: أو لم يروا أنا نأتي أرض هؤلاء بالفتح عليك فننقصها بما يدخل في دينك من القبائل والبلاد المجاورة لهم، فما يؤمنهم أن نمكنك منهم أيضا كما فعلنا بمجاوريهم؟... وهذا القول لا يتأتى إلا بأن يقدر نزول هذه الآية بالمدينة"[2].وقد ذهب بعض العلماء[3] إلى أن سورة الرعد مدنية، واستثنيا آيتين قالوا نزلتا بمكة، وهما قوله:﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ...﴾[4].

ومعنى التركيب: أنسي هؤلاء المشركون في مكة أوشكوا أننا نأتي الأرض فنفتحها لك -يا رسول الله -أرضا بعد أرض وتتغلب عليهم، وتمتد رقعة الإسلام وتتقلص رقعة الكفر؟ وهذا كقوله تعالى:﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾[5].

وفي معنى الاستفهام إنذار لأهل الكفر بأنهم مغلوبون، وأنهم صائرون إلى الزوال. وفي هذا الإنذار إمهال لهم لعلهم يعودون إلى الصواب، فيتداركون أمرهم.

<u>الصورة الحادية عشرة:</u> الهمزة+ أداة نفي(لم)+ جملة فعلية مضارعية(مسند+ مفعول به(ضمير متصل)+ مسند إليه(اسم ظاهر مضاف)+ مضاف إليه+ جار ومجرور(صلة الموصول+ عطف بيان+ أداة عطف+ معطوف(عطف بيان)-مكرر خمس مرات-.

---

(1)ينظر، الطبري، جامع البيان، 406/13، وابن الجوزي، زاد المسير، 340/4، والقرطبي، الجامع، 333/9.

(2)المحرر الوجيز، 187/8، وينظر، القرطبي، جامع البيان، 406/13.

(3)ينظر، ابن الجوزي، زاد المسير، 299/4، والرازي، مفاتيح الغيب، 184/18، والقرطبي، الجامع، 278/9، وأبو حيان، البحر المحيط، 353/5.

(4)الرعد، 31.

(5)الأنبياء، 44.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وردت هذه الصورة في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ ﴾.[1]

الاستفهام موجه للمنافقين-بدلالة السياق- تقريرا عنهم، بحيث يكون كالحجة عليهم بأنهم أتاهم نبأ الذين كفروا من قبلهم. والمعنى: ألم يأت هؤلاء المنافقين خبر الأمم الماضية التي عصت أمر ربها بتكذيب رسله فحق عليها الهلاك؟.

ولما كان اسم الموصول "الذين" وصلته، أي: الذين كانوا من قبلهم يتسم بالغموض ذكر طوائف معينة، وهي الستة المذكورة من أقوام الكافرين السابقين الذين أهلكهم الله؛ فقوم نوح أهلكوا بالطوفان، وعاد بالريح العاتية، وثمود بالصيحة، وقوم إبراهيم بسلب الخير عنهم وهلاك ملكهم نمروذ، وأصحاب مدين بعذاب يوم الظلمة، والموتفكات بجعل أعالي أرضها أسافل، وإمطار الحجارة عليهم[2]. والموتفكات: مدائن قوم لوط، أو هي قرى قوم لوط وهود وصالح[3]. قال ابن عطية: "والمؤتفكات أهل القرى الأربعة، وقيل: السبعة الذين بعث إليهم لوط"[4].

والمراد بالاستفهام التذكير بأنباء الماضين وتخويف أن يصيبهم مثل ما أصابهم. وقص الله أخبارهم في القرآن الكريم، ففصل فيهم القول بغية الاعتبار.

ونلحق بهذه الصورة قوله: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ ﴾[5].

دخلت همزة الاستفهام على جملة مضارعية منفية بـ (لم)، فكان موضع الاستفهام عدم إتيان نبأ الكافرين من قبلهم. ولو نظرنا إلى ما يقتضيه البناء اللفظي للجملة يكون الاستفهام عن عدم الوقوع. والمعنى: أنه لم يأتكم النبأ. وإذا كان الاستفهام للتقرير فمؤداه أنه لم يأتكم ذلك. وفي هذا تشويق المخاطبين لمعرفته. ويكون في هذا تثبيت المعنى لمن يطلبه متأملا حقائقه معتبرا بعبره.

وحذف ما أضيف إليه ظرف الزمان "قبل" لانقطاعه لا عن الإضافة، والتقدير: من قبلكم. أي: الذين كفروا في العهود الماضية.

والخطاب لخصوص الفريق الكافر بقرينة قوله: "الذين كفروا". فهذا الاستفهام موجه لكفار قريش الذين كان حالهم كحال من قبلهم من قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم ممن ذكروا في الجملة السابقة من هذه الصورة.

---

(1) التوبة، 70. المؤتفكات: جمع مؤتفكة: اسم فاعل من الائتفاك، وهو الانقلاب، وهي صفة للقرى التي انقلبت بأهلها بجعل أعلاها أسفلها. ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 391/10، (أفك).

(2) ينظر، البغوي، معالم التنزيل، 310/2، وأبو حيان، البحر المحيط، 70/5، وأبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، 394/2.

(3) ينظر، الزمخشري، الكشاف، 201/2.

(4) المحرر الوجيز، 561/6.

(5) التغابن، 5.

الصورة الثانية عشرة: الهمزة+ أداة عطف(الفاء)+أداة نفي(لم)+ جملة مضارعية(مسند+ مسند إليه(واو الجماعة)+ جار ومجرور)+جملة تعليلية.

يقول الله تعالى:﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾(1).

دخل الاستفهام على جملة فعلية مضارعية منفية بـ"لم"، فنفي السير، لأن سير السائرين لم يفدهم عبرة؛ فهو كالعدم، فكان التعجب من انتفائه.

و"الفاء" في "تكون" سببية جوابية للاستفهام(2). بمعنى أن ما بعدها مسبب عما قبلها على السير، فانتفى أن تكون لهم قلوب يعقلون بها، أو آذان يسمعون بها. ويلحظ أن المضارع الواقع بعد فاء السببية جاء منصوبا. وسيبويه وعامة البصريين يرون أن الناصب للمضارع(أن) المضمرة وجوبا بعد فاء السببية(3). أما الكوفيون فيرون أن الناصب (الفاء) من غير إضمار(أن) (4). وبهذا الرأي أخذ ابن مضاء، وأنكر تقدير البصريين الذي لا حاجة له(5). والحقيقة أن هذا التقدير لا يزيد النحو إلا تعقيدا.

الخطاب في الجملة للكفار مكة(6). وهو حث لهم على السفر، ليروا مصارع آثار المهلكين من قوم عاد وغيرهم فيعتبروا بها ويدركون ما يجب أن يعقل ليحصل لهم الاستدلال والاستبصار بما حل بالكافرين من الأقوام السالفة.

والاستفهام مستخدم في التعجب من حال الكفار في عدم الاعتبار بمصارع الأمم المكذبة لرسلها. والتعجب متعلق بمن سافروا منهم ووقفوا على آثار تلك القرى المدمرة، وبمن لم يسافروا، فشأنهم واحد، لأنهم لم يعتبروا.

ونظير هذه الصورة ورد في قوله: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾(7).

الفاء في: "فينظروا" سببية جوابية للاستفهام، والفعل المضارع منصوب، وعلامة نصبه حذف النون، وأسند إلى واو الجماعة المراد به المشركون والكفار بدلالة السياق. وجاء في سبب نزول الآية أن الخطاب لكفار مكة(8).

(1)الحج، 46.
(2)ينظر، الفراهيدي، الجمل في النحو، ص49.
(3)ينظر، سيبويه، الكتاب، 28/3،30، والمبرد، المقتضب، 14/2،15، والرماني، معاني الحروف، ص43،44، والأنباري، أسرار العربية، ص332، والمرادي، الجنى الداني، ص74، وابن هشام، مغني اللبيب، 272/1.
(4)ينظر، المرادي، الجنى الداني ص74، وأبو حيان، النكت الحسان، ص148، وابن هشام، مغني اللبيب، 271/2.
(5)ينظر، الرد على النحاة، ص123.
(6)ينظر، القرطبي، الجامع، 77/12، والنسفي، مدارك التنزيل، 118/2.
(7)محمد، 10.
(8)ينظر، الفراء، معاني القرآن، 59/3، والطبري، جامع البيان، 311/25، والقرطبي، الجامع، 234/16، والنسفي، مدارك التنزيل، 563/2.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والمعنى: أفلم يمش هؤلاء الكفرة في الأرض أرض عاد وثمود وقوم لوط وغيرهم، ليعتبروا فيروا كيف كان مصير الكافرين من الأمم الماضية؟ فإن آثار الدمار في ديارهم باقية. ولهؤلاء الكفار أمثال عاقبة من قبلهم من الكفرة. والاستفهام تقريري. والمراد منه التوبيخ لهم، لأنهم كانوا يسافرون إلى بلاد الشام فيرون نقمة الله التي أحلها بقوم ثمود، ويرون في سفرهم إلى اليمن ما أحله بسبأ.

الصورة الثالثة عشرة: الهمزة+ أداة نفي(لا)+ جملة مضارعية(مسند+ مسند إليه+مفعول به)+أم(المنقطعة)+ جملة اسمية(مسند+ مسند إليه).

وردت في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[1].

جملة: "أفلا يتدبرون القرآن"؟ منفية بـ "لا". والفعل في: "يتدبرون" أسند إلى واو الجماعة، وتعدى إلى المفعول به مباشرة "القرآن". والذين لم يتدبروا القرآن هم المنافقون والكفار بدلالة السياق. واستنادا إلى ما قاله ابن عباس وغيره أن الآية نزلت في المنافقين كانوا أسلموا ثم ماتت قلوبهم[2].

ومعنى "يتدبرون القرآن": يتأملون دلالته، وذلك يحتمل معنيين: أحدهما: أن يتأملوا دلالة تفاصيل آياته. وثانيهما: أن يتأملوا دلالة جملة القرآن ببلاغته، إذ لو تدبروا القرآن لوجدوه مؤتلفا متين التركيب، صحيح المباني، بالغا أعلى درجة البلاغة، فتظهر عندئذ أدلته وبراهينه واضحة جلية[3].

ويرجح حمل التدبر على المعنى الأول، أي: لو تدبروا وتأملوا هدي القرآن لجعل لهم الخير الكثير، ولما بقوا على فتنهم التي هي سبب إضمارهم الكفر وإظهارهم الإسلام، وكلا المعنيين صالح بحالهم.

وجيء بجملة اسمية: "أم على قلوب أقفالها"؟ تتصدرها أم (المنقطعة) المفيدة للإضراب، والمعنى: بل على قلوبهم أقفال؛ فهم لا يفقهون ولا يعقلون شيئا من معاني القرآن، ولا تتفتح قلوبهم للحق. وهذا المعنى هو الذي ذهب إليه جمهور المفسرين[4]، وهو الجاري على كلام سيبويه[5]، في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾[6].

ووردت كلمة"قلوب" نكرة لعدم تعيين أصحابها من بين الموصوفين بمرض القلوب. وفي إضافة "أقفال" إلى الضمير العائد على "قلوب" إشارة إلى اختصاص الأقفال بتلك القلوب المريضة وملازمتها لها. يقول

(1)محمد، 24.

(2)ينظر، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ص540، والكلبي، التسهيل، 343/2.

(3)ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 146/4، والشوكاني، فتح القدير، 626/1.

(4)ينظر، ابن الجوزي، زاد المسير، 408/7، والقرطبي، الجامع، 246/16، والنسفي، مدارك التنزيل، 566/2، والشوكاني، فتح القدير، 48/5.

(5)ينظر، الكتاب، 173/3.

(6)الزخرف، 51.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ابن القيم: "فكأنه أراد أقفالها المختصة بها التي لا تكون لغيرها"[1]. و في هذا المعنى إيماء إلى أنها قاسية؛ لا تتأثر بالمواعظ و الدلائل.

و الاستفهام إنكاري للتوبيخ و التعجب من حالهم في استمرار جهلهم مع توفر أسباب التدبر لديهم.

النمط الثاني: جملة استفهامية تعتمد"أم" المنقطعة.

ورد هذا النمط في عشر جمل، يتوزع على الصور الآتية:

الصورة الأولى: أم (المنقطعة)+ جملة مضارعية(مسند+ مسند إليه+ مفعول به(جملة مصدرية)+ نائب مفعول مطلق+ جملة فعلية ماضوية (مسند +مسند إليه+ جار ومجرور).

وردت هذه الصورة في قوله تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾[1].

الأداة "أم"-هنا-منقطعة، تفيد الإضراب، وقدرها النحاة بمترلة "بل"[2]. والكلام بعد "أم" استفهام حذفت أداته (الهمزة) اعتمادا على قرينة "أم" في الجملة. فالاستفهام باب من أبواب المعنى، يؤدى بأداة ويؤدى بفعل ويؤدى بنغمة صوتية؛ فالنغمة الصوتية أصل في اللغة المنطوقة[3]. وتقدير الكلام في التركيب: بل أتريدون أن تسألوا رسولكم . . .؟.

والاستفهام للإنكار والتحذير. وقد جوز بعض العلماء كون "أم"-هنا-معادلة أو فصيحة[4]. والتقدير: أتعتقدون أنه ﴿مَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.-الآية السابقة- أم تريدون أن تسألوا رسولكم أن يجيئكم بآيات بينات فوق ما جاءكم به؟ فيكون مثلكم مثل اليهود الذين سألوا موسى ما لا يجوز سؤاله تعنتا وتبرما.

والخطاب للمسلمين بقرينة قوله: "رسولكم"، وقوله: "كما سئل موسى من قبل"و هو تشبيهٌ وجهُهُ أن في أسئلة بني إسرائيل لموسى كثيرا من الأسئلة التي أدت بهم إلى الكفر، فيكون التحذير من الأسئلة التي تفضي إلى الكفر، أو من الأسئلة التي لا طائل منها. قال فخر الدين الرازي: "إن المسلمين كانوا يسألون النبيﷺ عن أمور لا خير لهم في البحث عنها ليعلموها كما سأل اليهود موسى"[5].

والظاهر من البنية العميقة للجملة أن السؤال لم يقع من المسلمين، ولكنه ربما جاش في نفوس بعضهم، فحذرهم الله تعالى على تعلق إرادتهم بالسؤال، إذ لو وقع السؤال لكان التوبيخ عليه لا على إرادته، ولجاءت

---

(1) التفسير القيم، ص439.

(1)البقرة، 108.

(2)ينظر، الفراهيدي، الجمل في النحو، ص320، وسيبويه، الكتاب، 172/3، والفراء، معاني القرآن، 71/1، 72، والنحاس، إعراب القرآن، 255/1، والأنباري، الإغراب في جدل الإعراب، ولمع الأدلة في أصول النحو، ص41.

(3) ينظر، عمايرة، المعنى الدلالي والقاعدة النحوية، مجلة الآداب، جامعة قسنطينة، العدد4، ص152، 153.

(4)ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 442/1، وتمام حسان، البيان في روائع القرآن، ص330.

(5)مفاتيح الغيب، 212/3.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

البنية السطحية للجملة مثلا على صورة: أم تسألون رسولكم؟. أو ما أشبه ذلك مما يؤدي معنى وقوع السؤال من المسلمين[1].

فالاستفهام مساقٌ مساقَ الإنكار التحذيري. والمراد منه: التحذير من تطرق الشك إلى المسلمين في صلاحية الأحكام الشرعية المنسوخة قبل نسخها. وفي هذا نصح للمسلمين أن يعلموا بما يأمرهم به رسولهم ﷺ وينتهوا عما نهاهم عنه، ولا يطلبوا منه غير ما جاءهم به.

ونلحق بهذه الصورة قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم﴾[2].

الأداة "أم" تتضمن إضرابا، وهو انتقال من كلام إلى آخر، وهو-هنا-تقرير بذلك، وإنكاره إن كان حاصلا، أي: بل أحسبتم أن تدخلوا الجنة دون عناء وبلوى؟ وهو حسبان باطل لا ينبغي اعتقاده. والفعل "حسب" من أخوات ظن، وسد مسد مفعوليها "أن" وما دخلت عليه.

والاستفهام للمؤمنين بدلالة السياق، وهو إقبال عليهم بالخطاب حين أصابهم ما أصابهم من الجهد والحزن في غزوة الخندق أو غزوة أحد[3]. وليس في هذا الخطاب التفات كما جعله الزمخشري[4] التفاتا بناء على تقدم قوله: ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾-في الآية السابقة-وأنه يقتضي أن يقال: أم حسبوا؟، أي: أم حسب الذين آمنوا.

والظاهر من السياق أن في الخطاب انتقالا من غرض إلى آخر بالإضراب الحاصل بـ"أم" المنقطعة، فصارت الجملة افتتاحية.

وتكرر نظير هذه الجملة في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾[5].

جملة " أم حسبتم..."؟ عطف على جملة: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾[6]. وذلك أن المسلمين لما مسهم القرح حزنوا واعتراهم الضعف حيث لم يشاهدوا نصرا مثل الذي شاهدوه يوم غزوة بدر. فبين الله لهم أن لا وجه للضعف لهذا السبب، ثم بين لهم أن دخول الجنة الذي هو غايتهم لا يحصل إلا إذا أجهدوا أنفسهم في نصرة

(1) ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 517/1.

(2) البقرة، 214.

(3) ينظر، البغوي، معالم التنزيل، 187/1، وابن عطية، المحرر الوجيز، 213/2، وابن الجوزي، زاد المسير، 231/1، 232، والرازي، مفاتيح الغيب، 17/6.

(4) ينظر، الكشاف، 355/1.

(5) آل عمران، 142.

(6) آل عمران، 139.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الإسلام. فإذا حسبوا دخول الجنة يحصل دون ذلك، فقد أخطأوا الصواب. ولهذا المعنى يخرج الاستفهام إلى النهي، أي: لا تحسبوا أن تدخلوا الجنة ولما يقع منكم الجهاد.

وكذلك في قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾[1].

يختلف هذا التركيب عن سابقه في أنه يتسم بالإيجاز؛ فقد ورد الفعل المضارع في:"تتركوا" مبنيا للمجهول، وحذف فاعله، لأنه معلوم؛ إذ هو الله سبحانه، ولابد لهذا الفعل من متعلق كحال أو مجرور يدل على الحالة التي يفارق فيها التارك متروكه، كقوله تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾[2]. وكقول عنترة:

فَتَرَكْتُهُ جَزَرَ السِّبَاعِ يَنُشْنَهُ ... يَقْضَمْنَ حُسْنَ بَنَانِهِ وَالمِعْصَمِ[3]

وكقوله:

تَرَكْتُ بَنِي الهُجَيْمِ لَهُم دَوَارٌ ... إِذَا تَمْضِي جَمَاعَتُهُم تَعُـودُ[4]

والظاهر من سياق الآية أن الخطاب للمسلمين على تفاوت مراتبهم؛ فيشمل المنافقين، لأنهم أظهروا الإسلام. والاستفهام إنكاري. والمعنى: كيف تحسبون أن تتركوا؟ أي: لا تتركوا على ما أنتم عليه، ولما يتبين المخلص منكم في جهاده من غير المخلص.

<u>الصورة الثانية</u>: أم(المنقطعة)+ جملة منسوخة بـ(كان)+ ظرف مكان+ جملة فعلية ماضوية(مسند+ مفعول به+ مسند إليه).

وردت في قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ﴾[5].

دخلت "أم" على جملة منسوخة بـ"كان"، المسند إليه فيها ضمير متصل، والمسند "شهداء"، وهو ممنوع من الصرف، لأنه على صيغة "فعلاء". ثم وردت "إذ" الظرفية، وهي بمعنى حين، والعامل فيها المسند "شهداء"، وقد أضيف إلى جملة فعلية، تتألف من مسند "حضر"، ومفعول به "يعقوب"، وقدم للاهتمام، ومسند إليه "الموت" أخر جوازا.

و"أم" في الجملة منقطعة، وهي عاطفة جملة "كنتم شهداء" على جملة ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ﴾ -في الآية السابقة-فهي منقطعة تتضمن معنى"بل"، وذلك للانتقال من الخبر عن إبراهيم ويعقوب إلى مجادلة من اعتقد غير ذلك الخبر.

---

(1)التوبة، 16.

(2)العنكبوت، 2.

(3)الديوان، ص26.

(4)المصدر السابق، ص42.

(5)البقرة، 133.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والاستفهام مجازي، ودلالته إنكار، لأن عدم شهود المخاطبين احتضار يعقوب محقق. ثم إن كون الاستفهام إنكاريا يمتنع أن يكون الخطاب الواقع فيه خطابا للمؤمنين، لأنهم ليسوا بحال من يدعي خلاف الواقع حتى ينكر عليهم. ويتعين أن المخاطبين هم أحبار اليهود ورؤساؤهم ممن كانوا بحضرة رسول الله ﷺ [1]. وإنْ كان الإنكار متوجها إلى اعتقاد اعتقدوه، يفهم من خلال سياق هذا التركيب وسابقه. فقد ادعوا أن يعقوب مات على اليهودية، وأوصى بها بنيه فالتزموا بوصيته، فكان موضع الإنكار على اليهود بارزا، وهو أنهم ادعوا ما لا قبل لهم بعلمه إذ لم يشهدوا. فقد روي أن اليهود قالوا للنبي ﷺ: ألست تعلم أن يعقوب يوم حضره الموت أوصى بنيه باليهودية؟[2]. فرد الله ﷻ عليهم، وكذبهم وأعلمهم أنهم كانوا على الحنفية[3]. فالله ﷻ ينكر شهادتهم في ادعائهم اليهودية على يعقوب مع دلالة السخرية من سلوكهم هذا، لأنهم شهدوا بغير الحق.

والاستفهام في معنى النفي، لأن العلاقة بين المسند إليه والمسند علاقة سلب لا إيجاب. والمعنى: ما كنتم شهداء احتضار يعقوب، فكيف تنسبون إليه ما لا شهدتموه أنتم ولا أسلافكم؟

الصورة الثالثة: أم(المنقطعة)+ جملة فعلية مضارعية(مسند+ مسند إليه)+ جملة منسوخة (مقول القول).

وردت في قوله تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾[4].

التركيب الاستفهامي بـ"أم" المنقطعة يتصدره فعل القول. والجملة المحكية بالقول اسمية مؤكدة بـ"إن". وقد ورد المسند إليه اسم علم، وتكرر بواسطة العطف بـ"الواو" خمس مرات. أما المسند فورد جملة منسوخة بـ"كان" متصلا بها المسند إليه "واو الجماعة". وتعدد المسند بأداة العطف "أو".

اختلف القراء في قوله: "أم يقولون"، فقرأ حفص، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، بتاء الخطاب. وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، بياء الغائب[5].

وتحتمل"أم" معنيين لاختلاف القراءتين:

أولا: أن تكون متصلة (معادلة) على قراءة: "أم تقولون" -بتاء الخطاب- ويكون اتصالها بالاستفهام في قوله: "أتحاجوننا...؟" في الآية السابقة. ويكون المعنى: قل يا محمد للقائلين لكم. وهم اليهود والنصارى الذين يزعمون أنهم أبناء الله، وادعوا أنهم أولى بالله منكم لتقدم أديانهم. أتحاجوننا في الله أم تقولون: إن هؤلاء الأنبياء على دينكم؟. فيكون "الاستفهام عن وقوع أحد هذين الأمرين؛ المحاجة في الله، والادعاء على إبراهيم

(1)ينظر، البغوي، معالم التنزيل، 118/1، وأبو حيان، البحر المحيط، 572/1، والنسفي، مدارك التنزيل، 84/1.

(2)ينظر، ابن الجوزي، زاد المسير، 149/1، وأبو حيان، البحر المحيط، 572/1.

(3)ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 497/1، وأبو حيان، البحر المحيط، 572/1.

(4)البقرة، 140.

(5)ينظر، ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص89، وأبو زرعة، الحجة في القراءات، ص115، وابن عطية، المحرر الوجيز، 507/1، وابن الجوزي، زاد المسير، 152/1، والرازي، مفاتيح الغيب، 81/4، وأبو حيان، البحر المحيط، 586/1، والشوكاني، فتح القدير، 189/1.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ومن ذكر معه أنهم كانوا هودا ونصارى، وهو استفهام صحبه الإنكار والتقريع والتوبيخ، لأن كلا من المستفهم عنه ليس بصحيح"[1].

ثانيا: أن تكون منقطعة على قراءة "أم يقولون"-بياء الغيبة-وهو الاختيار الذي اعتمدناه، فتكون"أم" غير معادلة، فالمحاجة موجودة في دعواهم، وقد أقامهم الله تعالى على موضع الانقطاع في الحجة بقوله: "أم يقولون...؟". أي: بل أيقولون...؟. فإن قالوا: كانوا على دين اليهودية والنصرانية كذبوا، لأنه قد علم أن التوراة والإنجيل أنزلا بعدهم، وإن قالوا: لم يكونوا عليهما، قيل لهم: هلموا إلى دينهم إذ تقرون بالحقيقة[2].

فالاستفهام على سبيل الإنكار، لأن نسبة اليهودية والنصرانية لإبراهيم عليه السلام ومن ذكر معه من الأنبياء ليست بصحيحة. وإنما أنكر الله تعالى ذلك القول، لأن هؤلاء الأنبياء كانوا على التوحيد والحنفية. فقد قال تعالى مفندا دعواهم: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾[3].

وزعمهم هذا يدل على مدى مبلغهم من الجهل بتاريخ شرائعهم.

الصورة الرابعة: أم(المنقطعة)+ جملة اسمية(مسند+ مسند إليه+ جار ومجرور)+ أداة عطف+ جملة فعلية مضارعية منفية(أداة جواب+ نفي+ مسند+ مسند إليه+ مفعول به أول+مفعول به ثان).

وردت في قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾[4].

دخلت"أم" على جملة اسمية، تقدم فيها المسند، الجار والمجرور"لهم"، وتأخر المسند إليه"نصيب"، لأنه نكرة. ثم جيء بجملة معطوفة، تتألف بنيتها من الأداة "الفاء"، و"إذا" الجوابية، و"لا" النافية، وفعل مضارع متعد إلى مفعولين ليس أصلهما المبتدأ والخبر، وهما: "الناس"، و"نقيرا".

فالفاء عاطفة لا استئنافية، لأن المعنى يستقيم على العطف، ولا يكتمل المعنى دونه، فقد عطف جملة "لهم نصيب"، وكذلك "إذاً"وهي جزاء لجملة: "لهم نصيب". والتقدير: ولو كان لهم نصيب لا يؤتون الناس إذاً نقيرا[5]. ولذلك يعد الاستفهام داخلا على مجموع الجملة وجزائها معا، لأنه ينتفي أن يعطوا الناس شيئا زهيدا، ولو ثبت لهم الملك. وفي هذا المعنى تهكم عليهم في طمعهم أن يعود إليهم ملك إسرائيل لفرط بخلهم الذي لا يتناسب ممن يرجون الملك[6].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) أبو حيان، البحر المحيط،586/1، وينظر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، 747/1.

(2)ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 507/1، 508، والرازي، مفاتيح الغيب، 81/4، وأبو حيان، البحر المحيط، 587/1.

(3)آل عمران، 67.

(4)النساء، 53. النقير: النقطة في ظهر النواة، يضرب بها المثل في القلة. ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 228/5، (نقر)،والنسفي، مدارك التنزيل، 259/1.

(5)ينظر، الفراء، معاني القرآن، 273/1.

(6)ينظر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، 88/5.

و"أم"-هنا-منقطعة[1]. وتدل على الإضراب. والمراد بالإضراب الانتقال من توبيخهم على الإيمان بالطاغوت وتفضيل المشركين على المؤمنين إلى توبيخهم على البخل.

ودلالة الاستفهام إنكار وتوبيخ، ويستفاد من قرينة المقام. أي: ليس لهم نصيب من الملك كما لهم نصيب من الكتاب، بل فقدوا الملك كله بطغيانهم وظلمهم. ولو كان لهم نصيب من الملك لسلكوا فيه طريق البخل والتقتير بحصر منافعه في أنفسهم؛ فلا يعطون الناس منه شيئا زهيدا.

الصورة الخامسة: أم(المنقطعة)+ جملة فعلية مضارعية(مسند+ مسند إليه+ مفعول به+ جار ومجرور+ جملة فعلية ماضوية(مسند+ مفعول به+ مسند إليه+ جار ومجرور+ مضاف إليه- صلة الموصول-).

وردت في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾[2].

الفعل "يحسد" مسند إلى واو الجماعة الدال على اليهود بقرينة السياق، وقد تعدى إلى المفعول به "الناس". وكلمة "الناس" تأتي مفردا وجمعا، وهي -هنا- مفرد يعني محمدﷺحسدته اليهود على ما آتاه الله من فضله، أي من النبوة والكرامة في الدنيا والآخرة. وهو من باب إطلاق العام على الخاص. فقد ورد في بعض أسباب نزول الآية أن بعض اليهود لم يجدوا مطعنا يقولونه في النبيﷺ إلا تعدد أزواجه، فقد قالت اليهود للكفار العرب: "هذا يزعم أنه نبي وليس له همٌّ إلاّ النساء"[3].

والمعنى: لِمَ يحسدون النبي أو المؤمنين على ما آتاهم الله من نعمة، وقد أوتي أسلافهم ملكا عظيما؟.

والاستفهام مفيد للإنكار والتوبيخ. فقد وبخ الله تعالى اليهود على حسدهم، فهم يتمنون أن يكون ملك الدنيا بأيديهم، ولا يحبون أن يكون لأي أمة فضل مما لهم، لذا حسدوا رسول اللهﷺعلى ما آتاه الله من فضل النبوة ورئاسة دولة الإسلام.

الصورة السادسة: أم(منقطعة)+ جملة فعلية ماضوية (مسند+ مسند إليه+ جار ومجرور+ مفعول به+ صفة(جملة فعلية).

وردت في قوله تعالى: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ﴾[4].

الكلام بعد "أم" المنقطعة استفهام حذفت أداته لدلالة "أم" عليها. ودخلت على جملة ماضوية: "جعلوا لله شركاء". وجملة "خلقوا" صفة للمفعول به "شركاء". وشبه الجملة: "كخلقه" نائب عن المفعول المطلق، أي: خلقوا خلقا مثل ما خلق الله.

(1)ينظر، الزمخشري، الكشاف، 534/1، والرازي، مفاتيح الغيب، 105/10، والقرطبي، الجامع، 249/5، وأبو حيان، البحر المحيط، 284/3.

(2)النساء، 54.

(3)الفراء، معاني القرآن، 275/1، وينظر، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ص94، وابن عطية، المحرر الوجيز، 103/4، وابن الجوزي، زاد المسير، 109/3، وأبو حيان، البحر المحيط، 284/3.

(4)الرعد، 16.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والأداة "أم" للإضراب الانتقالي في الاستفهام مقابلة قوله-في هذه الآية- ﴿أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾؟.

الخطاب للمشركين بدلالة السياق، وهو على سبيل الالتفات، فقد انتقل من خطابهم إلى الإخبار عنهم غائبا إعراضا عنهم، وتنبيها على توبيخهم في جعل الشريك. وتضمن الاستفهام التهكم بهم. والمعنى: بل أجعل هؤلاء المشركون مع الله آلهة تناظره وتماثله في الخلق؟ والمقصود ليس الأمر على ما هم عليه؛ فإنه تعالى لا يشابهه شيء، وهؤلاء المشركون عبدوا آلهة، وهم معترفون أنها مخلوقة لله، وهم عبيد له، كما أخبر القرآن عنهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾[1].

الصورة السابعة: أم(المنقطعة)+جملة فعلية مضارعية(مسند+ مسند إليه+ مفعول به+ جار ومجرور+...)+ أم(المتصلة).

وردت في قوله تعالى: ﴿أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ﴾[2].

دلت "أم" المنقطعة على أن ما بعدها في معنى الاستفهام. وهو استفهام موجه للمشركين بدلالة السياق.

وفي قوله:"بما لا يعلم في الأرض" دلالة عن غير الموجود، لأن ما لا يعلمه الله لا وجود له؛ إذ لو كان موجودا لم يخف على علم الله الواسع.

والأداة "أم" في الجملة الثانية متصلة، وهي معادلة همزة الاستفهام المقدرة في: "أم تنبئونه"؟ وأعيدت الباء للتأكيد بعد "أم" العاطفة. وفي جملة "أم" المتصلة إيجاز حذف، دلت عليه جملة "أم" المنقطعة، حيث حذف المسند والمسند إليه والمفعول به، وذلك تجنبا للتكرار وثقل التركيب. والتقدير: أم أتنبئونه بظاهر من القول؟. وليس معنى الظاهر-هنا- الظهور بمعنى الوضوح والبروز، بل مشتق من الظهور بمعنى الزوال دلالة عن بطلان القول[3]. والمعنى: بل أتنبئونهم بشركاء بظن من القول أنهم يضرون وينفعون، أم بباطل من القول؟.

والاستفهام في الجملة إنكاري توبيخي. أي: ما كان لكم أن تفتروا على الله، فتضعوا له شركاء لم يخبركم بوجودها، لأنه لو كان لها وجود في الأرض لعلمها، فهو لا تخفى عليه خافية. وهذا نفي لوجودها البتة.

النمط الثالث: جملة استفهامية تعتمد الأداة (هل).

ورد هذا النمط في أربع عشرة (14) جملة، يوزع على الصور الآتية:

---

(1)الزمر، 3.

(2)الرعد، 33.

(3)ينظر، الطبري، جامع البيان، 394/13.

الصورة الأولى: أداة استفهام (هل)+ جملة فعلية مضارعية(مسند+ مسند إليه+ أداة حصر(إلا) +مفعول به(جملة مصدرية).

نجد هذه الصورة في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾[1].

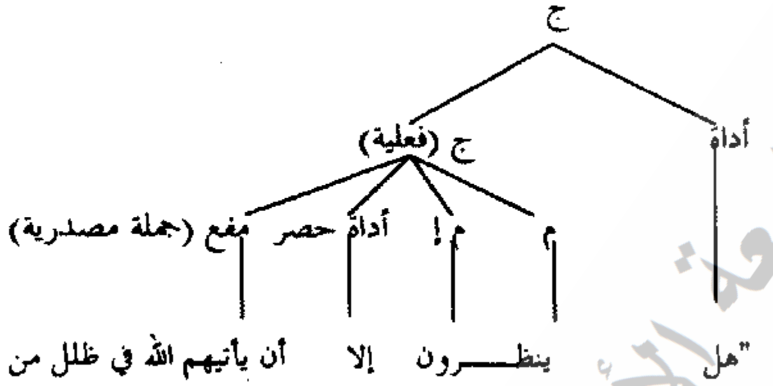

تصدرت الجملة "هل"، وهي أداة استفهام "لطلب التصديق الإيجابي؛ دون التصور، ودون التصديق السلبي"[2]. ودخلت على المضارع في قوله: "ينظرون" فخصصته للاستقبال[3].

وتألفت بنية الجملة من مسند "ينظرون" اتصل به المسند إليه "واو الجماعة"-الدال على بني إسرائيل بدلالة السياق- وأداة حصر "إلا"، ومفعول به ورد جملة مصدرية مؤولة.

وفي قراءة الجمهور: "والملائكةُ" بالرفع عطفا على اسم الله تبارك وتعالى[4]، يكون إسناد الإتيان إلى الله وإلى الملائكة. ويجوز أن يكون إسناد الإتيان إلى الله مجازا، وإسناده إلى الملائكة حقيقة، لأنهم الذين يأتون بأمر الله أو عذابه، وهم الموكل إليهم تنفيذ أمره. وقرأ أبو جعفر:"... والملائكةِ" بالخفض[5]. وتحتمل في المعنى أن تكون معطوفة على "الغمام"، ويكون التقدير: هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام ومن الملائكة؟. أو أن تكون معطوفة على "ظلل"، ويكون التقدير: هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام وفي الملائكة؟. وقرأ أُبي بن كعب، وابن مسعود: "وهل ينظرون إلا أن يأتيهم الله والملائكة في ظلل من الغمام"[6] ؟.

وثبتت القراءات في ظاهرها إتيان الله ﷻ في ظلل من الغمام ومن الملائكة. وثبتت القراءة الشاذة إتيانه سبحانه، وأضافت قوله: "في ظلل من الغمام" للملائكة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) البقرة، 210.

(2) ابن هشام، مغني اللبيب، 562/1، وينظر، المرادي، الجنى الداني، ص341.

(3) ينظر، المصدر السابق، 563/1.

(4) ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 134/2.

(5) ينظر، الطبري، جامع البيان، 340/2، وأبو حيان، البحر المحيط، 134/2، والشوكاني، فتح القدير، 267/1.

(6) ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 134/2، والسيوطي، الدر المنثور، 101/1.

والإتيان في حقيقته المجيء، والانتقال من مكان إلى آخر، وذلك لا يكون لله ﷻ فهو على سبيل المجاز؛ فاستخدم للمجازاة والانتقام منهم، بمعنى: يأتيهم أمر الله أو عذابه في أهوال عظيمة كظلل من الغمام[1].

ونظير هذا جاء في قوله تعالى: ﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾[2]. وقوله: ﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾[3].

والاستفهام في معنى النفي، والنفي صريح في هذه الجملة بقرينة "إلا" التي دلت على الحصر. ومثل هذا الاستعمال في القرآن كثير. ومنه قوله تعالى: ﴿هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾[4]. وقوله: ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾[5]. وورد في الشعر، ومنه قول دريد بن الصمة:

وَهَلْ أَنَا إِلاَّ مِنْ غُزَيَّةَ، إِنْ غَوَتْ غَوَيْتُ، وَإِنْ تَرْشُد غزية أَرْشُد[6]

والفعل في الآية في قوله: "ينظرون"، بمعنى: ينتظرون. ومفعوله المؤول بعد أداة الحصر، أي: لا ينتظرون إلا إتيان الله. والضمير في "ينظرون" عائد على الزالين –في الآية السابقة– في قوله: ﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾. وهو التفات من ضمير الخطاب إلى ضمير الغيبة.

ودلالة الاستفهام إنكار، أي: لا ينتظرون إلا حضور الله والملائكة في ظلل من الغمام. ويفهم منه الوعد والوعيد لبني إسرائيل بأن يحل بهم عذاب الله الذي يستحقونه يوم القيامة أو في الدنيا.

الصورة الثانية: هل+ جملة فعلية مضارعية (مسند+ مسند إليه+ أداة حصر+ مفعول به+ جملة مصدرية(بدل اشتمال)+ حال.

وردت في قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً...﴾[7].

الخطاب موجه للكفار بدلالة سياق الآية وسابقاتها.

القصر الذي أفاد الاستثناء بـ"إلا" قصر ادعائي، نزل انتظارهم ما يأملونه من متع الحياة الدنيا منزلة العدم لضآلة أمره، بعد أن نزلوا منزلة من ينتظرون فيما ينتظرون الساعة، لأنهم لتحقق حلول الساعة جديرون بأن يكونوا من منتظريها.

---

(1) ينظر، الرازي، مفاتيح الغيب، 183/5، وأبو حيان، البحر المحيط، 134/2، والشوكاني، فتح القدير، 267/1.

(2) النحل، 26.

(3) الحشر، 2.

(4) الأنعام، 48.

(5) سبأ، 17.

(6) الديوان، جمع وتحقيق وشرح، محمد خير البقاعي، دار قتيبة، دمشق، 1981، ص47، والمرزوقي، ديوان الحماسة، 815/2، وابن منظور، لسان العرب، 140/15، (غوي)، والبغدادي، خزانة الأدب، 513/4.

(7) محمد، 18.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وجملة "أن تأتيهم" بدل اشتمال من "الساعة". و"بغتة" حال من الساعة، وهو مصدر مرة.

ومعنى التركيب: فما ينتظر أهل مكة إلا قيام الساعة، فتأتيهم فجأة، وهم غافلون عنها، أو ما ينتظره كفار قريش من زعماء الكفر في مكة إلا قيام الساعة، وأن الساعة موعدهم وأنها قريبة.

وبين تعالى في الجملة الموالية من الآية بأن علامات الساعة قد جاءت، فقال: ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾. وأول أشراطها أو علاماتها بعثة الرسول، وثانيها الدخان، وثالثها انشقاق القمر[1]. ثم ما يكون بعد ذلك من أشراطها بالنسبة لعمر الإنسان الأمراض والشيخوخة.

والاستفهام إنكار مشوب بتهكم، وهو إنكار وتهكم على غائبين، حق عليهم العذاب.

الصورة الثالثة: هل+جملة مضارعية(مسند+ مسند إليه+ جار ومجرور+ أداة حصر+ مفعول به+ مضاف إليه).

وردت في قوله تعالى: ﴿هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ﴾[2].

تتكون الجملة من أداة استفهام "هل"، وفعل مضارع "تربصون" مسند إلى "واو الجماعة"، وأصله "تتربصون" أدغمت التاء، وجار ومجرور "بنا"، متعلق بالفعل، وأداة حصر "إلا"، ومفعول به "إحدى"، مضاف إلى "الحسنيين". والمراد بهما : النصرة أو الشهادة في سبيل الله.

والاستفهام للمنافقين بدلالة السياق، والمعنى : هل تنتظرون منا–أيها المنافقون– إلا إحدى العاقبتين، إما النصر والغنيمة، وإما الشهادة والمغفرة؟.وكلتاهما مما نحب ولا نكره. والاستفهام في معنى النفي بقرينة أداة الحصر"إلاّ". وفيه توبيخ لهم لتربصهم، لأنهم يتربصون بالمومنين أن يقتلوا، ويغفلون عن احتمال أن يُنصروا. وهو رد على المنافقين في معتقدهم بالمؤمنين، وإزالة ظنهم في أن المؤمنين تنزل بهم نوائب.

الصورة الرابعة: هل+جملة مضارعية (مسند+مسند إليه (مضمر)+مفعول به أول + جار ومجرور (مفعول به ثان)+جار ومجرور+تمييز +ظرف مكان + مضاف إليه).

نجد هذه الصورة في قوله تعالى: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ﴾[3]

(1)ينظر، النسفي، مدارك التنزيل، 564/2.

(2) التوبة، 52.

(3) المائدة ، 60.

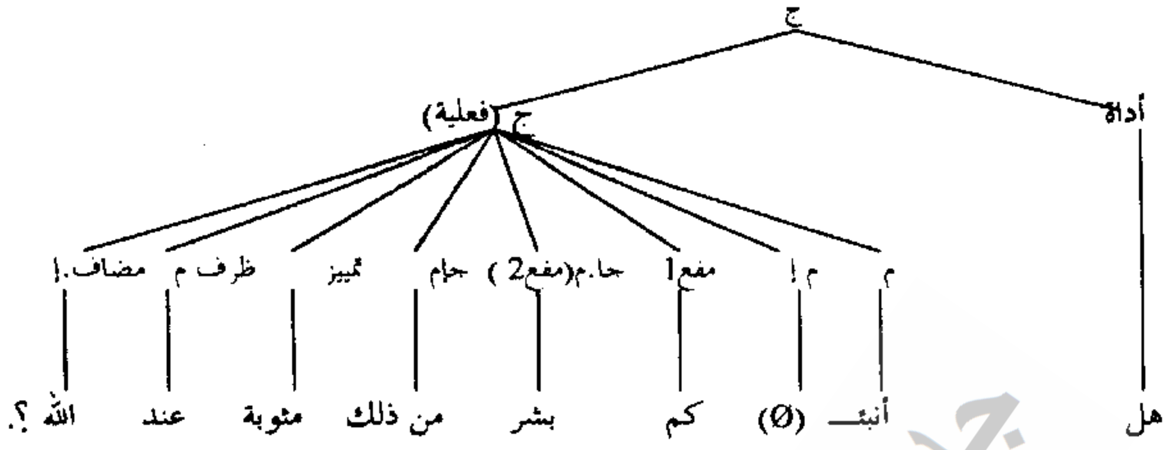

يلحظ أن الفعل "أنبئ"، قد تعدى إلى مفعولين، الأول: الضمير المتصل ببنيته "كم"، والثاني: "بشـــر"، تعدى له بحرف الجر. و"شر" أفعل تفضيل، أصله "أشرّ"، وقد انتصب بعده لفظ "مثوبة" على التمييز، لأنه فسر إبهاما[1]. وهذا التمييز حقق معنى إضافيا في التركيب العام المستقل، وهذا ما يقصد بمصطلح فضله عند النحاة، يقول الزمخشري :"هو رفع الإبهام في جملة أو مفرد بالنص على أحد محتملاته"[2]. بمعـــنى تخصيـــص العمـــوم في معنى بعينه دون بقية المعاني المحتملـــة. ويلحـــظ تقـــدم المفضـــل علـــى التمييـــز، وهـــذا أفصـــح[3]، ومثله قوله تعالى:﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾[4].

واسم الإشارة "ذلك"، لم يطابق الضمير في "أنبئكم". وقد ذكر السيوطي أنه لا خلاف بين النحويـــين في مطابقة اسم الإشارة للمخاطب، وذلك أن كاف الخطاب المصاحبة لأسماء الإشارة حرف بـــين أحـــوال المخاطب من إفراد وتثنية وجمع وتذكير وتأنيث[5] . وعند ابن عطية أن الجملة وقع فيها حـــذف المضـــاف، أي: أشر من أصحاب هذه الحال، فالإشارة إلى المقدر[6]. ويقول أبو حيان: "إن اسم الإشارة يكون على حال من تأنيث وتثنية وجمع، كما يكون للواحد المذكر، فيحتمل أن يكون ذلكم من هذه اللغة، فيصير إشـــارة إلى الأشخاص، كأنه قال : بشر من أولئكم، فلا يحتاج إلى تقدير مضاف ... ويحتمل أن يكون ذلكم أيضا إشارة إلى متشخص، وأفرد على معنى الجنس، كأنه قال: هل أنبئكم بشر من جنس الكتابي، أومن جنس المؤمـــن؟، على اختلاف التقديرين اللذيـــن ســـبقا"[7]. فالخطـــاب في "أنبئكـــم" لليـــهود، والإشـــارة بـــــ "ذلك" إلى ما يدل عليه سياق الآية السابقة من حال المؤمنين.

---

(1) ينظر، الفراء، معاني القرآن، 314/1.

(2) المفصل، ص65.

(3) ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 529/3.

(4) النساء، 87.

(5) ينظر، همع الهوامع، 264/1.

(6) ينظر، المحرر الوجيز، 497/4.

(7)البحر المحيط، 528/3.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والمعنى : قل–يا محمد– هل أخبركم بشر من ذلك الذي ذكرتم ؟. وهو قولكم لم نر أهل دين أقل حظا في الدنيا والآخرة منكم، ولا دينا شرا من دينكم[1].

واختلف القراء في قوله: "أنبّئكم"، فقرأ الجمهور بفتح النون وشد الباء من "نبّأ"، وقرأ ابن وثاب والنخعي بسكون النون وتخفيف الباء من "أنبأ". والقراءتان بمعنى واحد، وهو أخبر. وقرأ الجمهور كذلك "مَثُوبَةً" بضم الثاء وسكون الواو، وقرأ الأعرج وابن عمران: "مثْوَبة" بسكون الثاء وفتح الواو[2].

وقال ابن جني: "هذا مما خرج عن أصله، شاذ عن بابه وحال نظائره ... وأصل (مَثْوُبة)، مثْوُبة، فنقلت الضمة من الواو إلى الثاء"[3].

ومعنى "مثوبة" في القراءتين واحد، وهو الرجوع إلى الله يوم القيامة، تقول العرب: ثاب، يثوب، إذا رجع[4].ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾[5].

والمثوبة عند الله تعالى يعني ثوابه وجزاؤه، فهي تنال عن عمل قام به المرء، وقد وضع الثواب–هنا– موضع العقاب تهكما باليهود.

الصورة الخامسة : هل+جملة اسمية(مسند إليه+مسند).

تبرز هذه الصورة في قوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[6]

الفاء في "فهل" عاطفة–في هذه الآية–على قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾. و"هل" يكثر وقوعها في حيز همزة الاستفهام، فاستغنوا بـ "هل" عن ذكر الهمزة، فهي لاستفهام مضمن تحقيق الإسناد المستفهَم عنه، وهو "أنتم منتهون" دون الهمزة، إذ لم يقل: أتنتهون؟. فجيء بجملة اسمية للدلالة على الحصول المطلوب وثبوته تأكيدا في تحقيق حصول المستفهم عنه، فهي أبلغ من الفعلية[7] . وفي الاستفهام كناية للتحذير من انتفاء وقوع المستفهم عنه.

وحذف متعلق "منتهون"، لوضوحه وسهولة تقديره، إذ التقدير: فهل أنتم منتهون عنهما؟.أي: عن الخمر والميسر، أم باقون على حالكم مع علمكم بتحريمهما؟.وذلك لأن عطف هذا الاستفهام –في هذه الآية– على قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ ...﴾ يدل على أنهما المراد من الانتهاء، والاقتصار عليهما–في الجملة–دون توضيح ما في عبادة الأنصاب والأزلام من رجس؛ لأن الخمر والميسر فيهما من المتع مما يجعل النفوس الضعيفة

(1)ينظر، السمرقندي، بحر العلوم، 446/1، والبغوي، معالم التنزيل، 49/2، والقرطبي، الجامع، 233/6، والخازن، لباب التأويل، 58/2.

(2)ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 496/4، وأبو حيان، البحر المحيط، 528/3،529.

(3) المحتسب، 213/1.

(4) ينظر، ابن فارس، مجمل اللغة، 164/1، (ثوب)، وابن منظور، لسان العرب، 245/1، (ثوب).

(5) البقرة، 125.

(6) المائدة، 91.

(7)ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 18/4، والزركشي، البرهان، 178/4.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تميل إليهما أكثر، فهما يولدان البغضاء والعداوة والبعد عن الله تعالى، ولذلك أكد القرآن الكريم بالنهي عنهم أكثر من غيرهما[1].

والخطاب موجه للمؤمنين بدلالة السياق، وبقرينة اللفظ-في الآية السابقة- من قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ...﴾. وتضمن الاستفهام معنى الأمر، أي: فانتهوا أيها المؤمنون. ودلالته الوجوب.

الصورة السادسة: هل+جملة اسمية (مسند (جار ومجرور))+جار ومجرور+مسند إليه).

وردت في قوله: ﴿يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ﴾ [2]

دخلت "هل" على جملة اسمية، المسند فيها "لنا" متعلق بمحذوف خبر، والمسند إليه "شيء" مجرور لفظا بـ"من" الزائدة للتأكيد[3]، مرفوع محلا بتعبير النحاة، وقدم المسند على المسند إليه، لأن المسند إليه نكرة، والجار والمجرور "من الأمر" متعلق بمحذوف حال من "شيء"[4].

وقد اكتملت عناصر الجملة الاستفهامية، فالمستفهمون هم المنافقون كما يدل السياق، فهم طائفة من المقاتلين ظنوا بالله غير الحق والمستفهَم هو الرسول ﷺ والمستفهم عنه النصر والظهور على العدو. فقد استفهَم أولئك المنافقون من رسول الله ﷺ: هل لهم من النصر والظهور على العدو من شيء؟ فأجيبوا عقب الاستفهام، بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾. وهو رد عليهم بأن عذرهم باطل، وأن الله ﷻ ورسوله ﷺ في غنى عنهم.

ودلالة الاستفهام نفي، والتقدير: ما لنا من الأمر من شيء، أي: من أمر الخروج إلى القتال، أو بمعنى: "ليس لنا من الظفر الذي وعدنا به محمد شيء"[5]. والمراد بهذا القول: "انتفاء الخروج إلى أُحد الذي كان سببا في قتل من قتل..." [6]. ودلالة الاستفهام إنكاري.

الصورة السابعة: هل+جملة اسمية(مسند إليه (مضاف)+مضاف إليه+أداة حصر+مسند).

وردت هذه الصورة في قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾[7]

---

(1) ينظر، الرازي، مفاتيح الغيب، 68/12، وأبو حيان، البحر المحيط، 17/4، والمراغي، التفسير، 24،23/7.

(2) آل عمران، 154.

(3) ينظر، السيوطي، قطف الأزهار في كشف الأسرار، تحقيق أحمد بن محمد الحمادي، إدارة الشؤون الإسلامية، الدوحة، ط1، 1994، 656/2.

(4) ينظر، السمين الحلبي، الدر المصون، 238/2.

(5) القرطبي، الجامع، 242/4.

(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 135/4، وينظر، الكلبي، التسهيل، 162/1.

(7) الرحمن، 60.

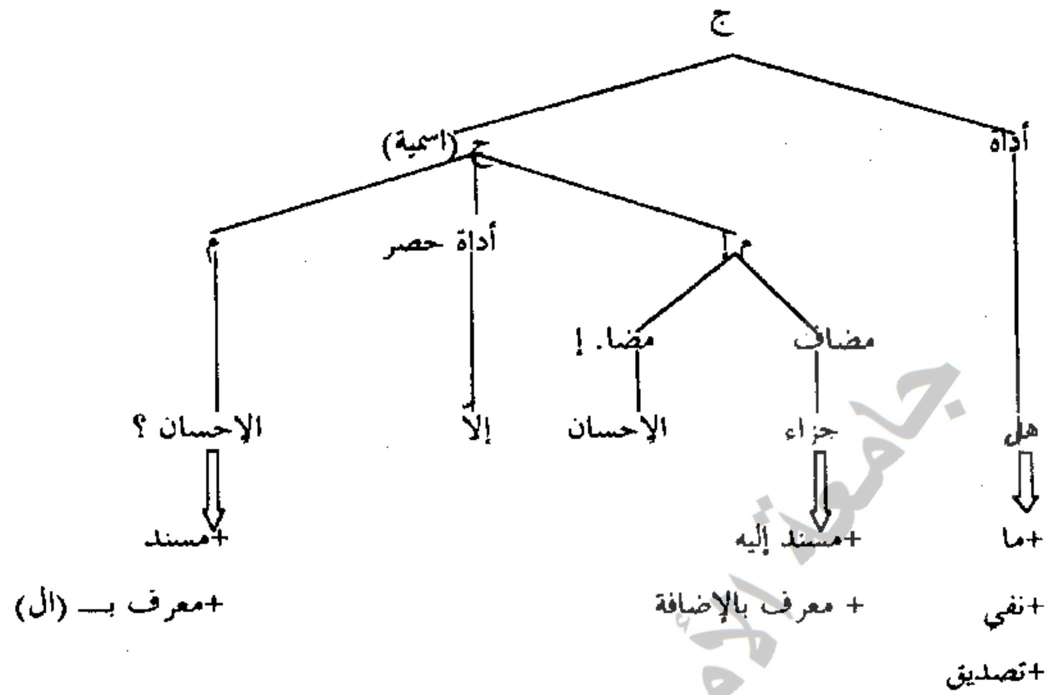

جملة: "هل جزاء الإحسان إلا الإحسان"؟ تذييل لجملـــة: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ (1). أي: لأنهم أحسنوا فجازاهم الله سبحانه وتعالى بالإحسان.

واختلف في قراءة قوله تعالى: "إلاّ الإحسانُ"، فبهذه قرأ الجمهور. والمراد بالإحسان في هذه القـــراءة الحسن، وهو نعيم الجنة، وقد "قرأ ابن أبي إسحاق: "إلاّ الحسانُ" يعني بالحسان الحور العين"(2). والقراءتـــان متقاربتان في المعنى، أي:"ما جزاء من أحسن في الدنيا إلاّ أن يُحسن إليه في الآخرة"(3)، وذلك بالفوز بنعيـــم الجنة.

و الاستفهام مستخدم في النفي، ولذلك جيء بالاستثناء المفرغ فدل على حصر مجازاة الإحســـان في أنها إحسان. وفي هذا الحصر إخبار عن كون الإحسان جزاء عن حسن الأعمال ومقتضى عدل الله وحكمتـــه في مخلوقاته.

الصورة الثامنة: هل+جملة فعلية ماضوية (مسند+جار ومجرور+مسند إليه+جار ومجـــرور+جملـــة منسوخة منفية(لم+ناسخ+مسند إليه(مضمر)+مسند+صفة).

وردت في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾(4)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) الرحمن، 46.

(2) ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 196/8.

(3) البغوي، معالم التنزيل، 276/4.

(4) الإنسان، 1.

الأداة "هل"تفيد الاستفهام والتحقيق، قال النحاة إنها بمعنى (قد) في الخبر، وبملازمتها الاستفهام كثر في الكلام حذف أداة الاستفهام معها، فكانت فيه بمعنى (قد)، وخصت بالاستفهام فلا تقع في الخبر[1]، ودخلت-هنا-على جملة فعلية، فعلها ماض "أتى".

ثم وردت جملة منسوخة منفية بـ"لم" في محل نصب حال من "الإنسان"، على معنى: هل أتى عليه حين من الدهر غير مذكور؟ أو في محل رفع صفة لـ"حين"، فيكون العائد محذوفا، أي: لم يكن فيه.

ودلالة الاستفهام تقريري، وهو موجه إلى بني آدم كلهم دون تعيين. وفي التقرير إشارة إلى استحقاق الله أن يعترف الإنسان له بالوحدانية في العبادة. والمعنى: هل يقر كل إنسان موجود أنه كان معدوما مدة طويلة؛ فلم يكن شيئا يذكر؟ أي: لم يكن يسمى ولا يتحدث بذاته، وقد سمي إنسانا باعتبار ما صار إليه. ويكون الجواب: أتى عليه ذلك، وهو بالحال المذكور.

الصورة التاسعة: هل+جملة ترج(عسى+مسند إليه (ضمير متصل)+جملة اعتراضية+مسند(جملة مصدرية)).

وردت في قوله تعالى: ﴿ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ﴾[2]

اتصل المسند إليه-ضمير المخاطبين-بالفعل الناقص الجامد "عسى"، وخوطب به بنو إسرائيل بدلالة السياق، والمسند "ألا تقاتلوا" مصدر مؤول في محل نصب. وهذا النظام هو الأكثر شيوعا في نظام جملة "عسى".

ويلحظ مصاحبة "أن" لـ"عسى"، وذلك باتصالها بالجملة المضارعية "ألاّ تقاتلوا"، أي: أن لا تقاتلوا، وهذا الذي ذكره سيبويه، قال: "تقول: عسى أن يفعل، وعسى أن يفعلوا، وعسى أن يفعلا، وعسى محمولة عليها أن"[3].

وتوسطت جملة اعتراضية-وهي جملة فعل الشرط:"إن كتب عليكم القتال"-بين المسند إليه والمسند في التركيب. والمسند "ألا تقاتلوا"، مستفهَم عنه بـ" هل"، وهو متوقع، لأنه وقع مسندا (خبرا) لـ"عسى"، وهو دليل على جواب الشرط "إن كتب ...". وهذا من أبدع الإيجاز؛ فقد حكى القرآن الكريم جملا وقعت في كلام بين المخاطبين، وفيه إشارة إلى إضمار بني إسرائيل نية عدم القتال.

واختلف القراء في قوله: "عسِيتم"، فقرأه نافع وأهل المدينة بكسر السين، وهي لغة مع تاء الفاعل مطلقا، ومع "نا"، ومع نون الإناث، نحو: عسينا وعسين، وهي لغة الحجاز. والفعل منها "عَسِيَ" مثل: خشِيَ.

---

(1) ينظر،سيبويه، الكتاب، 189/3، وابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص538، والمبرد، المقتضب، 43/1، 289/3، وابن هشام، مغني اللبيب، 566/1.

(2)البقرة، 246.

(3) الكتاب، 158/3.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وقرأه الجمهور بفتح السين، لأنه على وزن "فَعَلَ"، تقول: عسى، مثل: رمى. والفتح أفصح، وهي اللغة الغالبة[1].

و الاستفهام دل على التقرير والتحذير، ذلك أن التراجع عن القتال موجود ومحقق الوقوع، لأن المستفهم عنه، وهو عدم القتال كان مؤكدا عند المستفهِم، فحذّر المخاطبين من عدم الإقدام إن فرض عليهم القتال.

ويلحق هذه الصورة قوله تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾[2].

والمعنى: أأعرضتم عن الإسلام الذي أنتم عليه، وأجهرتم كفركم فأفسدتم في الأرض بالكفر والقتل، وقطعتم صلة الأرحام؟. وقيل معناه: لعلكم إن عرضتم عن أحكام القرآن، أن تعودوا إلى ما كنتم عليه في الجاهلية، فتفسدوا في الأرض بالمعاصي وسفك الدماء والظلم، ولا تصلوا الأرحام[3]. وقال الفراء: "إن توليتم أمور الناس أن تفسدوا في الأرض، وتقطعوا أرحامكم"[4] .

والاستفهام موجه للذين في قلوبهم مرض، وهم المنافقون-في الآية السابقة-في قوله: ﴿ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ... ﴾، وذلك بطريق الالتفات للتوبيخ.

الصورة العاشرة: هل+جملة مضارعية(مسند+مفعول به+مسند إليه)+أداة عطف(ثم)+جملة فعلية ماضوية(مسند+مسند إليه).

وردت في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا ﴾[5].

الفعل "يرى" من رؤية البصر، تعدى إلى مفعول واحد، هو كاف الخطاب؛ المخاطب به المنافقون[6]، وقدم وجوبا عن المسند إليه (الفاعل)، لأنه اتصل ببنية الفعل، والمسند إليه "أحد" مجرور لفظا بـ "من" الزائدة للتأكيد، مرفوع محلاً.

---

(1) ينظر، القيسي، الكشف، 303/1، والداني، التيسير، ص69، وابن عطية، المحرر الوجيز، 353/2، والعكبري، التبيان، 196/1، والسمين الحلبي، الدر المصون، 598/1.

(2) محمد، 22.

(3) ينظر، الفراء، معاني القرآن، 63/3، والبغوي، معالم التنزيل، 183/4، 184، والنسفي، مدارك التنزيل، 565/2.

(4) معاني القرآن، 63/3.

(5) التوبة، 127.

(6) ينظر، الطبري، جامع البيان، 521/11، 522، وابن الجوزي، زاد المسير، 520/3، والقرطبي، الجامع، 298/8.

وجملة: "هل يراكم من أحد؟" في محل نصب مفعول به-مقول القول-لفعل مقدر بالقرينة، أي: نظر بعضهم إلى بعض، وقالوا: هل يراكم من أحد؟. ويجوز أن تكون بيانية لجملة: "نظر بعضهم إلى بعض"، لأنهم تفاهموا عن طريق التغامز سرا بينهم. ولما كان النظر أداة تواصل فيما بينهم صح بيان جملته بما يدل على الاستفهام التعجبي.

ثم جيء بجملة معطوفة "ثم انصرفوا"؛ وقد استخدمت فيها الأداة "ثم" الدالة على الترتيب. وانصرافهم كان "عن طريق الاهتداء، وذلك أنهم حينما يبن لهم كشف أسرارهم والإعلام بمغيبات أمورهم يقع لهم لا محالة تعجب وتوقف نظر، فلو اهتدوا لكان ذلك الوقت مظنة ذلك، فهم إذ يصممون على الكفر ويرتبكون فيه كأنهم انصرفوا عن تلك الحال التي كانت مظنة للنظر الصحيح والاهتداء"[1].

وانصرافهم كان حقيقة، فقد انصرفوا من المجلس الذي تتلى فيه السورة، كما تم مجازا، فهم بخروجهم من المجلس انصرفوا عن الإيمان[2]. وكان من دأب المنافقين العمل على التستر وراء المظهر الخادع الذي يظهر الإسلام ويخفي الكفر. وأفادت جملة: "انصرفوا" أنهم انصرفوا عن مجلس رسول الله ﷺ وأنهم لم يتعظوا من نزول السورة المنزلة في شأنهم والتي أطلعت الرسول ﷺ على أسرارهم، بل كان شغلهم الشاغل الشك والتعجب في أن يكون قد اطلع عليهم من يبوح بأسرارهم، ثم انصرفوا هروبا من الحق، وذهابا إلى الباطل، كأن لم تكن لهم عبرة مما حدث.

وتتسم جملة "هل يراكم من أحد"؟ بإيجاز حذف رائع دلت عليه القرينة، والتقدير: هل يراكم أحد إن خرجتم من المكان؟. فإذا كان الجواب بـ (لا) انصرفوا. والمعنى: هل يراكم الرسول والمؤمنون إن قمتم من المجلس؟ فإن لم يرهم أحد خرجوا متسللين لواذا، وإن علموا أن أحدا يراهم ثبتوا مكانهم، لأنهم بكفرهم لا يظنون أن الله كاشف أمرهم ومطلع رسوله ﷺ على خفايا أمورهم.

الصورة الحادية عشرة: هل+جملة فعلية مضارعية(مسند+نون التوكيد+مسند إليه(اسم ظاهر مضاف)+مفعول به)+جملة فعلية مضارعية(صلة الموصول).

وردت في قوله تعالى:﴿هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾[3].

ورد بعد "هل" مضارع مؤكد بنون التوكيد الثقيلة. وخلا المضارع من التوكيد بالنون بعد(هل) إلا في هذا الموضع، وقد أشار إليه عبد الخالق عضيمة. وحصر الباحث بالإضافة إلى هذه الأداة(هل) المواضعَ التي ورد فيها المضارع بعد كل أدوات الاستفهام مجردا من التوكيد، ويستثنى منها (كم)، و(متى)، فلم يقع بعدهما المضارع في القرآن[4].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1)ابن عطية، المحرر الوجيز، 87/7، وينظر، القرطبي، الجامع، 300/8، وأبو حيان، البحر المحيط، 120/5.

(2) ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 120/5.

(3) الحج، 15.

(4) ينظر، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، 460/3.

والمسند إليه "كيده" المضاف إلى الهاء يدل على إضمار الحقد للمسلمين على وجه الاستعارة التهكمية، لأنه لم يكد به محسوده، إنما يضر المكيد به نفسه.

والظاهر من السياق أن الخطاب للمنافقين. ويحتمل أن يكون إلى فريق من الذين أسلموا وقت ضعف المسلمين، واستبطأوا النصر من الله فضاقت نفوسهم ووهنت، فارتدوا عن الإسلام[1]. فأنكر الله عليهم فعلهم هذا، وكأنه قال لهم: إن ارتدادكم عن الإسلام لا يضر الله في شيء، ولا يكيد الإسلام والمسلمين، وإن شئتم فاختنقوا وانظروا هل يزيل الاختناق غيظكم؟. وقال الزمخشري معناه: "إن الله ناصر رسوله في الدنيا والآخرة، فمن كان يظن من حاسديه وأعاديه أن الله يفعل خلاف ذلك، ويطمع فيه ويغيظه أنه يظفر بمطلوبه فليستقص وسعه وليستفرغ مجهوده في إزالة ما يغيظه بأن يفعل ما يفعل... وليصور في نفسه أنه إن فعل ذلك هل يذهب نصر الله بغيظه"؟[2]. وهو استفهام إنكاري.

الصورة الثانية عشرة: هل+جملة فعلية مضارعية(مسند+مسند إليه+أداة عطف(الواو)+معطوف(مسند إليه)+ أم(المنقطعة)+هل+جملة فعلية مضارعية(مسند+مسند إليه+أداة عطف(الواو)معطوف(مسند إليه).

وردت هذه الصورة في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾[3].

دخلت"هل"على جملة مضارعية، وتكررت نفس العناصر النحوية في الجملة الثانية المعطوفة بتكرار "هل" دون الاكتفاء بـ"أم" المنقطعة لإفادة تحقيق الاستفهام وتأكيده، لأنه يجوز أن يؤتى بها، ويجوز أن لا يؤتى بها، لأنها تضمنتها[4]. وقد جمع الشاعر بين الاستعمالين في قوله:

هَلْ مَا عَلِمْتَ وَمَا اسْتَوْدَعْتَ مَكْتُومُ ... أم حَبْلُهَا إذْ نَأَتْكَ اليَوْمَ مصرُومُ ؟

أم هل كبِيْرٌ بكى لَمْ يَقضِ عَبْرَتَهُ ... إثْرَ الأَحِبَّةِ يوم البَيْنَ مَشكُومُ[5]؟

اختلف القراء في قوله: "تستوي الظلمات"، فقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحفص عن عاصم، بتاء الخطاب. وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر، بياء الغيبة[6]. ومن قرأ "يستوي" بالتذكير ذهب إلى أن تأنيث "الظلمات" غير حقيقي، فجوز تذكيره. ومن قرأ بتأنيث الفعل ذهب في ذلك إلى أن "الظلمات"

(1) ينظر، الزمخشري، الكشاف، 8/3، وابن عطية، المحرر الوجيز، 239/10، وأبو حيان، البحر المحيط، 332/6.

(2) الكشاف، 8/3.

(3)الرعد، 16.

(4)ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 370/5.

(5)البيت لعلقمة بن عبدة، ينظر، سيبويه، الكتاب، 178/3، والمفضل، المفضليات، ص397.

(6)ينظر، أبو زرعة، حجة القراءات، ص372، 373، والداني، التيسير، ص108، وابن عطية، المحرر الوجيز، 153/8، وابن الجزري، النشر، 297/2.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مؤنث من حيث اللفظ[1]. والقراءة بالتأنيث أحسن، لأن الفاعل المؤنث لم يفصل بينه وبين فعلـــه بشـــيء، والتذكير جائز، لأنه مؤنث غير حقيقي، وهو وجه في الجمع المذكر غير السالم[2].

وقد ورد لفظ "الظلمات" جمعا، و "النور" مفردا "اتباعا للاستعمال، لأن لفظ "الظلمات" بـــالجمع أخف، ولفظ "النور" بالإفراد أخف، ولذلك لم يرد لفظ "الظلمات" في القرآن إلا جمعا، و لم يرد لفظ "النور" إلا مفردا، وهما معا دالان على الجنس، والتعريف الجنسي يستوي فيه المفرد والجمع"[3].

ومعنى التركيب: هل يستوي الكافر والمؤمن؟ وهل يستوي الكفر والإيمان؟ أي: هل يكونان مستويين وبينهما من التفاوت والتباين ما بين الأعمى والبصير، وما بين الظلمات والنور؟.

ودلالة الاستفهام توبيخ للكافرين بدلالة السياق. ونفي التسوية في الحالتين يتضمن تشبيها بالحـــالين؛ حال الكافر والمؤمن، وحال الكفر والإيمان، وشتان ما بينهما، فالتركيب يبرز مزية المؤمنين بالله علـــى أهـــل الكفر، لأن المخاطبين، وهم أهل الكفر قد أثبتوا الربوبية للأصنام، فكان حالهم وحال المؤمنين كحال الأعمـــى والبصير، وحال الظلمات والنور.

النمط الرابع : جملة استفهامية تعتمد الأداة "أي".

ورد هذا النمط في خمس وثلاثين (35) جملة، تتوزع على الصور الآتية:

الصورة الأولى: (أداة استفهام (مسند إليه)+مضاف إليـــه+جملـــة مضارعيـــة(مســـند+مســـند إليه(مضمر)+مفعول به).

وردت في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾[4].

أداة الاستفهام "أي" تأتي مضافة[5]، و "يسأل بها عن شيء من شيء"[6]. أو هي "تقع على شيء هي بعضه"[7]. ودخلت على جملة مضارعية، فعلها يدل على الحال والاستقبال، وقد تقيد بالمفعول به اسم العلـــم الممنوع من الصرف "مريم".

والمستفهِم والمستفهَم قوم من بني إسرائيل، والمستفهم عنه هو كفالة مريم عليها السلام وقد أشـــارت الآية إلى أن بني إسرائيل تنازعوا في كفالة مريم عليها السلام حين ولادتها إذ كانت يتيمة، فقال البعـــض: إن زكرياء أحق بها، وقال البعض: نحن أحق بها، فاقترعوا وجعلوا أقلامهم في الماء الجاري على أن من وقف قلمه،

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1)ينظر، أبو زرعة، حجة القراءات، ص373.

(2)ينظر،ابن هشام، شرح شذور الذهب، ص225، وما بعدها، وينظر له، أوضح المســـالك، 244/1، وعبـــاس حســـن، النحـــو الـــوافي، 78/2، 79، 80.

(3)ابن عاشور، التحرير والتنوير، 127/7، 128.

(4) آل عمران، 44.

(5) ينظر، ابن السراج، الأصول في النحو، 396/2.

(6) المبرد، المقتضب، 217/4.

(7) المصدر السابق، 294/2، وينظر، سيبويه، الكتاب، 233/4.

ولم يجر مع الماء فهو صاحبها، فجرت أقلامهم، ووقف قلم زكرياء، فكان أحق بكفالتها[1]. فقام بأمرها، كما قال تعالى: ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾[2].

وفي معنى الاستفهام تلهف شديد في التكفل بمريم، وهذا يدل على مكانتها بين قومها.

الصورة الثانية: أداة استفهام (مجرورة)+مضاف إليه(مكرر)+جملة فعلية مضارعية(مسند+مسند إليه).

وردت هذه الصورة في اثنتين وثلاثين (32) جملة في سورة الرحمن. يقول تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾[3].

الأداة "أي" تلزم دوما الإضافة، لأنها مبهمة، وقد أضيفت-هنا-إلى نكرة "آلاء"؛ وكان أن أضيفت هذه النكرة إلى لفظ "رب" المضاف إلى ضمير التثنية "كما" الدال على الثقلين "الإنس الجن".

فالخطاب الاستفهامي للإنس والجن، لأن لفظ الأنام يعمهما في قوله:﴿ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴾[4]، وبهذا قال جمهور المفسرين[5]. ويدل على ذلك قوله: ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ ﴾[6].

وقال بعض المفسرين: إن الخطاب للإنس، وثناه على قاعدة العرب في خطاب الواحد بلفظ التثنية[7]، كما في قوله تعالى: ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴾[8]. وقال ابن عاشور: "والوجه عندي أنه خطاب للمؤمنين والكافرين الذين ينقسم إليهما جنس الإنسان"[9]، الذي ذكر في قوله تعالى: ﴿ خَلَقَ الْإِنسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾[10].

أما ما قاله جمهور المفسرين من أن الخطاب للإنس والجن فهو بعيد الاحتمال، لأن القرآن الكريم إنما نزل لخطاب الإنس، وما ورد من ذكر الجن فهو في سياق الإخبار عن تصرفات الله فيهم، وليس لتوجيه العمل

---

(1) ينظر، الطبري، جامع البيان، 267/3، والقرطبي، الجامع، 86/4، والشوكاني، فتح القدير، 431/1.

(2) آل عمران، 37.

(3) الرحمن، 13.

(4) الرحمن، 8.

(5) ينظر، الفراء، معاني القرآن، 114/3، والطبري، جامع البيان، 581/27، والزمخشري، الكشاف، 45/4، وابن عطية، المحرر الوجيز، 186/14، وأبو حيان، البحر المحيط، 189/8.

(6)الرحمن، 29.

(7)ينظر، الفراء، معاني القرآن، 114/3، وأبو حيان، البحر المحيط، 189/8، والشوكاني، فتح القدير، 164/5.

(8) ق، 24.

(9) التحرير والتنوير، 243/27.

(10) الرحمن، 2.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بالحكم الشرعي[1]. ونميل إلى هذا الرأي، فالله تعالى يعدد نعمه على الإنسان، ليؤمن ويشكر المنعم، فكأنه سبحانه وتعالى قال: ألم أخلق الإنسان، وأعلمه البيان، وأجعل الشمس والقمر بحسبان، فأرفع السماء، وأضع الأرض؟ إلى غير ذلك مما ذكر. وهذه نعم كثيرة لا ينبغي أن يجحدها مؤمن أو كافر. وكل من الفريقين يتوجه إليه الاستفهام بالمعنى المناسب للمقام. والمراد توبيخ المشركين والتعريض بهم على أن أشركوا في عبادة المنعم غير المنعم. والتكذيب مستخدم في الإنكار و الجحد لتشنيع جحد المكذبين بنعم الله ﷻ. والمقصود من تكذيب آلائه كفرهم بربهم، لأن إشراكهم بالله دليل على كفرهم، إذ من حق المنعم أن يشكر على ما أنعم به.

وقد تكررت هذه الصورة في إحدى وثلاثين(31) موضعا في سورة الرحمن تقريرا للنعمة وتأكيدا للتذكير بها، فتراه ﷻ عدد نعمه، وفصل بين كل نعمتين بما يذكرهم ويقررهم بها.

الصورة الثالثة: أداة استفهام (مسند إليه)+مضاف إليه+ جملة فعلية ماضوية(مسند+مفعول به+مسند إليه+تمييز).

وردت في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا ﴾[2].

قرأ الجمهور : "أيّكم" بالرفع على الابتداء، وقرأ زيد بن علي، وعبيد بن عمير: "أيّكم" بالنصب على الاشتغال، وذلك بإضمار فعل يفسره المذكور بعده في "زادته"[3]. والنصب فيه عند الأخفش أفصح، نحو: أزيدًا ضربته؟[4]. والإشارة بـ"هذه" إلى المشار إليه "سورة"، أي هذه السورة. والجملة الاستفهامية جملة مقول القول (مفعول به).

و الاستفهام صادر من المنافقين كما جاء في سبب نزول الآية[5]، فهم يسألون عمن يزداد إيمانا بعد نزول سورة من القرآن. يقول الزمخشري: "...لأنها أزيد لليقين والثبات وأثلج للصدر، أو فزادهم عملاً، فإن زيادة العمل زيادة في الإيمان، لأن الإيمان يقع على الاعتقاد والعمل"[6]. ويقول أبو حيان: "وزيادة الإيمان عبارة عن حدوث تصديق خاص لم يكن قبل نزول السورة، من قصص وتجديد حكم من الله تعالى، أو عبارة عن تنبيه على دليل تضمنته السورة"[7].

ويحتمل أن يكونوا وجهوا الاستفهام لأقربائهم من المؤمنين، فهم يطمعون في ردهم إلى النفاق، وتكون دلالة الاستفهام حينئذٍ مفيدة للتحقير والاستخفاف بأمر السورة المنزلة.

(1) ينظر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، 243/27.

(2) التوبة، 124.

(3) ينظر، الزمخشري، الكشاف، 222/2، وأبو حيان، البحر المحيط، 118/5.

(4) ينظر،معاني القرآن، 563/2.

(5) ينظر، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ص169، والبغوي، معالم التنزيل، 341/2.

(6) الكشاف، 222/2.

(7) ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 118/5.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ويحتمل أن يكون الاستفهام صادرا من بعض المنافقين على سبيل التهكم بالمؤمنين. وإذا كان للتهكم كان متضمنا معنى إنكار أن يكون نزول سُور القرآن يزيد المؤمنين إيمانا توهما منهم بأن ملا يزيدهم إيمانا لا يزيد غيرهم إيمانا، وهم بذلك يقيسون على أحوالهم.

الصورة الرابعة: أداة استفهام (مسند إليه)+ مضاف إليه+ مسند + جار ومجرور+ تمييز.

وردت في قوله تعالى: ﴿آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾[1]

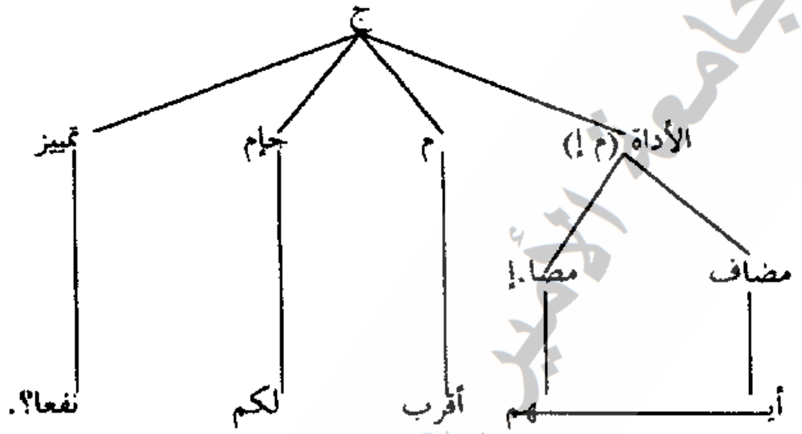

استفهم بـ"أي" عمن أيهم أقرب نفعا: الآباء أم الأبناء؟ ولذلك جاء بعدها أفعل التفضيل "أقرب" الذي تطلب تمييزا للمفاضلة بين الآباء والأبناء في النفع، وهذه المفاضلة التي تجلب النفع لا يعلمها إلاّ الله سبحانه وتعالى، والمعنى: لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعه في الدعاء لكم والصدقة عنكم؟ وقال ابن عباس وغيره: إن الابن كان أرفع درجة من أبيه في الآخرة سأل الله أن يرفع إليه أباه وإذا كان الأب أرفع درجة من ابنه سأل الله أن يرفع ابنه إليه[2].

وقال بعضهم: إن هذه الجملة معترضة بين ذكر الوارثين وأنصبائهم، وبين قوله:﴿فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ﴾ -في هذه الآية-فإنه تعالى لما ذكر أنصباء الأبوين، وكانت تلك مختلفة، والعقول لا تهتدي إلى تلك التقديرات، فربما رأى بعضهم أن القسمة لو تمت على غير هذه الصورة لكانت أنفع[3]. فلذلك "أنكر الله تعالى عليهم ما عسى أن يخطر ببالهم من هذا القبيل، وأشار إلى قصور أذهانهم، فكأنه قال: إن عقولهم لا تحيط بمصالحكم، فلا تعلمون من أنفع لكم ممن يرثكم من أصولكم وفروعكم"[4]. فالله تعالى وحده العالم بكل المصالح عاجلها وآجلها، وهو لا يأمر إلاّ بما هو أصلح وأحسن.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) النساء، 11.

(2) ينظر، المقياس، ص86، والسمرقندي، بحر العلوم، 337/1، والرازي، مفاتيح الغيب، 177/9.

(3) ينظر، السمرقندي، بحر العلوم، 338/1، والألوسي، روح المعاني، 437/4.

(4) الألوسي، روح المعاني، 437/4.

النمط الخامس: جملة استفهامية تعتمد الأداة (من).

ورد هذا النمط في ثلاث وعشرين (23) جملة، توزع على الصور الآتية:

الصورة الأولى: أداة استفهام(مسند إليه)+جملة فعلية ماضوية(مسند + مسند إليه(مضمر)+ مفعول به أول+ مفعول به ثان).

وردت في قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ﴾[1].

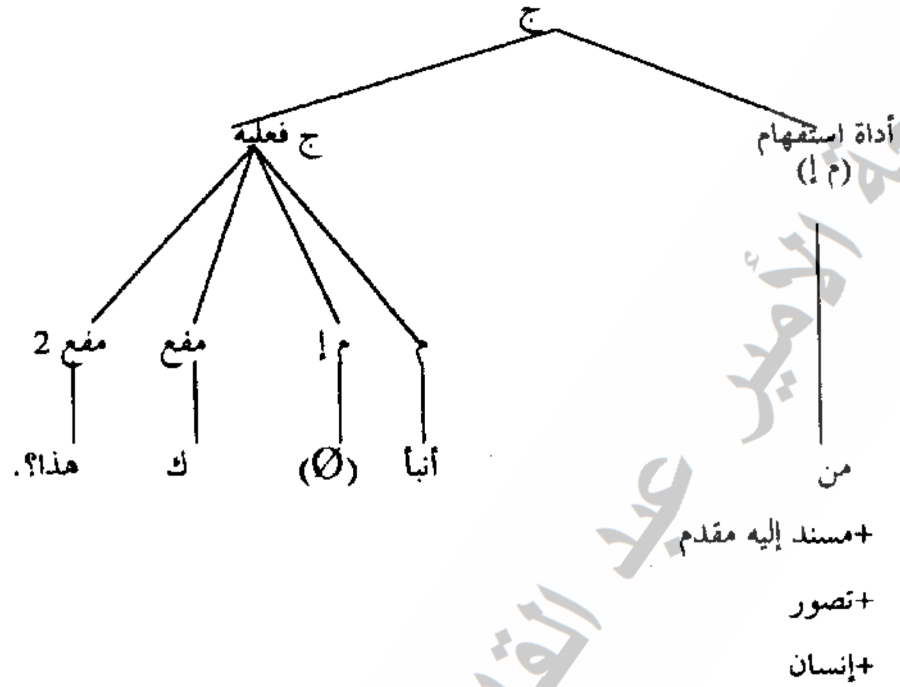

تتكون بنية الجملة من أداة استفهام "من"، في محل رفع مسند إليه (مبتدأ)، وجملة فعلية تتألف من مسند، فعل ماض "أنبأ"، ومسند إليه مضمر جوازا تقديره "هو"، ومفعول به أول "الكاف"-ضمير المخاطب- ومفعول به ثان اسم الإشارة "هذا".

الفعل "أنبأ" و "نبّأ" هما بمعنى، أخبر، وأن حقهما التعدية إلى مفعول واحد لما فيهما من همزة تعدية أو تضعيف. والأكثر يتعديان إلى ما زاد عن المفعول بحرف جر، نحو: من أنبأك به؟ وقد يحذف حرف الجر فيعديان إلى مفعولين كهذه الجملة: "من أنبأك هذا ؟" أي بهذا[2].

ويتضح من سبب نزول الآية أن المستفهِم حفصة رضي الله عنها والمستفهَم الرسول ﷺ والمستفهم عنه النبأ. والمعنى: من أخبرك بأني قد أفشيت السر؟، وذلك بالحديث الذي أفشت بـه حفصة أو عائشة -رضي الله عنهما-إلى بعض أزواج النبي، وهو تحريم مارية القبطية، أو ما قالت حفصة لعائشة من خلافة أبي بكر الصديق وعمر رضي الله عنهما من بعده[3].

(1) التحريم، 3.

(2) ينظر، سيبويه، الكتاب، 43/1، وابن الناظم، شرح ألفية ابن مالك، ص215.

(3) ينظر، الفراء، معاني القرآن، 165/3، وابن عطية، المحرر الوجيز، 510/14، 511، وابن الجوزي، زاد المسير، 309/8.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يقول البغوي: "وذلك أن النبي ﷺ لما رأى الكراهية في وجه حفصة أراد أن يترضاها فأسر إليها بشيئين: تحريم الأمة على نفسه وتبشيرها بأن الخلافة بعده في أبي بكر وفي أبيها عمر رضي الله عنهما"[1].

و الاستفهام حقيقي على سبيل التحقق والتثبت، ويدل على ثقة حفصة بأن عائشة لا تفشي سرها، وعلمت أن لا قِبَل لرسول الله بعلم ذلك إلاّ من عائشة أو عن طريق الوحي، فأرادت التحقق من أحد الأمرين.

الصورة الثانية: أداة استفهام(مسند إليه)+مسند+جار ومجرور+تمييز.

وردت في أربع جمل، منها الجملة الآتية:

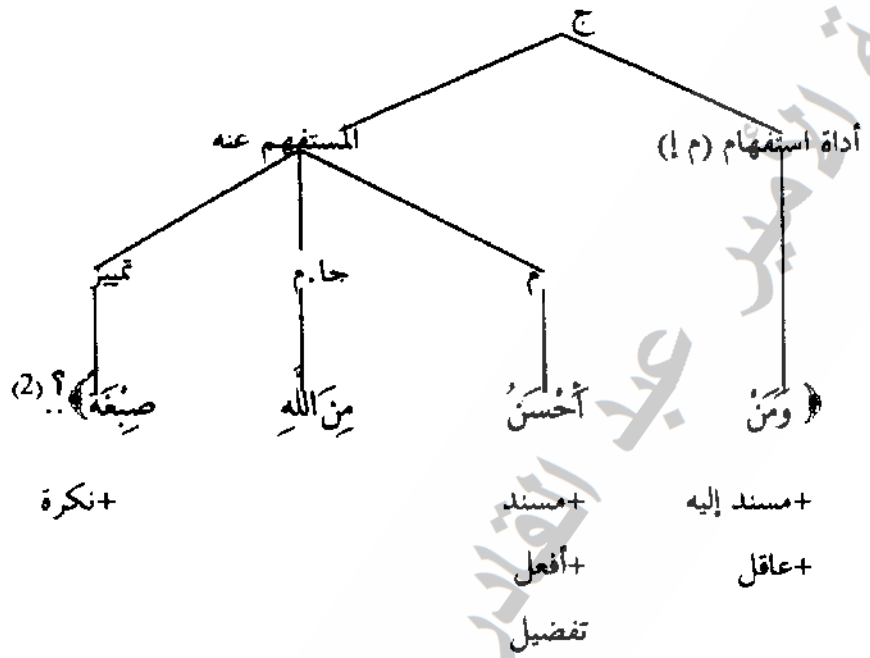

تؤدي أداة الاستفهام "من" وظيفة المسند إليه (المبتدأ). و"أحسن" مسند (خبر)، وهو على صيغة (أفعل)، "ولا يراد بها حقيقة التفضيل، إذ صبغة غير الله منتف عنها الحسن، أو يراد التفضيل باعتبار من يظن أن في صبغة غير الله حسنا ... وانتصاب "صبغة" هنا على التمييز المنقول من المبتدأ".[3]

وقد خصص المسند بالجار والمجرور والتمييز. والمراد بـ"صبغة" : دين الله، أي: سننه وشريعته وفطرته.[4] وقد "سمي الدين صبغة استعارة من حيث تظهر أعماله وسمته على المتدين كما يظهر الصبغ

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) معالم التنزيل، 364/4.

(2) البقرة، 138. صبغة الله: دينه، و الصبغة الشريعة و الخلقة. وقيل: هي ما يتقرب به إلى الله. ينظر، ابن فارس، مجمل اللغة، 550/2، (صبغ)، و ينظر له، مقاييس اللغة، 331/3، (صبغ).

(3) ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 584/1.

(4) ينظر، الطبري، جامع البيان، 623/1، وابن عطية، المحرر الوجيز، 505/1.

في الثوب وغيره".[1] ومعنى هذا أنها صبغة القلب، وهي صبغة الإيمان التي يَظهر أثرها على المؤمن. وصبغة الله أفضل الصبغ وأحسنها وهي الإسلام.[2]

والاستفهام إنكاري في معنى النفي مع إفادة التعظيم لله سبحانه، ومعناه : لا أحد أحسن من الله في شأن دينه.

ومثل هذه الصورة تركيبا ودلالة قوله تعالى:﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾.[3] وقوله:﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾.[4] وقوله :﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا﴾.[5]

فهذه الجمل تحمل نفس العناصر النحوية، والاستفهام فيها إنكاري في معنى النفي.

ويلحق بهذه الصور ما ورد في الآية (125) من سورة النساء، والآية (111) من سورة التوبة.

الصورة الثالثة : أداة استفهام (مسند إليه)+جملة مضارعية(مسند + مسند إليه (مضمر)+ جار ومجرور+ مفعول به).

وردت في قوله تعالى: ﴿ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾[6]

الفاء واقعة في جواب شرط متقدم، وهي رابطة لمعنى الشرط، وقدم الجواب لأهميته. وأصل الجملة: إن أراد الله أن يهلك المسيح ... فمن يملك من الله شيئا ؟.

والفعل "يملك" تعدى إلى المفعول به "شيئا"، وورد نكرة دلالة على التحقير والتقليل. ولما كان الاستفهام-هنا-بمعنى النفي كان نفي الشيء القليل مقتضيا نفي الكثير بدرجة أولى. والمعنى: "فمن يمنعكم من مشيئة الله وقضائه"؟.[7] أي: لا يقدر أحد أن يغير ما أراد الله؛ فالله قادر على إهلاك الناس جميعا.

ودلالة الاستفهام إنكاري على قول الكافرين: إن الله هو المسيح، وهو قول شنيع في حق الله ﷻ.

وورد نظير هذه الجملة لفظا ودلالة في الآية(11)، من سورة الفتح.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز، 505/1.

(2) ينظر المصدر السابق، 505/1، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 144/2.

(3) النساء، 87

(4) النساء، 122

(5) المائدة، 50.

(6) المائدة، 17.

(7) النسفي، مدارك التنزيل، 572/2.

الصورة الرابعة: أداة استفهام(مسند)+مسند إليه(مضاف)+ مضاف إليه+ جار ومجرور.

وردت في موضعين، من ذلك قوله تعالى:﴿مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ﴾[1].

أداة الاستفهام "من" مسند (خبر)، و"أنصاري" مسند إليه (مبتدأ) مضاف إلى ياء المتكلم، وهو عيسى عليه السلام (المستفهِم) بقرينة اللفظ في هذه الآية. وَوَجَّهَ خطابه إلى الحواريين من قومه. والجار والمجرور "إلى الله" متعلق بـ"أنصاري"، وفي معنى "إلى" انتهاء مجازي.

ومعنى جملة: من الذي ينصرني ويعينني في الدعوة إلى الله ؟ أو "من جندي متوجها إلى نصرة الله؟"[2].

و الاستفهام حقيقي، ولذلك طابق جواب الحواريين لعيسى عليه السلام في قوله: ﴿نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ﴾.

والمراد: اختبار القوم في انتدابهم إلى نصرة دين الله معه. والغرض من الاستفهام دعوة المسلمين إلى نصرة الله، أي : كونوا عندما يدعوكم محمد ﷺ إلى نصرة الله كالحواريين عندما استجابوا لعيسى عليه السلام، وكانوا أنصارا لدين الله.

ويتبع هذه الصورة ما ورد في الآيتين: (16، 43) من سورة الرعد.

الصورة الخامسة: أداة استفهام (مسند إليه)+ مسند+ صفة+ جملة فعلية مضارعية(صلة الموصول).

وردت في موضعين، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ﴾[3].

ارتبطت الفاء الواقعة في جواب الشرط وجوبا بالجملة الاسمية التي تتصدرها أداة الاستفهام "من"، وذلك لاختلاف جملتي فعل الشرط وجوابه بين الفعلية والاسمية.

ومعنى الجملة: إنّ النصر يكون بيد الله تعالى، فلا يطلب نصر إلاّ منه عز وجل، وطلب نصره هو امتثال أمره بعد إعداد الأسباب اللازمة له. وهذا تنبيه على أن الأمر كله لله؛ فمن علم أنه لا ناصر له إلاّ هو، وأن من نصره لا غالب له، ومن خذله لا ناصر له، فوض أموره كلها إليه، ولم يتبع غيره.

والخطاب للمؤمنين بدلالة السياق، ولم يصرح لهم بأنه تعالى لا ينصرهم، وإن جاء بظرف الزمان في قوله: ﴿مِّن بَعْدِهِ﴾ الدال على خذلانه سبحانه لهم عند تجاوز حدوده، لأنه صرح لهم بعدم الغلبة –في هذه الآية- في قوله تعالى:﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾.

و الاستفهام إنكاري مفيد لانتفاء الناصر على انتفاء الغالب، والتقدير: لا أحد ينصركم من بعد خذلانه.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) آل عمران، 52، والصف، 14.

(2) النسفي، مدارك التنزيل، 681/2.

(3) آل عمران، 160.

و من هذه الصورة -كذلك-في قوله:﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾[1].

الاستفهام مستعمل في الإنكار والنفي بقرينة الاستثناء منه في قوله: "إلاّ بإذنه". والمعنى: لا أحد يشفع عند الله، لأن المخلوقات جميعها ملكه، ولكن يشفع عنده من أراد هو أن يظهر كرامته، فيأذنه بأن يشفع فيمن أراد هو العفو عنه. والذي يتعاطى الشفاعة عنده هم الأنبياء والرسل.[2]

وفي هذا الإخبار رد لزعم الكفار والمشركين أن الأصنام تشفع لهم يوم القيامة[3].فقرر جلت قدرته أن لا أحد يشفع عنده إلاّ بعد أن يأذن له ويأمره بأن يقوم بذلك.

الصورة السادسة: أداة استفهام(مسند إليه)+جملة مضارعية(مسند+مفعول به+أداة حصر + مسند إليه).

وردت في قوله تعالى :﴿ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾.[4]

تتكون بنية الجملة من أداة استفهام "من" مسند إليه، وجملة فعلية مضارعية، تتألف من مسند "يغفر" ، ومفعول به مقدم "الذنوبَ"، وأداة حصر "إلا"، ومسند إليه "اللهُ". و هذه الجملة معترضة بين جملة : "فاستغفروا"، وجملة "وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا" –في هذه الآية- وهي تدل على سعة رحمة الله، وأن التائب عن الذنب عنده كمن لا ذنب له، لأن العبد إذا جاء في الاعتذار بأقصى ما يقدر عليه، وجب العفو والتجاوز، وفيه تطيب للنفوس، وتنشيط للتوبة، وردع عن اليأس، وأن الذنوب إن جلت فإن عفوه أعظم.[5] فهو "وحده معه مصححات المغفرة".[6]

والاستفهام مستعمل في معنى النفي، والاستثناء قرينة على إرادة النفي، أي : لا أحد يغفر الذنوب إلاّ الله. والمراد: تسديد مبادرة العباد إلى طلب الاستغفار عقب الذنوب.

ويلحق بهذه الصورة قوله:﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾ .[7]

دخلت "من" الاستفهامية على جملة مضارعية الفعل فيها "يرغب" يتعدى بحرف الجر "في" أو "عن"، وعدي –هنا- بـ"عن"، لأنه ضمن معنى العدول عن أمر، والعدول عنه هو المجرور "ملة"، والملة: الدين أو الشريعة والطريقة.

---

(1) البقرة، 255. يشفع: شفاعة، والشفيع والشافع والجمع شفعاء، واستشفعه: طلب منه الشفاعة. والمشفع: الذي يقبل الشفاعة، والمشفَّع: الذي تقبل شفاعته. ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 184/8، (شفع).

(2) ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 382/2، والخازن، لباب التأويل، 190/1.

(3) ينظر، النسفي، مدارك التنزيل، 142/1، والخازن، لباب التأويل، 190/1.

(4) آل عمران، 135.

(5) ينظر، الزمخشري، الكشاف، 464/1.

(6) المصدر السابق، 464/1.

(7) البقرة ، 130.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وجيء بأداة استثناء "إلا" الدالة على القصر، وتتضمن معنى النفي، والاسم الموصول "مَنْ" بعدها بدل من المبدل منه الضمير في "يرغب".

وانتصاب "نفسه" على أنه مفعول به، إما لكون الفعل "سَفِهَ" يتعدى بنفسه كـ"سفَّه" المضعف، أو لكونه ضمن معنى ما يتعدى كالفعل "جهل"، أو هو منصوب على نزع الخفض، كقولهم: زيد ظني مقيم، أي: في ظني. [1]

وقال الفراء: انتصب "نفسه" على التمييز، وهو تمييز محول عن الفاعل[2]. وأصله: سفهت نفسُهُ، أي: خفت، فحول الإسناد إلى صاحب النفس على أسلوب المجاز العقلي للملابسة قصد المبالغة، وهي أن السفاهة سرت في نفس صاحبها من شدة تمكنها حتى صارت ملازمة له، ثم انتصب المسند إليه (الفاعل) على التمييز تفسيرا لذلك الغموض في الإسناد المجازي.

والاستفهام مستخدم في الإنكار والاستبعاد؛ فإن الإعراض عن ملة سيدنا إبراهيم عليه السلام مع العلم بفضلها أمر منكر مستبعد. ولما كان شأن المنكر المستبعد أن يسأل عن فاعله، استعمل الاستفهام في معناه، وهو الإنكار والاستبعاد على وجه الكناية. والاستثناء قرينة على إرادة النفي، أي: لا أحد يرغب عن ملة إبراهيم إلا من ظلم نفسه بسفهه، وسوء تدبيره بتركه الحق إلى الضلال، حيث خالف سنة من اتخذه الله خليلا.

والمراد من جملة الاستفهام: ذم المشركين وتسفيههم في إعراضهم عن دعوى الإسلام بعد أن وضح لهم الرسول أن الإسلام مقام على أساس الحنفية، وهي معروفة عندهم بأنها ملة إبراهيم الخليل.

الصورة السابعة: أداة استفهام (مسند إليه)+ مسند+ جار ومجرور+ جملة فعلية ماضوية (صلة الموصول)+ جملة مصدرية (مفعول لأجله)+ جملة فعلية ماضوية (معطوفة).

وردت في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا ﴾.[3]

تتألف بنية التركيب من أداة استفهام "من" في محل رفع مسند إليه، ومسند "أظلم" على صيغة "أفْعَل"، وجار ومجرور "ممن"، و"من" اسم موصول بمعنى "الذي"، وجملة فعلية ماضوية "منع مساجد الله" صلة الموصول، ثم جملة مضارعية المسند فيها مبني للمجهول منصوب بأداة مصدري ونصب"أن"، والمسند إليه (نائب فاعل) "اسم" مضاف إلى الهاء. والمصدر المؤول من "أن"وما تلاها في محل جر بـ"من"، أو في محل نصب مفعول لأجله، بتقدير: منعها كراهيةَ أن يذكر اسمه تعالى، أو كراهية ذكر اسمه.

والمعنى: لا أحد أظلم ممن منع مساجد الله. والمراد بمنع المساجد أن يذكر فيها اسم الله منع من يأتي إليها للعبادة. والمراد بالسعي في خرابها: هو السعي في هدمها أو تعطيلها عن الطاعات وشعائر الدين.

---

(1) ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 565/1.

(2) ينظر، معاني القرآن، 79/1.

(3) البقرة، 114.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والاستفهام في هذه الجملة أبلغ دلالة على أن الظلم لا يضاهيه أي نوع من الظلم، وهو يدل على النفي، أي: لا أحد يشبه هؤلاء الكفرة في ظلمهم هذا، مع تقبيح المنع وتشنيعه، وتوبيخ فاعليه.

ويلحق بهذه الصورة قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾[1]

الظاهر من السياق أن الذين كتموا شهادة عند الله هم خاصة الأحبار والرهبان الذين تركوا عامة أمتهم مسترسلين على عقائد الخطأ والضلالة، وهم ساكتون إرضاء لهم واستجلابا لمحبتهم ومحاربة الإسلام.

يقول أبو حيان: "وهذا يدل على أنهم كانوا عالمين بأن إبراهيم ومن معه كانوا مباينين لليهودية والنصرانية لكنهم كتموا ذلك".[2] ويقول الزمخشري: إن التركيب "يحتمل معنيين: أحدهما أن أهل الكتاب لا أحد أظلم منهم، لأنهم كتموا هذه الشهادة وهم عالمون بها. والثاني: أنا لو كتمنا هذه الشهادة لم يكن أحد أظلم منا فلا نكتمها، وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمدﷺ بالنبوة في كتبهم وسائر شهاداتهم".[3]

والمراد بهذا الاستفهام النفي، أي: لا أحد أظلم ممن كتم شهادة الله، مع تقبيح المنع وتوبيخ فاعليه.

ويلحق بهذه الصورة -كذلك- قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ﴾[4]

يختلف هذا التركيب عن سابقيه -من هذه الصورة- في ورود جملة حالية يتصدرها الضمير "هو" الدال على الظالم، وهو مسند إليه، والمسند فعل مضارع "يُدْعَى" على بناء الفعل للمجهول، وهذا على قراءة الجمهور. أما طلحة بن مصرف فبنى الفعل للمعلوم "يَدَّعِي" بتشديد الدال[5]، بمعنى ينتمي. قال ابن جني: "ظاهر هذا أن يقال: يدَّعي الإسلام إلاّ أنه لما كان يدعي الإسلام ينتسب إليه قال: يُدعى إلى الإسلام حملا على معناه".[6]

وقال ابن عطية: "والمعنى -على هذه القراءة- إنما هو إشارة إلى الأنبياء عليهم السلام، لما حكى عن الكفار أنهم قالوا: "هذا سحر" بين بعد ذلك أن العقل لا يقبله".[7]

وقال النسفي: المعنى"وأي الناس أشد ظلما ممن يدعوه ربه على لسان نبيه إلى الإسلام الذي له فيه سعادة الدارين فيجعل مكان إجابته إليه افتراء الكذب على الله بقوله لكلامه الذي هو دعاء عباده إلى الحق هذا سحر والسحر كذب وتمويه".[8]

---

(1) البقرة، 140.

(2) أبو حيان، البحر المحيط، 588/1.

(3) الكشاف، 316/1.

(4) الصف، 7.

(5) ينظر، ابن جني، المحتسب، 321/2، وابن عطية، المحرر الوجيز، 430/14.

(6) المحتسب، 321/2.

(7) المحرر الوجيز، 430/14، 431.

(8) النسفي، مدارك التنزيل، 679/2، 680.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

و الاستفهام نفي وإنكار، أي: لا أحد أظلم من هؤلاء الظالمين المكذبين. فالظالمون المكذبون من قبلهم، إما أن يكونوا أظلم منهم، وإما أن يكونوا مثلهم على كل حال. وإنما قال القرآن بأنهم أظلم النـــاس، لأنهـــم ظلموا الرسول ﷺ، إذ قالوا: هو ساحر. وهو افتراء عليه، وظلموا ربهم إذ سموا آياته سحرا.

الصورة الثامنة: أداة استفهام (مسند إليه)+ مسند+ صفة+ جملة مضارعية (صلة الموصول)+جملـــة مضارعية (سببية).

وردت هذه الصورة في موضعين، وذلك في قوله تعالى:﴿ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾.[1]

أداة الاستفهام "من" مسند إليه، و"ذا" اسم إشارة مسند، والمشار إليه محذوف، يدل عليـــه السـياق، والموصول بعده "الذي" صفة للمشار إليه، والتقدير: من المقرض الذي يقرض الله قرضا حسنا؟ ثم جيء بجملـة مضارعية سببية: "فيضاعفه له...". تتألف من فاء السببية، ومضارع منصوب بأن مضمرة بعد الفـــاء، لأنـــه جواب الاستفهام، ومسند (فاعل) مضمر جوازا تقديره "هو"، ومفعول به ضمير متصل بالفعل، وجار ومجرور "له" متعلق بـــ "يضاعف"، ومفعول مطلق "أضعافا"، وصفة "كثيرة" لـــ "أضعافا".

قرأ الجمهور: "فيضاعفُه" بالرفع على عطف "يقرض"، ليدخل في حيز التحضيـــض بعـد الاقـتراض في الحصول. وقرأ ابن عامر، وعاصم، ويعقوب، بالنصب على أن الفاء فاء السببية.[2]وذلك علـــى جـواب الاستفهام الدال على التحضيض.والمعنى واحد في القراءتين؛ فالاستفهام يدل على التحضيض على الاتصـــاف بالخير، كأن المستفهِمَ لا يعلم من هو الجدير بالخير، فكان أن حض-جلت قدرته-عباده المؤمنين على الإنفاق في سبيل الله.

ووردت-كذلك-في قوله:﴿ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ ﴾[3]

قرأ كذلك-هنا- أبو عمرو، ونافع، وحمزة، والكسائي قوله: "فيضاعفـــه" بـــالرفع علـــى العطـــف أو على القطع. وقرأ عاصم، وابن عامر: "فيضاعفَه" بالنصب على جواب الاستفهام. وهذا حملا على المعـــنى بمنزلة أن لو قال: أيقرض الله أحدٌ فيضاعفه؟[4] ذلك لأن فاء السببية تدل على أن المضاعفة مسببة للقرض.

ودلالة الاستفهام تحضيض على الإنفاق في نصرة المسلمين وقتال الكافرين. وسمي ذلك الإنفاق قرضـــا من حيث وُعد به الجنة تشبيها بالقرض، لأن شأن المحرض على فعـــل الإقـــراض أن يبحـــث عمـــن يفعلـــه ليجازيه عليه.

(1) البقرة، 245.

(2) ينظر، أبو زرعة، حجة القراءات، ص 139، والداني، التيسير، ص69، ، وابن عطية، المحرر الوجيز، 349/2، والنسفي، مدارك التـــزيل، 137/1، وأبو حيان، البحر المحيط، 261/2.

(3) الحديد، 11.

(4) ينظر، أبو زرعة، حجة القراءات، ص699، وابن عطية، المحرر الوجيز، 297/14، 298.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الصورة التاسعة: أداة استفهام (مسند إليه)+ جملة فعلية مضارعية(مسند+ مسند إليه(مضمـــر))+ مفعول به+ جار ومجرور+ ظرف زمان+ مضاف إليه+ أم (المنقطعة)+ جملة منسوخة بـــ "يكون".

وردت في قوله تعالى:﴿ فَمَن يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾.(1)

من الاستفهامية "يسأل بها عن العاقل، وتدخل على الاسم والفعل، وهي مبنية علـــى السـكون".(2) ودخلت-هنا-على فعل مضارع "يجادل" متعد إلى مفعول به لفظ الجلالة "الله". ومجادلة الله خصامه.

والمجادل عنهم هم الذين ذكروا-فيما سبق-في قوله: ﴿ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ﴾.(3)

الخطاب في الجملة موجه للذين يتعصبون لأهل الريب والمعاصي كما يتضـــح مـــن ســياق الآيــة. والمعنى: فمن يستطيع الجدال والدفاع عن أهل الباطل يوم القيامـــة؟ فـــالله تعـــالى قـــائم بتدبـير خلقـــه، ولا أحد لهم إذا أخذهم الله بعذابه. وفي هذا المعـــنى "وعيـــد محـــض، أي أن الله يعلـــم حقيقـــة الأمـــر، فلا يمكن أن يلبس عليه بجدال ولا بغيره".(4)

وجيء بـــ "أم" المنقطعة لإفادة الإضراب، أي: بل من يكون عليهم وكيلا؟ فلا أحد يكـــون قائمـــا بتدبير أمورهم، فيدافع عنهم ويحفظهم من عذاب الله الواقع بهم. ودلالة الاستفهام إنكار وتوبيخ.

النمط السادس :جملة استفهامية تعتمد الأداة (ما).

ورد هذا النمط في إحدى وعشرين (21) جملة، يوزع أغلبها وفق الصور الآتية:

الصورة الأولى: أداة استفهام(مسند) + مسند إليه.

وردت هذه الصورة في أربع جمل، منها ما ورد في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ ﴾(5).

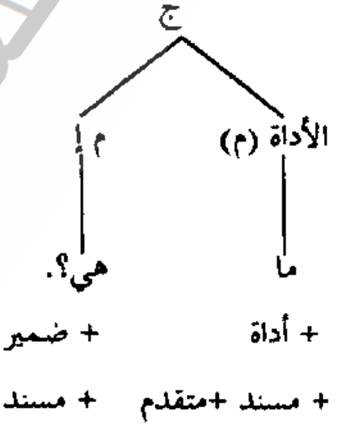

(1)النساء، 109. يجادل: مجادلة وجدالا، والجدال: الخصومة، وسمي بذلك لشدته. ينظر، ابـــن فـــارس، مجمـــل اللغـــة 179/1، (جـــدل)، وابن منظور، لسان العرب، 105/11، (جدل).

(2) المبرد، المقتضب، 217/4.

(3) النساء، 107.

(4) ابن عطية، المحرر الوجيز، 222/4.

(5) البقرة، 68، 70.

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أداة الاستفهام"ما" هي"سؤال عما لا يعقل"[1]. ودخلت على المستفهم عنه، وهو"هي" العائد على "بقرة" في الآية السابقة. و"ما" في الجملة مسند مقدم وجوبا، لأن أداة الاستفهام لها الصدارة، والمسند إليه "هي" متأخر.

والسؤال بـ "ما هي"؟ على حذف مضاف، أي: ما صفتها أو ما حالها؟ والجملة الاسمية "ما هي"؟ في موضع نصب مفعول به للفعل "يبين". والمعنى: يبين لنا جواب هذا السؤال، ولذلك جيء بالجواب عقب السؤال -في الآية(68)- في قوله: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ﴾.

وتكررت هذه الصورة في قوله: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا﴾[2].

الضمير"ها" المتصل بالمسند إليه عائد إلى لفظ "بقرة" في الآية السابقة. والجملة الاستفهامية: "ما لونها"؟ في محل نصب مفعول به للفعل "يبين". وسؤال بني إسرائيل لنبيهم موسى"فيه تعنت منهم وقلة طواعية إذ لو امتثلوا فذبحوا بقرة لكانوا قد أتوا بالمأمور، ولكن شددوا فشدد الله عليهم"[3].

والسؤال على حقيقته، لأن بني إسرائيل سألوا نبيهم عن صفات البقرة التي أمروا بذبحها، وأجيبوا في كل مرة عن سؤالهم.

ويلحق بهذه الصورة ما ورد في قوله:﴿ وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا﴾[4].

تتكون بنية الجملة الاستفهامية "ما لها"؟ من أداة استفهام "ما"، ومستفهم عنه "لها"؛ فهو استفهام عن الشيء الذي ثبت للأرض ولزمها. أما المستفهِم فهو "الإنسان" بدلالة اللفظ في هذه الآية، إذ هو القائل هذه المقولة. والمعنى: ما لها زلزلت هذا الزلزال؟ أو ما للأرض زلزلت هذه الزلزلة الشديدة، وأخرجت ما في بطنها؟

ويقع هذا الاستفهام غالبا مرادفا بما يتعلق بالثبوت الذي في المسند(الخبر)، كقولهم: ما له يفعل كذا؟ فلذلك لزم أن يكون هنا مقدرا، أي: ما لها زلزلت؟.والمقصود بالإنسان(المستفهِم) وجهان:

أحدهما: أنه اسم جنس، يراد به العموم؛ فيدخل فيه المؤمن والكافر. وهذا قول من جعل الزلزلة من أشراط الساعة، وذلك أنها حين وقعت لم يعلم الجميع أنها من أشراطها وعلاماتها.

وثانيهما: قد يراد به الكافر، وهذا على قول جمهور المفسرين الذين يرون أن الزلزلة هي زلزلة يوم القيامة، لأن المؤمن عالم بوقوعها، فلا يستفهم عنها، والكافر جاحد لها، فإنما استفهم عند وقوعها لما يرى من الهول[5].

---

(1) الأنباري، أسرار العربية، ص386، و ينظر له الإغراب في جدل الإعراب، ص40.

(2) البقرة، 69.

(3) أبو حيان، البحر المحيط، 415/1.

(4) الزلزلة، 3.

(5)ينظر، الفراء، معاني القرآن، 283/3، وابن عطية، المحرر الوجيز، 535/15، والبيضاوي، أنوار التنزيل، 807/30، وأبو حيان، البحر المحيط، 497/8، والشوكاني، فتح القدير، 592/5.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ويرجح ما قاله الجمهور من أن المستفهم كان كافرا بالساعة، ولذا استفهم متعجبا من هول ما وقع. أما المؤمن فهو يعلم ذلك، لأنه جزء من عقيدته.

الصورة الثانية: أداة استفهام(ما)+ جملة اسمية منسوخة(كان+ مسند إليه(ضمير متصل)+(مسند مقدر).

وردت في قوله تعالى:﴿ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ﴾[1].

أداة الاستفهام "ما" مجرورة بـ"في" الدالة على الظرفية المجازية، وسقطت ألفها مع الجار للفرق بينها وبين(ما) الخبرية[2]. والمسند إليه(اسم كان) متصل بفعل الكينونة. والمسند(خبر كان) مقدم متعلق بالجار والمجرور"فيم".

والاستفهام صادر من الملائكة للمتوفين كما يدل عليه سياق الآية. ومعنى الجملة: في أي شيء كنتم في أمر دينكم أو من أحوال الدنيا؟ أأنتم في المسلمين؟ أم أنتم في المشركين؟. وقد علم المستفهمون أن الحالة المستفهم عنها حالة بقائهم على الكفر أو عدم الهجرة. وفي استفهام الملائكة توبيخ، وهو تمهيد لدحض معذرتهم في جوابهم الملائكة: "كنا مستضعفين في الأرض". وهو اعتذار عن تخلفهم عن الهجرة مع رسول الله ﷺ إلى المدينة، وإقامتهم بدار الكفر(مكة). وهذا غير مقبول، لأنه يحمل كذبا. ودلالة الاستفهام تقرير وتوبيخ.

الصورة الثالثة: أداة استفهام(ما)-مفعول به-+ جملة فعلية مضارعية(مسند+ مسند إليه(ضمير متصل)+جار ومجرور+ مضاف إليه).

وردت هذه الصورة في قوله تعالى:﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي ﴾[3].

تتألف بنية الجملة من أداة استفهام "ما" في محل نصب مفعول به مقدم، ومسند فعل مضارع"تعبد" اتصل به المسند إليه "واو الجماعة"، وجار ومجرور "من بعد" متعلق بـ"تعبدون"، ومضاف إليه "ياء المتكلم"، والمراد به يعقوب؛ إذ هو القائل لبنيه هذه المقولة حين حضره الموت. وجيء بـ"ما" الإستفهامية دون "من"، لأن "ما" هي الأصل عند قصد العموم[4]، فقد سألهم عما يمكن أن يعبده العابدون. والمعنى: أي شيء تعبدون بعد موتي؟.

---

(1) النساء، 97.

(2)ينظر، ابن هشام، مغني اللبيب، 487/2، والزركشي، البرهان، 213/3، والكفوي، الكليات، ص997.

(3) البقرة، 133.

(4) ينظر،الألوسي، روح المعاني، 388/1.

وفي سؤال يعقوب لبنيه "عن حالهم بعد موته دليل على أن الغرض حثهم على ما كانوا عليه حال حياته من التوحيد والإسلام، وأخذ الميثاق منهم عليه، فليس الاستفهام حقيقيا، وكان هذا بعد أن دخل عليه السلام مصر ورأى فيها من يعبد النار فخاف على ولده فحثهم على ما حثهم"[1]. وجاء يعقوب في وصيته بأسلوب الاستفهام لينظر مقدار ثبات أبنائه على الدين حتى يطلع على ما تنطوي عليه نيتهم، فيلقي إليهم ما يوصيهم به من التذكير.

ويماثل هذه الصورة قوله: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ﴾[2].

الجملة مكونة من "ما" الاستفهامية، ومسند "يفعل"، ومسند إليه لفظ الجلالة "الله"، وجار ومجرور "بعذابكم"، مضاف إلى الضمير "كم"، والباء تفيد السبب. وهذه الجملة جواب شرط مقدم، أي: إن شكرتم وآمنتم فما يفعل الله بعذابكم؟.

الاستفهام موجه للمنافقين، وهو الذي يقتضيه السياق؛ فالضمير "كم" في قوله: "بعذابكم" عائد إلى المنافقين -في الآية السابقة- في قوله: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾.

والاستفهام معناه النفي، أي: لا يعذبكم إن شكرتم وآمنتم. فيقرر الله سبحانه أنه متره عن الرغبة في حب الانتقام من عباده إن تابوا وشكروه؛ إذ لا منفعة له في التعذيب، فالإيمان والشكر أمان العبد في الدنيا والآخرة.

الصورة الرابعة: أداة استفهام(ما)+ جملة فعلية مضارعية(مسند+ مسند إليه+ مفعول به+ جار ومجرور).

من هذه الصورة قوله تعالى: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[3].

جُرَّت أداة الاستفهام "ما" باللام، فحذفت ألفها. ودخلت على جملة جواب شرط مقدر على المعنى، ولذلك ارتبط الجواب بالفاء، والتقدير: قل يا محمد لهم إن كنتم حقا تؤمنون بما أنزل عليكم فلم تقتلون أنبياء الله، وقد حرم في الكتاب المترل عليكم قتلهم وأمركم فيه باتباعهم؟.

الخطاب بدلالة السياق لليهود الذين شاهدوا الرسالة المحمدية. وهو خطاب لهم عما فعل أسلافهم من قبل في قتلهم الأنبياء.

وفعل القتل رضي به المخاطبون فنسب إليهم، لأنهم يرون أسلافهم على حق فيما فعلوا من قبل. وجيء بالفعل المضارع "يقتلون" الدال على الزمن الماضي بقصد تجسيد صورة الحدث المريب، وكأنه يحدث أمام أعينهم، وقرينة ذلك قوله: "من قبل".

---

(1) ينظر، الألوسي، روح المعاني، 388/1.

(2) النساء، 147.

(3) البقرة، 91.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ويدل الاستفهام على إنكار علة الفعل بقصد إنكار الفعل ذاته، مع التشنيع به وتوبيخ فاعليه.

ويلحق بهذه الصورة ما ورد في قوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾[1].

الفاء واقعة في جواب شرط مقدر، و التقدير: إن كان زعمكم-أيها اليهود والنصارى-هذا صحيحا فلم يعذبكم الله بذنوبكم؟.

و"لم" أصلها: لما، أي: فلأي شيء؟ وسبقت باللام الجارة فحذفت ألفها. ودخلت على جملة مضارعية مثبتة، فعلها "يعذب" متعد، وقد تعدى إلى الضمير "كم" المتصل ببنيته. أما المسند إليه فمضمر جوازا، يقدر بالضمير(هو) العائد على الله في الآية. والجار والمجرور في "بذنوبكم" متعلق بـ"يعذب" وهو مضاف إلى الضمير "كم" العائد على اليهود والنصارى-في الآية-.

والمضارع في: "يعذبكم" زمنه المضي بدلالة السياق، أي: فلم عذب الله أسلافكم من اليهود والنصارى بأنواع العذاب؟.

وهذا الاستفهام رد على اليهود والنصارى الذين قالوا: "نحن أبناء الله وأحباؤه". أي أنه لو صح أنكم أبناء الله وأحباؤه، وأن منزلتكم منه فوق منزلة البشر لما عذبكم[2]. وبهذا الرد "يقرر الحقيقة الحاسمة في عقيدة الإيمان، يقرر بطلان ادعاء النبوة؛ فهم بشر مما خلق. ويقرر عدل الله وقيام المغفرة والعذاب عنده على أصلها الواحد. على مشيئته التي تقرر الغفران بأسبابه وتقرر العذاب بأسبابه. لا بسبب بنوة أو صلة شخصية!"[3].

وفي معنى الاستفهام إنكار. ومع دلالته على استنكار قولهم فيه دلالتان أخريان:

1-إعلام الله اليهود والنصارى بأنه سيعذبهم بذنوبهم مثل عذاب أسلافهم، وأنهم يأخذون بما يقترفون من مظالم ومآثم.

2-الدلالة على أن عمل الخير له ثوابه، وعمل السوء له عقابه، وأن من يقول غير ذلك فهو مبطل. وما كان لليهود والنصارى أن يدعوا حجية الله، وأنهم فيه بمنزلة الأبناء مع الآباء، ومع ذلك يعصونه!.

الصورة الخامسة: أداة استفهام(مسند إليه)+ جملة فعلية ماضوية(مسند+ مسند إليه(مضمر) + مفعول به+ جار ومجرور+صفة(اسم موصول)+ جملة منسوخة(صلة الموصول).

يقول الله تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾[4].

يكون إعراب "ما" عند النحاة مبتدأ، وما دخلت عليه خبرا. والجملة الاستفهامية:"ما ولاهم عن قبلتهم"؟ في محل نصب مفعول به(مقول القول). أي: ما الذي صرفهم عن القبلة التي كانوا يتوجهون إليها عند

(1) المائدة، 18.

(2) ينظر، النسفي، مدارك التنزيل، 314/1، وأبو حيان، النهر الماد، 566/1، والبحر المحيط، 466/3.

(3) ينظر، سيد قطب، في ظلال القرآن، 867/6.

(4) البقرة، 142.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الصلاة؟.وهي مقولة السفهاء من اليهود ومشركي مكة، فقد طعنوا في تحويل القبلة من بيت المقدس إلى مكة المكرمة[1]. ويجوز أن يكون المراد بالسفهاء المشركين من أهل مكة[2]. وهذا بدليل لفظ "الناس"، فقد عرف في اصطلاح القرآن الكريم أن هذا اللفظ يراد به المشركون، لأنه لو كان يراد به أهل الكتاب من يهود ونصارى لناسب أن يقول: "سيقولون" بإعادة الضمير، لأن ذكرهم لم يزل قريبا من الآية السابقة إلى قوله:﴿وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

والدلالة الزمنية للتركيب استقبال بدلالة "السين" في صدر التركيب "سيقول"، أو أنه تعالى عبر عن الماضي بلفظ المستقبل للدلالة على استدامة السفهاء على هذا القول، وإن كانوا قد قالوه[3]. وهو إخبار من الله تعالى لنبيه محمدﷺبأنه سيصدر من اليهود والمشركين هذا القول في المستقبل، وذلك قبل أن يؤمروا به باستقبال الكعبة. ويكون إخبارا عن شيء قبل حدوثه، ليكون معجزا؛ إذ هو إخبار بالغيب[4].

ومعنى الجملة: ما كان يصح أن يتحول المسلمون عن بيت المقدس التي كانوا يتوجهون إليها عند الصلاة. وفيه تعجب من أمرهم وإنكار.

الصورة السادسة: أداة استفهام(مسند إليه)+ مسند(جار ومجرور)+حال(جملة فعلية).

يقول الله تعالى:﴿ وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ﴾[5].

دخلت "ما" على جملة منفية. و"ألاّ" مركبة من "أن" المصدرية الناصبة للمضارع، و"لا" النافية. وقال الأخفش: "إن" زائدة، والمعنى: ما لنا لا نقاتل؟ وهي تزداد في هذا المعنى كثيرا[6]. وقال الفراء: هو محمول على المعنى، أي: وما منعنا ألا نقاتل، كقولك: ما لك ألا تصلي في الجماعة؟ بمعنى ما يمنعك أن تصلي[7].

وجملة: "وقد أخرجنا..." حالية، والفعل فيها مبني للمجهول، وهي معللة للإنكار؛فهم في هذه الحال أبعد الناس عن ترك القتال، لأن حب الحياة يزداد وقت النوائب بالإخراج من أوطاننا واغترابنا عن أهلنا وأولادنا. والذين استفهموا هم بنو إسرائيل بدلالة السياق، وقد قالوا هذا القول لنبيهم"طالوت" لما دفعتهم الحمية للقتال: ومالنا أن لا نقاتل في سبيل الله والحال أننا قد أخرجنا من ديارنا بالسبي والقهر؟. و الذين أخرجوهم من ديارهم هم قوم "جالوت" بقرينة المقام، فقد شردوهم عن

(1) ينظر، البغوي، معالم التنزيل، 122/1، وابن عطية، المحرر الوجيز، 2/1.
(2) ينظر، السمرقندي، بحر العلوم، 163/1، 164، وابن عطية، المحرر الوجيز، 2/2.
(3) ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 2/2، والقرطبي، الجامع، 147/2، 148، وأبو حيان، النهر الماد، 145/1، والبحر المحيط، 593/1.
(4) ينظر، أبو حيان، النهر الماد، 145/1.
(5)البقرة، 246.
(6) ينظر، معاني القرآن، 377/1، 378.
(7) ينظر، معاني القرآن، 163/1.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ديارهم[1]. وفي معنى الاستفهام إنكارأن يثبت لهم سبب لأجل تركهم القتال، أو سبب يحملهم على تركه، أي: لا مانع يمنعهم من ذلك.

ويماثل هذه الصورة قوله: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾[2].

الواو في "المستضعفين" عاطفة على "سبيل"، أي: وفي سبيل المستضعفين[3]. وأجاز السيوطي أن تكون عطفا على لفظ الجلالة "الله"[4].

والخطاب في "ما لكم لا تقاتلون"؟ التفات من طريق الغيبة-في الآية السابقة- في قوله:﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...﴾ إلى طريق المخاطبة. والاستفهام إنكاري، أي: لا شيء لكم في حال لا تقاتلون. والمقصود أن الذي هو لكم أن تقاتلوا، فهو بمنزلة أمر، أي: قاتلوا في سبيل الله؛ فهو حث على الجهاد، ليُعبد الله وحده، ويُعز أولياؤه المستضعفون من الرجال والنساء والولدان الذين يضطهدون من قبل المشركين.

ومثله دلالة قوله تعالى :﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾[5].

الفعل المضارع"نطمع" معطوف على "لا نؤمن"، فهو منفي مثله، والتقدير: وما لنا لا نؤمن ولا نطمع...؟ فيكون ذلك إنكار لانتفاء إيمان القائلين، وهم الرهبان والقسيسون، وانتفاء طمعهم مع قدرتهم على تحصيل الأمرين معا؛ الإيمان والطمع في دخول الجنة مع فئة الصالحين من أمة محمدﷺ[6]. فيكون الاستفهام إنكاريا لانتفاء الإيمان منهم مع قيام موجبه، وهو الطمع في إنعام الله عليهم بمعية الصالحين.

ووردت بقية الصورة في الأنفال، (34)، والحديد، (8، 10).

النمط السابع: جملة استفهامية تعتمد الأداة "كيف".

ورد هذا النمط في سبعة عشر (17) موضعا، يمكن توزيعه على الصور الآتية:

(1) ينظر، البغوي، معالم التنزيل، 226/1، والخازن، لباب التأويل، 179/1.

(2) النساء، 75.

(3) ينظر، القيسي، مشكل إعراب القرآن، 203/1.

(4) ينظر، قطف الأزهار في كشف الأسرار، 725/2.

(5) المائدة، 84.

(6) ينظر، الزمخشري، الكشاف، 639/1، وابن عطية، المحرر الوجيز، 10/5، وأبو حيان، البحر المحيط، 9/4.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الصورة الأولى: أداة الاستفهام(كيف)+جملة مضارعية(مسند+مسند إليه+جار ومجـــرور)+جملـــة حالية.

وردت هذه الصورة في موضعين، وذلك في قوله تعـــالى:﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ﴾.[1]

الأداة كيف "سؤال عن حال"[2]؛ فهي "سؤال عن حقيقة الحال وتصوره".[3] بمعنى أي حال.[4] وربط ين الجملة الفعلية: "تكفرون بالله". والجملة المنسوخة واو الحال والضمير. وهذه الجملة الحالية "وكنتم أمواتـا" تخلص إلى بيان شيء ما دلت عليه "كيف" بطريق الإجمال وبيان أولى الدلائل على وجوده تعـــالى وقدرتـــه، وهي ما يشعر كل أحد من أنه أوجده الله بعد عدم، ثم يميته بعد حياة، ثم يحييه للبعث.[5] وهو برهـــان علـــى بطلان الكفر، إذ كيف يكفر العبد بربه وهو الذي خلقه بعد أن لم يك شيئا؟

وجيء بصيغة الفعل "تكفرون"مضارعا، ولم يأت به ماضيا، وإن كان الكفر قد وقع من المخـــاطبين، لأن الإنكار نفي قد توجه للحال التي لا تنفك، وحتى لا يكون ذلك إنكارًا أو توبيخًا لمن وقع منه الكفـــر ثم آمن، إذ لو جيء بصيغة الماضي، فقال مثلا: كيف كفرتم بالله؟. لا يدرج في ذلك من كفر وآمـــن كـــأكثر الصحابةﷺ.[6]

فالاستفهـــام يـــدل عـــلى التعجب و الإنكار بقرينة قوله تعالى:﴿ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ﴾.

أي: أن كفركم مع تلك الحالة شأنه أن يكون منتفيا لا يقبله العقل الرشيد لوجود ما يصرف عنه، وهو الأحوال المذكورة بعد، فكان من شأنه أن ينكر، وقد صحب هذا الإنكار التعليل.[7] أي: لا تكفروا بالله، لأنه أحياكم بعد مماتكم.

والخطاب للكافرين الذين سبق وصفهم بأسوأ الصفات المستدعية لمزيد سخطه تعالى عليهم-في الآيـــة السابقة-حيث وجه إليهم الخطاب على طريق الالتفات من الغيبة إلى الخطاب. والإنكار إذ وجه إلى المخـاطب كان أبلغ من توجيهه إلى الغائب وأردع له.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) البقرة، 28.

(2) المبرد، المقتضب، 289/3، والأنباري، الإغراب في جدل الإعراب، ص40.

(3) العلوي، الطراز، 288/3.

(4) ينظر، سيبويه، الكتاب، 233/4، وابن فارس، الصاحبي، ص115.

(5) ينظر، الفراء، معاني القرآن، 25/1.

(6) ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 275/1.

(7)ينظر، تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ص535.

ووردت كذلك في قوله: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾.[1]

اتسمت جملة: "كيف تكفرون"؟ بإيجاز الحذف تجنبا لثقل التركيب، إذ حذف الجار والمجرور "بالله" لذكر قوله: "آيات الله" ضمن بنية الجملة الحالية: "وأنتم تتلى عليكم آيات الله". وهذه الجملة الحالية تدل على نفي الكفر عن المؤمنين، لأن كلا من تلاوة آيات الله وإقامة الرسولﷺ فيهم وازع لهم عن الكفر.

والجملة المعطوفة: "وفيكم رسوله" تدل على "ظرفية الحضور والمشاهدة لشخصهﷺ وهو في أمته".[2]

وقرأ الجمهور المضارع: "تُتلى" بتاء الخطاب، وقرأ الحسن والأعمش: "يُتلى" بياء الغيبة، لأجل الفصل، ولأن التأنيث غير حقيقي، ولأن الآيات هي القرآن.[3] والظاهر أن لا فصل في هذه الجملة، لأن الجملة حالية، أي: كيف تكفرون وآيات الله تتلى بين ظهرانكم؟ كما أن الفاعل مؤنث تأنيثا مجازيا. والأولى أن يؤنث الفعل المضارع "تتلى" كما ورد في قراءة جمهور القراء.

والخطاب للأوس والخزرج الذين نزلت هذه الآية فيما شجر بينهم على ما ذكره أغلب المفسرين.[4]

ومعنى التركيب: من أين يتطرق إليكم الكفر-أيها المؤمنون- والحال أن القرآن المعجز تتلى عليكم آياته على لسان الرسول غضة طرية، وهو بين أظهركم رحمة ونعمة، ينهاكم ويرشدكم ويزيح شبهكم؟.[5] وهو استفهام يدل على استبعاد وقوع الكفر من المؤمنين مع وجود هاتين الحالتين، وهما: تلاوة كتاب الله عليهم، وكون الرسول بينهم تظهر على يديه المعجزات؛ فوجود الحالتين تنافي الكفر، وليس المعنى أن الكفر صدر منهم فوبخوا على فعله.[6] ويخرج الاستفهام إلى الإنكار والتعجب.

ويلحق بهذه الصورة قوله تعالى : ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾.[7]

ضمير الرفع في: "يحكمونك" يدل على اليهود، بدليل قوله: "عندهم التوراة"، فهي المنزلة عليهم. وضمير النصب مخاطب به رسول الله ﷺ بقرينة المقام.

و الاستفهام إنكاري، أي: فما هم بمحكميك حقيقة. ومحل الإنكار هو أصل ما يدل عليه فعل التحكيم من كون فاعله جادا، أي: لا يكون تحكيمهم صادقا، بل هو تحكيم في الظاهر، يريدون منه ما يوافق

(1) آل عمران، 101.

(2) ابن عطية، المحرر الوجيز، 244/3.

(3) ينظر، المصدر السابق، 244/3، و أبو حيان، البحر المحيط، 18/3.

(4) ينظر، الواحدي، أسباب النزول، ص100، والبغوي، معالم التنزيل، 331/1، وابن الجوزي، زاد المسير، 431/1، والسيوطي، أسباب النزول، ص62.

(5) ينظر، الزمخشري، الكشاف، 450/1، و أبو حيان، البحر المحيط، 18/3، والنسفي، مدارك التنزيل، 193/1.

(6) ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 17/3.

(7) المائدة، 43.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

رغباتهم ومطامعهم، لأن لديهم التوراة فيها ما حكموك فيه، وهو حكم الله تعالى، وقد تركوها لعدم موافقتها رغباتهم.

الصورة الثانية: كيف(حال)+جملة فعلية مضارعية (مسند+مسند إليه(ضمير متصل)+جار ومجرور+مفعول به).

وردت في قوله تعالى: ﴿انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾.[1]

الخطاب لرسول الله أوله ولأمته. والذين "يفترون على الله الكذب" هم الذين ذكروا-في هذه الآية-في قوله: ﴿الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ﴾. والمراد هم: أهل الكتاب.[2]

وقال الطبري المعنى: "انظر، يا محمد، كيف يفتري هؤلاء-الذين يزكون أنفسهم من أهل الكتاب، القائلون: "نحن أبناء الله وأحباؤه"، وأنه لن يدخل الجنة إلاّ من كان هودا أو نصارى، الزاعمون أنه لا ذنوب لهم-الكذب والزور من القول، فيختلقونه على الله".[3] فقد جعل افتراءهم الكذب لشدة تحقق حدوثه، كأنه أمر واقع يراه الناس بأعينهم. وفي هذا المعنى تعجب من حالهم إذ هم على هذه الصورة الشنيعة.

ونظير هذه الصورة قوله: ﴿انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ﴾.[4]

دخلت "كيف" الدالة على الحال على جملة مضارعية، تتألف من مسند "نبين"، ومسند إليه مضمر وجوبا، تقديره "نحن"-يدل على الله عز وجل- وجار ومجرور "لهم" متعلق بالمسند، ومفعول به "الآيات". والضمير المجرور في : "لهم" يعود-في الآية السابقة-على ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ وهم فريق من النصارى.

والمعنى: انظر يا رسولنا. وفي الضمن أمته، كيف نبين لهم آيات الله بجلاء على بطلان اعتقادهم؟. فالآيات تبرز لهم في غاية الوضوح ما هم فيه من بعد عن سنن الحق.

و الاستفهام لا يراد به معين بذاته، بل هو موجه لكل من سمع البراهين على ربوبية الله وألوهيته من الذين ادعوا الإلهية لعيسى عليه السلام. والمراد من الاستفهام التعجب من حال المدعين.

الصورة الثالثة: كيف(مسند)+مسند إليه (محذوف)+ظرف+جملة فعلية ماضوية.

وردت في قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾[5].

كيف في محل رفع خبر(مسند) لمحذوف دل عليه السياق، والتقدير: كيف حالهم؟.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) النساء، 50.

(2) ينظر، الطبري، جامع البيان، 133/5.

(3) المصدر السابق، 133/5.

(4) المائدة، 75.

(5) آل عمران، 25.

والظرف "إذا" معمول "كيف" لما فيها من معنى الفعل، وهو معنى التعجيب الشنيع، كقولك: كيف حالك إذا لقيت العدو؟!. وهذا الظرف للمستقبل، وهو مضاف إلى جملة: "جمعناهم". أي: زمان جمعهم، وهو يوم القيامة.

وضمير النصب في: "جمعناهم" عائد إلى ﴿الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ﴾.(1)

والاستفهام تعجب من حالهم واستعظام لعظم مقالتهم حين اختلفت مشاربهم، وظهر افتراؤهم وكذب دعواهم، إذ صاروا إلى عذاب جهنم، وليس لهم حيلة في دفعه.

ونظير هذه الصورة قوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾.(2)

الخطاب في قوله: "وجئنا بك على هؤلاء شهيدا" للرسولﷺ بدلالة السياق، والتقدير: وجئنا بالرسول عليهم شهيدا. فعدل إلى الخطاب تشريفا لمقامه الكريم. و الاستفهام مستعمل في التعجب دلالة على حال الكفار يومئذ، وقد أنذروا وعصوا، وجيء في هذا اليوم المشهود، وهو يوم الحساب بشهيد عليهم.

ووردت بقية الصورة في النساء، (62)، و محمد، (27).

الصورة الرابعة: كيف (مسند)+ جملة منسوخة (كان+مسند إليه-مضاف-+ مضاف إليه).

من هذه الصورة قوله تعالى: ﴿فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾.(3)

تصدرت أداة الاستفهام "كيف" الجملة، وهي في محل نصب خبر"كان" الناسخة التي توسطت بين عنصري الإسناد، واسمها "عاقبة" المضاف إلى "المكذبين". والجملة الاستفهامية في موضع المفعول لـ "انظروا"، لأنها معلقة.

الخطاب في الجملة للمؤمنين بدلالة السياق، وذلك لينظروا إلى آثار المكذبين برسلهم، وهم الذين أهلكهم الله بطغيانهم؛ فقد استأصلهم لتطمئن نفوس المؤمنين بمشاهدة المخبر عنهم مشاهدة عيان. ومن المكذبين-كما أخبر القرآن-عاد وثمود وأصحاب الأيكة، وأصحاب الرس، وكلهم في بلاد العرب يستطيعون مشاهدة آثارهم، وقد شهدها دون شك كثير منهم في أسفارهم.

وفي معنى الاستفهام اعتبار بما حدث للأمم الكافرة. وفيه دعوة إلى السفر في فجاج الأرض للاعتبار بما حوت من عجائب مخلوقات الله تعالى.

ونظير هذه الجملة قوله تعالى: ﴿ ...فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾.(4)

(1) آل عمران، 23.

(2) النساء، 41.

(3) آل عمران، 137.

(4) محمد،10.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخطاب -هنا- لكفار مكة بدلالة السياق. والمعنى: انظروا آثار المكذبين من قبلكم ممن دمر الله عليهم، فعاقبتكم واحدة. وفي هذا المعنى تهديد ووعيد.

ويلحق بهذه الصورة قوله: ﴿ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾.[1]

المسند أداة الاستفهام "كيف"، و المسند إليه "نكير" مرفوع بضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة منع من ظهورها الاشتغال بحركة المناسبة. والياء المحذوفة في محل جر بالإضافة، والكسرة على الراء دالة على حذفها. والمتكلم هو الله سبحانه وتعالى، فقد أضاف "نكير" إلى نفسه للتهويل.

والمراد بالإنكار: الإنكار الزجري لتبديل الحالة الحسنة بالسيئة. وقال ابن عطية المعنى: "فكما فعلت بهذه الأمم كذلك أفعل بقومك".[2] -أيها الرسول- أي: فإن يكذبك قومك على ما آتيناهم به من الحق كما كذبت الأمم من قبلك من قوم نوح وعاد وثمود وإبراهيم ولوط وأصحاب مدين وقوم موسى فإنني مهلكهم كما أمهلت من قبلهم ثم أهلكهم، فتلك سنة إخوانهم من الأمم الخالية المكذبة لرسلها.

و الاستفهام تعجبي، أي: فأعجب من نكيري كيف حصل؟ ووجه التعجيب أنهم أبدلوا الحسنة بالسيئة، والنعمة بالمحنة، وحياتهم بالهلاك، ومعمورهم بالدمار، فكأنه قال: ما أشد إنكاري عليهم وتغيير ما كانوا فيه من النعم وإهلاكهم!

ووردت بقية الصورة في الرعد،(32).

الصورة الخامسة: كيف(حال)+جملة فعلية مضارعية(مسند+مسند إليه+مفعول به)+جملة فعلية(حالية مكررة).

وردت في قوله تعالى: ﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾.[3]

الخطاب للأزواج بدلالة السياق.

وضمير النصب في "تأخذونه" عائد على "قنطار" في الآية السابقة. والمراد به المهر. وفي الجملة الحالية: "وقد أفضى بعضكم إلى بعض" إشارة إلى قطع الإفضاء، وهو الفضاء الرابط بين الزوجين قبل الطلاق. وفي الجملة الحالية الثانية: "وأخذن منكم ميثاقا غليظا" إشارة إلى عقدة النكاح التي تمت عن حسن نية، ودوام ألفة.

و الاستفهام إنكاري تعجبي، أي: ليس من حسن الخلق أن تطمعوا في أخذ عوض عن الفراق بعد معاشرة زواج.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) الحج، 44. النكير: الإنكار الذي معناه التغيير. ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 234/5، (نكر).

(2) المحرر الوجيز، 295/10.

(3) النساء، 21.

الصورة السادسة: كيف(حال)+جملة فعلية مضارعية(مسند+مسند إليه+مفعول به+صفة(جملة فعلية)+أداة عطف+جملة فعلية معطوفة.

وردت في قوله تعالى: ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ ﴾.[1]

أسند الفعل "يهدي" إلى الله سبحانه، لأن الهداية له وحده. وتقيد الفعل بالمفعول به "قوما"، ووصف المفعول بجملة "كفروا". أي: كيف يهدي الله قوما كافرين؟. وكُفر هؤلاء القوم كان بعد الإيمان ومشاهدة الرسولﷺ بقرينة اللفظ في هذه الجملة. أي أن هؤلاء آمنوا وعملوا ما في كتب الله، ثم كفروا بعد ذلك بأنبيائهم، وقد شهدوا أن الرسول محمداً صادق، لكنهم لم يتعظوا، فلا أمل في هدايتهم بعد هذه الأحوال.

وجاء في سبب نزول هذه الآية أنها نزلت في اليهود والنصارى.[2] وقيل: في جماعة من العرب أسلموا، ثم كفروا، ولحقوا بقريش، ثم ندموا فراسلوا قومهم من المؤمنين يسألونهم هل من توبة؟، فنزلت، ومنهم الحارث بن سويد، وطعيمة بن أبيرق، وأبو عامر الراهب.[3]

ودلالة الاستفهام نفي وإنكار. والمراد: إنكار أن تحصل لهم هداية الله، وهي الهداية الناشئة عن عناية الله تعالى بخلقه.

الصورة السابعة: كيف(حال)+جملة منسوخة بـ(يكون)+جملة استثنائية.

وردت في قوله تعالى: ﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾.[4]

أداة الاستفهام "كيف" حال من "عهد"، أي: كيف يكون للمشركين عهد وحالهم كذا وكذا؟.[5] وقد دخلت على جملة منسوخة بـ"يكون"، تتألف من فعل الكينونة الدال على الزمن المستمر، ومسند "للمشركين"، تقدم وجوبا على المسند إليه "عهد"، لأنه نكرة، وظرف مكان "عند" مضاف إلى لفظ الجلالة "الله". وتكرر الظرف "عند" بالعطف، ثم جيء بجملة استثنائية: "إلاّ الذين عاهدتم عند المسجد الحرام". فـ"الذين" منصوب على الاستثناء. وأصل الاستثناء: إلاّ الذين عاهدتم من المشركين. ولما كان الاستثناء إنكارا في معنى النفي صح الاستثناء معه.[6] والتقدير : لا يكون للمشركين عهد وهم لكم ضد إلاّ المشركين الذين عاهدتم عند المسجد الحرام. والمعنى: كيف يكون للمشركين عهد مع إضمار الغدر؟. وما كان العهد المنعقد

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) آل عمران، 86.

(2) ينظر، ابن الجوزي،زاد المسير،418/1.

(3) ينظر، الطبري، جامع البيان، 338/4، وابن عطية، المحرر الوجيز، 203/3، 204، وابن الجوزي، زاد المسير، 418/1.

(4) التوبة، 7.

(5) ينظر، ابن هشام، مغني اللبيب، 345/2.

(6) ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 14/5، والبقاعي، نظم الدرر، 273/3.

معهم إلاّ أمرا موقتا لمصلحة. وفي وصفهم بالمشركين إشارة إلى علة الإنكار على استمرار العهد المؤقت معهم[1] والمراد من تخصيص الله تعالى لهؤلاء المشركين بالذكر التنويه بوفائهم بما عاهدوا عليه الرسولﷺ.

وفي معنى الاستفهام إنكار واستبعاد وتعجب.

وتكرر الاستفهام بـ"كيف" تأكيدا لنفي ثبات المشركين على العهد عقب هذه الجملة-من هذه الآية- في قوله: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾.[2]

الأداة"كيف"-هنا-مؤكدة. والظاهر أن هذه الجملة تتضمن حذفا، ويحسن أن يقدر بعد كيف فعل يدل عليه ما تقدم، أي: كيف يكون لهم عهد؟[3]، ونحوه قول كعب بن سعيد الغنوي:

وَخَبَّرْتُمَانِي أَنَّمَا المَوْتُ فِي القُرَى فَكَيف وَهَاتَا هَضْبَةٌ وَقَلِيب؟[4]

والجملة في قوله: "وإن يظهروا عليكم" يجوز أن تكون جملة حالية، والواو واو الحال، ويجوز أن تكون معطوفة على جملة: "كيف يكون للمشركين عهد"؟ إخباراً عن ضمائر المشركين. وضمير "يظهروا" عائد إلى المشركين في هذه الجملة.

وفي تكرار الاستفهام دلالة على أن جملة الحال لها كثير التعلق بتوجه الإنكار على دوام العهد للمشركين، حتى كأنها مستقلة بالإنكار، فيؤول المعنى الحاصل من بناء الجملة وسياقها إلى إنكار دوام العهد مع المشركين في كل الحالات، لأنهم ليسوا أهلا له، وإلى إنكار دوامه بالخصوص في هذه الحالة الآنية، وهي حالة ما يضمرونه من نوايا الغدر بالمؤمنين إن ظهروا عليهم. ومعنى "إن يظهروا عليكم": إن ينتصروا. وضمير "عليكم" خطاب للمؤمنين بدلالة السياق.

وجيء بجملة منفية: "ولايرقبوا..." تبيانا لعدم حفظ العهد، أي: لا يحفظوا ولا يراعوا إلاّ عهدا أو قرابة أو حلفا أو نحو ذلك. "وأصل الارتقاب بالبصر، ومنه الرقيب في المسير وغيره، ثم قيل لكل من حافظ على شيء ورعاه: راقبه وارتقبه".[5]

وفعل الارتقاب في "لا يرقبوا" تعدى إلى مفعول به "إلاًّ". واختلف في قراءة هذه اللفظة؛ فقرأ الجمهور: "إلاًّ"، وقرأ عكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنه: "إيلاً" بكسر الهمزة، وياء بعدها.[6] فأما من قرأ:"إلاًّ" فيجوز أن يراد به الله ﷻ، قاله مجاهد وأبو مجلز، وهو اسمه بالسريانية وعُرِّب.[7] و يجوز أن يراد به العهد، والعرب تقول للعهد والحلف والجوار هذه المعاني: "إلاًّ"، ومنه قول أبي جهل:

---

(1) ينظر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، 121/10.

(2) التوبة، 8.

(3) ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 417/6، و أبو حيان، البحر المحيط، 15/5.

(4) البيت من شواهد سيبويه، ينظر، الكتاب، 487/3.

(5) ابن عطية، المحرر الوجيز، 418/6.

(6) ينظر، المصدر السابق، 418/6، وأبو حيان، البحر المحيط، 15/5.

(7) ينظر، المصدران السابقان، 418/6، 15/5.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

لإلٍّ علينا واجبٌ لا نضيعُه   متينٌ قُواه غيرُ مُنتَكثِ الحبل.[1]

وظاهره أنه في معنى القرابة والعهد، وقد كانت بين المسلمين والمشركين أنساب وقرابات، فيصح أن يراد كلا معنييه، ومنه قول الشاعر:

لعمرك إنّ إلّكَ من قريش   كإلّ السَّقْبِ من رَأْلِ النَّعَام.[2]

وأما من قرأ: "إيلاً" فيجوز أن يراد به الله ﷻ فإنه يقال: إلٌّ، وإيل، في مثل: "جبرائيل"، و"ميكائيل"، و"إسرافيل" يضيف "جبر"، و"ميكا"، و"إسراف" إلى "إيل"، أي: عبد الله.[3] ويجوز أن يريد: "إلاًّ" المتقدم فأبدل من أحد المضاعفين ياء، فهو مصدر من فعل "الأل" الذي هو العهد.[4]

وفي معنى الاستفهام استبعاد لثبات المشركين على العهد، أي: كيف يكون لغير الذين يوفون بعهدهم عهد مشروع واجب الوفاء عند الله ورسوله والحال أنهم إن ينتصروا عليكم لم يراعوا عهدا ولا قرابة؟.وفي هذا المعنى حث للمؤمنين على معاداتهم للمشركين، وتبيان أنهم لا يستحقون العهد لإشراكهم بالله تعالى.

النمط الثامن: جملة استفهامية تعتمد الأداة (ماذا).

ورد هذا النمط في سبعة (7) مواضع، توزع كالآتي:

الصورة الأولى: أداة استفهام (ماذا)+جملة فعلية مضارعية(مسند+مسند إليه).

وردت في موضعين، منها قوله تعالى:﴿ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو﴾[5].

أداة الاستفهام "ماذا" تحتمل-هنا- النصب والرفع؛ فالنصب على أن "ماذا" كلها استفهام، كأنه قال: أي شئ تنفقون؟ فـ"ماذا" منصوب بـ"ينفقون"، والرفع على أن "ما" وحدها هي الاستفهام. و"ذا" موصولة بمعنى (الذي)، "وينفقون" صلة "ذا"، والعائد محذوف، والتقدير، ما الذي ينفقون به؟. فتكون "ما" مرفوعة بالابتداء. ويصح أن تكون "ماذا" اسما واحدا مركبا[6] في موضع نصب بـ"ينفقون".

قرأ الجمهور: "العفوَ" بالنصب. وقرأ أبو عمرو بالرفع[7]. وهو جواب الاستفهام. يقول الزجاجي: "إن جعلت "ذا" بمعنى "الذي" كان جوابها معها مرفوعا، كقول القائل: "ماذا صنعت"؟، فتقول: "خير"، كأنه قال: ما الذي صنعته؟"، فقلت: "خير"، لأن موضع "ما" رفع لوقوع الفعل عليها في صلة "الذي"، فلم يعمل في "ماذا" شيئا"[8]. وهذا على مذهب من قرأ بالرفع. وأما "إن جعلت "ذا" في "ماذا" صلة، كان الجواب منصوبا،

(1) استشهد ابن عطية بالبيت على أن "الإل" يحمل تلك المعاني المذكورة. ينظر، المحرر الوجيز، 419/6.

(2) استشهد ابن منظور بالبيت على أن "الإل" بمعنى القرابة، ونسبه لحسان بن ثابت. ينظر، لسان العرب، 26/11، (ألل).

(3) ينظر، الطبري، جامع البيان، 325/10.

(4) ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 419/6، 420، وأبو حيان، البحر المحيط، 15/5.

(5) البقرة، 219.

(6) ينظر، سيبويه، الكتاب، 416/2، 417، 418، وابن هشام، مغني اللبيب، 490/1.

(7) ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 240/2، وأبو حيان، البحر المحيط، 169/2، و الشوكاني، فتح القدير، 281/1.

(8) الجمل في النحو، ص 349.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

كقوله: "ماذا صنعت"؟ فتقول:"خيرا"، كأنه قال: "ما صنعت"، فقلت "خيرا"، لأن موضع "ما" نصب"[1] وهذا مثل قراءة الجمهور: "قل العفوَ" بالنصب.

ومعنى جواب الاستفهام: "قل العفو": انفقوا ما فضل عن عيالكم وحوائجكم، و لم تؤذوا فيه أنفسكم. وكان الصحابة يكتسبون المال وينفقون قدر حاجة عيالهم، ويتصدقون بما يكون فاضلا عن الكفاية.[2] والسؤالَ في هذه الآية عن قدر الإنفاق، والسؤال في الآية المتقدمة، في قوله تعالى:﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾[3] هو سؤال عن النفقة إلى من تصرف. والمستفهِم عن الإنفاق في الآيتين قيل: هو عمرو بن الجموح.[4] والظاهر من الخطاب بواو الجماعة أنه صادر من المؤمنين، وذلك أنهم لما رأوا الله ورسوله يحضان على الإنفاق، وينبهان على عظيم ثوابه، سألوا عن مقدار ما كلفوا به. وحاصل الأمر أنه يرجع إلى التوسط في الإنفاق، وذلك على سبيل التطوع.

الصورة الثانية: أداة استفهام (ماذا)+جملة فعلية ماضوية(مسند+مسند إليه (مضمر)+جار ومجرور).

وردت في قوله تعالى:﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ ﴾[5].

دخلت أداة الاستفهام "ماذا" على جملة فعلية، بني فيها الفعل للمجهول، و المسند إليه (نائب الفاعل) مضمر جوازا تقديره "هو"، وحذف الفاعل، لأنه معلوم، وهو الله ﷻ، إذ هو المشرع للحلال والحرام، والتقدير: ماذا أحل الله لهم؟.

ويلحظ أن الجملة الاستفهامية استوفت كل عناصرها؛ فكل من المستفهِم والمستفهَم يدل عليهما السياق، إذ الذين استفهموا هم المؤمنون بدلالة واو الجماعة في "يسألونك"، والمستفهَم يدل عليه كاف الخطاب، و المراد به رسول الله ﷺ، والمستفهم عنه هو قوله: "أحل لهم". أي: ما أحله الله لهم من الأطعمة. وورد الجواب عقبه في قوله: ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾. وذلك لأنه لما ذكر ما حرم من الميتة، وما عطف عليه من الخبائث—في الآية السابقة–سألوا عما يحل لهم. ولما كانت صيغة المضارع "يسألونك" بضمير الغيبة، سُئلوا كذلك بضمير الغيبة. ويجوز أن تكون الجملة على صورة: ماذا أحل لنا؟. فضمير المتكلمين يقتضي حكاية ما قالوا. قال الزمخشري: "في السؤال معنى القول، فكذلك وقع بعده:"ماذا أحل لهم" ؟،كأنه قيل: يقولون لك: ماذا أحل لهم؟ وإنما لم يقل: ماذا أحل لنا حكاية لما قالوه، لأن "يسألونك" بلفظ الغيبة، كما تقول:أقسم زيد ليفعلن، ولو قيل: لأفعلن، وأحل لنا لكان صوابا"[6].

(1)الزجاجي، الجمل في النحو، ص 350.

(2) ينظر، الواحدي،الوسيط، 324/1، والقرطبي، الجامع، 61/3، والخازن، لباب التأويل، 151/1، والكلبي، التسهيل ، 108/1.

(3) البقرة، 215.

(4) ينظر، ابن الجوزي، زاد المسير، 233/1–242، والقرطبي، الجامع، 36/3–61، وأبو حيان، البحر المحيط، 150/2–166.

(5) المائدة، 4

(6) الكشاف، 606/1.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ويلحظ أن الجواب كان مجملا لما أحله الله، وقد ذكر مجملا كذلك في آيات أخرى، كقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾[1]. والطيبات وصف للأطعمة، فدل على أن الطيب علة التحليل. قال فخر الدين الرازي: "إن الطيب في اللغة هو المستلذ، والحلال المأذون فيه، يسمى أيضا طيبا تشبيها بما هو مستلذ..ثم أعلم أن العبرة في الاستلذاذ والاستطابة بأهل المروءة والأخلاق الجميلة..." [2].فتبين أن الطعام الحلال هو الطيب، ويشترط فيه أن يكون غير مستقذر ولا ضار ولا مناف لشريعة الإسلام، وأن يكون مما يتناول لدى عامة الناس بقطع النظر عن الطبائع الشاذة والعادات المنحرفة.

ويلحق بهذه الصورة قوله:﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ ﴾[3]

دخلت الأداة "ماذا" كذلك-هنا-على جملة فعلية ماضوية، الفعل فيها مبني للمجهول.قال أبو البقاء العكبري: إن "ماذا -هنا- في موضع نصب بـ"أجبتم"، وحرف الجر محذوف، أي: بماذا أجبتم"؟.[4] وقال أبو حيان: "قيام "ما" الاستفهامية مقام المصدر جائز، وكذلك "ماذا" إذا جعلتها كلها استفهاما"[5]. واستشهد على مجيء ما ذكر مصدرا بقول عبد مناف بن بربع الهذلي:

مَاذَا يَغِيرُ ابْنَتَيْ رِبْعٍ عَوِيلُهُمَا؟ لاَ تَرْقُدَانِ، وَلاَ بُؤْسَى لِمَنْ رَقَدَا[6]

يلحظ أن صيغة الفعل في قوله تعالى: "أجبتم" ماض؛ لم يحدث بعد، وقد عبر القرآن به للدلالة على أن هذا الفعل محقق الوقوع حتى صار المستقبل من قوة التحقيق بمنزلة الماضي في التحقق.

ويتضح أن القول الذي تحكى فيه المحاورات لا يلتزم فيه بمراعاة صيغته لزمان حدوثه، لأن زمان الحدوث تتعين دلالته بقرينة سياق المحاورة، إذ الله سيجمع الرسل يوم القيامة ويسألهم يومئذ، وليس الفعل قد تم والقرآن كان يتنزل.

والاستفهام مخاطب به الرسل بقرينة اللفظ في الآية. وفي معناه توبيخ للكافرين من أممهم، لتقوم الحجة عليهم، ويبدأ حسابهم لمخالفة شرائع الله.

والمعنى:ماذا أجابكم الأقوام الذين أرسلتم إليهم ؟. ويتضح هذا المعنى من خلال إجابة الرسل عقب الاستفهام -في هذه الآية-في قوله: ﴿ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾. أي: لا علم لنا بما يضمر هؤلاء الكافرون، فأنت أعلم به منا. فأجمع الرسل في الجواب على تفويض العلم لله ﷻ.

---

(1) البقرة، 168.

(2) مفاتيح الغيب، 112/11.

(3) المائدة، 109.

(4) التبيان في إعراب القرآن، 470/1.

(5) البحر المحيط، 52/4.

(6) استشهد به ابن منظور في لسان العرب، 357/2، (لعج)، وأبو حيان، البحر المحيط، 52/4.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الصورة الثالثة: أداة استفهام(مفعول به)+جملة فعلية ماضوية (مسند+مسند إليه(مضمر)+ظـــرف زمان).

وردت في قوله تعالى: ﴿مَاذَا قَالَ آنِفًا﴾.[1]

تتألف بنية الجملة من: "ماذا" الاستفهامية في محل نصب مفعول به مقدم وجوبا، ومسند"قال"، ومسند إليه مضمر جوازا، تقديره "هو"، وظرف زمان "آنفا"، فقد عده الزمخشري منصوبا على الظرفية الزمانية، لأنـه في معنى الساعة والآن.[2] وقال ابن عطية: "والمفسرون يقولون:"آنفا" معناه: الساعة الماضية القريبة منا، وهذا تفسير بالمعنى".[3]

وقرأ الجمهور: "آنفا" على وزن "فاعل"، وقرأ ابن كثير: "أنِفاً" على وزن "فَعِل"[4]. وهما اسما فـــاعل من "ائْتَنَفَ"، و لم يستعملا من "أنف"، وجريا عل غير فعلهما، وهذا كما جرى "فقير" علــــى "افتقـر"، و لم يستعمل من "فقر".[5]

ومعنى الجملة: ماذا قال الرسول مذ ساعة ؟.وهو قول المنافقين من أهل المدينة المنورة، قـــالوا هـــذا الكلام لأولي العلم من الصحابة بعد خروجهم من مجلس رسول الله ﷺ[6]. وهو يدل على إقبالهم على أمـــور الدنيا وعدم اكتراثهم بما يتكلم به الرسول؛ فكان الكلام يمر صفحاً دون أن يفقهوا معناه. وفي معنى الاستفهام سخرية واستخفاف.

الصورة الرابعة: أداة استفهام(مفعول به)+جملة فعلية ماضويـــة(مســـند+مســـند إليـــه+جـــار ومجرور+تمييز).

وردت في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾[7]

أداة الاستفهام "ماذا" مفعول به للفعل "أراد"، وأسند هذا الفعل للفظ الجلالة "الله"،والتقدير: أي شيء أراده الله؟.

وانتصب قوله: "مثلا" على التمييز من اسم الإشارة "هذا"، لأنه مبهم يحتاج إلى تفسير. واسم الإشارة "هذا" يتكون من "ها" التنبيه التي تضيف إلى حقيقة الإشارة في "ذا" معنى آخر، كما ورد لـــدى النحـــاة، إذا

(1) محمد،16.

(2) ينظر، الكشاف، 534/3.

(3) المحرر الوجيز، 399/13.

(4) ينظر، الداني، التيسير، ص 162، 163، وابن عطية، المحرر الوجيز، 398/13، وأبو حيان، البحر المحيط، 79/8، وابن الجـــزري، النشـــر، 374/2.

(5) ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 398/13، 399.

(6) ينظر، السمر قندي، بحر العلوم، 243/3، والماوردي، النكت والعيون، 297/5، 298، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 316/6.

(7) البقرة، 26.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يقول ابن يعيش: "هذا وهذه...فها للتنبيه وذا للإشارة، والمراد: تنبهْ أيها المخاطب لمن أشير إليه، وتسقط ألفه في الخط لكثرة الاستعمال، وهي ثابتة لفظا ".[1] والإشارة "هذا"-هنا-مفيدة للتحقير بقرينة المقام، أي: ماذا أراد الله بذكر البعوضة من الأمثال وهي حقيرة؟ وهذا القول صادر من "الذين كفروا" بقرينة المقام.

الصورة الخامسة: أداة استفهام(مسند إليه)+مسند(جار ومجرور)+جملة مصدرية.

وردت في قوله تعالى:﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ ﴾[2]

الأداة "ماذا" مسند إليه، والجار والمجرور "عليهم" متعلق بمحذوف مسند(خبر)، والتقدير: ماذا يقع عليهم؟. والضمير المجرور "هم" عائد إلى ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾[3]، والمراد هم المنافقون.[4]

والأداة "لو" تحتمل عند النحاة احتمالين: أن تكون مصدرية في معنى "أن"[5]. وتكون الجملة واحدة، والتقدير: وماذا عليهم أن آمنوا بالله واليوم الآخر؟. ولا يكون لها جوابا إذ ذاك[6]. ويكون الكلام كقول امرئ القيس:

وَمَاذَا عَلَيهِ أنْ ذَكَرتُ أوانساً كَغِزْلان رَمْلٍ في محاريب أقْيَال؟ [7]

أو أن تكون "لو" على بابها من كونها حرفا لما كان سيقع لوقوع غيره.[8] فيكون التركيب مكونا من جملتين، والتقدير: وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر، وأنفقوا مما رزقهم الله لحصل لهم الخير؟. فيكون الجواب محذوفا، تقديره: لحصل لهم الخير. أو أن "جواب لو في قوله: "ماذا..." فهو جواب مقدم".[9] وقدّم دليلُ الجواب اهتماما بالاستفهام، كقول قتيلة بنت الحارث:

ما كان ضَرَكَ لو مَنَنْتَ وربُما مَنَّ الفتى وهو المَغِيظُ المُحْنَقُ. [10]

ومن هذا الاستعمال تولد معنى المصدرية في "لو" الشرطية فأثبته بعض النحاة-كما مر-في معاني "لو"، والتقدير: لو آمنوا فماذا الذي كان يثقلهم؟. والمعنى: ماذا يكون عليهم من وبال وضرر لو آمنوا بالله

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) شرح المفصل، 136/3، وينظر، الزمخشري، المفصل، ص309.

(2)النساء، 39.

(3) النساء، 38.

(4)ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز،58/4.

(5) ينظر، أبو حيان، تذكرة النحاة، ص38، و ينظر له البحر المحيط، 259/3، والنهر الماد، 461/1.

(6) ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 259/3، والنهر الماد، 461/1.

(7) الديوان، ص142.

(8) ينظر، سيبويه، الكتاب، 224/4، والمبرد، المقتضب، 76/3، وأبو حيان، تذكرة النحاة، ص38.

(9)ابن عطية، المحرر الوجيز، 60/4.

(10) ينظر، المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، 966/1.

وأنفقوا في سبيله؟[1]. فهو خفيف عليهم ونافع لهم، بمعنى أن الأمر لا يكلف مشقة للذي يؤمن بالله. والقرآن يستخدم هذا الأسلوب قصد الترغيب.

والاستفهام إنكاري توبيخي. والمقصود: إقامة الحجة عليهم في عدم إيمانهم وإنفاقهم في سبيل الله.

النمط التاسع : جملة استفهامية تعتمد الأداة (أنى).

ورد هذا النمط في سبع جمل، توزع على الصور الآتية:

الصورة الأولى : أداة استفهام (مسند)+ مسند إليه.

وردت في قوله تعالى: ﴿قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾.[2]

أداة الاستفهام (أنى) تكون في معنى كيف وأين.[3] ؟ أو من أين.[4] ؟. وهي ظرفية مكانية تتعلق بمسند (خبر) مقدم، و المسند إليه اسم الإشارة "هذا". و الاستفهام صادر من المؤمنين بدلالة السياق، وذكر الرازي: "أنه تعالى لما أخبر عن المنافقين أنهم طعنوا في الرسول ﷺ بأن نسبوه إلى الغلول والخيانة، حكى عنهم شبهة أخرى في هذه الآية، وهي قولهم: لو كان رسولا من عند الله لما انهزم عسكره أمام الكفار في يوم أحد، وهو المراد من قولهم: "أنى هذا"؟. وأجاب الله عنه بقوله: ﴿ قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ أي: هذا الانهزام إنما حصل بشؤم عصيانكم".[5] و في الجملة إيماء "وإشارة إلى عصيان الرماة وتسببهم الهزيمة على المؤمنين".[6]

و الاستفهام إنكاري تعجبي، فقولهم: "أنى هذا"؟ مما ينكر، ويتعجب المتلقي من وقوعه منهم بعدما علموا أسباب النكبة التي حلت بهم يوم أحد، وذلك عقب عصيانهم أمر الرسول ﷺ.

الصورة الثانية: أداة الاستفهام(حال)+جملة فعلية مضارعية(مسند+مسند إليه).

وردت هذه الصورة في ثلاث جمل، منها قوله تعالى: ﴿ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾.[7]

تتكون بنية الجملة من "أنى" الاستفهامية، وهي بمعنى "كيف" في موقع الحال، والعامل فيها "يؤفكون"، وهو مضارع مبني للمجهول، أسند إليه "واو الجماعة"، المراد به النصارى بدلالة السياق. وحذف متعلق "يؤفكون" اختصارا لوضوحه وسهولة تقديره. فهم يصرفون عن الحق الذي بينته لهم الآيات.

(1) ينظر، النسفي، مدارك التنزيل، 253/1، والقنوجي، فتح البيان، 120/3.

(2)آل عمران، 165.

(3) سيبويه، الكتاب، 235/4.

(4)ينظر، ابن الدهان، الفصول، ص108، والأنباري، الإغراب في جدل الإعراب، ص40.

(5) مفاتيح الغيب، 66/9.

(6) ابن عطية، المحرر الوجيز، 411/3.

(7) المائدة، 75. يؤفكون: يصرفون، وكل أمر صرف عن وجهه فقد أفك. ينظر، ابن فارس، مجمل اللغة، 99/1، (أفك).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ومعنى الجملة: كيف يصرفون عن استماع الحق وتأمله بعد هذا البيان؟. وهذا لسوء اعتقادهم وخبث نفوسهم. أي: من أين يتطرق إليهم الصرف عن الاعتقاد بعد ذلك البيان البالغ غاية الوضوح حتى كان بمحل التعجب من وضوحه؟. ففي الاستفهام تعجب من حال هؤلاء الذين يجعلون تلك الأوصاف مستلزمة للإلهية، و لم يفرقوا بين الخالق والمخلوق، حيث أن عيسى وأمه عليهما السلام لم يكونا إلاّ بشرين. وفي هذا إبراء لهم من دعوى الألوهية وإبطال التثليث في عقيدة النصارى، وتقرير التوحيد لله الصمد.

وتكررت جملة: "أنى يؤفكون"؟ في الآية(30) من سورة التوبة، والآية(4) من سورة المنافقون.

الصورة الثالثة: أداة استفهام(مسند)+جار ومجرور+جملة اعتراضية(جملة فعل الشرط)+مسند إليه.

وردت في قوله تعالى: ﴿فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾.[1]

الفاء واقعة في جواب شرط متقدم، وقد تطلب الربط بالفاء لاختلاف جملتي فعلي الشرط وجوابه في الخبرية والطلبية؛ فالأولى خبرية، والثانية طلبية (استفهامية). ثم وردت جملة اعتراضية "إذا جاءتهم"-جملة فعل الشرط-بين المسند المقدم وجوبا، لأنه أداة استفهام، والمسند إليه المؤخر"ذكراهم". والضمير المضاف"هم" عائد إلى ﴿الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾.[2] وهم زمرة الكافرين.

وهذه الجملة نظير قوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ﴾؟.[3] والمعنى: فيكيف لهم أو من أين لهم التذكرة والاتعاظ والتوبة إذا جاءتهم الساعة بشروطها الكبرى وقد فرطوا فيها؟. فإن الذكرى لا تنفع، ولا تقبل التوبة من أحد لم يكن مؤمنا.[4] والمراد إنكار الانتفاع بالذكرى حينذاك.

وفي معنى الاستفهام استبطاء إيمان كفار مكة، وإنكار تأخر إيمانهم الذي لا داعي له مع ظهور الأدلة العقلية والنقلية، ووضوح البراهين والحجج الدالة على توحيد الله ووجوب عبادته.

الصورة الرابعة: أداة استفهام (أنى)+جملة اسمية منسوخة بـ(يكون)+حال (جملة اسمية)+حال (جملة فعلية معطوفة).

وردت في قوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ﴾.[5]

(1) محمد، 18.

(2) محمد، 16.

(3) الدخان، 13.

(4) ينظر، الألوسي، روح المعاني، 208/26، والمراغي، التفسير، 62/25.

(5) البقرة، 247.

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تصدرت "أنى" الاستفهامية الجملة المنسوخة بـ "يكون"، وتعلقت بها جملتان حاليتان؛ الأولى اسمية: "ونحن أحق بالملك منه"، والثانية فعلية منفية: "و لم يؤت سعة من المال". وضمائر الغائب في "له"، و"منه"، و"يؤت" تعود إلى "طالوت" في هذه الآية.

والجملتان الحاليتان قد انتظمتا منسجمتين في تركيب لغوي واحد، فكان معناها: "كيف يتملك علينا والحال أنه لا يستحق التملك لوجود من هو أحق بالملك وأنه فقير ولابد للملك من مال يعتضد به"؟.[1] أي: من أين يكون الملك لطالوت، وليس من بيت الملك، ولا من بيت النبوة، وليس له سعة من المال تنفق على الجند؟. وإنما قالوا ذلك، لأنهم لا بد أن يكونوا ظنوا أن ملكهم سيكون من قوادهم وكبرائهم وأشرافهم، وكان أن اختير من عامتهم. والذين قالوا هذه المقولة هم بنو إسرائيل بدلالة السياق. وفي كلام بني إسرائيل هذا تعنت، وهو من طبيعتهم.

وفي معنى الاستفهام إنكار واستبعاد؛ وهو إنكار لتملك طالوت عليهم، واستبعاد له. وهذا الإنكار مشوب بالتعجب؛ فقد تعجبوا من جعله ملكا، و لم يكن ذا جاه ولا سلطان، إلاّ أن الله ﴿زَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾، كما أخبر القرآن عنه في هذه الآية.

الصورة الخامسة: أداة استفهام (أنى)+جملة فعلية مضارعية(مسند+مفعول به+مسند إليه+ ظرف زمان (مضاف)+ مضافان).

وردت في قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾.[2]

الأداة "أنى" في محل نصب ظرف مكان، والفعل المضارع متعد، وقد ارتبط بالمفعول به "هذه"، وهو اسم الإشارة، وحذف المشار إليه اختصارا، لأن ما قبله-في هذه الآية-يدل عليه، أي: كيف يعمر الله هذه القرية بعد خرابها؟ ويجوز أن يكون اسم الإشارة "هذه" إشارة إلى ما دل عليه السياق من عظام أهل القرية البالية. ويفهم من السياق أن المار وقف على القرية التي أصبحت خاوية على عروشها فاستبعد أن يحييها الله بعد أن خربت وتفرق أهلها. وإن كان كذلك فهذا يدل على شكه في قدرة الله تعالى. فقد حكى الطبري عن بعضهم أنه قال: "كان قيله ما قال من ذلك شكا في قدرة الله على إحيائه، فأراه الله قدرته على ذلك بضربه المثل له في نفسه، ثم أراه الموضع الذي أنكر قدرته على عمارته وإحيائه".[3] وقال الزمخشري: "والمار كان كافرا بالبعث وهو ظاهر لانتظامه مع نمروذ في سلك".[4] أي:في مذهب واحد.

ويستشف مما قاله الطبري والزمخشري أن المستفهِم منكر للبعث والإحياء، و لم يكن معترفا مستعظما لقدرة المحي.

(1)الزمخشري، الكشاف، 379/1.

(2) البقرة، 259.

(3) جامع البيان، 33/3.

(4) الكشاف، 389/1.

ودلالة الاستفهام إنكار واستبعاد؛ فقد أنكر أهل الشرك واستبعدوا إحياء الله لأهل القرية.

النمط العاشر: جملة استفهامية تعتمد الأداة (كم).

ورد هذا النمط في موضعين، تتقاسمهما صورتان:

الصورة الأولى: أداة استفهام (مفعول به)+جملة فعلية ماضوية (مسند + مسند إليه).

يقول الله تعالى: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾.[1]

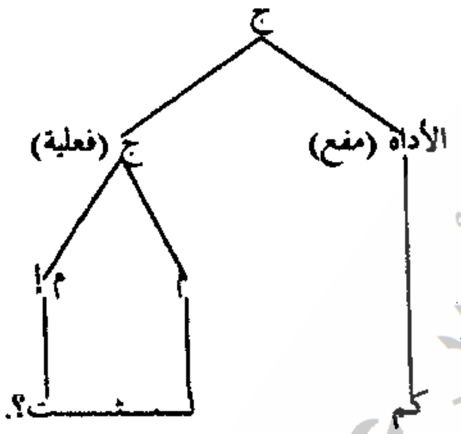

تتكون بنية الجملة الاستفهامية من الأداة "كم"، وهي في محل نصب مفعول به مقدم للمسند -الفعل- "لَبِثَ"، ومسند إليه ضمير الخطاب متصل ببنية المسند، وهو يدل على المستفهَم، الذي أماته الله مائة عـــام ثم أحياه وسأله بهذا السؤال، وذكر في هذه الآية في قوله:﴿. . .فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ﴾ ؟.

و"كم" الاستفهامية "اسم لعدد مبهم المقدار والجنس".[2] وهي تدل على سؤال عن الزمن أو المدة التي لبثها الرجل ميتا.وقد حذف المميز للعلم به، والتقدير:كم يوما لبث؟. أو كم عاما لبثت؟. وهـــذا الحـــذف جائز.[3] ويراد بالاستفهام اختبار المستفهَم، ليدرك حقيقة جهله، ويعلم أن الله وحده علام الغيوب، وذلـــك بدليل تعقيب الله بذكر الجواب عن المدة التي لبثها ميتا بقصد تعيينها، وهذا عقب السؤال في هذه الآية نفسها: ﴿قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ﴾.

والغرض من الاستفهام إظهار العجز للمستفهَم عن الإحاطة بشؤون الله تعالى، وهو استفهام علـــى سبيل التقرير.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) البقرة، 259.

(2) ابن الناظم، شرح ألفية ابن مالك، ص 739، وينظر،سيبويه، الكتاب،228/4،والزجاجي، الجمل،ص 134،وابن جني، اللمع،ص206.

(3) ينظر،ابن الناظم، شرح ألفية ابن مالك،ص 739.

الصورة الثانية: أداة استفهام (مفعول به)+جملة فعلية ماضوية(مسند+ مسند إليه+ مفعول به+ جار ومجرور(تمييز)+صفة.

يقول الله تعالى: ﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾[1].

تتكون الجملة من "كم" الاستفهامية، وهي في محل نصب مفعول به ثان مقدم وجوبا، ومسند، (فعل ماض)، ومسند إليه، ضمير المتكلمين "نا"-الدال على الله تعالى المعظم نفسه-ومفعول به أول "هم"، وهو ضمير عائد إلى بني إسرائيل-في جملة الأمر السابقة-وحرف جر زائد "من"، ومجرور "آية" لفظا منصوبا محلا على أنه تمييز "كم"، وصفة "مبينة".

ويجوز أن يجر تمييز "كم" بـ"من". وإليه ذهب ابن عطية وتبعه أبوحيان مستدلين على ذلك هذه الآية[2].

وأجاز الزمخشري أن تكون "كم"-هنا-خبرية، قال: "فإن قلت: كم استفهامية أم خبرية؟. قلت: تحتمل الأمرين، ومعنى الاستفهام فيها التقرير"[3]. ويرى أبو حيان أن ما ذهب إليه الزمخشري "ليس بجيد، لأن جعلها خبرية هو اقتطاع للجملة التي فيها من جملة السؤال، لأنه يصير المعنى: سل بني إسرائيل، وما ذكر المسؤول عنه، ثم قال: كثيرا من الآيات آتيناهم، فيصير هذا الكلام مفلتا مما قبله، لأن جملة "كم آتيناهم" صار خبرا صرفا لا يتعلق به "سل"..."[4]. فالاستفهام لا يعمل فيه ما قبله سوى الجار، كما أن السياق يدل على أن (كم) استفهامية لا خبرية بدلالة فعل الأمر "سلْ"-السابق لجملة الاستفهام-الذي فيه طلب السؤال.

وهذه الجملة الاستفهامية تشبه ما ورد في قوله تعالى: ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ﴾[5].

وكقول رويشد بن كثير الطائي:

يَا أَيُّهَا الرَّاكِبُ الْمُزْجِي مَطِيَّتَهُ   سَائِلْ بَنِي أَسَدَ مَا هَذِهِ الصَّوْتُ؟[6]

يلحظ أن الاستفهام ورد بعد فعل الأمر "سلْ" في الآية، وبعد اسم الفاعل "سائل" في البيت.

ومعنى الجملة: كم جاءكم-يا بني إسرائيل-في أمر محمد ﷺ من آية معرفة به دالة على أنه رسول من عند الله ﷻ؟[7] أو لقد آتينا بني إسرائيل معجزات كثيرة على أيدي رسلهم. وفي هذا المعنى إشارة إلى تكذيبهم بما جاءهم به الرسل.

---

(1)البقرة، 211.

(2)ينظر، المحرر الوجيز، 202/2، والبحر المحيط، 136/2.

(3)الكشاف، 354/1.

(4)البحر المحيط، 136/2.

(5) القلم، 40.

(6)ذكره ابن جني في الخصائص، 416/2، والبغدادي في الخزانة، 167/2.

(7) ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 202/2.

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

النمط الحادي عشر: جملة استفهامية تعتمد الأداة (متى).

ورد هذا النمط في موضع واحد، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ ﴾.[1]

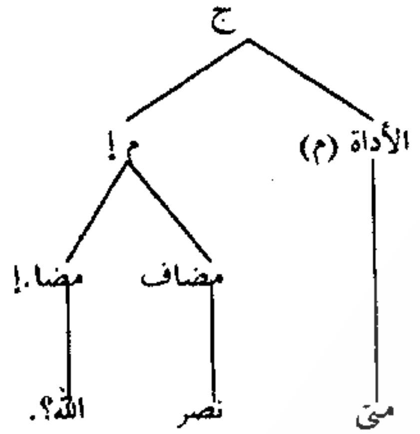

أداة الاستفهام (متى)، وهي "سؤال عن زمن"[2]، وتؤدي وظيفة المسند(الخبر) —في هذه الجملة— و المسند إليه(المبتدأ) هو المستفهم عنه "نصر الله"، وقد تأخر وجوبا عن المسند، لأن أداة الاستفهام لها الصادرة في الجملة. وفي هذا الاستفهام استعجال النصر من الله ﷻ، ومعنى ذلك أن الرسول ﷺ ومن معه من المؤمنين بلغ بهم الضجر والشدة حتى قالوا هذه المقالة المقتضية طلب النصر واستبطاء حصوله.[3] فبشرهم الله عقب سؤالهم—في هذه الآية—بقوله: ﴿ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾.

(1) البقرة، 214.

(2) المبرد، المقتضب، 289/3، وابن الدهان، الفصول في العربية، تحقيق فائز فارس، دار الأمل، الأردن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1988، ص108.

(3) ينظر، الشوكاني، فتح القدير، 273/1.

خصائص جملة الاستفهام

لقد أسفر الاستقراء عن جملة من خصائص جملة الاستفهام، نوجزها فيما يأتي:

1ـ تحتل جملة الاستفهام المرتبة الثانية بعد جملة الأمر، حيث وردت في اثنتين وثلاثين ومائتي (232)جملة. وقد مثلت لها بست وثلاثين ومائة (136)جملة. تنوعت أنماطها وصورها، واختلفت دلالاتها باختلاف القرائن، والأنماط المستخدمة فيها.

2ـ تأتي الهمزة في المرتبة الأولى بالنسبة إلى أخواتها. ودخلت على كل من الجملة الفعلية والاسمية وكثر دخولها على الجملة الفعلية المضارعية المثبتة والمنفية معا. وكانت لها الصدارة في الجملة مطلقا، فلم تتقدم عليها أداة عطف بخلاف أخواتها، وهذا من خصائصها، والحذف كذلك من خصائصها، ومثاله: ﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾[1]؟. والتقدير: أوتجعل من ذريتي إماما؟. وحذفت كذلك حين استخدامها في جملة "أم" المنقطعة.

3ـ تنوع أنماط الجملة، حيث استعملت كمال الأدوات عدا "إيان"، و "أين". وتأتي الهمزة في المرتبة الأولى من حيث كمية الاستخدام، وتليها "أي"، و"من"، وأقلها استخداما "متى"، حيث وردت مرة واحدة. والجدول الآتي يوضح كمية استخدامها:

النمط	العدد	النمط	العدد
الهمزة	95	أم المنقطعة	10
أي	35	ماذا	7
من	23	أنى	7
ما	21	كم	2
كيف	17	متى	1
هل	14		
المجموع			232

4ـتنوع نظام الجملة، فقد دخلت جل الأدوات على كل من الفعل والاسم، وكان للهمزة، و"هل"، و "كيف"، و"من" نصيبا وافرا من التنوع.

5ـتميز الجملة بالطول، وأحيانا بالطول المفرط، وذلك حين دخولها في اسنادات عطفية، أو حين استخدام "أم" المنقطعة أو المتصلة.

6ـأغلب خطاب الاستفهام موجه إلى المفرد المخاطب، وجمع الذكور المخاطبين. وكان في الصيغة الأولى موجها إلى رسول الله ﷺ خاصة، ومنه إلى أمته. أما في الصيغة الثانية فوجه إلى المؤمنين والكافرين والمنافقين.

(1) البقرة،124.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

7ـ مجيء المسند إليه (الفاعل) ضميرا متصلا في أغلب الجمل، وقد تردد اسما ظاهرا بنسبة أقل من كونه مضمرا.

8ـ تميز الأدوات في غير الهمزة، و "هل" بوظيفة ثنائية (مزدوجة): نحوية ودلالية، تتمثل الدلالية في طلب التصور، وهذه صفتها، أما النحوية فيحددها موقع الأداة في الجملة؛ فقد تأتي مسندا، أو مسندا إليه، أو مفعولا به، أو مجرورا، أو حالا.

9ـ ورود الاستفهام على أصل معناه في مواضع قليلة، منها قوله: ﴿مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾.[1] وكقوله: ﴿مَنْ أَنبَأَكَ هَٰذَا﴾.[2] وكقوله: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾.[3]

وخرج عن معناه الحقيقي إلى معان مجازية في مواضع كثيرة، نذكر منها:

1ـ الحث، كقوله: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾.[4]

2ـ الترغيب والتشويق، كقوله: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ﴾.[5]

3ـ الاستبطاء، كقوله: ﴿مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ﴾.[6]

4ـ التعجب، كقوله: ﴿فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾.[7]

5ـ الأمر، كقوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾.[8]

6ـ الإنكار، وهو السمة الغالبة على الهمزة، والإنكار قد يكون إنكار إبطال وتكذيب، ومعناه أن ما بعد الهمزة غير واقع وأن مدعيه كاذب، كما في قوله: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾.[9] وذلك لأن فعل الاتخاذ لم يحصل حتى ويحوا عليه.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) آل عمران، 52. والصف، 14.

(2) التحريم، 3.

(3) الإنسان، 1.

(4) النساء، 75.

(5) الحديد، 11.

(6) البقرة، 214.

(7) النساء، 78.

(8) المائدة، 91.

(9) البقرة، 67.

وقد يكون إنكار توبيخ، وهو يقتضي أن ما بعد الهمزة واقع، كقوله: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾.[1] وقد يكون الإنكار مشوبا بالتعجب، نحو: ﴿أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾.[2] أو باللوم، نحو: ﴿أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾.[3] أو بالوعيد، نحو: ﴿أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾.[4]

ويلحظ أن دلالة الإنكار قد صحبت الهمزة أكثر من غيرها، وأن أغلبه في الأفعال. ولعل مرد ذلك إلى أن الفعل تعبير عن إرادة المنكر.

7- العتاب، نحو: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ﴾.[5]

8- التقرير والتوبيخ، نحو: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾.[6]

9- التهكم والاستخفاف، نحو: ﴿مَاذَا قَالَ آنِفًا﴾.[7]

10- الاستبعاد، نحو: ﴿فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾.[8]

11- التهديد، نحو: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾.[9]

12- النفي، نحو: ﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾.[10]

13- التقرير، نحو: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ﴾.[11]

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) المائدة، 50.

(2) المائدة، 76.

(3) النساء، 88.

(4) آل عمران، 106.

(5) المجادلة، 13.

(6) الحجرات، 12.

(7) محمد، 16.

(8) محمد، 18.

(9) الحج، 44.

(10) آل عمران، 135.

(11) التوبة، 70.

الفصل الخامس

جملة الرجاء والتحضيض والدعاء

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

نتناول في هذا الفصل جملة الرجاء والتحضيض والدعاء.

أولا: جملة الرجاء

للرجاء أفعال، هي "عسى"، و"حرى"، و"اخلولق".[1] وللترجي أداة واحدة، هي "لعل".[2] وهي تشبه "عسى" في الدلالة والإشفاق.[3]

والأصل في الترجي أن يكون بـــ"لعل"، و"عسى". وتنصرف دلالته إلى الحال والاستقبال.[4]

ويمكن أن تلحق "لعل"، و "ليت" بأفعال الرجاء، لأنهما من نواسخ الابتداء، ولأنهما يشتركان في معنى الرجاء والتمني أيضا. ونعتمد هذا التقسيم في جملة الرجاء.

والترجي "قسم من أقسام الإنشاء".[5] وهو الإنشاء الطلبي،[6] لأنه لا يكون إلاّ فيما يحدث، وذلــك لإنشاء توقع ممكن.[7]

ومعنى الرجاء والترجي: "هو انتظار حصول شيء مرغوب فيــه، ميســور التحقــق، ولا يكــون إلاّ في الأمر الممكن ومثله التوقع".[8] وبتعبير آخر هو انتظار حصول أمر مرغوب فيه، سهل التحقيق أو صعبه، ولكنه ممكن الوقوع.[9]

أما التمني فهو: "طلب حصول أمر محبوب مستحيل الوقوع أو بعيده، أو امتناع أمر مكروه كذلــك. والأصل فيه أن يكون بلفظ "ليت"، وقد يأتي بــلو...".[10] وبتعبير آخر أن التمني "هو الرغبة في تحقيق أمــر محبوب، سواء أكان تحققه ممكنا أم غير ممكن، ولا يصح أن يكون في أمر محتوم الوقوع".[11] ولذلك فــالفرق بين الترجي والتمني، أن الأول يختص بما يجوز وقوعه، والثاني للذي يجوز والذي لا يجوز.[12] ويقرر الزركشي "أن الترجي و التمني من باب الإنشاء"؛[13] فهما لإنشاء توقع ممكن كما في الــترجي، أو ممكــن الحــدوث وغير ممكن، كما هو في التمني.

---

(1) ينظر، ابن كمال باشا ، أسرار النحو، تحقيق أحمد حسن حامد، دار الفكر، عمــان، (د.ت)، هــامش، ص251، والصبــان، الحاشــية، 380/1، وعباس حسن، النحو الوافي، 622/1.

(2) ينظر، المبرد، المقتضب، 108/4، وابن كمال باشا، أسرار النحو، ص267.

(3) ينظر، العكبري، اللباب، 191/1.

(4) ينظر، تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص251.

(5) عبد السلام هارون، الأساليب الإنشائية، ص46، وينظر، الزركشي، البرهان، 394/4، وتمام حسان، اللغة العربيــة معناهــا ومبناهــا، ص251.

(6) ينظر، تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص244.

(7) ينظر، ابن كمال باشا، أسرار النحو، ص251.

(8) عباس حسن، النحو الوافي، 370/4.

(9) ينظر، المرجع السابق، 621/1.

(10) عبد السلام هارون، الأساليب الإنشائية، ص17.

(11) عباس حسن، النحو الوافي، 369/4، 370.

(12) ينظر، الحريري، درة الغواص في أوهام الخواص، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر بالفجالة، القاهرة، (د.ت)، ص262.

(13) البرهان في علوم القرآن، 395/4.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وتبعا لما ذكرته آنفا، فإنني ألحق التمني والترجي بجملة الرجاء، وأقسم بذلك هذه الجملة إلى أنماط.

وقد وردت هذه الجملة في تسع عشرة (19) جملة، تتوزع على الأنماط الآتية:

النمط الأول: فعل رجاء (عسى).

ورد هذا النمط في ثلاث عشرة (13) جملة، توزع كما يأتي:

الصورة الأولى: الفعل(عسى)+مسند إليه(اسم ظاهر)+مسند(جملة مصدرية).

وردت في سبع جمل، منها قوله تعالى: ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾.[1]

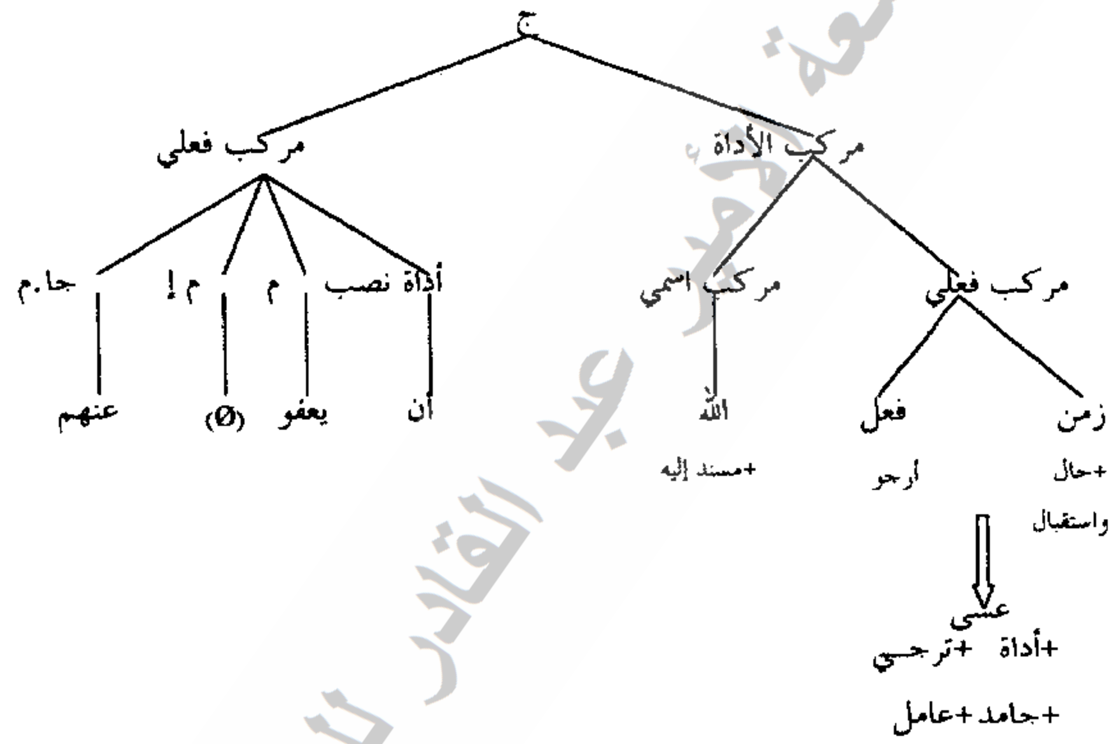

تتكون الجملة من أداة ترج "عسى"، ومسند إليه لفظ الجلالة "الله"، ومسند جملة مصدرية "أن يعفو عنهم". ويدل "عسى" على زمن الحال والاستقبال، مع الاعتراف بأنه قد تحول عن معنى الفعل إلى معنى الأداة.[2] وقد أشار بعض النحاة واللغويين إلى كثرة اقتران خبر "عسى" بـ"أن" المصدرية.[3]

والضمير المجرور "عنهم" عائد على ﴿الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ -في الآية السابقة- وهم الذين استثنوا من عذاب الله بسبب عجزهم عن الهجرة من بلاد الشرك (مكة) إلى البلاد التي لا يمنعون فيها من إظهار دينهم.

---

(1) النساء، 99.

(2) ينظر، تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص251.

(3) ينظر، سيبويه، الكتاب، 158/3، وابن فارس، الصاحبي، ص113، والصبان، الحاشية، 384/1.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وجيء بالأداة (عسى) الدالة على الإطماع، لتأكيد أمر الهجرة.[1] فهذه الأداة تقتضي أن الله يرجو أن يعفو عنهم، وهو عدم التزام منه تعالى. و إذا كان الله هو فاعل العفو، وهو عالم بأنه سيعفو عنهم، تعيين حينئذ أن يكون معنى الرجاء المستفاد مجازيا، بأن عفوه عن ذنبهم في أمر الهجرة عفو عزيز مقتدر. والمراد من جملة الترجي: تضييق تحقق عذرهم، والتشديد عليهم، لكيلا يتمادوا في عصيان الله ﷻ، أو يتساهلوا في أمره مستندين على عفوه. فإن عذر الله باستضعافهم أو عجزهم رخصة منه تعالى، لأن بقاءهم في أرض الشرك أمر غير مقبول يومئذ بسبب ضعف المسلمين. وكان واجبا أن يلحقوا بالرسول ﷺ بالمدينة، أو بإخوانهم بأرض الهجرة، ليتمكنوا من عبادة الله تعالى دون عائق يمنع من ذلك.

وتكررت هذه الصورة في المواضع الآتية: النساء، (84)، والمائدة، (52)، و التوبة، (18،102)، والممتحنة، (7)، والتحريم، (8).

الصورة الثانية: الفعل(عسى)+مسند إليه(مضمر)+مسند(جملة مصدرية).

وردت في خمس جمل؛ منها قوله تعالى: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾.[2]

الفعل "عسى"-هنا-ناقص، وهو للترجي. وقد ورد المسند إليه (اسمه) مضمرا في البنية السطحية، يقدر بالضمير (كم)، أي: عساكم أن تكرهوا، أو عسى المؤمنون أن يكرهوا القتال...وورد المسند جملة مصدرية "أن تكرهوا".

فقد جوز بعض النحاة واللغويين ورود اسم "عسى" مضمرا إذا لم يأت بعده اسم ظاهر.[3] وخالفهم البعض بأن عدوا الفعل في هذه الصورة تاما.[4]

وجملة "ويجعل الله..." معطوفة على "أن تكرهوا". ومناط الرجاء هو مجموع المعطوف والمعطوف عليه بدلالة القرينة على ذلك. والضمير في "فيه" عائد على شيء أو على الكراهة، وهو المصدر المدلول عليه بالفعل.

واقتصر في هذه الجملة على مقاربة الحصول على الكراهة لشيء فيه خير كثير دون مقابلة.أما فيما يماثل هذه الصورة في قوله: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ﴾.[5] ففيه مقابلة، لأن المقام هنا مقام توضيح الحقيقة بشقيها، إذ المخاطبون فيها-وهم المؤمنون بقرينة السياق-قد كرهوا القتال، وأحبوا السلم، فكان حالهم يقتضي توضيح أن القتال قد يكون فيه الخير لما يأتي عقبه من أمن وسلام لهم ولأمتهم، وأن السلم قد يكون فيه شر وهلاك لما يحصل معه من

(1) ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 349/3، والشوكاني، فتح القدير، 644/1.

(2) النساء، 19.

(3)ينظر، ابن كمال باشا، أسرار النحو، ص251، وابن هشام، أوضح المسالك، 169/1.

(4) ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 213/3، والسمين الحلبي، الدر المصون، 526/1، 336/2.

(5) البقرة، 216.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

استخفاف الأعداء بالمسلمين، والطمع في النيل منهم. أما المقام في هذه الآية فهو لتوضيح حكم من وقع بينه وبين زوجته ما جعله يكره معاشرتها. فكان حاله يقتضي ما في بعض المكروهات من الخير الكثير.

وتكررت هذه الصورة في الآية (11) من سورة الحجرات.

الصورة الثالثة: أداة ترج(عسى)+مسند إليه (اسم ظاهر مضاف)+مضاف إليه+جملة اعتراضية (شرطية)+مسند (جملة مصدرية).

وردت في قوله تعالى: ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴾.[1]

المسند إليه لفظ "ربُّه"، وهو مضاف إلى ضمير الغائب (الهاء). وهذا الضمير عائد إلى "النبي" في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ ﴾.[2] والمراد به النبي محمد ﷺ، بقرينة المقام. والمسند جملة مصدرية "أن يبدله أزواجا...". وفي الجملة إيجاز حذف، والتقدير: عسى أن يطلقكن هو أن يبدله ربه بأزواج خير منكن...

قرأ نافع وأبو عمر: "أن يبدِّله" بتشديد الدال من "بدَّل، يبدِّل"، وقرأ الباقون بالتخفيف من "أبْـدَلَ، يبدل".[3] وقد عدي هذا الفعل إلى مفعولين، هما: ضمير الغائب المتصل بالفعل، و "أزواجا".

ووصف المفعول به "أزواجا" بأوصاف، هي: "مسلمات، مؤمنات، قانتات، تائبات، عابدات، سائحات، ثيبات، وأبكارا". وجاءت الصفات كلها مطابقة للموصوف منصوبة، إلاّ الثامنة، وهي "أبكارا" فجاءت معطوفة بالواو. "وليست هذه الواو مما يمكن أن يقال فيها: واو الثمانية؛ لأنها هاهنا ضرورية، ولو سقطت لاختل المعنى".[4]

وجيء بجملة اعتراضية توسطت بين المسند إليه والمسند، وهي جملة فعل الشرط "إن طلقكن". وجواب الشرط محذوف لتقدم معناه، والتقدير: إن طلقكن فعسى ربه أن يبد له أزواجا.

والأداة (عسى)-هنا-مستخدمة في التحقيق. وأُوثِرَتْ في هذا المقام، لأن التبديل المتحدث عنه، وهو تبديل زوجات النبيﷺ بغيرهن هو مجرد فرض، وليس بالواقع، إذ هو من باب التهديد أو التنبيه مما حذرن منه، إذ لابد أن كان له ما يقتضيه من تأثير مكايداتهن في قلب الرسولﷺ وما كان ليغضب من سلوك قليل.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) التحريم، 5.

(2) التحريم، 3.

(3) ينظر، الفراء، معاني القرآن، 167/3، وابن خالويه، الحجة، ص349، وأبو زرعة، حجة القراءات، ص714، والداني، التيسير، ص118، وابن الجزري، النشر، 314/2.

(4) ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 522/14.

النمط الثاني: أداة ترج (لعل).

ورد هذا النمط في جملتين، تتصدرها الأداة (لعل). ويستثنى من هذا الجمل التي جاءت تعليلية، فقد درست في جملة الأمر والنهي والنداء.

ويتوزع هذا النمط على صورتين:

الصورة الأولى: أداة ترج(لعل)+مسند إليه (اسم ظاهر)+مسند (جملة فعلية مضارعية).

وردت في قوله تعالى: ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ .[1]

تتكون "لعل" من اللام، وهي زائدة، و" عل" أداة لمعنى الترجي أو التوقع.[2] يقول الزمخشري: "هي لتوقع مرجو أو مخوف".[3] وهما المعنيان اللذان حددهما سيبويه من قبل حين قال عن معنى "لعل" وأثرها الإعرابي، فقال: "وإذا قلت لعل فأنت ترجوه أو تخافه في حال ذهاب...".[4]

ويذكر ابن فارس أن (لعل) تكون استفهاما وشكا. وأضاف أن أهل البصرة يقولون: (لعل)ترج. وبعضهم يقول: توقع. وأضاف-أيضا-أنها تكون بمعنى (عسى)، وبمعنى (كي).[5] ويذكر الزركشي أنها تأتي على ثلاثة أوجه: فتكون للترجي في المحبوب، وللتعليل وللاستفهام.[6]

ويلحظ في هذا التركيب أن المسند إليه (اسم لعل) ورد اسما ظاهرا، وهو لفظ الجلالة "الله"، والمسند (خبرها) ورد جملة فعلية، فعلها مضارع في محل نصب، لأنها عاملة. و "لعل" ومعمولاها سادة معلقة فعل "تدري" عن العمل.[7]

و الخطاب في تركيب "لا تدري لعل الله..." لغير مقصود، فلا يراد مما في الفعل "تدري" من علامة الخطاب، بل المراد بالخطاب إلى كل من يصلح له، ويهمه أمر الشيء المخاطب به من كل من قصر فهمه عن حالة الكراهة التي ينشأ عنها الطلاق، و لم يتدبر في عواقب الأمور. والمعنى: لا تدري أيها السامع،[8] فإنما أبقينا المطلقة في منزل الزوج في مدة العدة، لعل الزوج يندم على طلاقها فيراجعها.

والإشارة في "ذلك" إلى أمر الطلاق. والمراد بالإشارة إلى أهم ما في العدة من مصالح الزوجين، وهو ما يحدثه الله تعالى من أمر بعد الطلاق.

(1) الطلاق، 1.

(2) ينظر، المرادي، الجنى الداني، ص579.

(3) المفصل، ص302، وينظر، المالقي، رصف المباني، ص373.

(4) الكتاب، 148/2.

(5) ينظر، الصاحبي، ص124.

(6) ينظر، البرهان، 394/4.

(7) ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 278/8.

(8) ينظر، المصدر السابق، 278/8.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وتنكير لفظ "أمرا" للتقسيم والتنويع، أي: أمرا موصوفا بصفة محذوفة، والتقدير: أمرا نافعا للزوجين. وهذا الأمر هو تحويل ما في القلوب من غضب إلى رضى، ومن بغض إلى محبة. وقال أبو حيان: "الأمر هنا الرغبة في ارتجاعها والميل إليها بعد انحرافه عنها، أو ظهور حمل فيراجعها من أجله".[1]

ويتضح من معنى الجملة أن القرآن عالج حكم العدة علاجا نفسيا؛ فالطلاق لا يكون إلاّ إذا تعذر الوفاق بين الزوجين، واضطربت النفوس، وخيم اليأس. ففتح باب الأمل بهذا الترجي لتلك النفوس التي اعتراها يأس من الحياة الزوجية، لعل الزوج يراجع زوجته، ولعلها تعود إلى صوابها، فتستعيد المشاعر الطيبة.

الصورة الثانية: أداة ترج(لعل)+مسند إليه(اسم ظاهر)+مسند(جملة منسوخة).

وردت في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾.[2]

أداة الترجي "لعل" معلقة فعل الإدراء عن العمل.[3] أي: بالمفعول الثاني، أما الأول فهو كاف الخطاب المتصل ببنية الفعل في قوله: "وما يدريك"؟.وجيء بالمسند إليه "الساعة" اسما ظاهرا معرفا بـ"ال". والمراد بالساعة–هنا – يوم القيامة. أما المسند فتضمنته الجملة المنسوخة بـ"تكون". وتكونت هذه الجملة من فعل الكينونة ومسند إليه مضمر تقديره: "هي"، يعود على "الساعة"، ومسند "قريبا".

ويلحظ عدم مطابقة المسند "قريبا" لصيغة فعل الكينونة في الظاهر، حيث لم يقترن بعلامة التأنيث "لأن الساعة في معنى اليوم أو في زمان قريب".[4] أو أن في الجملة حذف موصوف، والتقدير: تكون شيئا قريبا.[5] والذي أختاره ابن عطية وغيره أن "قريبا" في مثل هذه الآية ليس خبرا عن فعل الكينونة، وإنما ظرف له، وهم يقصدون أن فعل الكينونة تام، وأن "قريبا" ظرف زمان لوقوعه. والتقدير: تكون الساعة في زمان قريب.[6] فيلزم بذلك "قريبا" الإفراد والتذكير على تقدير زمان أو وقت.

والملاحظ أن جملة الترجي جاءت بعد أن سأل المؤذون لرسول الله ﷺ عن الساعة –في هذه الآية– في قوله: ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ﴾. وقد سألوه استبعادا وتكذيبا موهمين أنها لا تقوم. والمعنى: يسألك المشركون عن وقت قيام الساعة وحصوله استهزاء أو امتحانا أو تعنتا، وأنت لا تعلمها كغيرك. فلعلها توجد في زمن قريب. وفي هذا المعنى تهديد للمستعجلين.

(1)البحر المحيط، 278/8.

(2) الأحزاب، 63.

(3) ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 242/7.

(4) ينظر، الزمخشري، الكشاف، 275/3.

(5) ينظر، المصدر السابق، 275/3.

(6) ينظر، المحرر الوجيز، 121/12، و أبو حيان، البحر المحيط، 242/7، والنهر الماد، 738/2.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

النمط الثالث: التمني بـ (ليت)، و(لو).

يعد التمني من الجمل القليلة الورود في السور المدنية، حيث لم يرد منها سوى أربع جمل، تتقاسمها الأداتان (ليت) تارة، و(لو) تارة أخرى.

أولا: الأداة (ليت).

ضمت جملة (ليت) صورتين:

الصورة الأولى: أداة تنبيه(يا)+أداة تمن (ليت)+مسند إليه(ضمير متصل)+مسند(جملة اسمية منسوخة)+جملة تعليلية.

تبرز هذه الصورة في قوله تعالى: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.[1]

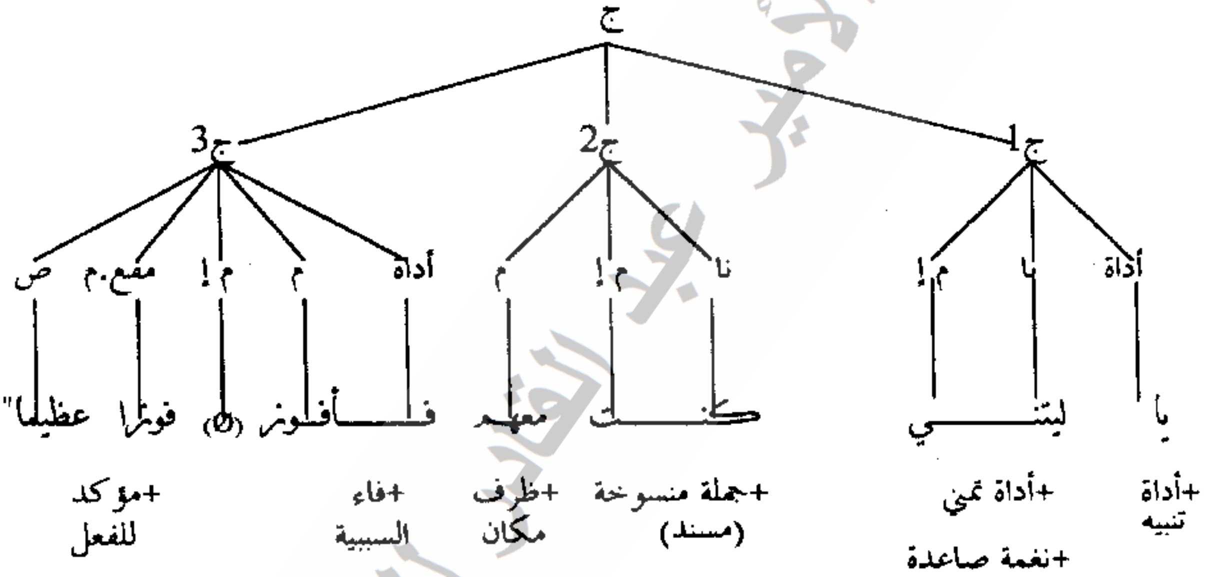

الأداة "يا"-هنا-مفيدة للتنبيه، وليست أداة نداء لمنادى محذوف، لأنه ليس في الكلام منادى.[2]

والأداة "ليت" من النواسخ التي تدخل على الجملة الاسمية، فتنصب المبتدأ (المسند إليه)، وترفع الخبر (المسند). وهي تدل على التمني، فقد نابت عن الفعل (أتمنى).[3] وتتعلق بالمستحيل غالبا وبالممكن قليلا، لأن التمني هو طلب الأمر المستحيل أو ما فيه عسر وصعوبة.[4] وقد اتصلت "ليت" بياء المتكلم، ولذلك لزمتها نون الوقاية. وياء المتكلم اسمها (مسند إليه)، والخبر (المسند) تتضمنه الجملة المنسوخة "كنت معهم".

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) النساء، 73.

(2) ينظر، ابن جني، الخصائص، 279/2، و أبو حيان، البحر المحيط، 303/3، وفتح الله صالح، الأدوات المفيدة للتنبيه، ص39-41.

(3) ينظر، حسام البهنساوي، القواعد التحويلية في ديوان حاتم الطائي، ص177.

(4) ينظر، الحريري، درة الغواص، ص262، وعبد السلام هارون، الأساليب الإنشائية، ص17، وعباس حسن، النحو الوافي، 369/4، 370.

أما قوله: "فأفوز فوزا عظيما"، فهو جواب التمني، ولذلك نصب الفعل المضارع في قراءة الجمهور.[1] والنصب فيه بإضمار "أن"، لأنه محمول على المصدر، والتقدير: يا ليتني كان لي حضور معكم ففوز بالغنيمة.

ومذهب جمهور البصريين أن النصب بإضمار "أنْ" بعد فاء السببية، ومذهب الكوفيين أنه انتصب بالخلاف. وذهب الجرمي إلى أنه ينتصب بالفاء نفسها. [2]

وقرأ الحسن ويزيد النحوي "فَأَفُوزُ" برفع المضارع عطفا على الفعل "كنت"، فتكون الكينونة معهم، والفوز بالغنيمة داخلين في التمني، أو على الاستئناف، أي: فأنا أفوز في ذلك الوقت. [3]

والذي تمنى الفوز بالغنيمة مع المؤمنين هو المنافق الذي تخلف عن الجهاد.[4] وذلك ما يدل عليه السياق. وقيل: الآية نزلت في المنافقين كعبد الله بن أُبي وأصحابه الذين كانوا يتثاقلون عن الجهاد[5]. فإن لقي المؤمنون نكبة، قال من أبطأ منهم: لقد أنعم الله علي، وإن لقوا غنيمة، قال: "يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما"، أي: فأصيب غنائم كثيرة، وهو أكبر قصده وغاية مراده، لأنه نسي ما يجب عليه من مد يد العون إلى المؤمنين وبذل كل ما يمكنه من نفس ومال ليتم ذلك الفوز والظفر، ولكن ضعف إيمانه أو جبنه منعه عن هذا الفعل، إذ تمنيه كان بعد فوات الفرصة.

الصورة الثانية: أداة تنبيه(يا)+ أداة تمن(ليت)+مسند إليه (ضمير متصل)+مسند (جملة فعلية ماضوية)+أداة عطف (الواو)+معطوف(جملة فعلية ماضوية).

تتضح هذه الصورة فيما يأتي :

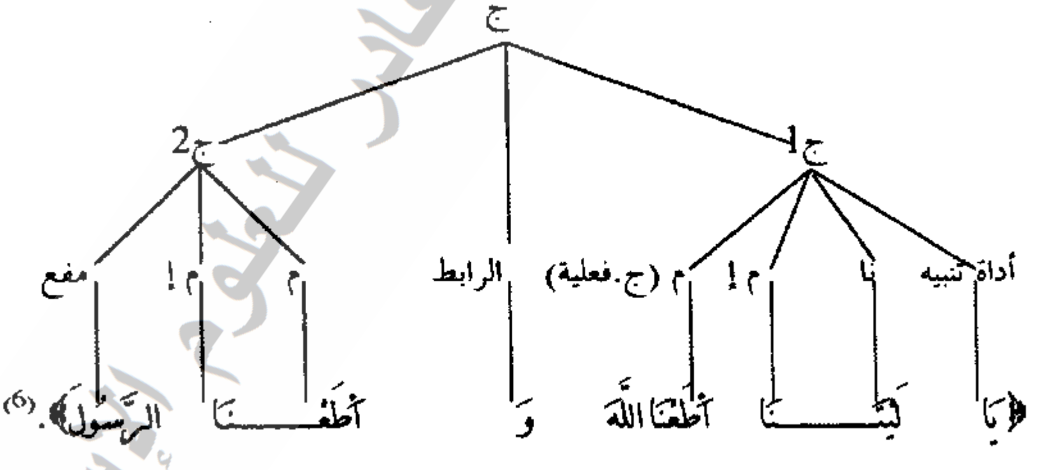

(1) ينظر، القيسي، مشكل إعراب القرآن، 202/1، والقرطبي، الجامع، 277/5، وأبو حيان، البحر المحيط، 303/3، والألوسي، روح المعاني، 79/5.

(2) ينظر، الأنباري، الإنصاف، 89/2، و أبو حيان، البحر المحيط، 303/3.

(3) ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 132/4، والقرطبي، الجامع، 277/5، والبيضاوي،أنوار التنزيل، 118/4، والألوسي، روح المعاني، 79/5.

(4) ينظر، السمرقندي، بحر العلوم، 367/1، والطبرسي، مجمع البيان، 98/3.

(5) ينظر، ابن عباس، تنوير المقباس، ص74، والطبري جامع البيان، 169/5، وابن الجوزي، زاد المسير، 130/2.

(6) الأحزاب، 66.

تصدرت أداة التنبيه "يا" جملة التمني، واتصلت "ليت" بالمسند إليه "نا". أما المسند فتتضمنه الجملة الفعلية "أطعنا الله". وعطف على هذه الجملة جملة "وأطعنا الرسولا". واستخدمت واو العطف للوصل بين الجملتين؛ لأنهما متحدتان في الخبرية.

والألف في آخر لفظ "الرسولا" لرعاية الفواصل التي بنيت عليها السورة؛ فإنها بنيت على فاصلة الألف، وهي ألف الإطلاق، كقوله:﴿ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴾.(1) وكقوله: ﴿ فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴾.(2)

وجيء بالتنبيه-هنا- لقصد إسماع من يرثى لحالهم، نحو: "يا حسرتنا". والتمني كناية عن الندم والتحسر على ما فات.

والتمني صدر من الكافرين أثناء العذاب في نار جهنم بقرينة قوله-في هذه الآية-:﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا.. ﴾. فهم يومئذ يتمنون أن لو أطاعوا الله ورسوله، وأدوا فروض الطاعة والولاء، أي: يقولون: يا ليتنا لو كنا في الحياة الدنيا ممن أطاعوا الله وأطاعوا الرسول، وآمنوا بما جاء به، فما كنا نعذب بهذا العذاب بل كنا من أهل الجنة.

ثانيا: الأداة (لو).

ضمت جملة (لو) صورتين:

الصورة الأولى: أداة تمن (لو)+ جملة مضارعية (مسند+جار ومجرور+مسند إليه).

تبرز هذه الصورة في قوله تعالى: ﴿ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ ﴾.(3)

حدد الموقف اللغوي والمقام مدلول "لو" في الجملة، فما يراد بها هو التمني؛ فهي بمعنى "ليت" تفيد الطلب، نحو: لو نزلت فأكلت.(4) ونحو قوله تعالى: ﴿ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾.(5) وذلك على الرغم من سبقها بالفعل "يود"-في التركيب-الذي له علامة غالبة بالنسبة لـ"لو" المصدرية، ولهذا يكون المقام هو الفيصل في معرفة الفرق بينهما.

والذين تمنوا أن "تسوى بهم الأرض" هم "الذين كفروا وعصوا الرسول" بصريح اللفظ في هذه الآية.

واختلف القراء في لفظ "تسوى"، فقرأ ابن كثير، وابن عامر، وأبو عمرو، وعاصم: "تُسوى"(6) -بضم التاء وتخفيف السين-مبنيا للمجهول. وحجتهم أن المعنى في ذلك: يود الكافرون لو يجعلهم الله ترابا

(1) الأحزاب، 10.

(2) الأحزاب، 67.

(3) النساء، 42.

(4) ينظر، الإستراباذي، شرح الكافية لابن الحاجب، 387/2.

(5) القلم، 9.

(6) ينظر، ابن خالويه، الحجة، ص124، وأبوزرعة، حجة القراءات، ص204، وابن الجزري، النشر، 249/2.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فيسوي بينهم وبين الأرض كما فعل بالبهائم.[1] أي: يودون أنهم لم يبعثوا وأنهم كانوا والأرض سواء؛ فالكفار تمنوا أن يكونوا ترابا حين مصادمتهم بأعمالهم الفاسدة.

وقرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر: "تَسَّوَّى"[2] -بفتح التاء وتشديد السين والواو-على أن أصل الفعل "تتسوى"، فأدغمت التاء في السين، وبني الفعل للمعلوم.

وقرأ حمزة والكسائي: "تَسَوَّى"[3] -بفتح التاء وتخفيف السين-على معنى القراءة السابقة، ولكن بحذف إحدى التاءين للتخفيف.

وحجة من قرأ بفتح التاء، فقد اسند الفعل إلى الأرض، "ووجه تصيير الفعل للأرض، فلأن الكفار إنما تمنوا أن تستوي الأرض إذا شهدت عليهم أعضاؤهم، فيكونوا ترابا".[4] ويكون المعنى على هذا الوجه هو معنى قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾.[5] وهذا ما ذهب إليه جمهور المفسرين.[6] وعلى هذا يكون المعنى أنهم يودون أن يصيروا ترابا مثل الأرض، لوضوح أن لا يقصد أن تصير الأرض بشرا.

الصورة الثانية: أداة تمن(لو)+مسند (محذوف)+جملة اسمية (مسند إليه مؤول)+جملة فعلية مضارعية(معللة).

وردت في قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا﴾[7].

الأداة "لو" للتمني، وأصلها الشرطية حذفت جملة شرطها وجوابها، واستعيرت للتمني بعلاقة اللزوم، لأن الشيء الصعب التحقيق يكثر تمنيه، ولهذا نصب "فنتبرأ" في جوابها، فهي لا تحتاج إلى جواب كجواب الشرط، ولكن قد يؤتى بها بجواب منصوب كجواب "ليت"، أي بمضارع منصوب بـ"أن"مضمرة بعد فاء السببية، لتقدم التمني بالأداة "لو" كما هي الحال بـ"ليت"، وذلك كقول المهلهل بن ربيعة:

فَلَوْ نُبِشَ المَقَابِرُ عَنْ كُلَيْبٍ ... فَتُخْبِرَ بِالذَّنَائِبِ أَيُّ زِيرِ[8]

وما بعد "لو"-في الآية-في تأويل مصدر فاعل، والتقدير: لو ثبت لنا كرة فنتبرأ منهم.

(1) ينظر، أبو زرعة، حجة القراءات، ص204، والقرطبي، الجامع، 199/5.

(2) ينظر، أبو زرعة حجة القراءات، ص204.

(3) ينظر، المصدرالسابق، ص204، والبغوي، معالم التنزيل، 430/1.

(4) أبو زرعة، حجة القراءات، ص204.

(5) النبأ، 40.

(6) ينظر، الماوردي، النكت والعيون، 488/1، والبغوي، معالم التنزيل، 430/1، والقرطبي، الجامع، 199/5، و أبو حيان، النهر الماد، 462/1.

(7) البقرة، 167.

(8) ينظر، المبرد، الكامل في اللغة والأدب، مكتبة المعارف، بيروت، (د.ت)، 360/1، والأصفهاني، الأغاني، تحقيق لجنة من الأدباء بإشراف عبد الستار الفراج، دار الثقافة، بيروت، ط8، 1990، 45/5.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والكاف من قوله "كما" في موضع نصب على النعت، أي نعت لمصدر محذوف، قاله ابن عطية[1]. ويجوز أن يكون الكاف للتشبيه، و"ما" مصدرية، وما بعدها في تأويل مصدر في محل جر بالكاف، والجار والمجرور متعلق بمفعول مطلق محذوف، والتقدير: لو ثبت لنا كرة فنتبرءوا منهم تبرئة كتبرئتهم منا.

والكرة: الرجعة، وهي مرة من الكر[2]. ولذلك تطلق في القرآن على الرجوع إلى الحياة الدنيا، لأنه رجوع إلى المكان الأول. وحذف متعلق "كرة" لوضوحه وسهولة تقديره.

والمعنى أنهم تمنوا العودة إلى الدنيا حتى يطيعوا الله، لينتقموا من رؤسائهم في الضلالة، فيتبرءوا منهم في الدنيا كما تبرءوا منهم في الآخرة.

وقائلو هذه المقولة هم: "الذين اتبعوا" بصريح قوله في هذه الآية: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً...﴾ والذين اتبعوا هم السفلة من المشركين المقلدين لرؤسائهم في الضلال[3].

وقد أشير بقوله:"اتبعوا" أنهم كانوا يدعون إلى متابعتهم. وزاده وضوحا قوله بعده: "فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا" أي: نتبرأ من القادة والرؤساء في الدنيا[4]. وفي هذا المعنى تنصل كل معبود ممن عبده، ولكن لا أمل في النجاة حين رؤية العذاب وانقطاع كل أسباب الخلاص.

---

(1)المحرر الوجيز، 59/2.

(2)ينظر، ابن فارس، مقاييس اللغة، 126/5، (كر)، والطبري، جامع البيان، 78/2.

(3)ينظر، ابن عباس، تنوير المقباس، ص28.

(4)ينظر، المصدر السابق، ص28.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خصائص جملة الرجاء

النمط الأول: فعل رجاء (عسى).

لقد أسفر الوصف عن النتائج الآتية:

1-ورد الفعل (عسى) مطابقا لما أقره النحاة والدارسون؛ فقد جاء فعلا جامدا ناقصا رافعا للمبتدأ (المسند إليه)، وكان خبره (المسند) جملة فعلية، فعلها مضارع مقترن بـ(أن) المصدرية في كل الجمل، كما ورد المسند إليه اسما ظاهرا، ومضمرا. ويقترح البحث انطلاقا من الوصف اعتبار (عسى) أداة ناسخة بدل فعل ناقص.

2-جاء (عسى) مكررا في آية واحدة مرتين، وتكررت معه العناصر النحوية نفسها قصد انسجام الخطاب، وتجسد هذا النظام في الصورة الثانية، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾.[1]

3-استعمل (عسى) للترجي المحقق الوقوع في كل ما ورد فيه إلاّ في الصورة الثالثة، فجاء في غير المحقق الوقوع، لأن تبديل زوجات الرسولﷺ ليس بالواقع.

4-طول جملة الرجاء المصدرة بـ (عسى)-أحيانا-بسبب العطف.

النمط الثاني: أداة ترج (لعل).

1-أغلب استعمالات (لعل) في التعليل. وقد سبقت دراستها في جملة الأمر، والنهي، والنداء. واستعملت قليلا للدلالة على الرجاء والإشفاق.

2-ورود المسند إليه (اسم لعل) اسما ظاهرا، والمسند (خبرها) جملة فعلية مضارعية غير مصدرة بـ(أن)، وهذا في الصورتين الواردتين كلتيهما.

3-تعلق جملة الترجي بجملة استفهامية.

النمط الثالث: أداة تمن.

1-تصدرت جملة (ليت) بأداة تنبيه (يا).

2-جاءت الأداة (لو) بمعنى (ليت)، لأنها دخلت على ما يستحيل وقوعه، وجاءت بعدها فاء السببية فانتصب الفعل المضارع معها بـ(أن) مضمرة، كما في قوله: ﴿لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ ...﴾.[2]

3-تراوح الجملة بين الإيجاز والطول. ويعود سبب طولها إلى الإسنادات العطفية والتعليل، وذلك كالجملة السابق ذكرها، وكقوله-أيضا-: ﴿يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[3].

---

(1) البقرة، 216.

(2) البقرة، 167.

(3) النساء، 73.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثانيا: جملة العرض والتحضيض

ذكر النحاة أدوات العرض والتحضيض، وهي: هلاّ، و لولا، و ألا، و لوما، و لو.[1] وتدخل هذه الأدوات على الفعل فتفيد الحض والطلب، وتتجه إلى المخاطب، والغائب، والمتكلم، "ولا تدخل إلاّ على فعل ماض أو مستقبل".[2]

ويكون ما بعد هذه الأدوات مطلوبا؛ فالجملة بعدها طلبية، فإذا كان الطلب رقيقا لينا فهو عرض، وإذا كان الطلب شديدا فيه حث وتحريض فهو تحضيض، يقول ابن فارس: "والعرض والتحضيض متقاربان إلاّ أن العرض أرفق، والتحضيض أعزم".[3]

وجاءت هذه الجملة في أربع عشرة (14) جملة، توزع على نمطين:

<u>النمط الأول :</u> الأداة (ألا).

وورد هذا النمط في موضعين، ويتجلى في صورتين:

<u>الصورة الأولى:</u> أداة تحضيض(ألا)+جملة فعلية مضارعية(مسند+مسند إليه+مفعول به+صفة(جملة فعلية ماضوية).

وردت في قوله تعالى: ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا أَيْمَانَهُمْ﴾.[4]

أداة التحضيض"ألاَ" مركبة من همزة الاستفهام، و"لا" النافية.[5] ودخلت على فعل مضارع فأفادت الحث.[6] ودل الفعل على زمن الاستقبال. والذي دفع النحاة إلى اعتبار التحضيض يتعين معه المضارع للاستقبال، لأنه طلب في المعنى.[7]

ومعنى الجملة: هلا تقاتلون المشركين وقد نقضوا عهودهم التي عقدوها. وفي الجملة حث وتحريض للمؤمنين على قتال مشركي مكة الذين نقضوا عهد الصلح بالحديبية، وأعانوا بني بكر على خزاعة المناصرة لرسول اللهﷺ.[8]

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) ينظر، سيبويه، الكتاب، 98/1، والإستراباذي، شرح الكافية لابن الحاجب، 387/2، والإسفرايني، لباب الإعراب، ص467.

(2)الزمخشري، المفصل، ص315، وينظر، الإسفراييني، لباب الإعراب، ص467.

(3) الصاحبي في فقه اللغة، ص140، وينظر، عبد العزيز عتيق، علم المعاني، ص118.

(4) التوبة، 13.

(5) ينظر، السكاكي، مفتاح العلوم، ص321، وتمام حسان، روائع القرآن، ص80.

(6) ينظر، الإستراباذي، شرح الكافية لابن الحاجب، 387/2، وعبد العزيز عتيق، علم المعاني، ص118.

(7)ينظر، المالقي، رصف المباني، ص297، وابن مالك، التسهيل، ص5.

(8) ينظر، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ص200، والسمرقندي، بحر العلوم، 35/2، والبغوي، معالم التنزيل، 272/2، والرازي، مفاتيح الغيب، 187/15.

وقد دلت الجملة صراحة على أن قتال المشركين الناكثين العهد كان لسبب نكث الإيمان، لأن نكثه خطيئة كافية، تستوجب قتالهم. فلما أمر تعالى بقتال أهل الكفر، أتبع ذلك بالسبب الذي يبعث على مقاتلتهم، وذلك لإثارة روح الجهاد في نفوس المؤمنين لمناصرة الله ورسوله.

الصورة الثانية: أداة عرض(ألا)+جملة فعلية مضارعية(مسند+مسند إليه+مفعول به-جملة مصدرية-).

تبرز هذه الصورة في قوله تعالى: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾.[1]

أداة العرض "ألا" مركبة من همزة الاستفهام، وأداة نفي"لا"، والعرض "ليس بابا على حدة، وإنما هو من مولدات الاستفهام".[2] وورد بعد "ألا" فعل مضارع مسند إلى واو الجماعة، والمراد به أبو بكر الصديق، إذ الخطاب موجه إليه، وإنما جيء بالجمع للتعظيم. فقد روي في سبب نزول الآية أنها نزلت في أبي بكرﷺ حين حلف أن لا ينفق على مسطح بن أثاثة أبدا بعدما قال في عائشة رضي الله عنها ما قال، فلما أنزل الله براءة أم المؤمنين، ونزلت هذه الآية إلى قوله: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾. قال الصديق: بلى والله إنا نحب أن تغفر لنا يا ربنا، ثم رجع إلى مسطح ما كان يصله من النفقة.[3]

ومعنى الجملة : ألا تريدون أن يستر الله ذنوبكم بأفضاله عليكم، فإن الجزاء من جنس العمل، فكلما تغفر ذنب من أذنب إليك، يغفر الله لك. أي : كما تحبون غفران الله لكم عن ذنوبكم فكذلك اغفروا لمن دونكم. وقال جل العلماء : إن في الآية دليل على أن من حلف على أمر لا يفعله، ورأى فعله أفضل منه كفر عن يمينه، وفعل الذي هو خير.[4]

وفي مضمون الجملة ترغيب في العفو، ووعد عليه بالمغفرة من الذنوب، وحث على الأخلاق الكريمة.

النمط الثاني: الأداة (لولا).

ورد هذا النمط في اثني عشرة (12) جملة، توزع وفق الصور الآتية:

الصورة الأولى: أداة تحضيض(لولا) +ظرف زمان(إذْ)+مضاف إليه(جملة فعلية ماضوية)+جملة فعلية ماضوية.

من هذه الصورة قوله تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا﴾.[5]

(1) النور، 22.

(2) السكاكي، مفتاح العلوم، ص321.

(3) ينظر، السمرقندي، بحر العلوم، 433/2، 434، والجصاص، أحكام القرآن، 399/3، وابن الجوزي، زاد المسير، 24/6، والقرطبي، الجامع، 207/12، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 75/5.

(4) ينظر،الجصاص، أحكام القرآن، 399/3، والقرطبي، الجامع، 208/12، والثعالبي، الجواهر الحسان، 442/2.

(5) النور، 12.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أداة التحضيض "لولا" بمعنى "هلاّ" تفيد التوبيخ كما هو شأنها إذا وليها الفعل الماضي.[1] وهو -هنا- في قوله:"ظن المؤمنون". وأما "إذ سمعتموه" فهو ظرف متعلق بفعل الظن، فقدم على عامله، لأن محل التوبيخ جملة "ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا". فأسند الفعل في قوله: "سمعتموه" إلى جميع المخاطبين المؤمنين. وخص بالتوبيخ منهم من سمعوا خبر الإفك و لم يكذبوه.

وقوله تعالى: ﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾.أي: بإخوانهم المؤمنين، وقيل: "المعنى أنه كان ينبغي أن يقيس فضلاء المؤمنين والمؤمنات الأمر على أنفسهم، فإذا كان ذلك يبعد فيهم، فكانوا يقضون بأنه في صفوان وعائشة أبعد لفضلهما رضي الله عنهما".[2] وفي التصريح بلفظ الإيمان دلالة على أن المؤمن لا يظن بأخيه المؤمن إلاّ خيرا.

وعدل عن ضمير الخطاب في إسناد الفعل "ظن" إلى المؤمنين والمؤمنات للالتفات، لأن مقتضى ظاهر التركيب أن يقال: لولا إذ سمعتموه ظننتم بأنفسكم خيرا. فالعدول كان للاهتمام بالتوبيخ، لأن أسلوب الالتفات نوع من العناية بالخبر.

ومعنى التركيب : هلاّ سمعتم كلام الأفاكين في عائشة ﷺ ظننتم بها خيرا عملا بمقتضى الإيمان الذي يحمل على حسن الظن. وفي هذا المعنى تنبيه على أن حق المؤمن إذا سمع مقالة في أخيه أن يبني الأمر فيه على ظن الخير، وأن يقول بناء على ظنه: "هذا إفك مبين".

وتكررت هذه الصورة في قوله: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا﴾.[3]

هذا التركيب-هو الآخر-مسوق لتوبيخ المؤمنين الذين تناقلوا خبر الإفك. وتكرر التوبيخ زيادة على السكوت عليه، لأن الشأن أن يقول القائل في نفسه: ما يكون لنا أن نتكلم بهذا. ويقول ذلك لمن يتكلم معه تجنبا للخوض في القذف بغير بينة.

ويعد هذا التركيب تكريرا جزئيا لما ورد في الآية السابقة-من هذه الصورة-فبالإضافة إلى مساهمة هذا التكرير في تماسك الخطاب، فإنه يؤدي وظيفة أخرى هي تأكيد الحدث الذي كان من الواجب أن يكذب عند سماعه، لأنه ينادي حاله ببهتانه.

الصورة الثانية: أداة تحضيض(لولا)+جملة فعلية ماضوية(مسند+مسند إليه+جار ومجرور(مكرر) +مضاف إليه).

تتجلى هذه الصورة في قوله تعالى: ﴿لَّوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾.[4]

---

(1)ينظر، عبد العزيز عتيق، علم المعاني، ص119، وعباس حسن، النحو الوافي، 514/4.

(2) ابن عطية، المحرر الوجيز، 458/10، وينظر، القرطبي، الجامع، 202/12.

(3) النور، 16.

(4) النور، 13.

الأداة "لولا" بمعنى "هلاّ" للتوبيخ، لدخولها على فعل ماض. والضمير في "جاءوا" لأهل الإفك بصريح قوله-في الآية السابقة-﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾. والضمير في "عليه" عائد على الإفك، والتقدير: هلاّ جاء الأفاكون على ما قالوه ببينة، وهي أربعة شهداء يشهدون بما قالوه. وهذا مسند إلى الحكم المتقرر من قبل في أول السورة بقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ .

وفي مضمون الجملة توبيخ للعصبة الذين جاءوا بالإفك وذم لهم.

الصورة الثالثة: أداة تحضيض(لولا)+جملة فعلية ماضوية(مسند+جار ومجرور+مسند إليه+جار ومجرور).

وردت في قوله تعالى: ﴿ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾.[1]

تتألف الجملة من أداة تحضيض "لولا" بمعنى "هلاّ"، و مسند فعل ماض مبني للمجهول "أُنزِلَ"، وجار ومجرور "عليه" متعلق بـ"أنزل"، و مسند إليه؛ نائب فاعل "آية"، و جار ومجرور "من رب" مضاف إلى الهاء، وهو متعلق بصفة محذوفة من "آية".

وهذا القول مصدره الكافرون بصريح قوله في هذه الآية: ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ...﴾ .

و"لولا" –هنا–تحضيضية إلاّ أن مضمون الجملة لا يفيد التحضيض، إنما الكفار يموهون بالتحضيض أنهم راغبون وحريصون في نزول آية من الله غير قرآنية، ليؤمنوا، وما هم بمؤمنين؛ فهم كاذبون فيما قالوا إذ لو أوتوا آية كما يقترحون لكفروا بها، كما قال ﷻ في آية أخرى:﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾[2]. فرد عليهم الشبهة بهذه الآية.

والآية هنا"يراد بها الأشياء التي سمتها قريش كالملك والكنز وغير ذلك"[3].

ومعنى الجملة: هلاّ يأتينا الرسول بآية من ربه كما أرسل الأولون، مثل عصا موسى ومائدة عيسى، فيجعل لنا الصفا ذهبا، وأن يزيح عنا جبال مكة، ويجعل بدلها أنهارا ومروجا.

ويلحق بهذه الصورة ما ورد من قوله تعالى:﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾ [4].

تتألف الجملة من أداة تحضيض "لولا" تفيد التمني، ومسند فعل ماض؛ مبني للمجهول "نُزِّلَت"، ومسند إليه؛ نائب فاعل "سورة".

(1) الرعد، 7.

2 لإسر ، 59.

(3)ابن عطية، المحرر الوجيز، 126/8، و ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 360/5.

(4)محمد، 20.

جمعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وتتسم هذه الجملة بالاختصار، حيث حذف المسند إليه (الفاعل)، لأنه معلوم، وحذف وصف "سورة" في حكاية قول المؤمنين "لولا نزلت سورة" لدلالة ما بعده عليه من قوله: "وذكر فيها القتال"، لأن قوله في هذه الآية: "فإذا أنزلت سورة". أي: كما تمنوا. فاقتضى أن المطلوب سورة يشرع فيها قتال الكافرين. فالمعنى: هلاّ يترل الله سورة يذكر فيها الجهاد وفرضه، أي: هلاّ نزلت سورة يأمرنا فيها ربنا بقتال الكفار حرصا على ثواب الجهاد. فالمؤمنون كانوا حريصين كل الحرص على ظهور الإسلام وعلو مكانته، وتمني قتل العدو، وكانوا يستأنسون بترول الوحي، ويستوحشون لإبطائه، ليعلموا أوامر الله تعالى فيهم.

الصورة الرابعة: أداة تحضيض(لولا)+جملة فعلية ماضوية+جملة فعلية مضارعية(تعليلية) +أداة عطف+جملة فعلية مضارعية(تعليلية)+جملة اسمية(تعليلية).

تبرز هذه الصورة في قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾.[1]

دخلت "لولا" التحضيضية على فعل ماض "نفر" في معنى المستقبل، لأن الجملة تحمل معنى الطلب والحث.

وجيء بالتعليل لبيان سبب النفير، والمعنى: فهلاّ تخرج إلى الغزو من كل قبيلة جماعة، وتبقى مع النبيﷺ جماعة ليتفقهوا في الدين، يعني الفرقة التي قعدت مع الرسولﷺ ليتعلموا القرآن والسنة، ويحذروا قومهم إذا رجعوا إليهم من الجهاد، ليعملوا عملا صالحا. ومعنى هذا أن الضميرين في "ليتفقهوا" و "لينذروا" يعودان إلى الفرقة المتأخرة، وحثها تعالى على التفقه لترجع إلى المتخلفة فتحذرها.

وقال ابن عباس: الآية في البعوث والسرايا.[2] وقال بعض المفسرين: هذه الآية ناسخة لكل ما ورد من إلزام الناس كافة النفير والقتال.[3] فعلى هذا وعلى قول ابن عباس يكون الضمير في "ليتفقهوا" عائدا على الطائفة المقيمة مع النبيﷺ، ويكون معنى "ولينذروا قومهم" أي: الطائفة أو الجماعة النافرة إلى الغزو، يعلموهم بما جد من أحكام الشريعة. ومن ثم تُقدَّرُ جملة محذوفة، دل عليها معنى التركيب، أي : هلاّ نفر من كل فرقة منهم طائفة، وقعدت أخرى ليتفقهوا في الدين مع النبيﷺ، ولينذروا قومهم حين عودتهم من غزوتهم.

وقال الزمخشري معنى: "ليتفقهوا في الدين" ليتكلفوا الفقاهة فيه، ويتجشموا المشاق في أخذها وتحصيلها. ومعنى: "ولينذروا قومهم" ليجعلوا غرضهم ومرمى دهمتهم في التفقه إنذار قومهم وإرشادهم والنصيحة لهم".[4]

---

(1) التوبة، 122.

(2) ينظر، تنوير المقباس، ص168.

(3) ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 80/7، وأبو حيان، البحر المحيط، 116/5.

(4) الكشاف، 221/2.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ويدخل في معنى الإنذار تعلم الناس ما يميزون به بين الحق والباطل، والصواب والخطأ، وذلك بأن يلقن العالم علوم الدين للمتعلمين.

وقد جعل ﷺ الهدف من هذا التفقه في الدين، وإنذار من لم يتفقه، فجمع بين المقصدين الصحيحين، وهما تعلُّم العلم وتعليمه حتى لا ينقطع التفقه الذي هو الجهاد الأكبر، لأن الجدال بالحجة هو الأصل، والمقصود من البعثة.

والظاهر أن الآية جاءت للحث على طلب العلم والتفقه في الدين، وأنه لا يمكن أن يخرج كل الرجال للغزو، فتخلو بلادُهم منهم، ويستولي عليها وعلى نسائهم وأطفالهم أعداؤهم. ويكون المعنى: هلاّ نفر جماعة قليلة منهم فكفوهم النفير، وقامت كل طائفة بمهمة؛ هذه تقاتل الأعداء، وهذه تعلم العلم. فذكر تعالى العلة من النفير، وهي التفقه في أمر الشريعة، ثم إخبار المقيمين بما علموه.

الصورة الخامسة: أداة تحضيض(لولا)+ جملة مضارعية(مسند+ مفعول به+ مسند إليه)+أداة عطف+جملة مضارعية(مسند+ مفعول به+ مسند إليه).

تتضح هذه الصورة في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾[1].

صَدَرَ قوله: "لولا يكلمنا الله..." من "الذين لا يعلمون" بصريح اللفظ في الجملة السابقة من هذه الآية.

واختلف في المراد بالاسم الموصول، فقال ابن عباس: المراد بـ"الذين لا يعلمون" اليهود[2]. وقال آخرون: المراد بذلك مشركو العرب[3]. وقال مجاهد: النصارى. ورجحه الطبري، لأنهم المذكورون في الآية أولا[4].

والظاهر من قوله: "الذين لا يعلمون" أنه تعالى يشير إلى جميع تلك الطوائف، لأنهم كلهم قد قالوا تلك المقالة. واختلافهم في الموصول يدل على اختلافهم في السبب، فإن كان المراد بالموصول الجهلة من العرب، فقد نفى عنهم العلم، لأنه لا كتاب لهم، ولا هم أتباع نبي، يبين لهم ما يليق بالألوهية. وإن كان المراد بالموصول اليهود أو النصارى، فقد نفى عنهم العلم لانتفاء نتائجه، وهو الإتباع له، والعمل بمقتضى قوانينه وأحكامه.

وأرادوا بـ"لولا يكلمنا الله" كما كلم موسى عليه السلام، وكما يكلم الملائكة. وقال القرطبي المعنى: هلاّ يخاطبنا الله بنبوة محمد، فنعلم أنه نبي فنؤمن به[5]. وقال ابن كثير: "وهو ظاهر السياق "[6].

(1) البقرة، 118.

(2) ينظر، تنوير المقباس، ص 21.

(3) ينظر، الطبري، جامع البيان، 560/1.

(4) ينظر، المصدر السابق، 560/1.

(5) ينظر، الجامع لأحكام القرآن، 92/2.

(6) تفسير القرآن العظيم، 283/1.

وقال أولئك تلك المقولة استكبارا وتعنتا بأن عَدُّوا أنفسهم أحرى بالرسالة السماوية وبسماع كلام الله تعالى. وهذا يدل على جهالتهم الجهلاء.

وأرادوا بقولهم: "أو تأتينا آية "مطلق آية"، فالتنكير للنوعية، وحينئذ فهو مكابرة وجحود لما جاءهم من الآيات ضمن الرسالة المحمدية، وحسبك بأعظمها، وهو القرآن الكريم.

ونظير هذه الجملة قوله:﴿ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ ﴾[1].

هذا القول كان من لدن يهود المدينة والمنافقين فيها، كما قال ابن عباس[2]، إذ كانوا يتناجون على مرأى من المؤمنين. وقد بين القرآن أحوالهم -في الآية السابقة عن هذه- في قوله:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ ﴾.

والمعنى: هلاّ يعذبنا الله بسبب كلامنا الذي نتناجى به في ذم الرسولﷺ ونحو ذلك. أي يقولون: لو كان محمد نبيا حقا كما يزعم لغضب الله علينا وعذبنا بسبب ذمنا له وإساءتنا إليه. وهو ما اختصره الله من قولهم: "لولا يعذبنا الله بما نقول". واستخدم التحضيض مجازا عن جحد رسالته عليه السلام.

<u>الصورة السادسة:</u> أداة تحضيض(لولا)+ جملة فعلية مضارعية(مسند+ مفعول به+ مسند إليه+ أداة عطف+ معطوف(مسند إليه)+ جار ومجرور+...).

وردت هذه الصورة في قوله:﴿ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ﴾[3].

الضمير"هم"-الذي أدى وظيفة المفعول به في الجملة-عائد إلى خطاب سابق يستغرق أربع آيات، وهو لأهل الكتاب. وهناك تطابق بين الضمير"هم"، وبين المحال إليه تذكيرا وجمعا.

والتحضيض يتضمن التوبيخ للربانيين والأحبار وعامة أهل الكتاب على سكوتهم عن النهي عن معاصي الله تعالى والأمر بالمعروف.

والربانيون جمع رباني، وهو العالم المنسوب إلى الرب عز وجل وعلى هذا يكون الرباني منسوبا للرب على غير قياس. والأحبار جمع حَبْر، وهو العالم في الملة الإسرائيلية[4]. وقال بعض العلماء: الربانيون: هم علماء النصارى، والأحبار هم علماء اليهود[5].

---

(1) المجادلة، 8.

(2) ينظر، تنوير المقباس، ص583.

(3) المائدة، 63.

(4) ينظر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، 209/6.

(5) ينظر، الماوردي، النكت والعيون، 50/2، والبغوي، معالم التنزيل، 49/2.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وعطف "الأحبار" على "الربانيون"، فهم في حكم واحد من حيث ما نسب إليهم في عدم نهيـــهم.

واقتصر في توبيخ علمائهم على ترك نهيهم عن قول الإثم، وهو الكذب، وأكلهم السحت، أي:الرشوة والربا، لأنهم تركوا الواجب. و لم يشر القرآن إلى العدوان، لأنه يزجرهم عنه المؤمنون. وأخرج الطبري عن ابن عباس، قال: "ما في القرآن آية أشد توبيخا من هذه الآية[1]"، وهي أخطر على العلماء، لأن سكوتهم عن المنكر مذموم. ودلت الآية على أن تارك النهي عن المنكر كمرتكبه.

الصورة السابعة: أداة تحضيض (لولا)+ جملة فعلية ماضوية(مسند+ مسند إليه+ مفعول به+ جـار ومجرور+ صفة).

من هذه الصورة قوله تعالى:﴿ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾[2].

الأداة (لولا) دخلت على فعل ماض، وهو بمعنى المستقبل، فأفادت الحث، أي: هلاّ تركتنـــا حـتى نموت بآجالنا القريبة. والأجل القريب-هنا-هو موتهم على فرشهم وفي منازلهم، كذا قاله المفسرون[3].

وقال الزمخشري: في معنى الجملة "استزادة في معنى الكف، واستمهال إلى وقت آخر"[4]. وهذا المعـنى يحسن إذا كان القول صادرا من قبل اليهود أو المنافقين، وأما إذا صدر من فئة من المؤمنين، فإنما طلبوا التـأخر والاستمهال إلى وقت ظهور الإسلام، لتقوى شوكتهم[5]. و لم يقولوا ذلك كراهة لأمر الله، ولكن لخوفـــهم من بأس المشركين ولركوهم إلى الدنيا وإيثار نعيمها على ما يكون من طبع البشر.

وقال الطبري عن مجاهد: إن الآية نزلت في اليهود[6]. وعليه تكون الآية مثالا ضربه الله للمؤمنين الذين أوجب عليهم القتال تحذيرا لهم في الوقوع في مثل ما وقع فيه اليهود.

والظاهر من السياق أن القتال المتحدث عنه —في هذه الآية- في قوله:﴿وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ﴾؟هو أول قتال أمر به المؤمنون. والآية ذكرتهم بذلك في وقت نزولها حين الاستعداد لأمر القتال بفتـح مكة. فهي تحكي قول فئة منهم لشدة خوفهم من القتال، فقالوا: ربنا لما فرضت علينا القتال؟ لولا تركتنا نموت موتا طبيعيا، ولو بعد أجل قريب، لأن القتل سفك الدماء.

وهذه الجملة نظير قوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾[7].

---

(1) جامع البيان، 638/6.

(2) النساء، 77.

(3) ينظر، الطبري، جامع البيان، 173/5، وابن عطية، المحرر الوجيز، 137/4، وأبو حيان ، البحر المحيط، 310/3.

(4) الكشاف، 544/1.

(5) ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 137/4، وابن عاشور، التحرير والتنوير، 126/5.

(6) ينظر، جامع البيان، 174/5.

(7)المنافقون، 10.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

حُقَّ للفعل بعد"لولا" أنْ يأتي مضارعا، وإنما جاء ماضيا لتأكيد وقوعه في قول القائل حتى كأنه تحقق.
وقرينة ذلك ترتيب فعلي"فأصدق وأكن"عليه؛ فهما يدلان على المستقبل.

والقائل هذا القول هو المؤمن بدليل السياق، وقد سأل ربه الرجعة إلى الدنيـــا ليعمـــل صالحـــا[1]، لعله يغفر له ذنوبه، ويدخله جناته.

ووصف"أجل"بـــ"قريب" تمهيدا لقبول الاستجابة بناء على ما هو معهود لدى البشر مـــن أن الأمـــر القليل أرجى لأن يستجاب له.

وانتصب فعل "فأصدّق" على إضمار"أن" المصدرية إضمارا واجبا. وقرأ أُبي: "فَـــأَتَصَدَّقَ[2]"علـــى الأصل. وقرئ: "وأكونَ[3]" بالنصب على موضع"فأصدق". والمعنى: هلا أمهلتني -يا رب- وأخرت موتي إلى مدة أخرى قصيرة، فأتصدقَ بمالي وأكونَ من الصالحين.

ويتضمن التحضيض معنى التمني. وهذا يدل على أن كل مفرط في شؤون الدنيا يندم حين الاحتضار، ويسأل ربه طوال المدة، ولو زمنا يسيرا ليستدرك ما فاته من عمل الخير.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) ينظر، القرطبي، الجامع، 130/18.

(2) ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 468/14، والرازي، مفاتيح الغيب، 18/30.

(3) ينظر، ابن خالويه، الحجة،ص 346، والقيسي، الكشف، 322/2، والداني، التيسير،ص 171، وابن الجزري، النشر، 388/2.

خصائص جملة التحضيض

أسفر الوصف عما يأتي:

1-ورود(ألاَ)، و(لولا)من مجموع أدوات التحضيض. وقد جاء بعد الأداة(ألا) فعل مضارع. أما(لولا)فجاء بعدها ماض ومضارع.

2-استعملت أداة العرض(ألاَ) المفتوحة الهمزة المخففة اللام للعرض والتحضيض كذلك، حيث دلت على طلب الفعل بشدة.

3-مطابقة نظام الجملة ودلالتها لما أقره النحاة؛ فقد جاء بعد الأداة (لولا) ماض فأفادت التوبيخ واللوم. وجاء بعدها مضارع فأفادت الحث، كما أن الأداة(ألاَ) ورد بعدها مضارع فأفادت الحث.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثالثا: جملة الدعاء

هي إحدى الجمل الطلبية بمفهوم النحاة والبلاغيين العرب.[1]

والدعاء :هو الطلب على سبيل التضرع والرحمة والعون والاستعانة، وما شابه ذلك. وهو "كـــالأمر والنهي فيه معنى الطلب، وإن كان لفظه لفظ الإخبار، تقول: جزاك الله خيرا، وغفر الله ذنبك".[2] أي: ليجزك الله خيرا وليغفر ذنبك.

والدعاء بصيغتي الأمر والنهي سبقت دراسته في الفصلين الأول والثاني. وإضافة لذلك فلدعاء أفعال، وله أيضا مصادر، وأسماء خاصة به تنوب عن الفعل وتقوم مقامه.[3] وأتناولها هنا بالدراسة.

وقد وردت جملة الدعاء في إحدى عشرة (11) جملة، توزع على نمطين:

النمط الأول: فعل دعائي بصيغة الماضي.

ورد في أربع جمل، نوزعها على الصور الآتية:

الصورة الأولى: مسند+مسند إليه+مضاف إليه.

وردت في قوله تعالى: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾.[4]

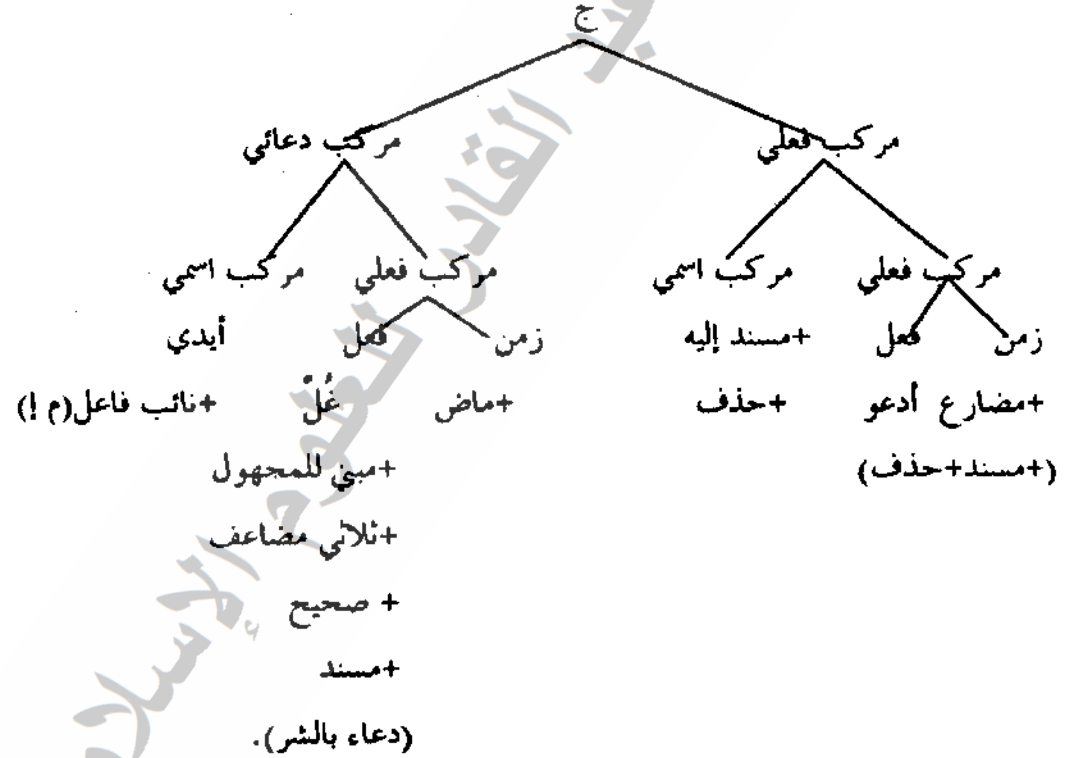

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) ينظر، تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ص85، وعبد السلام هارون، الأساليب الإنشائية، ص14، 16.

(2) مصطفى جطل، نظام الجملة عند اللغويين العرب في القرن الثاني والثالث للهجرة، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، ســـوريا، 1978، 1979، ص473، وينظر، عبد السلام هارون، الأساليب الإنشائية، ص16.

(3) ينظر، عبد السلام هارون، الأساليب الإنشائية، ص16-77، ومصطفى جطل، نظام الجملة عند اللغويين العرب، ص473.

(4) المائدة، 64.

تم حذف المركب الفعلي (أدعو) أو المركب الاسمي (دعائي) حذفا واجبا، كما تم حذف المسند إليه (الفاعل)، وعوض بركن التكملة (المفعول به)، فأخذ حكمة الإعرابي، وهو الرفع.

هذه الجملة الدعائية معترضة–في هذه الآية–بين جملة:﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ وبين جملة:﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾. وهي إنشاء ذم لليهود الذين قالوا تلك المقولة في الله ﷻ.

وهذا الدعاء على أسلوب العرب في أخذ الدعاء من لفظ سببه أو نحوه، كقول رسول الله ﷺ : "عصيةُ عصتِ الله ورسوله، وأسلم سَلَّمَهَا الله، وغِفَارُ غفر الله لها".[1]

وقد روي في سبب نزول هذه الآية أن اليهود أصابتهم مجاعة، فقال فنحاص بن عازورا رأس يهود بني قينقاع: هذه المقالة.[2] ورددها عامة اليهود جهلا منهم، فرد الله عليهم، وأثبت لهم عكس ما يقولون: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾. ودعا عليهم بقوله:﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾. وهو دعاء عليهم بالبخل والنكد والإمساك عن الخير، فكانوا أبخل خلق الله وأنكدهم. ويجوز أن يكون دعاء عليهم بغل الأيدي حقيقة، يغللون في الدنيا أسارى، وفي الآخرة معذبين بأغلال جهنم.[3]

وهذا الدعاء يناسب جرمهم هذا، فإنهم ما تركوا فعل فاحشة أو منكر إلاّ اقترفوه، ولم يسلم منهم الأنبياء فقتلوهم، بل امتد أذاهم إلى الله ﷻ .

الصورة الثانية: مسند+ مسند إليه+مفعول به+مضاف إليه.

وردت في قوله تعالى: ﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾.[4]

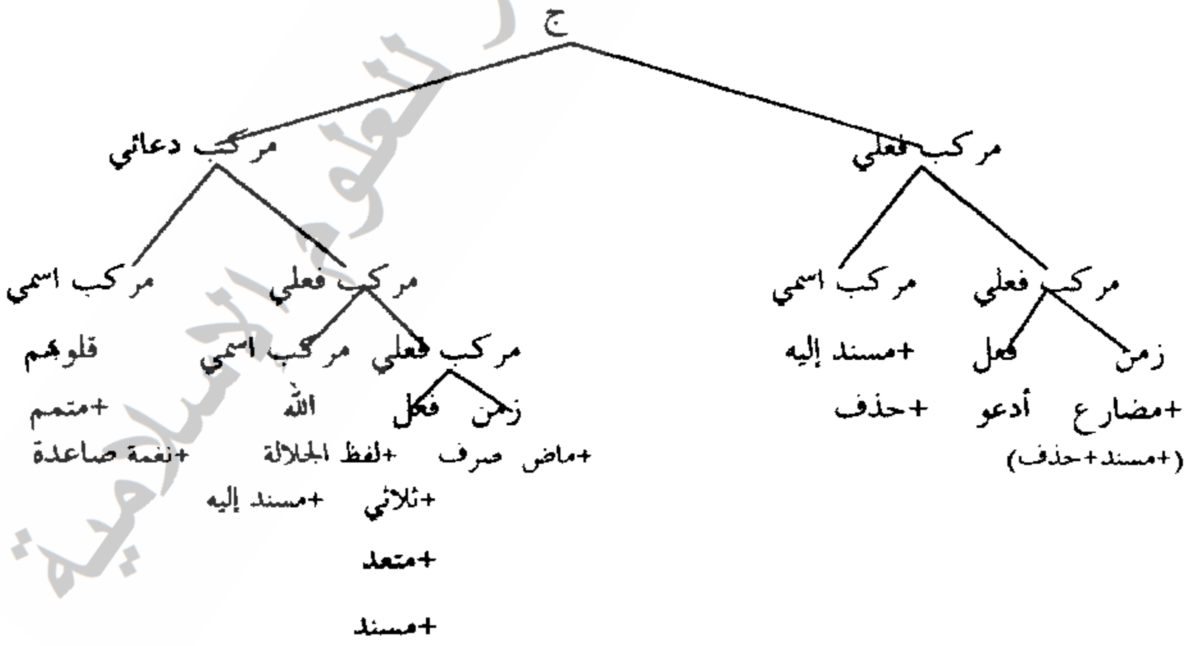

(1) أخرجه ابن حنبل في مسنده، 2/20–50.

(2) ينظر، ابن الجوزي، زاد المسير، 2/393، والقرطبي، الجامع، 6/238.

(3) ينظر، الزمخشري، الكشاف، 1/627،628.

(4) التوبة، 127.

المدعو عليهم بالشر هم المنافقون بدلالة السياق، وهو دعاء عليهم بصرف قلوبهم عما في قلوب أهل الإيمان، قاله الفراء وبعض المفسرين. [1] وقال الزمخشري: "دعاء عليهم بالخذلان وبصرف قلوبهم عما في قلوب أهل الإيمان من الانشراح". [2]

فالله تعالى صرف قلوبهم عن الفهم بأمر تكويني، وكان ذلك عقابا لهم بسبب أنهم لا يفهمون دلائل عظمة الله، ولا يتدبرون القرآن، ولا يفقهون ما يتضمنه مما يوجب إيمانهم إيمانا صحيحا.

الصورة الثالثة: مسند+ مفعول به+ مسند إليه.

وردت في قوله تعالى:﴿ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ﴾. [3]

الدعاء موجه لليهود والنصارى في سورة "التوبة"، و للمنافقين في سورة "المنافقون"، وذلك بدلالة السياق.

وهذا الدعاء مستخدم في التعجب، وهو مركب يستعمل في التعجب من عمل شنيع. والمفاعلة فيه للمبالغة في الدعاء، والتقدير: قتلهم الله قتلا شديدا[4]. أي: عاقبهم الله وأهلكهم.

النمط الثاني: دعاء بالمصدر.

ورد في سبع جمل، يمكن أن يوزع وفق الصور الآتية:

الصورة الأولى: مصدر دعائي منصوب حذف عامله(مفعول مطلق)+جار ومجرور.

وردت في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ﴾. [5]

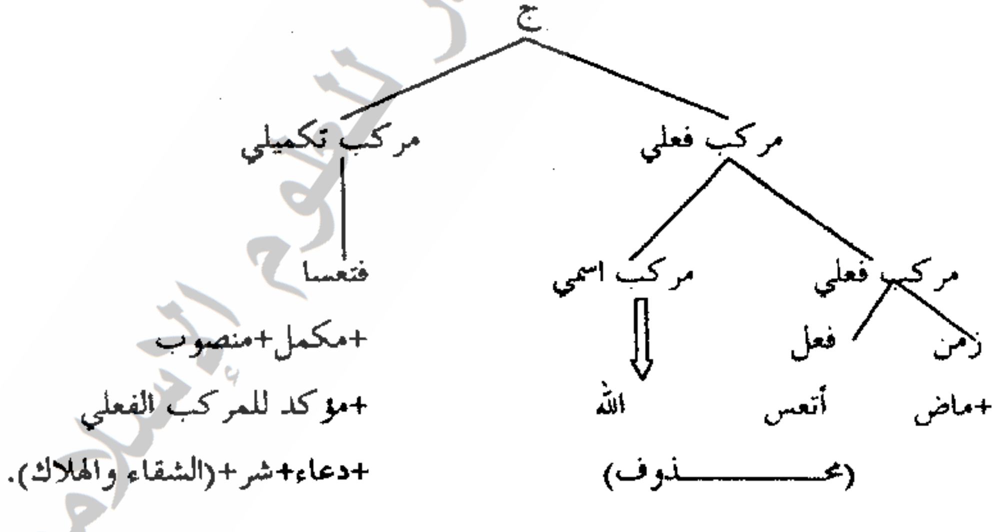

(1) ينظر، معاني القرآن، 455/1، والقرطبي، الجامع، 300/8.

(2) الكشاف، 223/2.

(3) التوبة، 30، والمنافقون، 4.

(4) ينظر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، 169/10.

(5) محمد، 8.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المركب الدعائي: "فتعسا لهم" مستخدم في الدعاء على " الذين كفروا". والمراد بـ"الذين كفروا" -كما ورد عن ابن عباس- الكافرون "بمحمد ﷺ والقرآن، وهم المحرضون يوم بدر".[1]

وقد تم تحويل تركيب المفعول المطلق من البنية العميقة إلى البنية السطحية عن طريق الحذف، ثم حذف المركب الفعلي "أتعس الله" بجميع مكوناته لإفادة الدعاء. وتم اختصار مركب المفعول المطلق من تراكيبه المؤلفة له إلى مجرد مركب اسمي في حالة النصب فقط، وهو المركب "تعسا"، فانتصب على المفعول المطلق بدلا من فعله.[2] والتقدير: فتعسوا تعسهم، أو أتعسهم الله تعسا. وهو من إضافة المصدر إلى فاعله، نحو: بؤسا له، وويلا له، وويحا له، وتبا له.[3] وقصد من الإضافة اختصاص التعس بهم. ثم أدخلت على الفاعل لام التبيين، فصار "فتعسا لهم"، والجار والمجرور متعلقان بالمصدر"تعسا"، أو بالفعل المحذوف.

وجوز الزمخشري نصب المصدر "تعسا" بفعل قول محذوف، تقديره: "فقال الله: تعسا لهم".[4]

واختلف المفسرون في معنى "فتعسا لهم"، فقال ابن عباس: "فنكسا لهم وبعدا لهم".[5] وقال الطبري: "فخزيا لهم وشقاء وبلاء".[6] وقال ابن عطية: "عثارا لهم وهلاكا".[7] وهذه المعاني كلها تدور حول معنى الشقاء.

ومعنى الجملة: الشقاء والهلاك للكافرين في الدنيا والآخرة؛ فإن جزاءهم الخيبة والخزي والهزيمة في الدنيا، والعذاب في الآخرة بسبب كراهيتهم ما أنزل الله من الكتب والشرائع.

الصورة الثانية: مسند إليه+جار ومجرور(مسند)+أداة عطف+معطوف(مسند إليه)+مضاف إليه.

وردت في قوله تعالى: ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾[8]

الدعاء للمؤمنين بقرينة قوله:﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ . . . ﴾.

ورد المصدر الدعائي "طوبى" مبتدأ مرفوعا بضمة مقدرة متلوا بجار ومجرور "لهم" في محل رفع خبر، أو هما متعلقان بالخبر المحذوف، والتقدير: طوبى كائنة للذين آمنوا وعملوا الصالحات. والمعنى: لهم طوبى.[9]

ويؤيد رفع "طوبى"، قراءة "حُسْنُ" بالرفع على العطف.[10]

---

(1) تنوير المقباس، ص538.

(2) ينظر، سيبويه، الكتاب، 312/1.

(3) ينظر، الخليل، الجمل في النحو، ص86، وسيبويه الكتاب، 332/1، 333، والسامرائي، من أساليب القرآن، ص26، 27.

(4) الكشاف، 532/3.

(5) تنوير المقباس، ص538.

(6) جامع البيان، 310/26.

(7)المحرر الوجيز، 390/13.

(8)الرعد، 29.

(9)ينظر، القرطبي، الجامع، 315/9.

(10)ينظر، الزمخشري، الكشاف، 359/2، والرازي، مفاتيح الغيب، 41/19.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وقد صح الابتداء بالمصدر "طوبى" وهو نكرة، لأنه يفيد الدعاء كـ"سلام عليك"، و "ويل لـك". كذا قال سيبويه.[1] وقال مصطفى جطل: إنه "مصدر نكرة مرفوعة".[2] ملازم للإفراد، وهو مشتق من الطيب، كان في الأصل "طُيْبَى" فصير إلى الواو لمكان الضمة قبلها؛[3] كما قالوا في موسر وموقن، وهو بوزن "فُعْلَى" نحو: بشرى، وزلفى، وعقبى.[4]

وقرأ مكوزة أو بكرة الأعرابي: "طِيبى لهم" بكسر الطاء، لتسلم الياء من القلب، وإن كان وزنها "فِعلى"[5] وهي لغة من اللغات غير المنسوبة.[6]

واختلف القائلون في مدلول "طوبى"، فقال ابن عباس: "فرح وقرة عين".[7] وعن قتادة قال: "حسنى لهم".[8] وعن الضحاك قال: "غبطة لهم".[9] وهذه الأقوال متقاربة، والمعنى: الخير الكامل للمؤمنين، لأنهم اطمأنت قلوبهم بالذكر؛ فهم في طيب حال في الدنيا بالاطمئنان، وفي الآخرة بالنعيم الدائم وهو حسن المرجع.

ويماثل هذه الصورة قوله: ﴿ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾.[10]

الجملة تتألف من مسند إليه "أولى"، وهو نكرة، ومسند"لهم"، وهو جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر. وجاز الابتداء بالنكرة، لأن الجملة دعائية. والضمير في: "لهم" عائد-في هذه الآية-إلى﴿الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾. وهم المنافقون، لأن هذا الوصف يصدق عليهم.

وقيل: إن لفظ "أولى" وزنه "أفلع"، وفيه قلب، لأنه من " الويل".[11]

وقال الزمخشري: في مضمون هذه الجملة "وعيد بمعنى فويل لهم، وهو أفعل من الوَلْي، وهو القرب، ومعناه الدعاء عليهم بأن يليهم المكروه"،[12] ويؤول إليه أمرهم.

---

(1)ينظر، الكتاب، 331/1.

(2)نظام الجملة عند اللغويين العرب، ص475.

(3)ينظر، الحريري، درة الغواص في أوهام الخواص، ص59، والسامرائي، من أساليب القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1987، ص22، 23، و ينظر له، من أساليب العربية في الدعاء، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد المزدوج، (15، 16)، السنة الخامسة، 1982، ص75.

(4)ينظر، الزمخشري، الكشاف، 359/2، و أبو حيان، البحر المحيط، 380/5.

(5)ينظر، الزمخشري، الكشاف، 359/2، وأبو حيان، البحر المحيط، 380/5، 381.

(6)ينظر، عبد العال سالم مكرم، القراءات القرآنية، ص41.

(7)ابن أبي طلحة، صحيفة عن ابن عباس في تفسير القرآن الكريم، ص299.

(8)أخرجه الطبري في جامع البيان، 380/13.

(9) المصدر السابق، 380/13.

(10)محمد، 20.

(11)ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 405/13، و أبو حيان، البحر المحيط، 72/8.

(12) الكشاف، 535/3، 536.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وقال ابن جزي الكلبي:"وهي كلمة معناها التهديد والدعاء عليهم".[1]وهي نظير مـــا ورد في قولــه تعالى:﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴾.[2]وقد استحق أولئك المنافقون الدعاء عليهم بالهلاك، لأنهم كرهوا القتال في سبيل الله.

الصورة الثالثة: مسند إليه+مضاف إليه+جار ومجرور(مسند).

تظهر هذه الصورة في قوله تعالى: ﴿ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾.[3]

تتألف الجملة من فاء الاستئناف، ومسند إليه "لعنة" مضاف إلى لفظ الجلالة "الله"، وجـــار ومجـــرور "على الكافرين"، متعلق بمحذوف خبر (مسند).

والدعاء باللعنة على الكافرين بقرينة لفظ "الكافرين" في هذه الجملة الدعائية. واللعنة من مادة "لعن"، واللعن واللعنة: الطرد والإبعاد عن الرحمة والخير. واللعنة: الاسم، والجمع لعان ولعنات،[4] وحصلت للكافرين اللعنة عقابا على تصميمهم على الكفر وعن الإعراض عن الحق.

و"ال" التعريف في "الكافرين" للاستغراق بقرينة مقام الدعاء، فيشمل المتحدث عنهم، وهم الكـافرون وأمثالهم، لأنهم جملة أفراد هذا العموم.

وأضيفت "اللعنة" إلى "الله" تعالى على سبيل التخصيص والمبالغة، لأن من لعنه الله تعالى هو الملعـــون حقيقة. و لم يكتف ﷻ باللعنة حتى جعلها مستعلية عليهم، كأنه شيء أتاهم من أعلاهم فغشيهم، فـــأضحوا تحته. وقد نبه تعالى على علة هذه اللعنة، وهي الكفر في الآيـــة قبـل هـــذه الجملـــة، وذلـــك في قولـــه: ﴿ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ ﴾.

ويماثل هذه الصورة قوله تعالى: ﴿ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ﴾.[5]

تختلف هذه الجملة عن سابقتها من هذه الصورة في أن المسند إليه "دائرة" المضاف إلى "السوء" تـــأخر جوازا، وتقدم الجار و المجرور (عليهم)، و هما متعلقان بمحذوف خبر (مسند).

وفي معنى الجملة دعاء وتحقير على جماعة من أهل البدو من العرب، وكانوا يتربصون بالمؤمنين الدوائر، ليتخلصوا من أعباء النفقة، وذلك بقرينة لفظ "الأعراب"-في هذه الآية-في قوله:﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ ﴾.

---

(1)التسهيل، 342/2.

(2)القيامة، 34.

(3)البقرة، 89.

(4)ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 387/13، (لعن).

(5)التوبة، 98.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قال الواحدي: إن الآية "نزلت في أعاريب من أسد وغطفان، وأعاريب من أعاريب حاضري المدينة".[1]

والدعاء-في الجملة-من الله تعالى عليهم قضاء وقدر. "وكل ما كان بلفظ دعاء من جهة الله ﷻ، فإنما هو بمعنى إيجاب الشيء، لأن الله لا يدعو على مخلوقاته وهي في قبضته"،[2] بل يقول للشيء: كن فيكون، لأنه لا يعجزه شيء.

وهذا الدعاء مشوب بإهانة جزاء ما يتربصون بالمؤمنين. والمعنى: قولوا-أيها المؤمنين-عليهم دائرة السوء.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو: "السُّوء" بضم السين، وباقي السبعة بالفتح.[3] والسوء: من باب القبح،[4] وهو الشيء المكروه، وهو-هنا-الشر والعذاب. والمعنى في القراءتين واحد. فالفتح مصدر، قال الفراء: سوأته سوء ومساءة وسوائية، والضم الاسم.[5]

وأضيف المسند إليه "دائرة" إلى "السوء" للمبالغة والتأكيد. وحقيقة الدائرة ما تدور به الأيام، وهي انقلاب النعمة إلى نقمة. ووصفت بالمصدر كما قالوا: رجل سَوْءٍ في نقيض رجل صدق. ولا يجوز ضم السين في قولهم: رجل سَوْءٍ قاله أكثرهم.[6] وقد حُكِي بضم السين، ومنه قول الفرزدق:

كُنْتَ كَذِئْبِ السُّوءِ لَمَّا رَأَى دَمًا ... بِصَاحِبِهِ يَوْمًا، أَحَالَ عَلَى الدَّمِ.[7]

ويتضح مما سبق أن كلمة "السوء" بضم السين وبفتحها فيها لغتان، وهما بمعنى واحد.

الصورة الرابعة: مسند إليه+مسند+جملة مضارعية(صلة الموصول)+أداة عطف+جملة مضارعية معطوفة+جملة تعليلية.

وردت في قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾.[8]

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) أسباب النزول، ص218.

(2)ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 8/7.

(3)ينظر، ابن خالويه، الحجة، ص177، وأبوزرعة، حجة القراءات، ص321، 322، وابن عطية، المحرر الوجيز، 7/ 8، وابن الجزري، النشر، 280/2.

(4)ينظر، ابن فارس، مقاييس اللغة، 113/3، (سوء).

(5)ينظر، معاني القرآن، 450/1.

(6)ينظر، أبو زرعة، حجة القراءات، ص322، وابن عطية، المحرر الوجيز، 8/7، وأبو حيان، البحر المحيط، 95/5.

(7)الديوان، 187/2.

(8)البقرة، 79.

الدعاء بـ"الويل" على أهل الكتاب؛ فقد ذكر الواحدي أن الآية "نزلت في الذين غيروا صفة النبيﷺ وبدلوا نعته".[1]

و الدعاء يتمثل في لفظ "ويل" الذي بمعنى: العذاب.[2] وقال سيبويه: الويل يقال لصاحب الشر والهلكة.[3]

وارتفع "ويلٌ" بالابتداء، وجاز الابتداء به، وإن كان نكرة، لأن فيه معنى الدعاء، كقولك: سلام عليك، وخير له، وشر له.[4] والجار والمجرور بعده متعلقان بمحذوف خبر (مسند).

والمصدر "ويل" لا فعل له من نوعه، لذلك "لا يقوى النصب في هذا النوع الذي لا فعل له من لفظه قوة ما قبله، أي ما له فعل من لفظه، لذلك كثر فيه الرفع، تقول: ويل له، وويب، وويح".[5]

وجيء بجملة مضارعية "يكتبون الكتاب بأيديهم" تفسيرا لاسم الموصول " الذين" المراد به أهل الكتاب الذين أسندت الكتابة إليهم.

وذكر "بأيديهم" تأكيدا لأمر الكتابة، لأن الكتابة لا تكون إلاّ باليد، والمراد أنهم باشروا ذلك بأنفسهم، و لم يأمروا به غيرهم، حيث كانوا يكتبون ما لم يأتهم به رسلهم.

ثم جيء بجملة معطوفة بـ"ثم" الدالة على الترتيب؛ لأن هذا القول جعلهم يستحقون الدعاء من كتابة الكتاب بأيديهم. ثم جيء بجملة تعليلية "ليشتروا به ثمنا قليلا". والثمن المراد-هنا-هو إرضاء العامة بأن بدلوا لهم أحكام الدين على ما يناسب طموحاتهم وأهوائهم مع أنهم جاهلون، فقد وضعوا كتبا تافهة ليتصدروا بها مجامعهم.

وفي معنى التركيب توعد لأولئك المضللين من اليهود الذين يحرفون كلام الله. وفيه-أيضا-تحذير لأمة الإسلام من الفتاوى الباطلة التي تحرم ما أحل الله أو تحلل ما حرمه ليبلغ بها صاحبها إلى غرض دنيوي.

وتكرر الدعاء عليهم بالويل تغليظا لفعلهم-في هذه الآية-في قوله: ﴿ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾.

وفي مضمون هذه الجمل إيماء إلى ما كان في بني إسرائيل من تلاشي التوراة، فقد بدلوه على أيديهم.

(1)أسباب النزول، ص22.

(2)ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 737/11، (ويل)، و عبد السلام هارون، الأساليب الإنشائية، ص77، والسامرائي، من أساليب القرآن، ص39.

(3)ينظر، الكتاب، 331/1.

(4)ينظر، المصدر السابق، 331/1، والقرطبي، الجامع، 8/2.

(5)عبد السلام هارون، الأساليب الإنشائية، ص77، وينظر، ابن جني، الخصائص، 392/1.

خصائص جملة الدعاء

أسفر الوصف عما يأتي:

1-تنوع أنماط الجملة الدعائية؛ فقد تم الدعاء بالمصدر وبالأسماء المدعو بها من الصفات، وبالفعل الماضي الدال على الاستقبال.

2-تنوع الجملة الدعائية، حيث وردت في بنى نحويه متعددة، وغالبا ما كان الفعل متلوا بمفعول به (ضمير متصل)، وفاعل لفظ الجلالة (الله)، كالصورة الثالثة.

3-ورود الدعاء بنوعيه، دعاء بالخير على المؤمنين، ودعاء بالشر على الكفار والمنافقين.

4-اتسمت الجملة الدعائية بالإيجاز غالبا، واتصفت بالطول أحيانا بسبب الاستخدامات العطفية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خاتمة البحث

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخاتمة

تتلخص أهم النتائج التي توصل إليها البحث فيما يأتي :

1- يثبت البحث أن الجملة الطلبية السائدة في السور المدنية هي الجملة الأمرية؛ فهي تشكل النسبة الأغلب في بناء هذه الجملة، وتليها جملة الاستفهام، ثم النداء، ثم النهي...

2- ورود جملة الأمر بصيغة فعل الأمر (افعل)، وبالمضارع المقرون بلام الطلب، وباسم فعل الأمر، وبالمصدر النائب عن فعل الأمر. واعتمدت على التعليل بالأداة وبغيرها، وارتبطت في الغالب بالوجوب.

3- استناد جملة النهي على التعليل بالأداة وبغيرها، واتسمت بقوة التأثير في إقامة الحجة والبرهان، ووردت وجملة الأمر متعاقبتين في كثير من الأحيان.

4- الجملة الندائية مركبة من أداة نداء، ومنادى، ومضمون نداء. وهذا المضمون هو المقصود من النداء، ولذلك فهو عنصر أساسي في بنية الجمة الندائية.

5- استخدمت أداة النداء (يا) دون غيرها. ولعل مرد ذلك إلى أن هذه الأداة تمتاز بإطالة الصوت، لتجعل المتلقي يلتفت لتلقي الحكم الشرعي. ووردت هذه الأداة ظاهرة ومحذوفة.

6- ورود المنادى منصوبا أو مبنيا، وهذا النصب تطلبته أداة النداء، وليس على أساس المفعولية كما رأى بعض النحاة، لأنه لو ظهر الفعل الذي قدروه بـ"أنادي "، أو "أدعو" لتحولت جملة النداء من جملة طلبية إلى جملة خبرية، وذلك لا يقره الواقع اللغوي.

7- اتساع دائرة جملة النداء؛ فقد ضمت جل أنواع المنادى، وشملت النداء المشوب بالتعجب والاستغاثة.

8- اتسمت جملة الاستفهام بالحيوية، وذلك في إقامة الحوار بين المستفهِم و المستفهَم. وتميزت بتعدد أنماطها وصورها وقوة دلالاتها.

9- استخدمت همزة الاستفهام أكثر من أخواتها، ووردت مذكورة ومحذوفة، وأفادت الإنكار في أكثر الحالات.

10- يقل في جملة الدعاء عنصر الفعل الماضي، وهو دعاء بالشر. أما الدعاء بالمصدر فله نصيب أكبر، وهو دعاء بالشر غالبا.

11- تميز الجملة الطلبية -بوصف عام- بالطول. ويعود ذلك لتعدد العطف وتداخل الجمل. وهي تنهج -غالبا- الترتيب الأصلي في نظامها التركيبي. وإن وقع تقديم أو تأخير لبعض عناصرها فلِغرض لفظي أو بلاغي، كالعناية واجتناب الثقل والتأكيد والاختصاص ومراعاة الفاصلة؛ فقد كان للفاصلة القرآنية أثر واضح في ترتيب عناصر الجملة.

12- تمتاز الجملة الطلبية باحتوائها على ألفاظ الحياة ومفردات الواقع. ويتسم أسلوبها بالهدوء والنظرة البعيدة. وأكثر المواضيع التي تناولتها: الاجتماعية والسياسة والحروب وشؤون الحكم.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

13- يعد الحذف ظاهرة اتصفت بها الجملة، وهو يعبر عن الاقتصاد اللفظي في الأداء الكلامي. ويقدر العنصر المحذوف اعتمادا على المذكور في جمل مماثلة. أما إذا كان العنصر المحذوف لا مثيل له في أي جملة فالأفضل عدم تقديره.

14- ارتبطت أغلب الجمل بروابط لفظية، تقع قبل الجملة المرتبطة مباشرة دون فاصل، أو مقرونة بالنفي أو النهي، أو بأدوات الاستفهام. وهذه الروابط اللفظية هي أدوات العطف (النسق)، وأكثرها دورانا (الواو). وقد يقع الربط بين جملتين مستقلتين نحويا دون رابط لفظي. فيمكن التمييز حينئذ بين قسمين من الجمل المرتبطة دون رابط: قسم يمكن الاستغناء عنه كالجمل المفسرة والمعترضة دون اختلال المعنى أو فساده، ونوع لا يمكن الاستغناء عنه، ويظل المعنى على حاله دون تغيير. ومن هذا النوع الأمر وجوابه، والتمني وجوابه.

15- ارتضى البحث ما ارتآه بعض الباحثين من أن اختلاف القراءات وتنوعها أدى إلى سهولة حفظ القرآن وتيسير نقله على هذه الأمة. ومع كثرة هذا الاختلاف وتنوعه لم يتطرق إليه تناقض ولا تخالف ولا تضاد، بل يصدق بعضه بعضا، ويوضح بعضه بعضا، ويشهد بعضه لبعض على أسلوب واحد ونمط واحد.

16- تنوع الزمن النحوي للجملة، وهذا ما دلت عليه صيغ الأفعال وبعض القرائن الملازمة للجملة، فتبين أن الزمن في اللغة العربية زمن سياقي؛ فالسياق هو المجال المناسب لتحديده. وقد تبين أن الزمن خالد وبخاصة في الجمل التي دلت على أحكام تشريعية.

17-يثبت البحث أن بعض القراءات لها أثر في تفسير الجملة وبيان معناها، وبعضها ليس لها أثر في المعنى، وإنما الاختلاف يعود إلى أمر لغوي نحوي أو صرفي أو غير ذلك. ويثبت كذلك أن تعدد القراءات هو ضرب من الإعجاز القرآني، ولذلك لم يستطع عالم واحد أو علماء في عصر واحد الإحاطة به.

18-ورود التأكيد ومنه التأكيد بحروف الجر الزائدة، وأكثرها استخداما، (الباء) و (من)، وتكثر زيادتها في المسند إليه (الفاعل أو نائبه)، والمفعول به، والمسند إليه (المبتدأ)، والمسند (الخبر).

19-وردت الجملة بسيطة ومركبة، وقد استخدمت عناصر متممة مع العناصر الأساسية في الجملة البسيطة، وتجلت في ثلاثة أنواع: نوع مؤثر في مضمون الجملة ودلالتها كأدوات التأكيد والنسخ والتمني والاستفهام والنهي والتحضيض، وهي ترد في صدر الجملة، وإذا ورد منها اثنان متعاقبين، فالأسبقية لما له الصدارة كأدوات الاستفهام. ونوع من العناصر المتممة يأتي متضامنا مع غيره، فيكونان وحدة تركيبية غير محفوظة الرتبة في الجملة كالظرف ومدخوله، والمضاف والمضاف إليه، والجار والمجرور، واللواحق (التوابع) من نعت ومنعوته، ومعطوف ومعطوف عليه، وبدل ومبدل منه. ونوع من متممات الجملة يأتي متأخرا عن ركني الإسناد كالمفعول لأجله، والمفعول المطلق أو نائبه، والتمييز، والحال، والمستثنى بـ"إلاّ".

20-عرض البحث لمسألة تقديم المفعول به عن عامله في بعض صور الجملة (باب الاشتغال)، وتبين أن النحاة يعدون تقديم المفعول به عن الفعل وفاعله مع ذكر ضميره من باب الاشتغال. والسبب في نظرهم أن الفعل مشتغل عن العمل في المفعول به بالعمل في ضميره. وإذا صرفنا النظر عن هذا السبب اتضح لنا

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أن الأصل في المسألة هو المفعول المقدم، وأن ضميره شغل موقعه الأصلي قبل تقدمه حتى لا يكون عنصرا أجنبيا عن الجملة، ولكي لا نلجأ إلى الإعراب التقديري يمكن أن نقول: إن لهذه الجملة مفعولا واحدا، وهو المقدم، وأن الضمير ما هو إلاّ أثر صوتي يطابق ذلك المفعول ويعود عليه. ومن هنا ينبغي أن يعاد النظر في باب الاشتغال.

21-عرض البحث للخلاف في انتصاب الفعل المضارع بعد لام التعليل، ومال إلى رأي الجمهور في أن الناصب للمضارع (أن) مضمرة بدليل أنه يجوز إظهارها. أما بالنسبة للمضارع المنصوب بعد (حتى)، و (فاء) السببية، و(واو) المعية فيميل البحث إلى أن الناصب للفعل هي هذه الأدوات نفسها وذلك للابتعاد عن التقدير.

هذه بعض الظواهر اللغوية التي استوقفتني في السور المدينة، فقمت بتحليلها، و لم أقصر جهدا في تتبع نظام الجملة الطلبية التي ضمتها السور، فقد نظرت فيها مسلطا المعايير اللغوية والنحوية لفهم نظامها ومدلولها.

ويقترح البحث أخيرا استخدام مصطلحي "المسند إليه" و"المسند" في أي جملة سواء أكانت اسمية أم فعلية، عارية من العوامل أو داخلة عليها، فبدلا من أن يتعدد المسند إليه تحت تسميات مختلفة تابعة للعوامل الداخلة على الجملة كـ"الفاعل ونائبه"، واسم"كان"، واسم"إن"...وكلها تسميات لشيء واحد وإن تعددت. فإن تلك التسميات يمكن أن يصدق عليها مصطلح واحد، وهو المسند إليه، وكذلك الأمر بالنسبة للمسند، نجده تحت تسميات متعددة تبعا للعوامل، وهي في النهاية لا تدل إلاّ على شيء واحد، وهو المسند. وهذان المصطلحان ليسا بجديدين؛ فقد استخدمهما النحاة والبلاغيون العرب القدامى، والالتزام بهما يغني عن التسميات السابقة التي نسبت إلى العوامل مجازا، وصارت عرفا سائدا في النحو العربي رغم أنها لا تعبر عن الحقيقة.

وعسى أن أكون قد أعطيت هذا البحث حقه، وأن تكون ثمرته بقدر الجهد المبذول، وأرجو أن تستثمر اللسانيات في ممارسة النص القرآني الذي طالما قيدته الدراسة التقليدية.

والله نسأل أن يهدينا إلى سبيل الرشاد.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المصادر والمراجع

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثبت المصادر والمراجع*

أ-المصادر والمراجع العربية و المترجمة

المصحف الشريف برواية حفص.

-**الآمدي**، سيف الدين أبو الحسن، (ت 631هـ).

1-الإحكام في أصول الأحكام، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983.

-**ابن الأثير**، مجد الدين المبارك بن محمد الجزري، (ت 606 هـ).

2-النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، ومحمود الطناجي، دار الفكر، بيروت، (د.ت).

-**الأخطل**، أبو مالك غياث بن غوث بن الصلت بن عمر التغلبي، (ت 90هـ).

3- الديوان، صنعة السكري، تحقيق فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1979.

-**الأخفش**، سعيد بن مسعدة البلخي المجاشعي، (ت 215هـ).

4-معاني القرآن، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1985.

-**الإستراباذي**، رضي الدين محمد بن الحسن، (ت 686هـ).

5-شرح الكافية في النحو لابن الحاجب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995.

-**ابن إسحاق**، محمد بن يسار بن خيار، (ت 150هـ).

6-التفسير، جمع وترتيب محمد عبد الله أبو صعيليك، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1996.

-**الإسفراييني**، تاج الدين محمد بن أحمد، (ت 684هـ).

7-لباب الإعراب، تحقيق بهاء الدين عبد الرحمن، دار الرفاعي، الرياض، ط1، 1984.

-**الأصفهاني**، أبو الفرج علي بن الحسين بن مروان بن عبد مناف، (ت356هـ).

8-الأغاني، تحقيق لجنة من الأدباء بإشراف عبد الستار أحمد الفراج، دار الثقافة، بيروت، ط8، 1990.

-**الألوسي**، أبو الفضل شهاب الدين محمود، (ت 1270هـ).

9-روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، ضبطه وصححه علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1994.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

* اعتمدت في ترتيب مصادر البحث ومراجعه على ما اشتهر به المؤلف سواء اسمه أو كنيته أو لقبه، وذلك حسب ما عرف به لدى الباحثين، كما أنني فضلت طريقة إثبات أسماء المؤلفين-وهي الطريقة العلمية المثلى عند جل الباحثين-بدلا من الاعتماد على طريقة إثبات عناوين المصادر والمراجع ثم أسماء مؤلفيها.

-امرؤ القيس، بن حجر بن الحارث الكندي، (ت 80ق،هـ).

10-الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، 1986.

-الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن سعيد، (ت 577هـ).

11-الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه حسن حمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998.

12-أسرار العربية، تحقيق محمد بهجت البيطار، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، (د.ت).

13-الإغراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة في أصول النحو، تحقيق سعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت، ط2، 1971.

-الأنصاري، زكرياء بن محمد أحمد القاهري، (ت 926هـ).

14-فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، تحقيق بهاء الدين عبد الموجود، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، (د.ت).

-أنيس، إبراهيم.

15-من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلوالمصرية، القاهرة، ط6، 1978.

-الأهدل، محمد بن أحمد بن عبد الباري، (ت 1258هـ).

16-الكواكب الدرية على متممة الأجرومية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995.

-بازمول، محمد بن عمر بن سالم.

17-القراءات وأثرها في التفسير والأحكام، دار الهجرة بالرياض، السعودية، ط1، 1996.

-الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب، (ت 403هـ).

18-إعجاز القرآن، علق عليه أبو عبد الرحمن صلاح بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996.

-بحيري، سعد حسن.

19-ظواهر تركيبية في مقابسات أبي حيان التوحيدي، دراسة في العلاقة بين البنية والدلالة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1995.

-البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن المغيرة الجعفي، (ت 256هـ).

20-صحيح البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

-برجستراسر، جوتلف.

21- التطور النحوي للغة العربية، ترجمة رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض، 1972.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-بركات، محمد.

22-البلاغة، عرض وتوجيه وتفسير، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1983.

-بشر، كمال محمد.

23-علم اللغة العام/الأصوات، دار المعارف بمصر، ط7، 1980.

-البغدادي، أبو بكر أحمد بن الحسن بن شقير النحوي، (ت 317هـ).

24-المحلى "وجوه النصب"، تحقيق فائز فارس، مؤسسة الرسالة، بيروت، دار الأمل، الأردن، ط1، 1987.

-البغدادي، عبد القادر بن عمر بن الحاج أحمد، (ت 1093هـ).

25-خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط3، 1989.

-البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء، (ت 510هـ).

26-معالم التنزيل في التفسير والتأويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993.

-البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر، (ت 885هـ).

27-نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995.

-بهنساوي، حسام.

28-القواعد التحويلية في ديوان حاتم الطائي، مكتبة الثقافة الدينية، ودار المناهل، القاهرة، (د.ت).

-بياجيه، جان.

29-البنيوية، ترجمة عارف منيمنة، وبشير أوبري، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط2، 1980.

-البيضاوي، ناصر الدين بن عمر بن محمد الشيرازي، (ت 691هـ).

30-أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الجيل، بيروت، (د.ت).

-البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي، (ت 458).

31-السنن الكبرى، دار المعرفة، بيروت، 1992.

-الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن شورة، (ت 279هـ).

32-الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت). والجزء الثالث تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (د.ت).

-تشومسكي، نوم.

33-مظاهر النظرية النحوية، ترجمة مرتضى جواد باقر، دار الرشيد، بغداد، 1983.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-توامة، عبد الجبار.

34-القرائن المعنوية في النحو العربي، رسالة دكتوراه في النحو العربي، مكتوبة بالإعلام الآلي،جامعة باتنة، السنة الجامعية، 1994، 1995.

-الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، (ت 875هـ).

35-الجواهر الحسان في تفسير القرآن، حققه أبو محمد الغماري الإدريسي الحسني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996.

-الجرجاني، أبو بكر عبد القادر بن عبد الرحمن، (ت 471هـ).

36-دلائل الإعجاز في علم المعاني، تصحيح الشيخ محمد عبده، ومحمد محمود الشنقيطي، ومراجعة محمد رشيد رضا، دار الكتب العليمة، بيروت، (د.ت).

37-أسرار البلاغة في علم البيان، تصحيح محمد عبده، تعليق محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، (د.ت).

-الجرجاني، علي بن محمد، (ت 816هـ).

38- التعريفات، ضبطه محمد بن عبد الحكيم القاضي، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1991.

-جرير، ابن عطية الخطفي، (ت 114هـ).

39-الديوان، دار صادر، بيروت، 1986.

-الجزائري، أبو بكر جابر.

40-أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط2، 1996.

-ابن الجزري، أبو الخير محمد، (ت 833هـ).

41-النشر في القراءات العشر، تصحيح ومراجعة علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

42-غاية النهاية في طبقات القراء، عنى بنشره ج.برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1982.

-الجصاص، أبو بكر أحمد بن علي الرازي، (ت 370هـ).

43-أحكام القرآن، ضبط وتخريج عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1994.

-جطل، مصطفى.

44-نظام الجملة عند اللغويين العرب في القرنين الثاني والثالث للهجرة، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، سوريا، 1978، 1979.

-جعفر، عبد الوهاب.

45-البنيوية في الأنثروبولوجيا وموقف سارتر منها، دار المعارف بمصر، 1980.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-الجندي، درويش.

46-علم المعاني، دار نهضة مصر، القاهرة، (د.ت).

-ابن جني، أبو الفتح عثمان، (ت 392هـ).

47-الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، (د.ت).

48-المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، حققه علي النجدي ناصف، وزميلاه، لجنة إحياء التراث الإسلامي بالقاهرة، 1969.

49-اللمع في العربية، تحقيق حامد مؤمن، عالم الكتب، بيروت، ومكتبة النهضة العربية، بيروت، ط2، 1985.

-ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين، (ت 597هـ).

50-زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1984.

51-التبصرة، تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1993.

-ابن الحاجب، جمال الدين أبو عمرو، (ت 646هـ).

52-الأمالي النحوية، تحقيق عدنان صالح مصطفى، دار الثقافة، الدوحة، ط1، 1986.

-الحاكم، أبو عبد الله النيسابوري، (ت 405هـ).

53-المستدرك على الصحيحين، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت).

-حجازي، محمود فهمي.

54-علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1970.

-الحريري، أبو محمد القاسم بن علي، (ت 516هـ).

55-درة الغواص في أوهام الخواص، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار النهضة مصر بالفجالة، القاهرة، (د.ت).

-ابن حزم، أبو محمد علي، (ت456هـ).

56-المحلى بالآثار، تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

-حسان، تمام.

57-مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة بالدار البيضاء، المغرب، 1979.

58-اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1979.

59-البيان في روائع القرآن، عالم الكتب بالقاهرة، ط1، 1993.

-حسان، بن ثابت بن المنذر الخزرجي، الأنصاري، (ت 54هـ).

60-الديوان، حققه وليد عرفات، دار صادر بيروت، 1974.

جمعية المكنز عبد القادر للعلوم الإسلامية

-حسن، عباس.

61-النحو الوافي، الجزء الأول والثاني دار المعارف بمصر، ط8، 1986، والثالث والرابع، دار المعارف بمصر ط7، 1986.

-الحمصي، أحمد فائز.

62-قصص الرحمن في ظلال القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1995.

-الحموز، عبد الفتاح أحمد.

63-التأويل النحوي في القرآن الكريم، رسالة دكتوراه مطبوعة، (1980، 1981)، مكتبة الرشيد بالرياض، السعودية، ط1، 1984.

-الحناش، محمد.

64-البنيوية في اللسانيات، دار الرشاد، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1980.

-ابن حنبل، أحمد بن محمد الشيباني، (ت 241هـ).

65-المسند، دار صادر، بيروت، (د.ت).

-أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، (ت 745هـ).

66-البحر المحيط، دراسة وتحقيق وتعليق عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض؛ وشارك في تحقيقه زكرياء عبد المجيد النوتي، أحمد النجولي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993.

67-النهر الماد من البحر المحيط، تقديم وضبط بوران الضناوي، وهديان الضناوي، دار الجنان، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط1، 1987.

68-تذكرة النحاة، تحقيق عفيف عبد الرحمن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1986.

69-النكت الحسان في شرح غاية الإحسان،تحقيق ودراسة عبد الحسين الفتلي،مؤسسة الرسالة،بيروت،ط1، 1985.

-الخازن، علاء الدين علي بن محمد، (ت 725هـ).

70-لباب التأويل في معاني التنزيل، ضبطه وصححه عبد السلام محمد شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995.

-ابن خالويه،أبو عبد الله الحسين بن أحمد، (ت 370هـ).

71-إعراب القراءات السبع وعللها، تحقيق عبد الرحمن بن سليمان، العثمين، مطبعة المدني، القاهرة، ط1، 1992.

72-الحجة في القراءات السبع، تحقيق وشرح عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط6، 1996.

-الخطابي، محمد.

73-لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-**ابن خلكان،** أبو العباس شمس الدين، (ت 681 هـ).

74-وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، حققه إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د.ت).

-**خليل،** حلمي.

75-العربية وعلم اللغة البنيوي، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1995.

-**الخولي،** محمد علي.

76-قواعد تحويلية للغة العربية، الرياض، السعودية، 1981.

-**الخويسكي،** زين الدين.

77-الجملة الفعلية في شعر المتنبي، دار بور سعيد للطباعة، مصر، 1995.

-**الدارقطني،** علي بن عمر، (ت 385هـ).

78- السنن، دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، 1993.

-**الدارمي،** أبو محمد بن عبد الرحمن بن بهرام، (ت 255هـ).

79-السنن، دار الفكر، القاهرة، 1978.

-**الداني،** أبو عمرو عثمان بن سعيد، (ت 444هـ).

80-التيسير في القراءات السبع، عني بتصحيحه أوتويرتزل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996.

-**أبو داود،** سليمان بن الأشعث، (ت 275هـ).

81-سنن أبي داود، تحقيق محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996.

-**داود،** محمد علي.

82-علوم القرآن والحديث، دار البشير، عمان، 1984.

- **الدجني،** فتحي عبد الفتاح.

83-الإعجاز النحوي في القرآن الكريم، مكتبة الفلاح، الكويت، ط1، 1984.

-**درويش،** محي الدين.

84-إعراب القرآن وبيانه، دار الإرشاد، حمص، ط1، 1980.

-**دريد،** بن الصمة بن بكر بن خزاعة، (ت 8هـ).

85-الديوان، جمع وتحقيق وشرح محمد خير البقاعي، دار قتيبة، دمشق، 1981.

-**ابن الدهان،** أبو محمد سعيد بن المبارك النحوي، (ت 569هـ).

86-الفصول في العربية، حققه فائز فارس، دار الأمل، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1988.

- **ابن ذريل،** عدنان.

87-اللغة والدلالة آراء ونظريات، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1981.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-**الذهبي**، شمس الدين أبو عبد الله، (ت 748هـ).

88-معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، حققه وعلق عليه بشار عواد معروف، وآخران، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1984.

-**الرازي**، محمد بن عمر بن الحسين، (ت 604هـ).

89- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1990.

- **رشيد رضا**، محمد.

90-تفسير القرآن الكريم (تفسير المنار)، دار المعرفة، بيروت، 1993.

-**أبو الرضا**، سعد.

91-في البنية والدلالة، نشأة المعارف بالإسكندرية، مصر، (د.ت).

-**الرماني**، أبو الحسن علي بن عيسى، (ت 384هـ).

92-معاني الحروف، تحقيق عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، (د.ت).

93-رسالتان في اللغة (منازل الحروف، الحدود)، تحقيق وتعليق إبراهيم السامرائي، دار الفكر والتوزيع، عمان، 1984.

- **الرومي**، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان.

94-دراسات في علوم القرآن الكريم، مكتبة التوبة بالرياض، ط1، 1431هـ.

-**الزبيدي**، محمد بن محمد الحسيني، الشهير بمرتضى، (ت 1205هـ).

95-إتحاف السادة المتقين لشرح إحياء علوم الدين، دار الفكر للنشر والتوزيع، (د.ت).

-**الزجاج**، أبو إسحاق إبراهيم بن سهل، (ت 316هـ).

96-إعراب القرآن، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتب الإسلامية، ودار الكتاب المصري، ودار الكتاب اللبناني، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، ط2، 1982.

-**الزجاجي**، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق، (ت 340هـ).

97-الجمل في النحو، حققه وقدم له علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5، 1996.

-**الزحيلي**، وهبة.

98-التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط1، 1991.

-**أبو زرعة**، عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، (ت 403هـ).

99-حجة القراءات، تحقيق سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5، 1997.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-الزرقاني، محمد عبد العظيم.

100-مناهل العرفان في علوم القرآن، خرج أحاديثه ووضع حواشيه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996.

-الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، (ت 794هـ).

101-البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط3، 1980.

-الزعبلاوي، صلاح الدين.

102-مسالك القول في النقد اللغوي، الشركة المتحدة للتوزيع، سوريا، ط1، 1984.

-زكرياء، إبراهيم.

103-مشكلة البنية أو أضواء على "البنيوية"، دار مصر للطباعة، (د.ت).

-الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر، (ت 538هـ).

104-الكشاف عن حقائق التتريل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،دار الفكر،بيروت،ط1،1977.

105-المفصل في علم العربية، دار الجيل، بيروت، (د.ت).

106- أساس البلاغة، تحقيق عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، (د.ت).

-زهير، بن أبي سلمى، (ت 13ق.هـ).

107-الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، 1986.

-السامرائي، إبراهيم.

108-الفعل زمانه وأبنيته، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1983.

109-من بديع لغة التتريل، مؤسسة الرسالة، بيروت، ودار الفرقان، عمان، الأردن، ط2، 1986.

-ابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل، (ت 316هـ).

110-الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1988.

-السعران، محمود.

111-علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ت).

-السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي محمد بن علي، (ت 626هـ).

112-مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1987.

-السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد، (ت 375هـ).

113-بحر العلوم، حققه وعلق عليه علي معوض، وآخران، دار الكتب العليمة، بيروت، ط1، 1993.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-السمين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم بن محمد الحلبي، (ت 756هـ).

114-الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق وتعليق علي محمد معوض، وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1994.

-سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، (ت 180هـ).

115- الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ودار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1988، والجزء الرابع، ط2، 1982.

-السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، (ت 911هـ).

116-الإتقان في علوم القرآن، مراجعة وتدقيق سعيد المندوة، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط1، 1996

117-مفحمات الأقران في مبهمات القرآن، تحقيق إياد خالد الطباع، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1988.

118-همع الهوامع في شرح جمع الجوامع،تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1،1998.

119-الأشباه والنظائر في النحو، تحقيق عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1985.

120-معترك الأقران في إعجاز القرآن، ضبطه وصححه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1988.

121-الدر المنثور في التفسير بالمأثور، وبهامشه القرآن الكريم مع تفسير ابن عباس، دار المعرفة، بيروت، (د.ت).

122-المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرح وضبط محمد أحمد جاد المولى، وآخران، دار الفكر، بيروت، (د.ت).

123-أسباب النزول، مراجعة وضبط وتعليق محي الدين محمد بعيون، دار ابن زيدون للطباعة والنشر، بيروت، ط1، (د.ت).

124-الإكليل في استنباط التنزيل، تحقيق سيف الدين عبد القادر الكاتب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1985.

125-بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية بصيدا، بيروت، (د.ت).

126-قطف الأزهار في كشف الأسرار، تحقيق ودراسة أحمد بن محمد الحمادي، إدارة الشئون الإسلامية بالدوحة، ط1، 1994.

-الشاذلي، أبو السعود حسنين.

127-العناصر الأساسية للمركب الفعلي وأنماطها من خلال القرآن الكريم، دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية، مصر، 1991.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-**الشافعي**، أبو عبد الله بن إدريس، (ت 204هـ).

128-أحكام القرآن، جمعه أبو بكر أحمد النيسابوري، (ت 458هـ)، وكتب هوامشه عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلمية، بيروت، 1991.

-**شريم**، جوزيف ميشال.

129-دليل الدراسات الأسلوبية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1984.

-**أبو شهبة**، محمد بن محمد.

130- المفصل لدراسة القرآن الكريم، دار الجيل، بيروت، ط2، 1992.

-**الشوكاني**، محمد بن علي بن محمد، (ت 1250هـ).

131-فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، اعتنى به وراجع أصوله يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت، ط3، 1997.

-**الصابوني**، محمد علي.

132-تفسير آيات الأحكام من القرآن، دار القلم العربي، سورية، (د.ت).

-**الصبان**، محمد بن علي الشافعي، (ت 1206هـ).

133-حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ضبطه وصححه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997.

-**الطبرسي**، أبو علي الفضل بن الحسين بن الفضل، (ت 548هـ).

134-مجمع البيان في تفسير القرآن، وضع هوامشه وخرج آياته وشواهده إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1977.

-**الطبري**، أبو جعفر محمد بن جرير، (ت 310هـ).

135-جامع البيان في تأويل القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1992.

-**طحان**، ريمون.

136-الألسنية العربية (2)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1972.

-**ابن أبي طلحة**، علي بن المخارق، (ت 143هـ).

137-صحيفة عن ابن عباس في تفسير القرآن الكريم، تحقيق راشد عبد المنعم الرجال، دار الجيل، بيروت، ط2، 1994.

-**ابن عاشور**، محمد الطاهر.

138-تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، تونس، 1984.

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-عبادة، محمد إبراهيم.

139-الجملة العربية، دراسة لغوية نحوية، مطبعة نشأة المعارف بالإسكندرية، 1984.

-ابن عباس، عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، (ت 78هـ).

140-تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، دار الكتب العليمة، بيروت، ط1، 1992.

-ابن عبد السلام، أبو محمد عز الدين عبد العزيز السلمي، (ت 660هـ).

141-مجاز القرآن ويسمى الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، حققه محمد مصطفى بن الحاج، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ولجنة الحفاظ على التراث الإسلامي الجماهيرية العظمى، طرابلس، ط1، 1992.

142-تفسير القرآن، تحقيق وتعليق عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1996.

-عبد المطلب، محمد.

143-البلاغة والأسلوبية، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، 1984.

-أبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمي، (ت 210هـ).

144-مجاز القرآن، عارضه بأصوله وعلق عليه محمد فؤاد سركين، مكتبة الخانجي بالقاهرة، (د.ت).

-عتر، حسن ضياء الدين.

145-الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط1، 1988.

-عتيق، عبد العزيز.

146-علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت، 1985.

-ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله، (ت 543هـ).

147-أحكام القرآن، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، (د.ت).

-العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، (ت 852هـ).

148-فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق وتصحيح عبد العزيز بن عبد الله بن باز، إخراج وإشراف محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، (د.ت).

-العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، (ت 395هـ).

149-كتاب الصناعتين؛ الكتابة والشعر، حققه مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1984.

150-التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، تحقيق عزة حسن، دار صادر، بيروت، ط2، 1993.

-ابن عصفور، علي بن مؤمن بن محمد بن علي الإشبيلي، (ت 669هـ).

151-شرح جمل الزجاجي، تحقيق صاحب أبو جناح، دار إحياء التراث الإسلامي، الجمهورية العراقية، 1980.

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-عضيمة، محمد عبد الخالق.

152-دراسات لأسلوب القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1972.

-ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب عبد الرحمن، (ت 541هـ).

153-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، حقق الجزء الأول وعلق عليه الرحالي الفاروق وآخرون، الدوحة، ط1، 1977، وحقق الأجزاء من 2 إلى 15، السيد عبد العال السيد إبراهيم، الدوحة، ط1، 1991.

-ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد القريشي، (ت 769هـ).

154-شرح بن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، ط16، 1979.

-العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين، (ت 616هـ).

155-التبيان في إعراب القرآن، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط2، 1987.

156-اللباب في علل البناء والإعراب، الجزء الأول حققه غازي مختار طليمات، والجزء الثاني حققه عبد الإله نبهان، دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، دمشق، ط1، 1995.

157-إملاء مَا مَنَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جمع القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1979.

-العلوي، يحي بن حمزة بن علي بن إبراهيم، (ت 749هـ).

158-الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، (د.ت).

-عمايرة، خليل أحمد.

159-أسلوب النفي و الاستفهام-في منهج تحليلي وصفي-دار الفكر، بيروت، (د.ت).

160-آراء في الضمير العائد ولغة "أكلوني البراغيث"، دار البشير، عمان، ط1، 1989.

161-في نحو اللغة وتراكيبها (منهج وتطبيق)، عالم المعرفة، جدة، ط1، 1984.

-عمر، أحمد مختار، وآخرون.

162-النحو الأساسي، دار السلاسل، الكويت، ط1، 1984.

-عنترة، بن شداد بن عمرو بن معاوية العبسي، (ت 22ق.هـ).

163-الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، 1984.

-عيد، رجاء.

164-في البلاغة العربية، دار غريب للطباعة بالفحالة، القاهرة، (د.ت).

-الغرناطي، أحمد بن إبراهيم بن الزبير، (ت 708هـ).

165-ملاك التأويل، تحقيق سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1983.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-غلبون، أبو الحسن طاهر بن عبد المنعم، (ت 399هـ).

166-التذكرة في القراءات، تحقيق عبد الفتاح بحيري إبراهيم، مطابع الزهراء للإعلام العربي، القـاهرة، ط2، 1991.

-ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن زكرياء، (ت 395هـ).

167-الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، علق عليه ووضع حواشـيه أحمـد حسن بسبح، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997.

168-مجمل اللغة، دراسة وتحقيق زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1986.

169-مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991.

-الفراء، أبو زكرياء يحي بن زياد، (ت 207هـ).

170-معاني القرآن، حقق الجزء الأول محمد علي النجار، وأحمد يوسف نجاتي، وحقق الثاني محمـد علـي النجار، وحقق الثالث عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار السرور، (د.ت).

-الفراهيدي، الخليل بن أحمد، (ت 175هـ).

171-الجمل في النحو، تحقيق فخر الدين قباوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1985.

172-كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، العراق، 1982.

-الفرزدق، همام بن غالب بن صعصعة بن مجاشع التميمي، (ت 110هـ).

173-الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، 1984.

-فندريس، ج.

174-اللغة، ترجمة عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص، مطبعة لجنة البيـان العـربي، نشـر مكتبـة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1950.

-الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، (ت 817هـ).

175-بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلميـة، بـيروت، (د.ت).

176-القاموس المحيط، دار العلم للملايين، بيروت، (د.ت).

-القاسمي، محمد جمال الدين، (ت 1332هـ).

177-محاسن التأويل، ضبط وتصحيح محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997.

-القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم، (ت 356هـ).

178-الأمالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996.

-ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، (ت 276هـ).

179-أدب الكاتب، تحقيق وتعليق محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1996.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

180-تأويل مشكل القرآن، شرحه ونشره أحمد صقر، المكتبة العلمية، بيروت، ط2، (د.ت).

181-تفسير غريب القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1978.

-ابن قدامى، موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد، (ت 630هـ).

182-المغني، دار الكتاب العربي، بيروت، 1983.

-قدور، أحمد مكي.

183-مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، ودار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1996.

-القرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس، (ت 484هـ).

184-الاستغناء في الاستثناء، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1986.

-القرضاوي، يوسف.

185-المرجعية العاليا في الإسلام للقرآن والسنة، ضوابط ومحاذير في الفهم والتفسير، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1996.

-القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، (ت 671هـ).

186-الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1985.

-القزويني، جلال الدين ابو عبد الله محمد، (ت 739هـ).

187-الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

-القطامي، عمير بن شييم بن عمرو التغلبي، (ت 130هـ).

188-الديوان، تحقيق إبراهيم السامرائي، وأحمد مطلوب، دار الثقافة، بيروت، ط1، 1960.

-القطان، مناع.

189-مباحث في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1998.

-قطب، سيد.

190-في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، ط1، 1990.

-القنوجي، أبو الطيب صديق بن حسن بن علي الحسين، (ت 1307هـ).

191-فتح البيان في مقاصد القرآن، راجعه عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية، بيروت، ط2، 1995.

-القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب، (ت 437هـ).

192-مشكل إعراب القرآن، القسم الأول، تحقيق حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة بيروت، ط2، 1984.

193-الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5، 1997.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-ابن القيم الجوزي، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي، (ت 751هـ).

194-التفسير القيم، جمعه محمد أويس الندوي، وحققه محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

195-زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ومكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط27، 1994.

-الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن الدراني، (ت 764هـ).

196-فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د.ت).

-ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل، (ت 774هـ).

197-تفسير القرآن العظيم، أشرف على الطبع والتصحيح لجنة من العلماء، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1980.

-كفافي، محمد عبد السلام، وزميله.

198-في علوم القرآن، دراسات ومحاضرات، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ت).

-الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، (ت 1094هـ).

199-الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، قابله على نسخة خطية ووضع فهارسه عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1993.

-الكلبي، أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزي، (ت 741هـ).

200-التسهيل لعلوم التنزيل، ضبطه وصححه محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995.

-ابن كمال باشا، شمس الدين أحمد بن سليمان، (ت 940هـ).

201-أسرار النحو، تحقيق أحمد حسن حامد، دار الفكر، عمان، (د.ت).

-لاشين، عبد الفتاح.

202-التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر، دار المريخ للنشر، الرياض، (د.ت).

-ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (ت 273هـ).

203-السنن، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، العربي، بيروت، 1975.

-الماكري، محمد.

204-الشكل والخطاب (مدخل لتحليل ظاهراتي)، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، المغرب، 1991.

-المالقي، أحمد بن عبد النور، (ت 702هـ).

205-رصف المباني في شرح حروف المعاني، تحقيق أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1975.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-**ابن مالك**، جمال الدين محمد بن عبد الله الطائي الحياني الأندلسي، (ت 672هـ).

206-شرح التسهيل، تحقيق عبد الرحمن السيد، ومحمد بدوي المختون، دار هجر للطباعة والنشر، ط1، 1990.

-**الماوردي**، أبو الحسن بن حبيب، (ت 450هـ).

207-النكت والعيون، تفسير الماوردي، راجعه وعلق عليه السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

-**المبرد**، أبو العباس محمد بن يزيد، (ت 285هـ).

208-المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، (د.ت).

209-الكامل في اللغة والأدب، مكتبة المعارف، بيروت، (د.ت).

-**ابن مجاهد**، أحمد بن موسى بن العباس التميمي، (ت 324هـ).

210-كتاب السبعة في القراءات، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ط2، (د.ت).

-**المخزومي، مهدي**.

211-في النحو العربي نقد وتوجيه، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 1964.

-**المرادي**، الحسن بن قاسم، (ت 749هـ).

212-الجنى الداني في حرف المعاني، تحقيق فخر الدين قباوة، ونديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1992.

-**المراغي**، أحمد مصطفى.

213-تفسير المراغي، دار الفكر، بيروت، ط3، 1974.

-**مرتاض، عبد الملك**.

214-النص الأدبي من أين؟ إلى أين؟ ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.

-**المرتضى**، الشريف علي بن الحسن الموسوي العلوي، (ت 436هـ).

215-أمالي المرتضى، غرر الفوائد ودرر القلائد، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1967.

-**المرزباني**، أبو عبد الله محمد بن عدوان بن موسى الخرساني، (ت 384هـ).

216-معجم الشعراء، تحقيق عبد السلام فراج، القاهرة، 1960.

-**المرزوقي**، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن، (ت 421هـ).

217-شرح ديوان الحماسة، نشره أحمد أمين، وعبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-المسدي، عبد السلام، والطرابلسي، (الهادي).

218-الشرط في القرآن، الدار العربية للكتاب، طرابلس، تونس، 1980.

-مسلم، أبو الحسن بن الحاج القشيري النيسابوري، (ت 261هـ).

219-صحيح مسلم، بشرح النووي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995.

-المصري، فتح الله صالح.

220-الأدوات المفيدة للتنبيه في كلام العرب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1988.

-مصطفى، جمال الدين.

221-البحث النحوي عند الأصوليين، دار الرشيد، بغداد، 1980.

-ابن مضاء، أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن اللخمي، (ت 592هـ).

222-الرد على النحاة، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ط2، 1982.

-المطلبي، مالك يوسف.

223-في التركيب اللغوي للشعر العراقي المعاصر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام الجمهورية العراقية، 1981.

224-الزمن واللغة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1986.

-المفضل، بن محمد بن يعلى بن عامر بن سالم الضبي، (ت 168هـ).

225-المفضليات، تحقيق أحمد شاكر، وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف بمصر، ط4، 1964.

-مكرم، عبد العال سالم.

226-القراءات القرآنية وأثرها في الدراسات النحوية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1996.

-مكرم، عبد العال، وعمر، أحمد مختار.

227-معجم القراءات القرآنية مع مقدمة في القراءات وأشهر القراء، مطبوعات جامعة الكويت، ط1، 1982.

-المنصف، عاشور.

228-التركيب عند ابن المقفع في مقدمات كتاب كليلة ودمنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.

-ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن محمد بن مكرم، (ت 711هـ).

229- لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د.ت).

-الموسى، نهاد.

230-نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، دار البشير، ومكتبة وسام، عمان، الأردن، ط2، 1987.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-**مونان، جورج.**

231-مفاتيح الألسنية، عربة وذيله بمعجم عربي فرنسي الطيب البكوش، تونس، 1981.

-**النابغة، زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني، (ت 18ق.هـ).**

232-الديوان، تحقيق وشرح كرم البستاني، دار صادر، بيروت، (د.ت).

-**ابن الناظم، بدر الدين محمد بن عبد الله بن مالك، (ت 686هـ).**

233-ألفية بن مالك، تحقيق وضبط وشرح عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، (د.ت).

-**النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل، (ت 338هـ).**

234-إعراب القرآن الكريم، تحقيق زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1988.

235-معاني القرآن الكريم، تحقيق محمد علي الصابوني، مطبوعات مركز إحياء التراث، جامعة أم القرى، السعودية، ط1، 1410هـ.

-**النسائي، عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي، (ت 303هـ).**

236-السنن، بشرح جلال الدين السيوطي، ضبط وتصحيح عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995.

-**النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود، (ت 710هـ).**

237-مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ضبطه وخرج آياته وأحاديثه زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995.

-**النمر، عبد المنعم.**

238-علوم القرآن الكريم، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب البناني، بيروت، ط2، 1983.

-**نهر، هادي.**

239-التراكيب اللغوية في العربية، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1987.

240-آراء حول إعادة وصف اللغة ألسنيا، أشغال ندوة اللسانيات واللغة العربية، تونس، 13، 19 ديسمبر 1979، المطبعة الثقافية بتونس، 1981.

-**النيسابوري، محمود بن أبي الحسن، (ت 553هـ).**

241-إيجاز البيان عن معاني القرآن، دراسة وتحقيق حنيف القاسمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1995.

-**النيسابوري، نظام الدين بن الحسن بن محمد بن حسن، (ت 728هـ).**

242-تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ضبطه وخرج آياته وأحاديثه زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-**هارون، عبد السلام محمد.**

243-الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط2، 1979.

-**الهروي، أبو الحسن علي بن محمد النحوي، (ت 415هـ).**

244-اللامات، تحقيق وتعليق يحي علوان البلداوي، مكتبة الفلاح، الكويت، ط1، 1980.

-**ابن هشام، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد الأنصاري، (ت 761هـ).**

245-مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق ح.الفاخوري، دار الجيل، بيروت، ط2، 1997.

246-شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب،رتبه وعلق عليه وشرح شواهده عبد الغني الدقر، مؤسسة الرسالة، بيروت، الدار المتحدة، دمشق، ط2، 1994.

247-أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، قدم له ووضع فهارسه إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997.

-**الهندي، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين، (ت 975هـ).**

248-كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ضبطه وفسر غريبه بكري حياني، صححه ووضع فهارسه صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993.

-**الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري، (ت 468هـ).**

249-الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق وتعليق عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1994.

250-أسباب النزول، تعليق وتخريج مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط1، 1988.

-ابن يعيش، موفق الدين بن علي، (ت 643هـ).

251-شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، ومكتبة المتنبي، القاهرة، (د.ت).

ب-الدوريات

-**بكداش، كمال.**

1-التعبير الشفهي والتعبير الكتابي، مجلة الفكر العربي، العدد 9/8، السنة الأولى، 1979.

-**الحاج صالح، عبد الرحمن.**

2-مدخل إلى علم اللسان الحديث، مجلة في علم اللسان البشري، المجلد الأول (2)، معهد العلوم اللسانية والصوتية، جامعة الجزائر، 1971.

-**الحمزاوي، محمد رشاد.**

3-المصطلحات اللغوية الحديثة في اللّغة العربية، (عدد خاص)، حوليات الجامعة التونسية، العدد 14، 1977.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-السامرائي، إبراهيم.

4-من أساليب العربية في الدعاء، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد المزدوج (15-16)، السنة الخامسة، 1982.

-عمايرة، أحمد خليل.

5-البنية التحتية بين عبد القاهر الجرجاني وتشومسكي، مجلة الأقلام، دار الحرية للطباعة بغداد، العدد 9، 1982.

6-المعنى الدلالي والقاعدة النحوية(دراسة دلالية في تراكيب الاستفهام)، مجلة الآداب، جامعة قسنطينة، العدد4، 1997.

-ابن مالك، آمنة.

7-ظاهرة التنغيم في البحث الصوتي بين القديم والحديث، مجلة الآداب، جامعة قسنطينة، 1995.

-المهيري، عبد القادر.

8-الجملة في نظر النحاة العرب، حوليات الجامعة التونسية (تونس)، العدد الثالث، 1966.

جـ-المراجع الأجنبية

–BLOODMFIELD, leonard

1-Langage, London, 1973.

-HARRIS, Zellig

2-Methods in structure linguistics, Chicago, 1951.

-JESPERSEN,OTTO

3-The philosophy of language grammar, London, 1924.

-LYONS, John.

4-An introductory to theoreticals linguistics, c.u.p, 1968.

–MAPTINET, André.

5-éléments de linguistique générale, A.colin, paris, 1980.

6-syntaxe génerale. Armand. Colin. Paris 1985.

PIAGET,Jean.

7-le structuralisme, presses universitaire de France, Paris, 1974.

–ROBINS.R.H.

8- general Linguistics, An introductory survey, London, 1924.

–SAPIR,Edward

9-Linguistique, l'éditions de minuit, Paris, 1968.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الموضوعات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الموضوعات

الصفحـــة

مقدمة : .... أ، ب، ج

مدخل: 1–16

–مفهوم (بنية) و(جملة)

–الفرق بين مفهومي (المكي) و (المدني) في القرآن الكريم

أولا: مفهوم (بنية) لغة واصطلاحا.................................. 2

ثانيا: مفهوم (الجملة) عند اللغويين العرب والغربيين.................. 6

ثالثا: المراد بالسور المدنية.. 16

الفصل الأول : جملة الأمر.. 18-105

جملة الأمر.. 19

النمط الأول: جملة الأمر بصيغة (افعلْ)................................ 19

النمط الثاني : المضارع المقرون بلام الطلب............................ 83

النمط الثالث: المصدر النائب عن فعل الأمر........................... 95

النمط الرابع: جملة الأمر بصيغة (اسم الفعل)......................... 98

خصائص جملة الأمر.. 102

الفصل الثاني: جملة النهي.. 106 –164

جملة النهي.. 107

صور جملة النهي.. 107-160

خصائص جملة النهي.. 161

الفصل الثالث: جملة النداء 165-251

جملة النداء.. 166

النمط الأول: أداة نداء+ منادى (مركب وصفي و بياني)+ مضمون النداء......... 166

النمط الثاني: مضمون النداء+أداة نداء (محذوفة)+منادى (مركب وصفي وبياني) 206

النمط الثالث: أداة نداء+ منادى (مركب إضافي)+ مضمون النداء 209

النمط الرابع: أداة نداء (محذوفة)+ منادى (مركب إضافي)+ مضمون النداء........ 224

النمط الخامس: أداة نداء + منادى (اسم علم)+ مضمون النداء.................. 236

النمط السادس: أداة نداء+ منادى (مستغاث)+ مضمون النداء.................. 246

خصائص جملة النداء.. 248

الفصل الرابع: جملة الاستفهام 252-352

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جملة الاستفهام 253
النمط الأول: جملة استفهامية تعتمد أداة (الهمزة).. 253
النمط الثاني :جملة استفهامية تعتمد (أم) المنقطعة.. 295
النمط الثالث: جملة استفهامية تعتمد الأداة (هل).. 301
النمط الرابع: جملة استفهامية تعتمد الأداة (أي).. 313
النمط الخامس: جملة استفهامية تعتمد الأداة (من).. 317
النمط السادس: جملة استفهامية تعتمد الأداة (ما).. 325
النمط السابع: جملة استفهامية تعتمد الأداة (كيف) 331
النمط الثامن: جملة استفهامية تعتمد الأداة (ماذا).. 339
النمط التاسع: جملة استفهامية تعتمد الأداة (أنى) 344
النمط العاشر: جملة استفهامية تعتمد الأداة (كم).. 347
النمط الحادي عشر: جملة استفهامية تعتمد الأداة (متى).. 349
خصائص جملة الاستفهام.. 350
ل الخامس: جملة الرجاء والتحضيض و الدعاء.. 353-384
أولا: جملة الرجاء.. 354
النمط الأول: فعل رجاء (عسى).. 355
النمط الثاني: أداة ترج (لعل).. 358
النمط الثالث: التمني.. 360
خصائص جملة الرجاء.. 365
ثانيا: جملة التحضيض.. 366
النمط الأول: الأداة (ألا).. 366
النمط الثاني: الأداة (لولا).. 367
خصائص جملة التحضيض.. 375
ثالثا: جملة الدعاء 376
النمط الأول: فعل دعائي بصيغة الماضي 376
النمط الثاني: دعاء بالمصدر 378
خصائص جملة الدعاء.. 384
الخاتمة 385
ثبت المصادر والمراجع.. 389
فهرس الموضوعات.. 411

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية